مصـــادر: تاريخ الجزائر المعاصر

Maçadir: Contemporary History of Algeria

المجلد 17، العدد 1، السنة 2020

المراسلة والاشتراك:

- الموقع الالكتروني: www.cnerh-nov54.dz
- البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz
- الهاتف: 021 92 23 24
- العنوان: 63 شارع انتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار الجزائر.

توجه طلبات الاشتراك إلى: السيد مدير المجلة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

© جميع الحقوق محفوظة للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

مدير المجلة: أ. ميعادي جمال الدين

رئيس التحرير: أ.د تلمساني بن يوسف

المستشار العلمي: أ.د بوسنة محمود

مديرو التحرير المساعدين:

-أ.د بوسنة محمود (جامعة الجزائر2)
- أ.د دحو فغرور (جامعة وهران)
- أ.د محمد القورصو (جامعة الجزائر2)
- أ.د هلايلي حنيفي (جامعة سيدي بلعباس)
- أ.د عمار منصوري (مركز البحث النووي - الجزائر)
- أ.د مولود قرين (جامعة المدية)
- أ.د مصطفى سعداوي (جامعة البويرة)
- أ.د رضوان شافو (جامعة الوادي)
-أ.د سعيد احسن (جامعة الجزائر2)
- أ. د امزيان حسين (جامعة قسنطنة)
-أ.د أحمد مريوش (المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة)
- أ.د مانع عمار (جامعة تيبازة)
- أ.د نبيلة بن فرحات (جامعة الجزائر3)
- أ.د شاشوة كمال (جـ. اكس، فرنسا)
-أ.د عمار بن خروف (جامعة الجزائر2)
- أ.د كمال حمزي (جامعة الجزائر2)
- أ.د عشوي مصطفى (الجامعة المفتوحة، الكويت)

المدقق اللغوي: أ.د فاسي مصطفى

أمانة المجلة:

- السيدة: إيدير سليمة
- السيدة: طايبي نصيرة
- السيد: مبارك أمين

اللجنة العلمية

أ.د. محمد حوتية (جامعة أدرار)
mohammedhoutia@yahoo.fr

أ.د. أحمدرضوان شرف الدين (جامعة الجزائر2)
charafeddineahmed@yahoo.fr

أ.د. فلة موساوي قشاعي (جامعة الجزائر2)
fellamoussoui@yahoo.fr

أ.د. يوسف عبيش (جامعة سطيف2)
yaibeche@gmail.com

أ.د. محمد مجاود (جامعة سيدي بلعباس)
medjaoud2000@yahoo.fr

أ.د. يوسف حبيب (جامعة وهران 2)
htiliouine@yahoo.fr

أ.د. حفظ الله بوبكر (جامعة تبسة)
boubhafdallah@yahoo.fr

أ.د. صالح لميش (جامعة مسيلة)
salahlamiche@gmail.com

أ.د. علي أجغو (جامعة باتنة1)
pr.ajgou@gmail.fr

د.منادي عثمان (جامعة سوق أهراس)
menadi_athmane@yahoo.fr

أ.د. عبد العزيز بوكنة (جامعة الجزائر2)
boukscientific@gmail.com

د. أحمد منغور(جامعة سكيكدة)
menghourahmed@hotmail.com

أ.د. صالح بوساليم (جامعة غرداية)
salahboussalim@yahoo.fr

د.لوصيف موسى (جامعة قسنطينة)
mloucif9@gmail.com

قـواعد النشـر

- أهداف المجلة

مجلة « مصادر تاريخ الجزائر المعاصر » مجلة أكاديمية محكمة، تهدف إلى نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة حول الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 وهذا من مختلف الجوانب التاريخية والاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية وحول تداعيات هذه المرحلة على الجزائر والعالم العربي والعالم. تُقبل البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية بشرط احترام قواعد النشر التي سنعرضها فيما يأتي. إن المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العاملين في مختلف الجامعات ومراكز البحث الجزائرية والعربية والأجنبية.

وتُرحب المجلة بالتعقيب على الدراسات والبحوث المنشورة فيها أو مراجعتها (2-4 صفحات)، كما تقبل المجلة تقارير عن المؤتمرات والنشاطات العلمية المتصلة بميادين اهتماماتها العلمية (3-5 صفحات)، فضلا عن مراجعات الكتب الهامة وخاصة الحديثة منها والمرتبطة بتاريخ الجزائر المعاصر (2-5 صفحات). مع العلم أن الآراء التي تتضمنها الدراسات والبحوث والمحتويات المختلفة التي تنشر في المجلة لا تعبر بالضرورة على رأيها وإنما تعبر بالدرجة الأولى على أراء أصحابها.

ونقدم فيما يلي للمؤلفين، قواعد النشر (العامة والخاصة) المحددة للسياسة العلمية لمجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر. وتجدر الإشارة إلى أن اعتماد هذه القواعد يهدف إلى ضمان النوعية واحترام المعايير العالمية المطلوبة في عملية تقييس الدوريات العلمية المحكمة.

قواعد النشر العامة

1- ترسل الدراسات والبحوث الموجهة للنشر في مجلة «**مصادر** تاريخ الجزائر المعاصر» إلى العنوان الإلكتروني الموالي، وهذا عن طريق البوابة الجزائرية للدوريات العلمية (Algerian Scientific Journals Platform (ASJP.
PresentationRevue29/en/dz.cerist.asjp.www//:URL:https

ومن أجل تحقيق ذلك يجب أن يكون للمؤلف حساب خاص به للدخول إلى منصة البوابة الجزائرية للدوريات العلمية (ASJP). فإذا لم يكن للمؤلف اسم تعريفي Identifient وكلمة سر يمكنه أن يسجل بكل سهولة (انظر إجراءات إرسال الدراسة/البحث إلى مجلة «**مصادر** تاريخ الجزائر المعاصر»، المتضمنة في دليل المؤلفين).

2- يجب الالتزام بالقواعد العلمية العالمية المتعارف عليها في كتابة الدراسات والبحوث الميدانية والنظرية. فالبحوث أو الدراسات المقدمة للنشر في مجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، يجب أن تكون مهيكلة حسب أحد النموذجين Templaites المعروضين في دليل المؤلفين (ويمكن الاطلاع على هذين النموذجين في ملف دليل المؤلفين وتحميلهما).
وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات والبحوث التي تصل المجلة وتكون غير مهيكلة ترد لأصحابها مباشرة من أجل التحسين.

3- يجب الحرص على أن تكون النصوص المرسلة للمجلة راقية من حيث قواعد اللغة ومتطلبات الأسلوب العلمي.

4- يجب ألا تزيد صفحات الدراسات أو البحوث المرسلة للمجلة بما في ذلك المراجع والهوامش والجداول والأشكال والصور عن 35 صفحة وألا تقل عن 10 صفحات.

5- يجب كتابة العناوين الرئيسية والفرعية في الجانب وبالبنط العريض.

6- يجب الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة بالنسبة للباحثين الذين يراسلون المجلة لأول مرة.

7- يجب ألا يكون البحث قد سبق نشره وأنه ليس مقدما للنشر في مجلة أخرى، وفي حالة ما إذا كان أساس البحث المقدم للنشر مداخلة في ملتقى علمي سابق، يجب ذكر الملتقى وتاريخ انعقاده والعنوان الأصلي للمداخلة.

قواعد النشر الخاصة

8- **الكتابة:** تكتب نصوص البحوث ببرنامج وورد(Word) ، بخط أريال أبجد هوز، وبحجم 14 بالعربية، وبخط Times New Romain و بحجم 12 باللغات الأجنبية.

9- **الصفحة الأولى:** تخصص الصفحة الأولى من البحث لكتابة المعلومات الأساسية التالية فقط:
عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين والدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو المؤسسات التي يعملون فيها، البريد الإليكتروني.

10- تخصص الصفحة الثانية من البحث لتقديم ملخص أول للبحث في حدود 200-250 كلمة، باللغة التي كتب بها المقال (العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية).

11- تخصص الصفحة الثالثة والرابعة من البحث لتقديم ملخص ثان باللغة الفرنسية وثالث باللغة الإنجليزية إذا كانت لغة المقال هي اللغة العربية والعكس في حالة ما إذا كانت لغة المقال هي الفرنسية أو الإنجليزية، على أن تكون الترجمات دقيقة للملخص الأول.

12- يرفق كل ملخص بكلمات مفتاحية وهذا في حدود 3-5 كلمات.

13- **بداية الدراسة أو البحث:** يبدأ تقديم البحث من الصفحة الخامسة بتكرار عنوان البحث وبدون تكرار اسم الباحث أو الباحثين.

14- **الترقيم:**

- ترقيم الصفحات يجب أن يكون في الوسط وفي أسفل الصفحة. - ترقم الجداول وفق ترتيب تصاعدي وتقدم في صفحات مستقلة داخل النص، ويكتب رقم الجدول وعنوانه من فوق وذلك كما يلي:

الجدول (...) التعريف

- ترقم الخرائط والصور والأشكال وفق ترتيب تصاعدي، على أن تقدم في صفحات مستقلة داخل النص (المتن). ويكتب رقم الخريطة أو الصورة أو الشكل وعنوانها من تحت كما يلي:

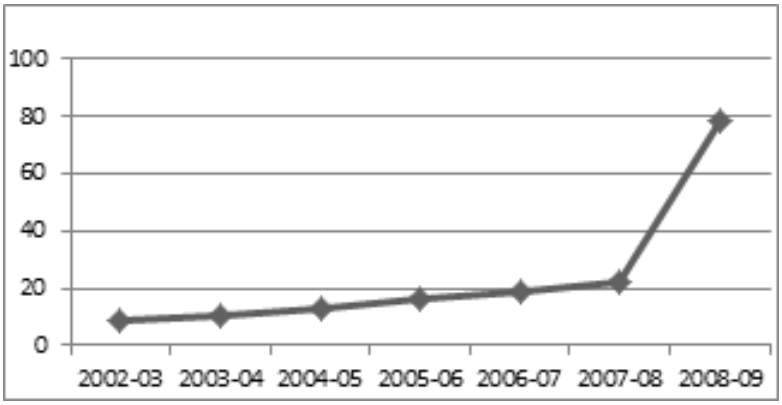

الشكل (....) التعريف

15- ترسل الخرائط والصور في ملفات إضافية مستقلة عن النص من نوع جيبيك (jepg) مثال (nom de l'image.jpeg). ويجب أن تكون نوعية الصورة أو الخريطة جيدة بحيث يجب ألا تقل عن (dpi 300).

16- **المراجع**: تكتب المراجع كما يلي.

- **الكتب**: اسم الباحث أو الباحثين، السنة، عنوان الكتاب، الجزء أو المجلد، دار النشر، مكان النشر.
- **فصل في كتاب جماعي:** اسم الباحث أو الباحثين، السنة، عنوان الفصل، في عنوان الكتاب الجماعي، تقديم فلان (الاسم واللقب)، دار النشر، مكان النشر

- **الدوريات**: اسم الباحث أو الباحثين، السنة، عنوان البحث، اسم الدورية، العدد، مكان الصدور.

17- يجب أن تسجل المصادر والمراجع في آخر البحث مرتبة ترتيبا أبجديا أو ألف بائيا، وتكون البداية بالمصادر والمراجع المكتوبة باللغة العربية ثم تلك المكتوبة باللغات الأجنبية في حالة ما إذا كانت الدراسة أو البحث مكتوباً باللغة العربية والعكس في الحالات الأخرى.

18- **الهوامش**: تكون ارقام الإحالات (الهوامش) متسلسلة وداخل متن المقال. أما نص الإحالة (الهامش) فيكتب أسفل ذات الصفحة التي ورد فيها رقمها.

19- **التحكيم:** تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكِّمين مختصين ومن ذوي المستويات العلمية العالية. حيث تعرض الدراسات والبحوث على محكِّمين اثنين على الأقل لتقديم تقارير الخبرة بخصوصها. وتعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل لأي بحث أو دراسة. مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكِّمين.

مدير المجلة

الفهرس

- **مقدمة العدد** 3
أ. ميعادي جمال الدين

أولا: دراسات وبحوث بالعربية

- التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: إرث استعماري ثقيل 9
أ.د. عمار منصوري

- مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في سياق التأثير المتبادل بين حق تقرير المصير وتدويل «القضية الجزائرية» 46
أ.د. الخير قشي

- جمعية العلماء و الثورة الجزائرية في اهتمامات الاستخبارات الفرنسية ما بين 1956/1953 87
أ.د. أحمد مريوش

- القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية 117
أ.د. علي غنابزية

- التقطيع الإقليمي أثناء الثورة التحريرية بين الجغرافية المتحركة والتاريخ المتوقف: الولاية الثالثة انموذجا (1954-1962) 142
د. مصطفى سعداوي

- الثورة الجزائرية ومعركتها ضد الشركات الفلاحية الفرنسية الكبرى الشرق الجزائري 1955-1960 من خلال أرشيف ما وراء البحار 160
د. توفيق بن زردة

- قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي 179
أ.د. مصطفى عشوي

- التسليح بالمنطقة السادسة من الولاية التاريخية الأولى -1956 1958 200
د. براهمي نصيرة

- كيف نبدأ وكيف ننتهي من كتابة ورقة علمية للنشر في مجلة محكمة؟ 234
أ.د. محمود بوسنه

ثانيا: كتابات للتأريخ للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

أ-شخصيات تاريخية هامة

- بروفيل العربي بن مهيدي: حياة كلها نضال وكفاح من أجل تحرير الجزائر 266
أ.د. بن عبد المومن إبراهيم

ب- وثائق أساسية في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

- حيثيات تحرير وطبع وتوزيع «نداء جيش التحرير الوطني» في أول نوفمبر 1954 289
أ. ميعادي جمال الدين، د. سعداوي مصطفى و أ. خامس سامية

جـ-شهادات حول ثورة أول نوفمبر 1954

- رحلة الصحفي الذي غطى إتفاقية إيفيان مع الرئيس احمد بن بلة وهواري بومدين 296
د. سمير مطاوع

ثالثا: دراسات وبحوث باللغات الأجنبية

- Points de vue sur L Algérie: la réception des travaux de Frantz fanon et 3
Pierre bourdieu au Japan
Naoki Iso Dr.

- L'engagement de la femme algérienne : un combat pour la 10
nation et pour la liberté .
Malika El Korso Pr.

* إن الترتيب المعتمد لمختلف الأوراق العلمية المنشورة في هذا العدد ليس لديه أية علاقة مع مدى قيمة ووزن هذه الأعمال البحثية.

مقدمـــة العـــدد

مقدمة العدد

السيد جمال الدين ميعادي

بعد غياب طويل لمجلة المصادر عن الساحة العلمية دام أكثر من سنتين، تعود مجلة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54 في صورة جديدة، حسب قواعد عمل جديدة تحترم المعايير العالمية الخاصة بتنظيم وإعداد المجلات العلمية العالمية. الصورة الجديدة للمجلة تتميز بتكيفها مع المعايير التي حددتها المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي والتي أعلنت عنها في صفحات البوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP). والجدير بالذكر أنه من أجل تقييس مجلتنا والرفع من نوعيتها شكلا ومضمونا، بادرنا بإدخال تحسينات جدرية وعميقة على النسخة القديمة، حيث عملنا على:

-دعم هيئة التحرير بكفاءات علمية عالية، تتمتع بسمعة علمية على المستوى الوطني والدولي،

- كتابة قواعد النشر (دليل المؤلف) بصورة نوضح فيها احترام مجلتنا للمعايير العالمية في صناعة المجلات وتبنيها طريقة APA في كتابة المراجع،

- تقديم توجيهات للمؤلفين (نموذج للمقال العلمي، مدونة أخلاقيات البحث...) تَمّ التركيز فيها على ضرورة هيكلة المقالات المرسلة للنشر في مجلتنا وهذا حسب نموذج « إمراد» أو نموذج ثان يتميز بكونه أكثر تكيف مع طبيعة البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،وعلى أهمية احترام أخلاقيات البحث العلمي كما حددناها في مدونة خاصة بالموضوع،

- إعادة ضبط عنوان مجلتنا حيث أصبح كما يلي: مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، وذلك لأن ميدان مجلتنا مقيّد في مصادر مرحلة تاريخية محددة وهي 1830-1962 وليس كل المراحل التاريخية. مع العلم إن تعديلنا للعنوان هو في الواقع تصحيح من أجل التكيف مع ما هو محدد في المعايير الدولية الخاصة بعناوين المجلات العلمية.

- إقرار كتابة الملخصات باللغات الثلاثة (العربية والفرنسية والإنجليزية)،

- تبني سياسة نشر طموحة ترمي إلى جعل مجلتنا مجلة إقليمية (العالم العربي والإفريقي) وعالمية يكتب بها كل المؤلفين الذين لديهم بحوث ذات نوعية جيدة حول الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54،

- تقسيم محتوى مجلتنا إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول خاص بالدراسات والبحوث بالعربية، والقسم الثاني خاص بكتابات للتأريخ للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، وقسم ثالث خاص بالدراسات والبحوث باللغات الأجنبية.

- تصميم غلاف جديد للمجلة يحمل شعار يتوافق مع طموحات وقيم مجلتنا،

- تصميم رمز جديد لمجلتنا متميز في شكله ومضمونه.

ويضم هذا العدد في نسخته الجديدة، مجموعة من الدراسات والبحوث القيمة وكتابات للتأريخ لبعض المواضيع الهامة المتصلة بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. إن القراءة المتأنية لهذه الأعمال البحثية يسمح لنا برصد مجموعة أولى من ثمانية بحوث عالجت مواضيع مختلفة تتصل بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54. حيث نجد من بينها تحليل قيّم لكل من إشكالية التفجيرات النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية ، وإشكالية الشركات الفلاحية الكبرى وكيف تعاملت الثورة الجزائرية معها، ودور جمعية العلماء في الثورة، ودور المنطقة السادسة في التسليح، ...

ونوع ثان من البحوث يبرز القدرات العالية للثورة في معالجة الأمور وهذا سواء على المستوى الداخلي (أبعاد استراتيجية التقسيم الذي قامت به الثورة فيما يخص التقطيع الإقليمي للبلاد) أو على المستوى الخارجي (تأثير ثورة 54 على حق تقرير المصير). وبالإضافة إلى ذلك يوجد بحث هام يعتبر مرجع أساسي للباحثين خاصة منهم الجدد، تناول فيه المؤلف بالعرض والتحليل الموسع إلى كيفية كتابة مقال علمي يكون صالحا للنشر في المجلات العلمية المحكمة.

أما في القسم الثاني من المجلة فقد تضمن مواضيع شيقة للقراءة، الأول حول البروفيل الخاص بالشهيد العربي بن مهيدي، والثاني حول نداء جيش التحرير الوطني، والثالث رحلة للصحفي الذي غطى مفاوضات إفيان مع الرئيس الرحل أحمد بن بلة ووزير دفاعه في ذلك الوقت هواري بومدين.

وفي القسم الثالث من المجلة نجد دراسة هامة من اليابان تطلعنا على اهتمامات الباحثين اليابانيين بالمفكر فرانز فانون والثورة الجزائرية، ودراسة ثانية حول المرأة الجزائرية والثورة التحريرية.

في الأخير لا يسعني إلا أن أشكر الطاقم العلمي الذي أشرف على إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر المستشار العلمي للمجلة الذي عمل ليس فقط على تقييس المجلة بناء على المعايير العالمية المطلوبة، بل ساعد المركز كذلك في تكوين فريق تقني أستعان به في القيام بمختلف الأعمال التقنية، شكرا لهؤلاء جميعا على اهتمامهم ومواظبتهم وإلى مزيد من التقدم.

أولا : دراسات وبحوث بالعربية

التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: إرث استعماري ثقيل

عمار منصوري
أستاذ-باحث، مركز البحث النووي بالجزائر
E-mail: mansouriammar@yahoo

تاريخ الإرسال: 2019/10/03 تاريخ القبول: 2019/12/02

ملخص

استُعمِلت الصحراء الجزائرية بين 13 فيفري 1960 و16 فيفري 1966 مسرحا لسبعة وخمسين (57) تفجيروتجربة واختبار نووي. أربعة (04) منها جوية بحمودية (رقان)، كانت ملوثة للغاية وثلاثة عشر (13) باطنية بتاوريرت تان أفلا (إين أكر) كانت فاشلة وأخطرها الحادث النووي «بريل - Béryl» في أول ماي 1962. وبالإضافة لذلك اجريت خمسة وثلاثون (35) اختبار نووي للسلامة(Expériences de sécurité) على مستوى آبار بحمودية وخمسة (05) تجارب نووية بموقع تاوريرت تان أترام في الهواء الطلق باستعمال مواد انشطارية كالبلوتونيوم. لقد سجلت هذه التجارب، بعد مغادرة العسكريين الفرنسيين مواقع التفجيرات ومخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية برقان- الهضبة في 1967، ضحايا جدد مدنيين وعسكريين جزائريين زيادة على ضحايا فترة التفجيرات. مع العلم أن هذه التفجيرات النووية لا تزال تؤثر على البيئة وصحة الإنسان وهي بالتالي تشكل جريمة كاملة ضد ألإنسانية غير قابلة للتقادم، ويستلزم على الفاعلين إصلاح الضرر. سنسلط في هذا المقال الضوء على الوضع الراديولوجي لمختلف مواقع التفجيرات النووية وواقع أرشيف هذا الملف الشائك والإجراءات التي يمكن اتخاذها للتكفل الجدي بالضحايا وتطهير البيئة الملوثة بعد مرور ستة عقود من الزمن.

الكلمات المفتاحية: تفجير نووي، الصحراء الجزائرية، السرطان، التلوث، الاستعمار الفرنسي.

Abstract

Between February 13, 1960 and February 16, 1966, the Algerian Sahara was the scene of 57 nuclear explosions, tests and experiments. Four air explosions in Hammoudia-Reggane that were very polluting and thirteen underground explosions, in Taouriret Tan Affela - In Ekker which failed, the most serious of which was the “Beryl” nuclear accident on may 1st 1962. Also, thirty-five additional safety experiments in Hammoudia and five tests on the Taouriret Tan Ataram site outdoor using fissile material such as plutonium. New Algerian civil and military victims were registered after the departure in 1967 of the French military from nuclear sites and laboratories of the French Atomic Energy Commission in Reggane - Plateau in addition to the victims of the period of the nuclear explosions. These nuclear explosions continue to affect human health,and the environment thus it constitute a perfect crime against humanity and remain imprescriptibly, and the actors of these crimes are condemned to repair the damage caused. In this paper, we will highlight the radiological situation of the various sites of nuclear explosions, as well as on the situation of the archives concerning this thorny folder and on the actions that can be taken for the serious care of the victims and the rehabilitation of the contaminated environment 60 years later.

Keywords: Nuclear Explosion, Algerian Sahara, Cancer, Pollution, French colonialism

Résumé

Entre le 13 février 1960 et le 16 février 1966, le Sahara algérien a été le théâtre de 57 explosions, essais et expérimentations nucléaires. Quatre explosions aériennes à Hammoudia-Reggane qui ont été très polluantes et treize explosions souterraines, à Taouriret Tan Affela - In Ekker qui ont échoué dont la plus grave est celle appelée »Béryl» le 1er mai 1962. En plus, trente-cinq expériences supplémentaires dites de sécurité dans des puits à Hammoudia et cinq essais sur le site de Taouriret Tan Attaram à l'air libre avec l'utilisation de matière fissile tel que le plutonium. De nouvelles victimes algériennes civiles et militaires ont été enregistrées après le départ, en 1967, des militaires français des sites des explosions nucléaires et des laboratoires du Commissariat à l'Énergie Atomique (CEA) français à Reggane - Plateau, en plus des victimes de la période des explosions nucléaires. Ces crimes qui continuent d'affecter la santé humaine, l'environnement et l'équilibre écologique constituent un crime parfait contre l'humanité et demeure donc imprescriptible, les acteurs de ces crimes sont donc condamnés à réparer les préjudices causés.

Dans cet article, nous ferons de la lumière sur la situation radiologique des différents sites d'explosions nucléaires, ainsi que sur la situation des archives concernant ce dossier épineux et sur les actions pouvant être entreprises pour une prise en charge effective des victimes et la réhabilitation de l'environnement contaminé 60 ans plus tard.

Mots-clés: Explosion Nucléaire, Sahara algérien, Cancer, Pollution, Colonialisme français

مقدمة:

لقد استُعمِلت الصحراء الجزائرية بين 13 فيفري 1960 و16 فيفري 1966 كميدان لـ57 تفجيراً وتجربة واختباراً نووياً أجرتها فرنسا الاستعمارية، أربعة (04) في الجو بحمودية (رقان)، وبالتالي كانت ملوِثة للغاية للبيئة وخطيرة على جميع أشكال الحياة وثلاثة عشر (13) تفجيراً تحت الأرض بتاوريرت تان أفلا (إين أكر)، وكان يُفترض أنها آمنة على البيئة. لكن، لا بد من الإشارة إلى أن أربعة منها على الأقل باءت بالفشل أهمها الحادث النووي «بريلBéryl-» في أول ماي 1962 والذي تجاوزت خطورته حدود الموقع. كما أُجريت خمسة وثلاثون (35) تجربة إضافية للسلامة بآبار بحمودية وفي الهواء الطلق والتي استُعملت فيها مواد نووية انشطارية كالبلوتونيوم، وأخيرا خمسة (05) اختبارات باستعمال البلوتونيوم في الهواء الطلق في موقع ثالث بتاوريرت تان أترام الذي يقع على بعد 30 كم غرب جبل تاوريرت تان أفلا. وقعت التفجيرات النووية الستة الأولى (أربعة جوية واثنان باطنيان) في وقت الجزائر فرنسية. ولكن «اتفاقات أيفيان» مكنت فرنسا من استخدام مواقع الصحراء للتجارب النووية والكيميائية والباليستية خلال خمس

سنوات أخرى. حيث، أجري 11 تفجيراً نووياً بعد استرجاع الاستقلال إلى غاية فيفري 1966 وتم في جوان 1967 إرجاع تلك المواقع إلى السلطات الجزائرية بعد تفكيك المنشآت التقنية والتنظيف وذلك حسب وزارة الدفاع الفرنسي (التجارب النووية الفرنسية ، وزارة الدفاع الفرنسية les essais nucléaires française(2010).

لقد بدأت فرنسا في تفجيراتها النووية، وهي على دراية تامة بمخاطرها على صحة الإنسان والبيئة والتوازن الايكولوجي. فلقد تم نشر الآثار الصحية المترتبة عن القصف الذري على هيروشيما وناغازاكي في أوت 1945 والتي تُرجمت إلى اللغة الفرنسية في 1957 بينما باشرت فرنسا تفجيراتها النووية الأولى سنة 1960 غير مبالية بقرار الأمم ألمتحدة في 1959 المناهض لبرنامج التجارب النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية[1] نظرا لآثارها المدمرة على الإنسان وبيئته من جهة، والتوقيف الدولي للتفجيرات النووية الجوية الذي أقرته القوى النووية الثلاث آنذاك في نوفمبر 1958[2] من جهة أخرى.

وعند مغادرة مواقع التفجيرات النووية بالصحراء في 1967، قام الجيش الفرنسي بغلق- بالاسمنت المسلح- مداخل مخابر محافظة الطاقة الذرية (CEA)[3] برقان- الهضبة ودفن المعدات الملوثة كبيرة الحجم (الدبابات والطائرات والبواخر...) على عمق بضع سنتمترات في الرمال، في حين تم التخلي عن كل ما تبقى من تجهيزات ملوثة في الهواء الطلق مما أدى إلى تسجيل ضحايا مدنيين وعسكريين جزائريين آخرين زيادة على ضحايا فترة التفجيرات من بين العمال الجزائريين بالواحات وبالتوات، والمواطنين الأصليين والرحل و»فئران- تجارب-Cobayes» من المفحوصين الذين استُعملوا في التفجيرات والتجارب والاختبارات النووية المختلفة (التقرير السابق حول التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية). أمام هذه الوضعية، والتي أقل ما يقال عنها أنها خطيرة، بادرت وزارة المجاهدين في 1996 بفتح ملف التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية[4].

1- تجدر الإشارة إلى أن قرار الهيئة الأممية لم يكن ملزما للسلطات الاستعمارية.

2- وقف أقرته الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي منذ نوفمبر 1958 والذي تتعهد فيه بوقف تجاربها الجوية. أعقب ذلك معاهدة أولى في 1960 تم التوقيع فيها على معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية في 5 أوت 1963 بموسكو. تتعلق هذه المعاهدة بحظر تجارب الأسلحة النووية في الغلاف الجوي، وفي الفضاء وتحت الماء. للإشارة، فإن التجارب الباطنية غير معنية بهذا الحظر.

3- Commissariat à l'Énergie Atomique

4- للمزيد من المعلومات انظر عمار منصوري (2010) «صمت رهيب وأثار لا تنسى»، مجلة الجيش عدد 559: 31-54.

ومنذ ذلك التاريخ، و من أجل التكفل الجدي بهذا الملف الشائك، تم تنظيم ندوات وطنية وملتقيين دوليين[5] والتي أسفرت على توصيات مهمة، من الضروري العمل على تجسيدها ميدانيا خدمة للبيئة الملوثة ولمعاناة الضحايا.

سنقدم في هذه الورقة تشخيصاً وتحليلاً للوضع الراديولوجي لمختلف مواقع التفجيرات النووية التي أجريت بالصحراء الجزائرية وهذا بناء على مختلف الدراسات والتقارير المختصة التي قدمت حول هذا الموضوع من جهة، وبعض الملاحظات التي سجلها الباحث خلال زيارات ميدانية قام بها فيما بين 1996 و2016 لمعاينة واقع هذه التجارب وهذا في إطار اللقاءات العلمية التي تم تنظيمها بكل من رقان و تمنراست وفي إطار كذلك انجاز أفلام وثائقية حول الموضوع.

1-البرنامج النووي لفرنسا الاستعمارية

1-1- العهد النووي الفرنسي بالصحراء الجزائرية: تفجيرات وقصف ذري و حوادث نووية.

شهد القرن العشرين تدشينا للعهد النووي من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في 16 جويلية 1945، عندما فجرت قنبلة ذرية بقوة 20 كط بألاموغوردو، بنيو مكسيك[6]. أعقب هذا التفجير النووي الأول في العالم 2423 تفجيراً نووياً مهولاً و مدمراً في حق صحة الإنسان وسلامة البيئة منها 543 تفجيراً جوياً و1880 تفجيراً باطنياً أجرتها عشر دول ما بين 16 جويلية 1945 و03 سبتمبر[7]. يشير العديد من المختصين الى أن هذه التفجيرات تسببت في سقوط ملايين من الضحايا وتلوث ملايين الهكتارات من الأراضي إلى الأبد وظهور أمراض سرطانية متنوعة وإحداث خلل على نطاق واسع في مقياس التوازن البيئي يصعب معالجته! (Rapport OMS, 1993)لقد شهد العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية سباقا مَحْمُوما نحو اكتساب السلاح الأكثر فتكا باعتباره سلاح ردع وترهيب[8]. لقد ادى اكتشاف العالم هنري بيكريل في 1896الانبعاث التلقائي

5- أعمال الملتقى الدولي الأول حول أثار التفجيرات النووية في العالم: صحراء الجزائر نموذجا. 13-14 فيفري 2007، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954. و أعمال الملتقى الدولي الثاني حول أثار التفجيرات النووية في العالم: صحراء الجزائر نموذجا. 22-23 فيفري 2010، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

6- Essai Nucléaire -Wikipédia,2019 . URL: https://fr.wikipedia.org/wiki/Essai_nucl%C3%A9aire

7- Wikipédia : Arme Nucléaire, 2019. URL: https://fr.wikipedia.org/wiki/Arme_nucl%C3%A9aire

8 - Wikipédia: La Bombe Atomique (2019) URL: https://fr.wikipedia.org/wiki/Bombe_A

للإشعاعات من المادة، ثم اكتشاف انشطار ذرة اليورانيوم في 1938 وإنجاز أول مفاعل نووي في الولايات المتحدة الأمريكية في 1942 الى تفجير القنبلة الذرية الأولى واستعمال هذا السلاح الخطير، في قصف مدينتي هيروشيما ونغازا كي اليابانيتين في 06 و 09 أوت 1945. وتسابقت الدول الكبرى من أجل الحصول على هذه التكنولوجيا النووية .(Meghlaoui Hocine 2016) للعلم، أدت بعض التفجيرات النووية في العالم إلى حوادث نووية متفاوتة الخطورة كما زرعت الطاقة النووية السلمية أيضا الرعب من خلال الحوادث المختلفة في محطات الطاقة النووية منها على وجه الخصوص كارثتا تشيرنوبيل في 26 أفريل 1986 و فوكوشيما في 11 مارس 2011. يُعتبر كلا الحادثين في قمة الكوارث النووية حيث بلغت شدة حادث محطة فوكوشيما المستوى سبعة مثل حادث تشيرنوبيل في المقياس الدولي للأحداث النووية INES))[9]. هذا السُّلم الدولي (شكل رقم 01) هو الذي تقاس به الحوادث والكوارث النووية وفقًا لثمانية مستويات من الخطورة مصنفة من 0 إلى [10] 7، وتكون بعض الحوادث تحت حكم ختم سري- دفاع فتبقى ظروف وقوعها وخطورتها غير معروفة بدقة مثل الحادث النووي «بريل» الذي وقع في أول ماي 1962 بالصحراء الجزائرية.

شكل 01: سلم تصنيف الأحداث و الحوادث النووية
حسب ثمانية مستويات للخطورة من 0 إلى 7.

9- International Nuclear Event Scale (INES)
10 - INES. URL: https://www.iaea.org/sites/default/files/ines.pdf

1-2- التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية

تماشيًا مع تطوير الأسلحة النووية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في 1945 والاتحاد السوفيتي سابقا في 1949 وإنجلترا في 1952، قرر ديغول بدوره في 18 أكتوبر 1945، بعد أسابيع قليلة من إلقاء القنبلتين الذريتين على ناكازاكي وهيروشيما باليابان، إنشاء محافظة الطاقة الذرية الفرنسية (CEA) في سياق الحرب الباردة والسباق نحو التسلح. وبالتالي أطلقت فرنسا برنامجها النووي للوصول إلى نادي القوى النووية العسكرية. وعليه، جرى تصميم القنبلة الذرية الفرنسية على ثلاث مراحل على مدى خمس عشرة سنة (1945- 1960). وكانت فرنسا كدولة استعمارية من بين المتنافسين في هذا المجال، ولأن صناعة وتجريب السلاح النووي يحتاج إلى فضاء كبيروأماكن خاصة، عمدت فرنسا إلى استخدام الصحراء الجزائرية ورأت فيها المكان المنشود، حيث تجري تجاربها بدون ما تتأثر مباشرة بالنتائج السلبية والخطيرة لهذه التجارب. فأسرعت منذ 1957، في إنجاز ميدان للتفجيرات النووية بحمودية - رقان لتتمكن من دخول معترك الدول الكبرى المالكة للسلاح النووي.

لقد أدت عودة الجنرال ديغول إلى السلطة في جوان 1958 إلى التأكيد الرسمي على البرنامج النووي الذي تم إطلاقه سراً في ظل الجمهورية الرابعة. حيث أكد ديغول أمر تجربة الأسلحة النووية ابتداء من 22 جويلية 1958، كان قد أعلن من قبل أنه من خلال انشاء محافظة الطاقة الذرية الفرنسية (CEA) في 1945 كان الهدف السماح لفرنسا لكي تصبح قوة ذرية، معتبرا أن وصول فرنسا إلى مصف القوى الذرية هو فقط الذي سيسمح لها أن تكون مستقلة عن كلا الكتلتين.

وبطبيعة الحال كان لعلماء محافظة الطاقة الذرية الفرنسية دور في تصميم السلاح النووي الفرنسي وقام السياسيون بدور تقارب وجهات النظر بين مصالح الجيوش ومحافظة الطاقة الذرية الفرنسية كما كان للعسكريين دور في اختيار السلاح النووي الفرنسي و قامت الدبلوماسية الفرنسية بدورها في الدفاع عن برنامجها النووي عن طريق مندوبها لدى هيئة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة[11].

11- من خلال الكلمة التي ألقاها جول موش Julesمندوب فرنسا، على منبر الأمم المتحدة في نوفمبر1959 والتي رافع فيها حول اختيار الصحراء للتفجيرات النووية الفرنسية مستشهدا برسوم بيانية حول بناء مركز التجارب النووية برقان.

وفي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تعاني من كفاح الثورة الجزائرية والتي أدت إلى وقوع شرخ كبير في إمبراطوريتها الاستعمارية، قامت يوم السبت 13 فيفري 1960 على الساعة 07و 04د 20ثا بتفجير أول قنبلة ذرية لها تحت اسم اليربوع الأزرق «Gerboise Bleue» في سماء رقان في الصحراء الجزائرية، الذي أدانته الأمم المتحدة (صورة 01).

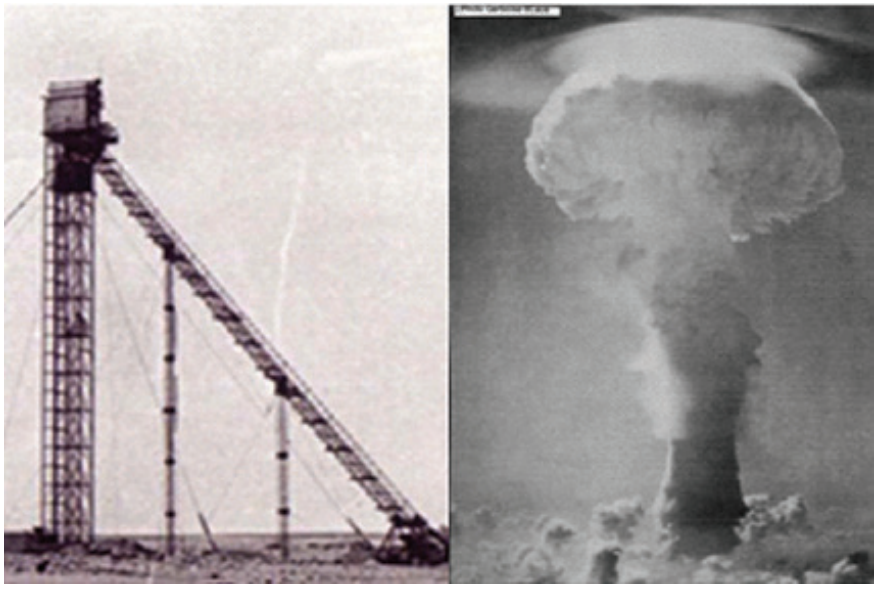

صورة رقم 01:» فطر» وصرح تفجير قنبلة «اليربوع الأزرق» (106م)
(صورة «مركبة» من الأرشيف النووي الفرنسي).

يعتبر هذا التفجير النووي كارثة بيئية وإنسانية والذي ما زالت أثاره مستمرة بعد مرور 60 سنة، متسببة في أعراض وأمراض سرطانية ناجمة عن الإشعاع. والجدير بالذكر هو أنه عند القيام بهذا التفجير نسجل عدم وجود احتياطات لحماية لا السكان الجزائريين المجاورين ولا بعض المستخدمين الفرنسيين أنفسهم (وثيقة 01، و 02).

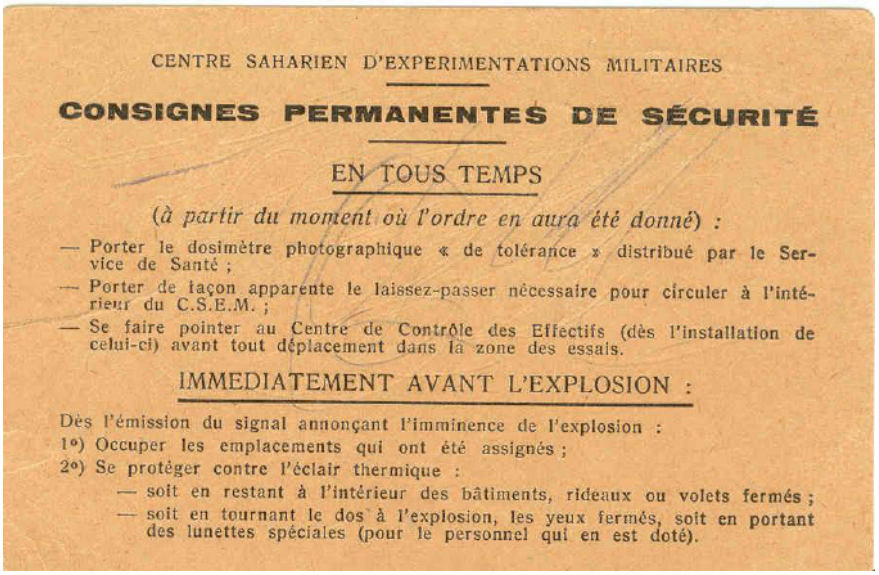

CENTRE SAHARIEN D'EXPERIMENTATIONS MILITAIRES

CONSIGNES PERMANENTES DE SÉCURITÉ

EN TOUS TEMPS

(à partir du moment où l'ordre en aura été donné) :

— Porter le dosimètre photographique « de tolérance » distribué par le Service de Santé ;
— Porter de façon apparente le laissez-passer nécessaire pour circuler à l'intérieur du C.S.E.M. ;
— Se faire pointer au Centre de Contrôle des Effectifs (dès l'installation de celui-ci) avant tout déplacement dans la zone des essais.

IMMEDIATEMENT AVANT L'EXPLOSION :

Dès l'émission du signal annonçant l'imminence de l'explosion :
1°) Occuper les emplacements qui ont été assignés ;
2°) Se protéger contre l'éclair thermique :
— soit en restant à l'intérieur des bâtiments, rideaux ou volets fermés ;
— soit en tournant le dos à l'explosion, les yeux fermés, soit en portant des lunettes spéciales (pour le personnel qui en est doté).

وثيقة 01: مذكرة (فيفري 1960) من الأرشيف النووي الفرنسي،
تتعلق بإجراءات تجنب خطر التفجير النووي
«اليربوع الأزرق». التي تشير بوضوح إلى بساطتها

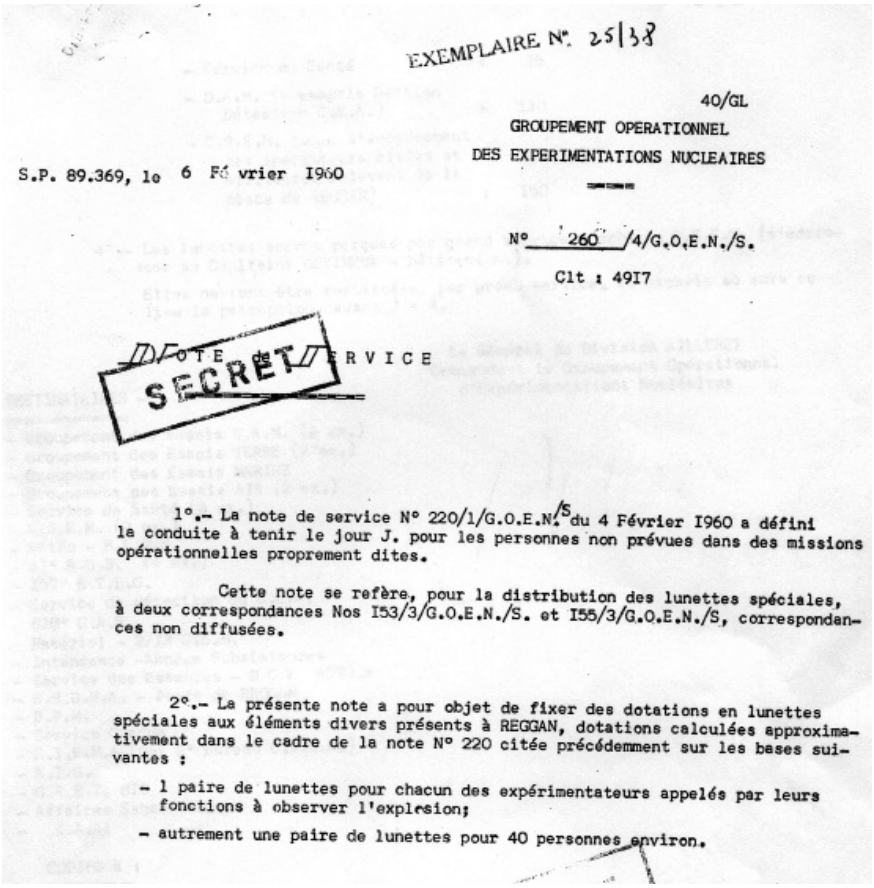

EXEMPLAIRE N°. 25|38

40/GL
GROUPEMENT OPERATIONNEL
DES EXPERIMENTATIONS NUCLEAIRES

S.P. 89.369, le 6 Février 1960

N° 260 /4/G.O.E.N./S.

Clt : 49I7

NOTE de SERVICE
SECRET

1°.- La note de service N° 220/1/G.O.E.N./S du 4 Février I960 a défini la conduite à tenir le jour J. pour les personnes non prévues dans des missions opérationnelles proprement dites.

Cette note se refère, pour la distribution des lunettes spéciales, à deux correspondances Nos I53/3/G.O.E.N./S. et I55/3/G.O.E.N./S, correspondances non diffusées.

2°.- La présente note a pour objet de fixer des dotations en lunettes spéciales aux éléments divers présents à REGGAN, dotations calculées approximativement dans le cadre de la note N° 220 citée précédemment sur les bases suivantes :

- 1 paire de lunettes pour chacun des expérimentateurs appelés par leurs fonctions à observer l'explosion;
- autrement une paire de lunettes pour 40 personnes environ.

وثيقة 02: مذكرة 06 فيفري 1960 ، من الأرشيف النووي الفرنسي،
حول توزيع نظارة واحدة لحوالي 40 شخص!

يُظهر التقرير السنوي لمحافظة الطاقة النووية الفرنسية (CEA) لعام 1960 وجود منطقة ملوثة يبلغ طولها حوالي 150 كم والتعليمات المقدمة للمشاركين في تفجير «اليربوع الأزرق» تحدد بوضوح الشروط التي يمكن من خلالها الدخول في»المنطقة الملوثة» والخروج منها. هذا ما يؤكد أن المناطق المجاورة لمكان التفجير النووي بحمودية - رقان قد تلوثت وتلقت جرعة كبيرة من النشاط الإشعاعي.

يشير برينو بارلو (Bruno Barrillot, 2002) إلى أن إنشاء قوة الردع النووية الفرنسية يرتكز على برنامج التفجيرات النووية الذي بدأ في 13 فيفري 1960 في الصحراء الجزائرية وانتهي في 27 جانفي 1996 في بولينيزيا، وهكذا أصبحت فرنسا قوة نووية مقابل النفايات المشعة كهدايا خطيرة قدمتها للجزائر ولبولينيزيا. ويؤكد برينو بارلو (Bruno Barrillot, 2003) أن أكثر من 150.000 عسكري و مدني شاركوا في التفجيرات النووية الفرنسية (24.000 في الجزائر و 126.000 في بولينيزيا)، بالإضافة إلى العمال أن الجزائريين والأفارقة والبولينيزيين وغيرهم فضلاً عن السكان الذين يعيشون بالقرب من المواقع المختلفة للتفجيرات النووية، يحتمل أنهم قد تأثروا بالإسقاطات الإشعاعية الناتجة عن 250 تجربة وتفجيراً نووياً فرنسياً التي تمت ما بين 1960 و 1966 في الصحراء الجزائرية (57) ومن 1966 إلى 1996 في بولينيزيا (193).

1-3- اختيار الصحراء «مسرحا» للتفجيرات النووية الفرنسية

اختار المستعمر الفرنسي الصحراء الجزائرية ميدانا للتفجيرات النووية متحديا السكان، المستقرين منهم والرحل والبيئة والوضع القانوني للأراضي. حيث تظهر أبحاث جان مارك رونو في الأرشيف العسكري الفرنسي وذلك قبل 1960، انه في أواخر 1950 قررت السلطات العسكرية الفرنسية القيام بتفجيرات نووية في الصحراء الجزائرية وبولينيزيا وذلك لأسباب تقنية وسياسية. ففي 10 جانفي 1957 قام الجنرال شارل ايلغيي (Charles AILLERET) على رأس بعثة بالاستطلاع الأول في الصحراء من أجل اختيار موقع للتفجيرات النووية. حيث جاء في التقرير التقني الذي اعده: «من وجهة النظر التقنية، وخارج كل تقييم أو تنبؤ بأحداث سياسية في المستقبل يبدو أن منطقة تانيزروفت تفسح المجال لإنشاء مضلع للتجارب النووية». كما صرحت فرنسا على منبر الأمم المتحدة بأن المواقع التي تم اختيارها لتجاربها النووية بالصحراء الجزائرية ليست آهلة بالسكان ولا يوجد بها حيوان ولا حتى نبات بل هي مناطق قاحلة ومهجورة. وهكذا كما يوضح تقرير

حول التجارب النووية الفرنسية، صادر بتاريخ 10 ماي 1957 في الجريدة الرسمية الفرنسية مرسوم حول تخصيص للدفاع الوطني موقع للتجارب النووية مساحته 108.000كم^2 على بعد 40 كم جنوب مدينة رقان. وتم إنشاء المركز الصحراوي للتجارب العسكرية[12] (CSEM) بقرار نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 24 ماي 1957. حيث كان في خدمة هذا المركز 10.000 شخص بين مدني وعسكري، موزعين على قاعدة الحياة رقان-هضبة (على بعد 50 كم من موقع التفجيرات) وقاعدة الحياة حمودية (على بعد 16 كم من موقع التفجيرات). شارك في هذه العملية 6.500 فرنسي بين الباحثين والعلماء والمهندسين والجنود و3.500 جزائري من العمال أغلبهم من السجناء. وبدأت أشغال البنية التحتية لرقان-هضبة في أكتوبر 1957. أما في حمودية فبدأت الأشغال في 03 نوفمبر 1958 وتلاها بناء ميدان «اليربوع الأزرق» في جانفي1959 وفي أفريل 1962 تم بناء الآبار التي استخدمت لإجراء التجارب الإضافية. وتم حل شركة البناء في 30 مارس 1964 بعد تدمير موقع حمودية في 21 فيفري1964.

ويمكن ان نقرأ ايضا من هذا التقرير المعلن أعلاه انه جُندت لهذا المشروع موارد مالية وبشرية كبيرة لإقامة «مدينة» في الصحراء والمرافق التجريبية بحمودية لاستعمالها كمضلع للتفجيرات الجوية. في 11 افريل 1958 أعلن رئيس المجلس فيليكس غايار أن أول تفجير قنبلة ذرية فرنسية سيكون في بداية 1960. حيث انه ستنتج مفاعلات البلوتونيوم في «ماركول» ما يكفي من البلوتونيوم للقنبلة الذرية الأولى. وفعلا تم بالمركز الصحراوي للتجارب العسكرية كما كتب برينو بريلو (Brunot Barillot, 2014) أربعة (04) تفجيرات جوية بين 13 فيفري 1960 و25 افريل 1961 والتي لوثت كلاً من الصحراء الجزائرية وإفريقيا وحتى جنوب أوروبا (شكل 2).

12-Centre Saharien des Expérimentations Militaires CSEM

شكل 02: خريطة للجيش الفرنسي لعام 1960رفعت عنها السرية في 4 أفريل 2013 وتم نشرها في 14 فيفري 2014 في جريدة «Le Parisien» تبين أن الإسقاطات الإشعاعية «لليربوع الأزرق» كانت أكبر بكثير من تلك التي اعترف بها في ذلك الوقت، حيث امتدت الإسقاطات الإشعاعية إلى دول غرب أفريقيا وجنوب أوروبا.

ونظرا للوضع السياسي العالمي، المتمثل في حظر التجارب النووية الجوية من قبل الاتحاد السوفيتي سابقا والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة من 1959 إلى 1961 والاحتجاجات التي قامت بها بعض الدول الأفريقية، بما في ذلك نيجيريا، ضد التفجيرات النووية الجوية الفرنسية بالصحراء الجزائرية أجبرت فرنسا على تحويل برنامجها النووي إلى التفجيرات الباطنية بجبل تاوريريت تا افلا بمنطقة إين أكر بتمنراست. حيث تم إنشاء المركز العسكري للواحات CEMO [13] الذي يتربع على مساحة 170 570هـ بمرسوم بتاريخ 12 جويلية 1960 حيث كان في خدمة هذا المركز 2000 شخص من

المدنيين والعسكريين، موزعين على قاعدة الحياة عين أمقل (على بعد 30 كم من جبل تان افلا) وقاعدة الحياة واحة 1 (على بعد 10كم من جبل تان افلا).

13 - Centre des Expérimentations Militaires des Oasis = CEMO

لقد تم اختيار جبل تاوريرت تان افلا بمنطقة إين أكر بالهقار وذلك بسبب خصائصه الهيدروجيولوجية. بالرغم من أن منطقة الهقار تحتوي على أثار عصور ما قبل التاريخ تعود إلى 8.000 سنة قبل الميلاد[14] (Jean-Dominique Lajoux, 1977 - Henri Lhote, 1959). يتكون جبل تاوريرت تان افلا من كتلة صخرية من الجرانيت قطرها 5000م وسمكها 3700م. ولقد تم به تنفيذ 13 تفجيرًا نووياً داخل أنفاق طولها ما بين 800م و 1300م ما بين 07 نوفمبر 1961 و 16 فيفري 1966 (صورة 02).

صورة 02: مدخل نفق التفجيرات النووية الباطنية بجبل تاوريرت تان افلا- اين اكر. (صورة من الأرشيف النووي الفرنسي).

14 - أكبر متحف للرسوم الصخرية البدائية في كل الكرة الأرضية يوجد بالهقار والطاسيلي الذي تم إدراجه إرثا حضاريا عالميا، وهذا كما يؤكد ذلك مختصون علم الآثار.

لقد تم حفر الأنفاق الثلاثة عشر أفقيا وتنتهي على شكل حلزوني، من اجل ضمان احتواء النشاط الإشعاعي، حيث تم حساب الشكل الحلزوني على أساس أن يتم غلقه على اثر موجة الصدمة (صمام الأمان) قبل وصول الحمم البركانية. كان اثنيا عشر تفجيراً نووياً باطنياً فاشلاً بما في ذلك التفجيرات الأربعة الأكثر خطورة («بريل»، «اميتيست»، «روبي» و»جاد») و الأخطر فيهم هو تفجير «بريل»، حيث أسفر هذا الأخير على تدفق حمم بركانية تحتوي على نظائر مشعة غازية ومتطايرة تقدر بحوالي 700م^3، قد تدفقت على بعد 400 م فضلا عن المواد الغازية المشعة التي شكلت سحابة في السماء والتي امتدت على مدى 800 م، في نفس الاتجاه، ، وبلغت ذروتها إلى نحو 2600 م فوق مستوى سطح البحر (صورة رقم 03).

صورة 03: السحابة النووية الناتجة عن حادث «بريل» في أول ماي 1962 بجبل تان افلا-اين اكر(والتي عبرت الحدود الجزائرية-الليبية. (صورة»مركبة» من الأرشيف النووي الفرنسي).

وتبعتها الطائرات الفرنسية على مسافة 600 كم حيث عبرت الحدود الجزائرية شرقا إلى الدول المجاورة (Bruno Barrillot, 2009). كانت السحابة النووية لحادث «بريل» سببا لتلوث كبيريمكن قياسه على بعد 500 كم بجنات - اليزي (4.4 10-7 كوري /م3) ومن بين الضحايا تم تسجيل 17 حالة ماتوا باللوكيميا حسب شهود عيان بالمنطقة .كما يؤكد برينو بريلو (Barrillot Bruno, 2007/1, Bruno Barrillot, 2009) أن الكارثة النووية «بريل» تعتبرفريدة من نوعها في التاريخ العالمي للتفجيرات النووية الباطنية، على الأقل فيما يتعلق بتدفق الحمم البركانية خارج النفق في الهواء الطلق والتي تم قياس نشاطها الإشعاعي بين 77 و100ميكروغراى/سا (µGy/h). وللإشارة، إن سطح هذه الحمم المجمدة قد تدهور بسبب ربما الأحوال الجوية منذ 57 سنة خلت وفي هذا الإطار، تؤكد الدراسة التي قامت بها فرنسا في 1965 على أن النشاط الإشعاعي المتبقي يقدربحوالي 5.000 كوري (Ci) مثبتة على 10.000 طن من الحمم البركانية، منها حوالي 25 كوري (Ci) من البلوتونيوم (Pu) الذي يعتبراخطرعنصركيميائي ونووي حيث تقدر مدة نصف حياته بـ24.110 سنة ولهذا، تبقى هذه الحمم عند سفح جبل تان افلا إرثا يشكل خطرا على مدى قرون، وهو ما يعني أنها ستؤدي إلى ضحايا جدد في المستقبل؟ حيث تم التخلي عنها بدون أي حماية! أيضا هناك أشياء أخرى مقلقة تتعلق بمنطقة النفق حيث لا تزال بها مواد البناء وغيرها من الأشياء مثل الأسلاك الكهربائية والقضبان، والنفايات الصلبة قد تم التخلي عنها منذ 1967.وحسب الشهادات التي جمعت بإين أكر، فان العديد من هذه الأشياء تكون مشعة أو ملوثة، تم استعمالها من قبل سكان منطقة اين اكرواين مقل بعد 1967، والشأن كذلك بالنسبة لمنطقة حمودية ورقان-هضبة[15] ونتيجة لكل ذلك، تقدرطاقة التفجيرات النووية الجوية بـ100كط من مادة تي. ان. تي وطاقة التفجيرات النووية الباطنية بـ500 كط من مادة تي. ان. تي وعليه فان الطاقة الإجمالية للتفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية تقدربـ600 كط من مادة تي. ان أي ما يعادل 40 مرة قنبلة هيروشيما؟ ناهيك عن التجارب الإضافية (35) بحمودية - رقان على مستوى أباروالتي استعملت فيها «كرياتالبلوتونيوم» وكذلك اختبارات السلامة (05) بتاوريرت تان اترام - إين أكرفي طارعملية «حبوب اللقاح» التي استعملت فيها مواد انشطارية في الهواء الطلق مثل البلوتونيوم؟ (جدول رقم 1).

15 –من خلال مقابلات د. عمارمنصوري مع سكان المناطق المعنية بالتفجيرات النووية الفرنسية

جدول رقم 01: حصيلة التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1960 -1966)

النوع	الموقع	العدد	الفترة	الطاقة	ملاحظات
تفجيرات جوية	حمودية، رقان 108.000كم^2	04	1960-1961	100	- تلوث قاري - 150 «كوباي» جزائري
تفجيرات باطنية	تاوريرت تان أفلا، إين أكر170.570) هـ)	13	1961-1966	500	- 12 فاشلة - 04 حوادث خطيرة - تلوث واسع
تجارب إضافية	حمودية، رقان 108.000كم^2	35	1961-1963	Pu	- انتشار البلوتونيوم - حادثين على الأقل - قتلى و جرحى
اختبارات السلامة	تان أتارام، إين أكر10.000هـ	05	1964-1966	Pu/Lu	- انتشار للبلوتونيوم - مناورات لوحدات عسكريا في الموقع
المجموع	الصحراء الجزائرية (03 مواقع + المخابر)	57	1960-1966	600 كط(40 مرة هير و شيما)	- سرطان، ضحايا ... - أضرارعلى البيئة

2- استعمال البشر «كفئران- تجارب» في هذه التفجيرات

لقد أُستعمل العنصر البشري من الجزائريين والفرنسيين «كفئران- تجارب» في التفجيرات النووية الفرنسية الجوية في الصحراء الجزائرية. حيث، أثناء التفجير النووي الجوي «اليربوع الأحمر»، أوتي بـ150 من السجناء الجزائريين من سجن سيدي بلعباس لاستعمالهم «كفئران- تجارب» وربطوا بأعمدة بالقرب من موقع التفجير لدراسة السلوك البشري خلال تفجير ذري[15]

ووفقا لشهادة بعض قدامى التجارب، لقد استخدم المجندون الفرنسيون»كفئران- تجارب» في أول تفجير نووي «اليربوع الأزرق». يقول غاستون موريسو في شهادة له الذي كان حاضرا إنه قد تم استعمال 18 شخصا في هذا التفجير. وبالمثل، خلال تفجير «اليربوع الأخضر» تعرض 195 من المجندين الفرنسيين في إطار محاكاة لمناورات عسكرية لحرب نووية محتملة وذلك على متن مركبات أو سيرا على الأقدام بين 100 و650م عن نقطة الصفر خلال الدقائق الأولى التي تلت التفجير النووي (Barrillot, 2009, Vincent Bruno Jauvert, 1998). كل هذا من اجل دراسة التأثيرات الفسيولوجية والبيولوجية والنفسية للسلاح الذري على الجنود. رغم أن هذه التأثيرات والآثار معروفة من خلال كتاب»آثار الأسلحة النووية» الذي نشر في الولايات المتحدة في 1950. وفي هذا الإطار نشير إلى أن العسكريين والعلماء الأمريكيين في الفترة ما بين عامي 1944 و 1974 اجروا تجارب على مئات البشر كما عرضوا الآلاف من السكان للإسقاطات الإشعاعية، وفي جويلية 1957 تم إحضار سياق أربعين جندياً كندياً على بعد 105 كم من لاس فيغاس «Las Vegas» في منتجع صحراء روك «Rock»، ثم تم إرسالهم إلى موقع التجارب في نيفادا «Ne-vada» لاستعمالهم «كفئران- تجارب» لاختبار رد فعل الجنود في الحالات القتالية (Bell Robert, 1995) كما كشف الأرشيف السوفيتي أنه في 1954 اختبر الجيش الأحمر القنبلة الذرية على جنوده وعلى قرويين في منطقة الاورال. ومن جهتهم، يؤكد قدامى التجارب النووية البريطانيون أنهم قد استخدموا في التجارب النووية «كفئران- تجارب» وقالوا أن الحكومة آنذاك كانت تريد دراسة آثار الإسقاطات النووية في إطار التحضير

16- شهادة من فيلقي من أصل ألماني جمعها المخرج السينمائي ريني فوتير(reituaV éneR) وأول صور لهذه « الدماء» تم نشرها في ملف بجريدة eniahcne dranaC eL

للنشوب المحتمل لحرب نووية. فماذا عن التفجيرات النووية الفرنسية؟ ما مدى استخدامها للبشر كفئران تجارب؟ لا نستطيع الإجابة على هذا السؤال بذقة ما دام الأرشيف النووي الفرنسي قد أصبح غير قابل للاطلاع منذ سنة 2008، والختم «سري دفاع» مستبعد رفعه في المستقبل القريب.

إن عمليات المحاكاة التي أجريت في هذا المجال تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين: أولا: للتنبؤ بسلوك الجنود في حالة افتراضية تتميز ببيئة نووية. ثانيا: لمعرفة نجاعة وفعالية أجهزة الحماية من الإشعاع اللازمة لاستعمالها عند الضرورة لحماية الجنود والأشخاص في حالة حدوث هجوم نووي.

3- الوضع الراديولوجي للمواقع النووية الثلاثة ومخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية

سلمت فرنسا في 1967، وفقا لوزارة الدفاع الفرنسية، المواقع النووية للسلطات الجزائرية بعد تفكيك المنشآت التقنية، والتنظيف وغلق الأنفاق.

لقد أنتجت التفجيرات النووية الجوية والباطنية في الصحراء الجزائرية كميات كبيرة من النفايات المشعة ومعدات عسكرية ملوثة التي استعملت خلال التفجيرات النووية الجوية، وكذلك كميات هائلة من المياه التي استخدمت للتنظيف ولإزالة التلوث من المعدات والأشخاص (صورة 04).

صورة 04: محطة عملية إزالة التلوث من المعدات المختلفة برقان.
إلى أين ذهبت المياه الملوثة؟ (صورة من الأرشيف النووي الفرنسي).

دفنت كل هذه «النفايات» في خنادق تحت بـضع سنتيمترات مـن الرمال (صورة05) اليوم، المرور من خلال مواقع التفجيرات النووية يوفر شعوراً غير واقعي بالتقاطع بين خطر الأشعة وجمال الصحراء.

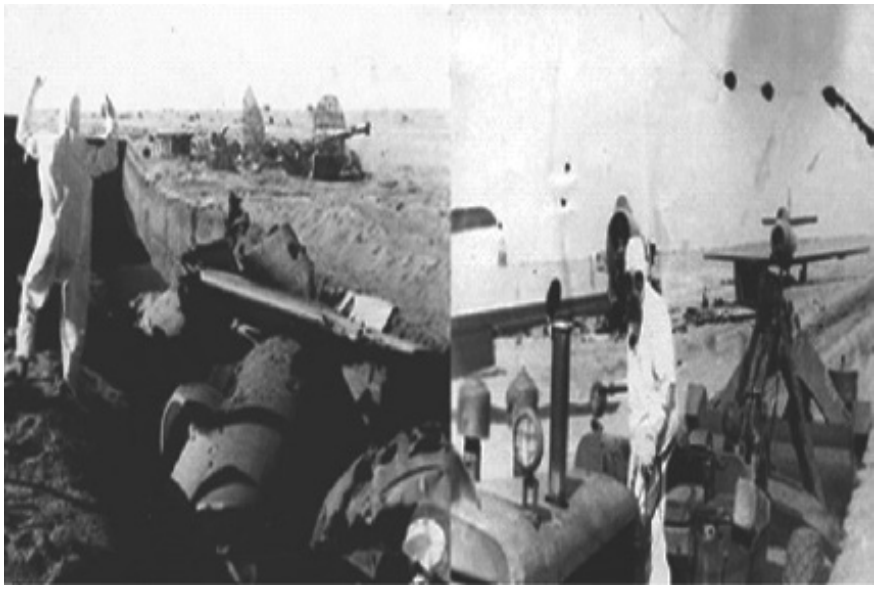

صورة05: عملية دفن المعدات المختلفة الملوثة في خنادق تحت بضع ستيمترات من الرمال حمودية -رقان (1962، (صورة من الأرشيف النووي الفرنسي)

يؤكد شهود عيان جزائريون أن معظم هذه المعدات الملوثة تم استعادتها واستعمالها عن جهل من قبل السكان المحليين الذين لا يعلمون مخاطرها على صحتهم [16] عند قيام معهد الدراسات النووية في الجزائر العاصمة بتحليل عينة معدنية عثر عليها في رقان في 1971 وجد نشاطها الإشعاعي يتجاوز 22 مرة معايير السلامة المقبولة (وثيقة رقم 03) وهذا ما يؤكد على أن عملية تفكيك المواقع لم تتم فعلاً؟ حيث لا زال السكان يتعرضون لهذه المخاطر إلى اليوم؟ كما يسجل التقرير الأولي المنشور في 2005 للخبرة التي أنجزتها

17- من خلال مقابلات الباحث مع سكان المناطق المعنية بالتفجيرا النووية الفرنسية

الوكالة الدولية للطاقة الذرية (AIEA) في 1999 أن أربع مناطق لا تزال ملوثة وذلك حول تفجيري «اليربوع الأبيض» و«اليربوع الأزرق» بحمودية وأمام مدخل أنفاق تفجيري «بريل» و«جمشت» بالجبل الصواني تان افلا (IAEA, 2005).

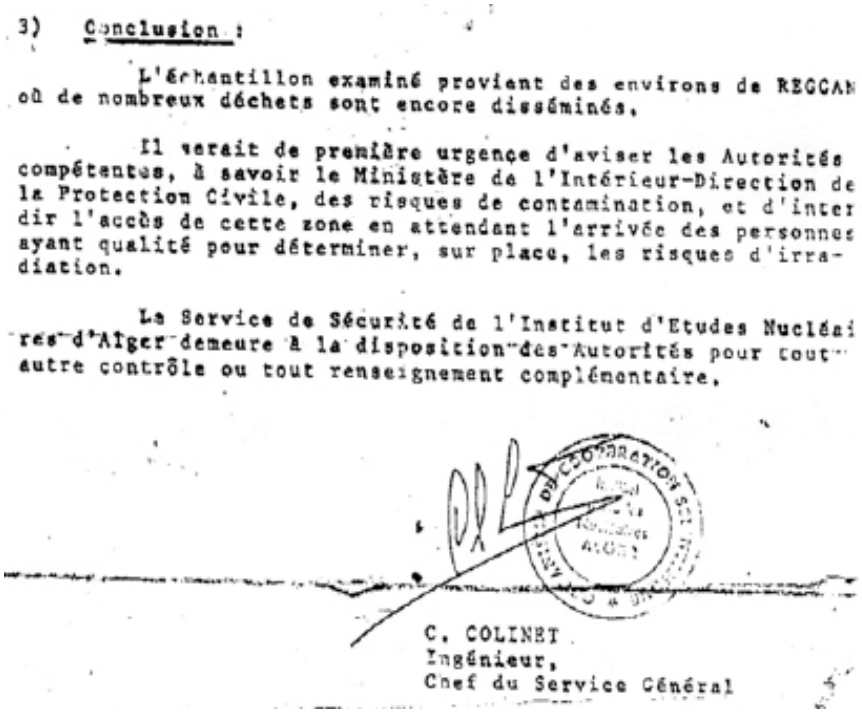

3) Conclusion :

L'échantillon examiné provient des environs de REGGAN où de nombreux déchets sont encore disséminés.

Il serait de première urgence d'aviser les Autorités compétentes, à savoir le Ministère de l'Intérieur-Direction de la Protection Civile, des risques de contamination, et d'interdir l'accès de cette zone en attendant l'arrivée des personnes ayant qualité pour déterminer, sur place, les risques d'irradiation.

Le Service de Sécurité de l'Institut d'Etudes Nucléaires d'Alger demeure à la disposition des Autorités pour tout autre contrôle ou tout renseignement complémentaire.

C. COLINET
Ingénieur,
Chef du Service Général

وثيقة 03: قام معهد الدراسات النووية بالجزائر بتحليل عينة معدنية عثرعليها في رقان في 1971. حيث تجاوزت معايير السلامة المقبولة بنسبة 22 مرة.

وهذا ما تبينه كذلك نتائج تحليل عينات من الحمم البركانية التي نشرت في 2008 في مجلة تطبيق الإشعاع والنظائر (Danesi P., 2008)) وكذلك تلك التي أجرتها المخابر المستقلة الفرنسية (CRIIRAD) في 2009، والتي تأكد أن الآثار الراديولوجية لحادث «بريل» لا تزال تشكل خطرا محتملا، وخاصة الحمم البركانية منها (Note CRIIRAD, 2010).

3-1- موقع حمودية – رقانأربعة (04) تفجيرات في الجو بحمودية (رقان)، كانت ملوثة للإنسان وبيئته حيث لا تزال منطقتان بحمودية حول تفجيري «اليربوع الأبيض» و«اليربوع الأزرق» تشكلان خطراً إلى اليوم. أيضا، خمس وثلاثون (35) تجربة إضافية للسلامة بآبار بحمودية وفي الهواء الطلق والتي استعملت فيها مواد نووية انشطارية كالبلوتونيوم (Henri Revol et Jean-Paul Bataille, 2002). كما توجد نفايات من المعادن مهجورة على سطح الأرض قد تستعمل من طرف البدو الرحل وهم يجهلون مخاطرها ناهيك عن وجود رمال مزججة[18] ونفتيا مشعة ومواد ملوثة بموقع التفجيرات النووية السطحية وذلك على مرمى العين بحمودية-رقان (صورة 06 و07).

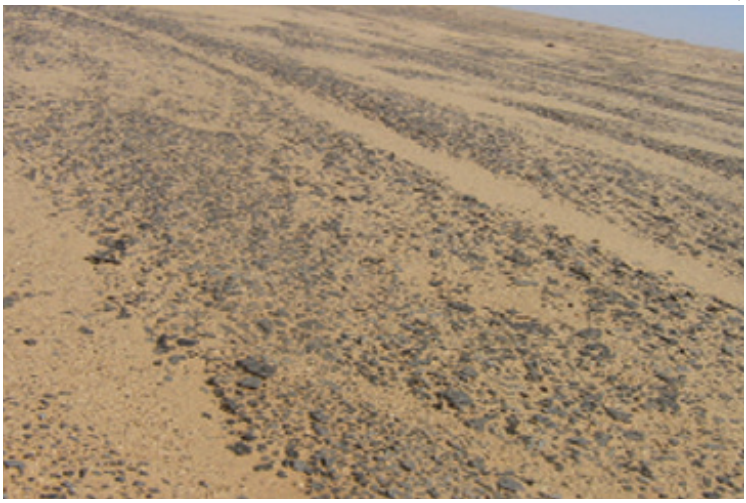

صورة 06: رمال مزججة ملوثة على مرمى العين بموقع التفجيرات النووية السطحية، حمودية - رقان. (صورة المؤلف، مارس 2007).

18 – التزجيج هو تحويل الرمال إلى زجاج تحت تأثير الحرارة المنبعثة من تفجير نووي. الرمل المزجج يحتوي على النشاط الإشعاعي الناجم عن التفجير النووي ، لذلك فهو شديد التلوث.

صورة 07: نفايات مشعة و مواد ملوثة، حمودية - رقان(صورة المؤلف).

2-3- موقع تاوريرت تان افلا - اين اكر

ثلاثة عشر (13) تفجيراً تحت الأرض، بتاوريرت تان افلا (إين أكر) ، يفترض أنها آمنة على البيئة، لكن، لا يقل عن أربعة منها كانت فاشلة بما في ذلك الحادث النووي «بريل» في أول ماي 1962. أربعة تفجيرات تحت الأرض من بين ثلاثة عشر، التي أجريت في أنفاق عميقة التي تم حفرها أفقيا على عمق بضع مئات من الأمتار داخل الجبال، لم تكن محتواة كليا. وبعبارة أخرى، تشقق الجبل والقى خارجه أشعة غازية سامة وحمماً بركانية نظرا لقوة التفجير وعدم مقاومة صمام الأمان. الشيء الذي يؤكده تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية في 1999 (AIEA, 2005). حيث يقدر هذا التقرير أن قياس طـــول تدفق الحـمم

المشع هو ما بين 200 و250 متراً، وحجمه يساوي 740م^3 وكتلته حوالي 10.000 طن. تشكل هذه الحمم البركانية خطراً دائماً للزوار المحتملين. حيث منطقتان بجبل تاوريرت تان افلا لا تزال بهما نفايات مشعة و مواد ملوثة وذلك أمام مدخل أنفاق تفجيري «بـريل» و»جمشت» (صورة 08 - 09)

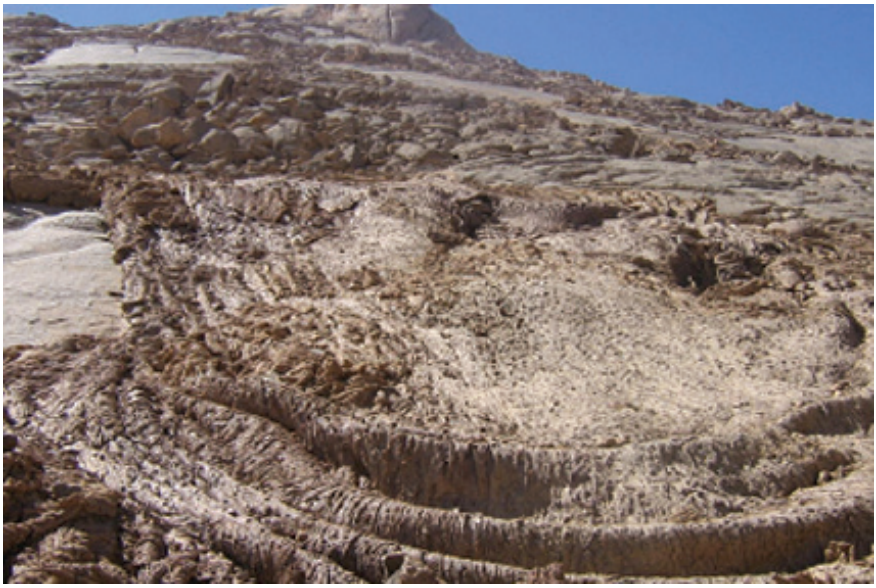

صورة 08: حمم بركانية مشعة على سطح الأرض بجبل تاوريرت تان افلا اين اكر. (صورة المؤلف، اكتوبر2009).

صورة 09: نفايات مشعة و مواد ملوثة في الهواء الطلق بجبل تاوريرت تان افلا - اين اكر.(صورة المؤلف، اكتوبر2009)

كما يؤكد نفس التقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية في 2005 أن كل شخص يبقى بالقرب من هذه الحمم المشعة لمدة 8 ساعات يمتص جرعة فعالة قدرها 0.5 ملي سيفرت (mSv)، مع العلم أن الجرعة السنـــوية المسموح بها للجمهور وفقا للجنة الدولية للوقاية من الإشـــعاع هـــي فقـط01 مـلي سيفرت/سـنة!

UNSCEAR(1988)[19] Stewart F.A al, ICRP (2012)[20]

وعليه، نتائج قياس الجرعات الخارجية للنشاط الإشعاعي الناتج عن التفجيرات النووية الجوية والباطنية تنبئ بالخطر المستمر(شكل رقم 03).

19-United Nations Scientific Committee on the Effects of Atomic Radiation = UNSCEAR
20-:International Commission on Radiological Protection = ICRP

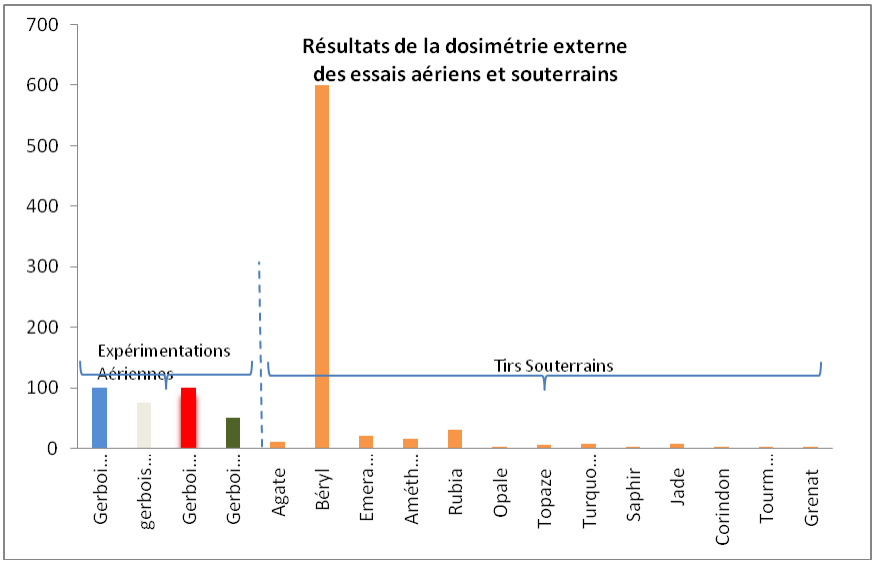

شكل 03: نتائج قياس الجرعات الخارجية للتفجيرات النووية الجوية و الباطنية

وهكذا، لقد تعرض جبل تان افلا لهزات عنيفة من جراء ثلاثة عشر تفجيراً نووياً تحت الأرض حيث تصدع على إثرها الشيء الذي أدى إلى هشاشته (صورة 10). وتشير التقارير الرسمية إلى التأثيرات الميكانيكية للتفجيرات على البنية والاستقرار الجيولوجي لهذا الجبل ويكمن هذا الخطر في أن الانشقاقات المفتوحة الناتجة عن التفجيرات النووية الباطنية سيؤدي يوما ما إلى خروج بقايا نواتج الانشطار النووي المشعة الموجودة بقلبالجبل خاصة البلوتونيوم منها؟ (Henri Revol et Jean-Paul Bataille, 2002)

صورة 10: التشققات الناتجة عن التفجيرات النووية الباطنية تتطلب ضرورة تجهيز جبل تان افلا بنظام مراقبة جيو- ميكانيكي؟ (صورة المؤلف اكتوبر2009).

3-3- موقع تاوريرت تان اترام - اين اكر

لقد تمت بهذا الموقع،الذي يقع على بعد 30 كم غرب جبل تاوريرت تان افلا، خمسة (05) اختبارات باستعمال البلوتونيوم في الهواء الطلق. هذا النوع من التجارب يسمى «الاختبارات الباردة» والتي لا تؤدي إلى التفاعل بالتسلسل لكن تنشر جزيئات من المواد المشعة على مســـــاحات واسعة. لم تتمــكن بعثة الوكالة الدولية للطـــاقة الذرية في 1999 إلا بأخذ سوى أربـــع عينات فقـط على مســـتوى هـــذا الموقع الذي يتـكون من مئات الهكتارات فمن الصعب تحديده

(Henri Revol et Jean-Paul Bataille,2002)

صورة 11: مدخل احد الأنفاق الأربعة عشر الملوثة بمخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية،رقان - هضبة (صورة المؤلف، مارس 2007)

3-4- مخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية، رقان- هضبة

لا تزال الحاجة إلى اكتشاف معظم قاعدة محافظة الطاقة الذرية الفرنسية برقان- هضبة. حيث يُمكننا الجرف بهذه الهضبة عن ظهور مداخل أربعة عشر نفقاً تحت الأرض ذات أبعاد مثيرة.تشبه هذه المداخل من جميع النواحي تلك الموجودة في أنفاق السكك الحديدية القديمة (صورة 11). بعض مداخل هذه الأنفاق أغلقتها الرمال التي تراكمت عليها، ولكن لا يزال العديد منها متاحًا عن طريق فتح بوابة معدنية ضخمة.أما خارج الأنفاق فنلاحظ وجود معادن مختلفة ملوثة في الهواء (صورة 12).

صورة 12: نفايات مشعة و مواد ملوثة على سفح مخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية، رقان- هضبة. (صورة المؤلف، مارس 2007)

للأسف ليس لدينا أي مخططات لهذه المخابر الموجودة تحت الأرض. نحن نعلم فقط أنه قد تم بها تركيب القنابل الذرية كما تم بها تحليل العينات التي أخذتها الطائرة في السحابة المشعة والأشياء والحيوانات والنباتات التي تم عرضها على مسافة من نقاط الصفر للتفجيرات النووية السطحية، وكذلك العينات المأخوذة من أنفاق التفجيرات النووية الباطنية في إن اكر. السؤال الذي يطرح: هل يوجد داخل هذه الأنفاق نفايات خطيرة أو منشآت ملوثة؟ لهذا السبب تُرك كل شيء على حاله حتى الحصول يوما ما على الأرشيف؟.

للإشارة، في إطار محاولات استعادة البيئة بتنظيف وتأهيل مواقع التفجيرات النووية في العالم طلبت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مؤتمرها العام السنوي بتاريخ 22 سبتمبر 1995 من الدول المعنية بالتجارب النووية «تحمل جميع مسؤولياتها من اجل مراقبة المواقع التي نفذت فيها تجاربها النووية بدقة واتخاذ التدابير المناسبة لضمان عدم وجود آثار ضارة على الصحة والسلامة والبيئة.» لكن رغم أن معظم الدول المعنية تحملت مسؤوليتها فإن فرنسا لم تعترف بمسؤولياتها إلى حد الآن؟

4- مناقشة

تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الشروط المنصوص عليها في اتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962 بشأن الصحراء الجزائرية، حيث تسمح هذه الاتفاقية لفرنسا باستخدام لفترة خمس سنوات بعد الاستقلال المواقع التي كانت بها هذه المنشئات بكل من اين اكر ورقـــان و ب 2- نامـــوس (B2-Namous) ومجمـــع كولانب بشـــار- حمقـــير (Colomb-Béchar-Hamaguir)، فإن المسؤولية الأخلاقية والقانونية تبقى على عاتق فرنسا مؤكدة في تفجيراتها النووية فيما يخص الصحراء الجزائرية.

استعملت فرنسا الاستعمارية الأراضي الجزائرية لإجراء تفجيرات ذرية التي لم تكن «نظيفة» كما يزعمون في مواقع يعيش فيها السكان الأصليون والبدو الرُحل الذين لم يُطلب منهم رأيهم. إن سكان هذه المناطق الملوثة يعانون اليوم من التشوهات الخلقية والسرطانات والأمراض المتعددة بما في ذلك أمراض القلب والأوعية الدموية وأمراض العيون بسبب الإشعاع وتلوث بيئتهم (Actes Sénat-France, 2002). بالإضافة إلى ذلك، نفذت فرنسا الاستعمارية تفجيراتها وتجاربها النووية على دراية كاملة بمخاطر النشاط الإشعاعي وأثاره على الصحة والبيئة، وذلك نظرا للدراسات التي أجريت حول آثار الإشعاع في أعقاب القصف الذري على اليابان في 1945 والتي نُشرت وترجمت إلى الفرنسية في 1957. ونفذت أول تفجير نووي لها بحمودية - رقان ضاربة عرض الحائط القرار الذي اتخذته في 1958 القوى النووية (الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي سابقا) بمنع التفجيرات النووية السطحية وكذلك عدم اخذ بعين الاعتبار معارضة الأمم المتحدة لبرنامجها النووي لذلك فهي بلا شك مسئولة أمام القانون الدولي عن الأضرار التي لحقت بالسكان المحليين والبيئة الطبيعية والتوازن الايكولوجي بالصحراء الجزائرية.

وعليه، لقد ارتكبت فرنسا الاستعمارية جريمة ضد الإنسانية في اختيارها الصحراء الجزائرية لتفجير قنابلها الذرية (Hacène Hocine, 2018)، رغم أن منطقة الهقار تحتوي على أثار عصور ما قبل التاريخ وكذلك الصحراء بشكل عام يعيش بها سكان مستقرون وبدو رحل و أنواع مختلفة من الحيوانات والنباتات والبعض منها نادر الشيء الذي يميز خصوصيات الصحراء. تسببت هذه التفجيرات في العديد من الضحايا الجزائريين والأفارقة خلال فترة تنفيذها وضحايا جدد لم نعدهم بعد إلى غاية اليوم. لقد تسببت هذه التفجيرات النووية في تلوث الصحراء الجزائرية، وجزء كبير من إفريقيا وحتى جنوب البحر الأبيض المتوسط ؟وبعد رحيل الجيش الفرنسي من مختلف المواقع النووية ومخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية في 1967 بعد دفن المعدات المختلفة الملوثة على عمق بضعة سنتمترات في الرمال (طائرات، دبابات، شاحنات...) مع بقاء خردوات ملوثة كثيرة في العراء على سطح الأرض بدون أي إشارة! هذه تعتبر الجريمة الأخرى التي ارتكبتها فرنسا لعدم تحذير السلطات المحلية والسكان المجاورين لهذه المواقع النووية من المخاطر التي تلاحقهم الشيء الذي يؤكد أن عملية تفكيك وإزالة التلوث من المواقع لم تكن مطابقة للمعايير الدولية المعمول بها في مثل هذه الحالات. كما هو الشأن بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية مع جزر مارشال والمملكة المتحدة مع استراليا وحتى فرنسا مع بولينيزيا أين تمت هذه العمليات وفقا للمعايير الدولية. نلاحظ هنا ازدواجية التعامل والكيل بمكيالين الذي تمارسه فرنسا في تعاملها مع الجزائر في هذا الملف.

كما نلاحظ أن جميع الشعوب التي وقعت ضحية للتفجيرات النووية تشعر بقلق مباشر من الآثار الخطيرة لهذه التفجيرات النووية التي قامت بها عشر دول بمائة موقع للتفجير النووي على مستوى واحد وعشرين دولة ومنطقة في العالم، وتعتبر الجزائر واحدة من هذه الدول. حيث تواجه هذه الشعوب صعوبات كبيرة في الاعتراف بانتهاك حقوقها من قبل القوى النووية الكبرى. لذلك، بالنظر إلى البعد الدولي للآثار الصحية والبيئية لهذه التفجيرات النووية، وعلى غرار المؤتمرات الدولية المتعلقة بحماية البيئة ، وتغير المناخ ، وما إلى ذلك، يبدو من الضروري لنا توجيه نداء إلى المجتمع الدولي لتنظيم مؤتمر عالمي تحت إشراف الأمم المتحدة للتكفل بملف التفجيرات النووية عبر العالم.

أما فيما يتعلق بالنزاع بين الجزائروفرنسا بشأن هذه القضية الشائكة التي تستمر منذ 1962 فقد انتهجت فرنسا سياسة تضييع الوقت في إطار معالجة هذا الملف من خلال إنشاء لجان مختلطة والتي لم تقدم شيئا منذ 2007، وإصدار قانون الاعتراف والتعويض في 2010 بما يسمى قانون «موران» بعد خمسين سنة من الكارثة النووية والذي بدوره لم يعوض أي ضحية جزائرية ولم يعوض كذلك إلا القليل من الفرنسيين واقل من ذلك من البولينيزيين؟ (Christine Chanton 2006 - 2017,). للإشارة لقد اعترفت بعض القوى النووية بمسؤوليتها اتجاه القديمة التفجيرات وسكان المناطق التي شهدت هذه التفجيرات النووية، لكن اعتراف فرنسا بالضحايا الفرنسيين والبولينيزيين (قانون موران) [21] (Bruno Barrillot, 2009) كان متأخر اًجدًا. ولم يعوض لحد ألان إلا عدد قليل من الضحايا الفرنسيين والبولينيزيين ! (Audrey Rochard, 2017) وعليه، يجب أن تعترف فرنسا بالضحايا الجزائريين للتفجيرات النووية التي أجريت في الصحراء بين 1960 و1966 (Bruno Barrillot, 2007/2 -Bruno Barrillot, 2015). نلاحظ سياسة الهروب إلى الأمام، من طرف فرنسا على الرغم من الشهادات، ونداءات جمعيات الضحايا والأفلام الوثائقية التي أنجزت والمقالات في المجلات والصحف والخبرات التي تم نشرها فالأمور ما زالت على حالها: لا أرشفة ولا وثائق طبية ولا اعتراف ولا تعويض ولا انجاز نظام مراقبة المواقع الملوثة، لا تنظيف ولا إعادة تأهيل مناطق التفجيرات الملوثة، والسؤال الذي يطرح بقوة ماذا يجب أن نفعل أمام هذا الانسداد الذي طال أمده!. في هذا الاطار يمكن تقديم الاقتراحات التالية:

1- العمل في إطار العلاقات الثنائية على فتح الأرشيف المتعلق بالتفجيرات النووية في الصحراء الجزائرية، دون مزيد من التأخير.

2- العمل في إطار الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية على إدراج هذا الملف في الاتفاقيات الدولية مثل الاتفاقيات حول البيئية، صحة السكان وحقوق الإنسان.

21 -Loi n° 2010-2 du 5 janvier 2010 relative à la reconnaissance et à l'indemnisation des victimes des essais nucléaires français,2019 .
URL:https://www.legifrance.gouv.fr/affichTexte.do?cidTexte=JORFTEXT000021625586&categorieLien=cid

3- العمل على تحضير ملفات تقنية وقانونية التي يجب على الجزائر استعمالها في تقديم شكوى على مستوى المحكمة الجنائية الإفريقية والأوروبية والدولية حول هذه الجريمة النووية.

إن الجزائر، تطالب بالحقيقة والعدالة، وهي الاعتراف بالجرائم التي ارتكبتها فرنسا و تطالب برفع ختم « سري- دفاع « عن جميع الأرشيف المتعلق بالتفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية لكي تستخدم كوثائق مرجعية للمؤرخين والخبراء والضحايا على حد سوى.

فبعد مرور 60 عامًا، لا يزال الشعب الجزائري يدفع ثمن الآثار الصحية والبيئية الخطيرة لهذه التفجيرات النووية الفرنسية بينما تستمر فرنسا في إدارة ظهرها لماضيها، وترفض الاعتراف و تعويض الضحايا الجزائريين، الذين تمت التضحية بهم «كفئران- تجارب» على مذبح طموحها كقوة نووية. تسببت التفجيرات النووية الفرنسية الجوية والباطنية التي أجريت في الصحراء الجزائرية في تلوث مساحات كبيرة في التراب الجزائري وتسببت كذلك في الكثير من النفايات المشعة، والتي ما زالت تشكل خطراً لفترة طويلة من الزمن في كل من رقان واين اكر. لكن عدد العمال الجزائريين الذين شاركوا في البرنامج النووي الفرنسي في الصحراء الجزائرية لا يزال غير معروف إلى حد الآن لان ختم»سري-دفاع» يفرض ذلك؟.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: أين البيانات الصحية للعمال الجزائريين والسكان الجزائريين المعنيين بالإسقاطات الإشعاعية للتفجيرات النووية الجوية برقان والكارثة النووية «بريل» باين مقل؟ للأسف، إن قانون 15 جويلية 2008 حول أرشيف التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية وبولينيزيا جعل من المستحيل الإجابة على هذا السؤال المشروع لأن الأرشيف المتعلق بالنووي الفرنسي أصبح منذ ذلك التاريخ غير قابل للاطلاع على الرغم من مرور 60 سنة، المدة النظرية لسري- دفاع فيما يتعلق بالمسائل النووية (Bruno Barrillot, 2010).

خاتمة

نؤكد من خلال هذه الدراسة على الجوانب التالية:

1- الجانب التاريخي والإنساني: تحرير الأرشيف المشترك بين البلدين بما في ذلك خرائط دفن النفايات المشعة لتجنب وقوع ضحايا جدد ومن اجل استغلاله من طرف الباحثين والمؤرخين لكتابة التاريخ الوطني واستعماله من طرف الضحايا للدفاع عن أنفسهم أمام المؤسسات المختصة والمؤهلة.

2- الجانب القانوني: تعتبر التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية غير قانونية بل جريمة ضد الانسانية ؟ حيث استعمل فيها جزائريون وفرنسيون «فئران-تجارب» وعليه العمل على اقرار هذه الجريمة و ابراز الحقيقة حول المفقودين وشرعية التفجيرات النووية في الصحراء الجزائرية بالنظر إلى موقف الأمم المتحدة آنذاك في 1959.

3- فيما يخص البيئة: تنظيف وتأهيل المواقع الأربعة (حمودية، مخابر محافظة الطاقة الذرية الفرنسية كلاهما برقان وتاوريرت تان افلا و تاوريرت تان أترام كلاهما باين اكر) مع تحديد أماكن دفن النفايات المشعة ووضع خطة طويلة المدى لتسيير النفايات المشعة الفرنسية (من ناحية القانون الدولي هي ملك لفرنسا).

4- فيما يتعلق بصحة السكان: التكفل الصحي والاجتماعي بسكان المناطق المعنية مع بناء هياكل صحية تتجاوب مع طبيعة الأمراض الناجمة عن الإشعاعات النووية للتكفل بها من مرحلة التشخيص إلى العلاج النهائي. والقيام بدراسات وبائية على مستوى كل الصحراء.

5- وضعية الضحايا على مدى الأجيال القادمة: الاعتراف والتعويض

6- العمل على تنظيم مؤتمر عالمي: تحت إشراف الأمم المتحدة لدعم الدول المتضررة من أثار التفجيرات النووية مع العلم أن التفجيرات النووية الفرنسية حدثت في الماضي، إلا إن آثارها على صحة الإنسان والبيئة والتوازن الايكولوجي ستتواصل وتدوم على مدى قرون .

المراجع

1- Actes Sénat, 2002. Conférence sur les essais nucléaires et la santé. Sénat français19 janvier 2002. Observatoire des armes nucléaires françaises- CDRPC, Lyon - France.

2- AIEA, 2005. Radiological conditions at the former French nuclear test sites in Algeria: preliminary assessment and recommendations. In: Radiological As sessment Reports Series, International Atomic Energy Agency (IAEA). Inter national Atomic Energy Agency (IAEA), Vienna (Austria).

3- Barrillot Bruno, 2002. L'héritage de la bombe: Sahara, Polynésie 1960-2002. Observatoire des armes nucléaires françaises- CDRPC, Lyon - France.

4- Barrillot Bruno, 2003. Les Irradiés de la République. Observatoire des armes nucléaires françaises- CDRPC, Lyon - France.

5- Barrillot Bruno, 2007/1. Visite du site d'essais français au Sahara algérien. Damoclès N°121-2, CDRPC, Lyon - France.

6- Barrillot Bruno, 2007/2. Quelle justice pour les victimes des essais nucléaires?. Observatoire des armes nucléaires françaises- CDRPC, Lyon – France.

7- Barrillot Bruno, 2009. Sortir du mensonge: Quelques vérités nouvelles sur les essais français au Sahara, Damoclès n°128-129, 3-4ème trimestre 2009.

8- Barrillot Bruno, 2010. Victimes des essais nucléaires: histoire d'un combat. Observa toire des armes nucléaires françaises- CDRPC, Lyon - France.

9- Barrillot Brunot, 2014. Le Document choc sur la bombe A en Algérie, «le Parisien». 2019 http://dandelotmije.over-blog.com/article-le-docu ment choc- sur-la-bombe-a-en- algerie-122553481.html

10- Barrillot Bruno, 2015. Les essais nucléaires français 1960-1996: Consé quences sur l'environnement et la santé, CDRPC-Observatoire des armes nucléaires françaises, Lyon – France.

11- Bell Robert (1995). Les cobayes humains du plutonium. La recherche 26(275): 384- 393

12- Chanton Christine, 2006. Les vétérans des essais nucléaires français au Sahara 1960-1966. L'Harmattan – France.

13- Danesi, P., J. Moreno, M. Makarewicz, and D. Louvat, 2008. Residual radionuclide concentrations and estimated radiation doses at the former french nuclear weapons test sites in Algeria. Applied Radiation and Iso topes, 66, 1671-1674.

14- Hacène Hocine, 2018. Le Sahara dans l'enfer des essais nucléaires français: un crime sans fin. Dar Houma, Bouzaréah - Alger, Algérie.

15- Jauvert Vincent, 1998. Les cobayes de Gerboise verte. Le Nouvel Observateur, 5 février 1998.

16- Lajoux Jean-Dominique (1977) Tassili n'Ajjer: Art Rupestre du Sahara Préhistorique. Paris, Chêne, 1977; in-4, 182 pp.

17- Lhote Henri (1959) The Search for the Tassili Frescoes: The story of the prehistoric rock-paintings of the Sahara, London. Published by E.P. Dutton & Co, New York (1959)

18- Meghlaoui Hocine (2016). Le défi nucléaire: l'atome dans les relations internatio nales, Casbah Edition Alger, Algérie

19- Note CRIIRAD N°09 -113, 2010 - Analyses radiologiques de matériaux prélevés sur l'ancien site d'essais nucléaires d'In Ekker (Algérie), Valence – France.

20- Rapport du ministère de la défense français, 2010. Les essais nucléaires français (1960-1996). Tome I: la genèse de l'organisation et les expérimentations au Sahara (CSEM et CEMO).

21- Rapport A46/30 (OMS):, effets des armes nucléaires sur la sante et l'environnement. Organisation mondiale de la Santé, Genève – Suisse, 1993.

22- Revol Henri et Bataille Jean-Paul, 2002. Rapport de l'OPECST n°2002 2001-) 207) sur les incidences environnementales et sanitaires des essais nucléaires effectués par la France entre 1960 et 1996 et éléments de comparaison avec les essais des autres puissances nucléaires, 2019. https//:www.senat.fr/rap/r01-207/r01-207.html

23- Rochard Audrey, 2017. Mémoire de Master 2- l'indemnisation des victimes des essais nucléaires français. Université Jean Moulin - Lyon 3, France.

24- Stewart F.A., A.V. Akleyev, M. Hauer-Jensen, J.H. Hendry, N.J. Kleiman,T.J. MacVittie, B.M. Aleman, A.B. Edgar, K. Mabuchi, C.R. Muirhead, R.E. Shore, W.H. Wallace (2012) Statement on Tissue Reactions/Early and Late Effects of Radiation in Normal Tissues and Organs. ICRP Publication 118. Ann. ICRP 41(1- 2): 1-322

25- UNSCEAR, Report to the general assembly: Sources, effects and risks of ionizing radia tion. United Nation Publication 1988: 1-647, New York - USA

مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في سياق التأثير المتبادل بين حق تقرير المصير وتدويل القضية الجزائرية

أ.د. قشي الخير
جامعة سطيف2 -الجزائر
Guechi.faclaw@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/03 تاريخ القبول: 2019/12/02

ملخص

تهدف هذه الدراسة الى توضيح كيف أثر اعتماد حق تقرير المصير في ميثاق الأمم المتحدة على تعامل المنظمة الدولية مع «القضية الجزائرية». وهذا على الرغم من خصوصية هذه الأخيرة بالنظر الى الطبيعة الخاصة للاستعمار الاستيطاني الفرنسي للجزائر، وكذا وزن الدولة الفرنسية كعضو دائم بمجلس الأمن يمتلك حق النقض (الفيتو) في وقت كانت فيه نسبة الدول دائمة العضوية تشكل 45 في المائة من تشكيلة المجلس. وبالمقابل تبيان كيف أثرت هذه «القضية» على حق تقرير المصير سواء من حيث مدلوله (بتوضيح مداه وتوسيع نطاقه مفاهميا وفلسفيا)، أو من حيث تفعيله عمليا سواء فيما يتعلق بـ «القضية الجزائرية» في حد ذاتها أو إعماله بالنسبة لعدد كبير من الدول الافرو آسيوية. وفي هذا السياق كذلك توضيح مدى تأثير مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على حسم القضية الجزائرية نهائيا من خلال تطبيق حق تقرير المصير وعلى تطوره، حيث أنها جرت في وقت كانت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة بصدد دراسة كل من «القضية الجزائرية» ومشروع القرار 1514 المتضمن إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة.

الكلمات المفتاحية: تقرير المصير- مظاهرات 11 ديسمبر– مجلس الأمن

Abstract

This study aims to clarify the effect of the adoption of the “right of peoples to self-determination” by the charter of the “United Nations” on the treatment reserved by the said organization to the “Algerian cause”. This notwithstanding the particular nature of French occupation of Algeria, as well as the weight of the French state as a permanent member of the Security Council and therefore benefit from the right of Veto. Moreover, we explain how this “cause” affected the right to self-determination, whether in terms of its significance (by clarifying its expand and its scope conceptually and philosophically), or in terms of its operationalization in practice, either with regard to the “Algerian cause” per se or its implementation for a large number of Afro-Asian countries. In this context as well, it was important to underlie the efficient contribution of the popular protests of 11 December 1960 regarding the final treatment of the Algerian cause, through the application of the principle of self-determination. The outbreak of These protests coincide with the holding

of the UN General Assembly, called to discuss the Algerian cause, as well as the vote on draft resolution 1514 stipulating the granting of independence to colonized peoples and countries.

Keywords: Self-determination, December 11 demonstrations, Security Council

Résumé

Cette étude vise à clarifier l'effet de l'adoption du «droit des peuples à l'autodétermination», par la charte des «Nations Unies», sur le traitement réservé par ladite organisation à la «cause algérienne». Ceci nonobstant le statut particulier de l'occupation française en Algérie, ainsi que le poids de la France en tant que membre permanent du Conseil de sécurité et détenteur du droit de veto (45 % des membres du Conseil de sécurité étaient des représentants de pays permanents). Nous essayons aussi d'éclaircir les effets de cette «cause» sur le principe du droit à l'autodétermination (de clarifier sa portée, et de l'élargir conceptuellement et philosophiquement), et, d'un autre coté, les conséquences de la mise en œuvre de ce principe sur la «cause algérienne» et nombreux pays afro-asiatiques. Dans ce même contexte, on a aussi mis l'accent sur la contribution efficiente des manifs populaires du 11 décembre 1960 au règlement définitif de la question algérienne par la mise en application du principe de l'auto-détermination. La date de ces manifestations coïncide avec celle de la tenue de l'Assemblée générale de l'ONU, pour débattre de la cause algérienne, et le vote du projet de résolution 1514 stipulant l'octroi de l'indépendance aux peuples et pays colonisés.

Mots-clés: Autodétermination, Manifestations du 11 décembre 1960, Conseil de sécurité des Nations Unies.

مقدمة:

عكس حق تقرير المصير لم تحظ مظاهرات 11 ديسمبر 1960 بدراسات أكاديمية معمقة من جانبها السياسي والقانوني. ولا تهدف هذه الدراسة الى الغوص في هذين المجالين بل بيان مدى تأثيرها على بلورة حق تقرير المصير، سواء من حيث مدلوله، بتوضيح مداه وتوسيع نطاقه، أو من حيث تفعيله عمليا، سواء فيما يتعلق بالقضية الجزائرية في حد ذاتها، حيث اعتمد حق تقرير المصير لتسوية القضية نهائيا، باعتبارها من اعقد قضايا تصفية الاستعمار نظرا لطابعها الخاص، أو من حيث تمهيد الطريق لإقرار هذا الحق وإعماله للعديد من الأقاليم والمستعمرات، خاصة في القارتين الافريقية والأسيوية. ولا

*لقد اعتمدنا في كتابة هذه الورقة على مداخلة قدمناها في اليوم الدراسي المنعقد بالمجلس الشعبي الوطني حول ترقية حقوق الإنسان بيوم 11 ديسمبر 2008.

شك، من جهة أخرى، أن حق تقرير المصير شكل، بعد اعتماده في ميثاق الأمم المتحدة، الأداة الأساسية التي استخدمتها جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة في المحافل الدولية، خاصة منظمة الأمم المتحدة، في نضالها السياسي والدبلوماسي لإنهاء استعمار الجزائر وحصولها على الاستقلال. كيف وظف هذا الحق وما هي الظروف والاعتبارات التي ساعدت على تفعيله؟

وفي هذا السياق قدمت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 للمجتمع الدولي، سواء من حيث شموليتها للإقليم الجزائري بأكمله أو من حيث الشعارات المرفوعة، دليلا قطعيا على أن حق تقرير المصير لا يمكن التنازل عنه أو إنكاره. هل يمكن اعتبار تلك المظاهرات استفتاء شعبيا وممارسة فعلية لحق تقرير المصير؟ وهل كان لها أثر على تطوره؟

سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال إبراز أهمية حق تقرير المصير للقضية الجزائرية وتأثيره على مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ثم توضيح مدى تأثير هذه الأخيرة على حق تقرير المصير.

أولا: أهمية حق تقرير المصير للقضية الجزائرية وتأثيره على مظاهرات 11 ديسمبر 1960

أ- حق تقرير المصير: من مبدأ أساس إلى قانون من القانون الدولي

رغم الأهمية القصوى التي حظي بها حق تقرير المصير في ميثاق الأمم المتحدة فإن أول وثيقة هامة تتعلق بحقوق الإنسان، أي الإعلان العالمي لحقوق الانسان، جاءت خالية من النص عليه، إلا أن ذلك لم يحل دون إقراره صراحة في الوثيقة الأساسية للثورة الجزائري –بيان أول نوفمبر 1954.

1-إقرار الحق في ميثاق الأمم المتحدة

كان لا بد من معاناة المجتمع الدولي، وعلى الأخص بعض الدول الاستعمارية، من ويلات الدمار خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وخضوعهما للاستعمار لتقدير معاناة الشعوب والأقاليم المستعمرة ولإدراك طموحها وتوقها لنيل استقلالها وتمسكها بحقها في تقرير مصيرها. وبذلك اقترن ظهور مبـــدأ تقـــرير المصـــير وتـطوره بتـطور التنـظيم

الدولي العالمي، حيث ظهر كمبدأ سياسي في بداية الأمر ضمن مبادئ الرئيس الأمريكي «ويلسون»[1] في نهاية الحرب العالمية الأولى التي أسست لنشأة أول تنظيم دولي عالمي حديث عرف باسم «عصبة الأمم». وكان الغرض من اعتماده معالجة أوضاع الشعوب والأقاليم المحتلة من قبل الامبراطوريات الكبرى آنذاك، خاصة المجر والنمسا والامبراطورية العثمانية. رغم ذلك جاء عهد العصبة خاليا من أي إشارة للمبدأ، بل كرس بدلا عن ذلك نظام الانتداب. [2]

وعلى العكس من ذلك فقد ارتبط مبدأ تقرير المصير بالوثائق التحضيرية للتنظيم الدولي الجديد الذي اعقب الحرب العالمية الثانية حيث تبناه ميثاق الأطلسي الصادر في 14 أغسطس 1941، [3] ثم لأول مرة في تاريخ البشرية في أسمى وثيقة قانونية دولية، وهي ميثاق الأمم المتحدة. [4] بل اعتبر حق تقرير المصير مقصدا أساسيا من مقاصد الأمم المتحدة تضمنته أول مادة في الميثاق بنصها في فقرتها الثانية على «احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها». كما علقت المادة 55 من الميثاق الاستقرار العالمي وتحقيق الرفاهية في العالم على شرط وجود علاقات سلمية وودية بين الأمم قائمة على احترام مبدأ الحقوق المتساوية للشعوب وحقها في تقرير مصيرها باعتبارها شرطا أساسيا للتمتع بحقوق الانسان الأخرى واحترامها.

هكذا أصبح مبدأ تقرير المصير بعد إنشاء الأمم المتحدة واعتماده في الميثاق أداة هامة للتخلص من الاستعمار ولتحرير الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي. وبناء عليه تطور

1- راجع:

President Wilson's Fourteen Points, World War I, Document Archive, 1918 Documents https://wwi.lib.edu/index.php/president_Wilson's_fourteen_P.

2-انظر:

Pacte de la Société des Nations y compris les amendements en vigueur le 16 décembre 1935, http://www.peacepalacelibrary.nl/pmfiles/s24-48-005.pdf

وتجدر الإشارة الى أن لجنة القانونيين التي عينتها العصبة في قضية جزيرة آلاند Aaland Island أشارت الى مبدأ تقرير المصير ومدى تأثيره على حق الانفصال عن الدولة، راجع:

Gregvey J. *"The Curd 's Right to secede Under International law: Self Determination Prevails over Political Manipulation"*, *Denver Journal of International law and Policy,* vol. 22 (1994), pp375, 378

3- انظر:

La Charte de l'Atlantique, mjp.univ-perp.fr/traites/1941Atlantique.htm

4- طبقا للمادة 103 من الميثاق فإن هذا الأخير يعتبر أسمى من أي التزام دولي آخر سابق أو لاحق للميثاق حيث نصت هذه المادة على أنه «إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء «الأمم المتحدة» وفقا لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق.

المبدأ من مبدأ سياسي الى قاعدة قانونية وضعية من قواعد القانون الدولي، وأصبح مرادفا في المصطلحات القانونية والسياسية لإنهاء الاستعمار.

ومن هنا تبرز الأهمية الخاصة لحق تقرير المصير. فكما أشارت اللجنة المعنية بحقوق الانسان في دورتها الحادية والعشرين (1984) في تعليقها العام رقم 12 على المادة الأولى من عهدي حقوق الانسان المتعلقين بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فإن تحقيق حق تقرير المصير «هو شرط أساسي للضمانة الفعلية والاحترام الفعلي لحقوق الانسان الفردية، ولتعزيز هذه الحقوق وتقويتها. ولهذا السبب جعلت الدول من حق تقرير المصير حكما من أحكام القانون الوضعي في كلا العهدين، وأوردت هذا الحكم في المادة الأولى بصورة مستقلة عن جميع الحقوق الأخرى المنصوص عليها في العهدين [5] وقبل هذه الحقوق «.

ويعني حق تقرير المصير رسميا، حسبما عرفته لاحقا المادة الأولى من عهدي حقوق الانسان أن «الشعوب حرة في تقرير مركزها السياسي وحرة في السعي لتحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي». [6]

وهكذا أصبح مبدأ تقرير المصير بعد إنشاء الأمم المتحدة واعتماده في الميثاق أداة هامة للتخلص من الاستعمار ولتحرير الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي، وبناء عليه تطور المبدأ من مبدأ سياسي الى قاعدة قانونية وضعية من قواعد القانون الدولي، وأصبح مرادفا في المصطلحات القانونية والسياسية لإنهاء الاستعمار. [7] Pomerance1982

5- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام في 16 ديسمبر 1966، دخل حيز النفاذ في 23 مارس 1976 والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، عرض على التوقيع والتصديق والانضمام في 16 ديسمبر 1966 ودخل حيز النفاذ في 03 جانفي (يناير) 1976، حقوق الانسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك 1993.

6- وثيقة الأمم المتحدة : HRI/ GEN/1/Rev.1

7-حول الطابع السياسي أو القانوني للحق انظر:

Burak Cop, and Dogan Eymirlioglu, " The right to Self-Determination in International Law . Towards the 40th Anniversary of the Adoption of ICCPR and ICESCR", Perceptions, (Winter 2005), pp. 115-146.sam.gov.tr/wp-content/.../BurakCopAndDoganEymirlioglu.pdf Aureliu Cristescu, The Right to Self –Determination, Historical and Current Development on the Basis of the United Nations Instruments, United Nations, New York, 1981; James Crawford, The Creation of States in International Law, 2nd ed. Oxford, Oxford University Press, 2007; and Zubeida Mustafa, "The Principle of Self- Determination in International Law", 5(3) the International Lawyer, (1971), pp. 479-487.

2-إغفال النص على حق تقرير المصير في الإعلان العالمي لحقوق الانسان

كان القصد من وضع إعلان عالمي خاص بحقوق الانسان مباشرة بعد إنشاء الأمم المتحدة بلورة الحقوق التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة وتطويرها وتوسيع نطاقها من خلال إدراج أهم الحقوق المرتبطة بالطبيعة الإنسانية. ورغم الإشارة الصريحة لحق تقرير المصير في الميثاق وأهميته الخاصة بالنسبة للتمتع بحقوق الانسان الأخرى فإن الإعلان العالمي لم يتضمن إشارة صريحة لحق تقرير المصير رغم المجهودات التي بذلها الاتحاد السوفياتي لإدراجه في هذه الوثيقة. (cassese1995 , summersm2007)

إلا أن ذلك لا يعني الغياب الكلي لعناصر هذا الحق ومفهومه في الإعلان، حيث أن ديباجته أشارت إلى الحاجة لحماية حقوق الإنسان «لكي لا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم». كما أن المادة 21 (3) من الإعلان نصت صراحة على «أن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة. ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت». ولا شك في أن إعمال هذا النص لا يمكن أن يتم دون إعمال حق الشعب في تقرير مصيره، لأن «السيادة الشعبية» هي الفكرة الجوهرية التي عبر عنها هذا النص، وهي جوهر حق تقرير المصير. Tunkin 1974, Griffioen 2010

3-إدراج حق تقرير المصير في بيان أول نوفمبر 1954

لم تتردد جبهة التحرير الوطني عن إعلان استراتيجيتها الداخلية والخارجية المستندة أساسا على حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة في أول نداء وجهته الكتابة العامة للجبهة إلى الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954. داخليا، نص الإعلان على أن الشعب الجزائري «متحدا حول الاستقلال». أما خارجيا فإن العمل المستقبلي يبنى على استثمار العلاقات المتميزة مع المتعاطفين والمساندين للثورة الجزائرية «خاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين»، وضرورة استغلال «الانفراج الدولي المناسب لتسوية قضيتنا»، من خلال تدويلها كأحد الأهداف الخارجية، بطرحها على مختلف المحافل الدولية، وأخصها منظمة الأمم المتحدة. لذلك تم الاستناد صراحة

الى ميثاق الأمم المتحدة وإلى ما تضمنه من حقوق وحريات بالتأكيد على «احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني» كوسيلة لتحقيق الاستقلال الوطني، إضافة إلى التمسك الصريح بحق تقرير المصير الذي كرسه الميثاق كوسيلة لإنهاء الاستعمار، خاصة في العلاقات مع فرنسا كدولة استعمارية. حيث عبر البيان عن تمسك الجبهة بتفادي إراقة الدماء وتحقيق السلم والأمن كأحد المقاصد والمبادئ الأساسية للأمم المتحدة من خلال المفاوضات إذا كانت سلطات الاحتلال «تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها».

يظهر جليا إذن أن فلسفة ثورة التحرير تمحورت حول مبدأ الحق في تقرير المصير بالتمسك بمحتواه داخليا واستثماره خارجيا كأداة سياسية قانونية تعهدت الدول الأعضاء في ميثاق الأمم المتحدة بضمانها للشعوب المستعمرة والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي.

ب: تدويل «القضية الجزائرية»

شكلت منظمة الأمم المتحدة الوعاء الطبيعي لتدويل القضية الجزائرية، ولكن بعد مرورها بمؤتمر «باندونغ» الذي يعتبر أول بوابة للتدويل.

1-مؤتمر «باندونغ»

انعقد هذا المؤتمر في الفترة ما بين 18 و24 ابريل 1955 بمدينة «باندونغ» بإندونيسيا بناء على مبادرة من دول «مشروع كولمبو» (باكستان، سريلانكا، سيلان واندونيسيا). شارك في المؤتمر 29 دولة افريقية وآسيوية.[8] علقت المشاركة في المؤتمر على شرطين: الانتماء لإحدى القارتين الافريقية أو الآسيوية، وأن تكون الدولة العضو مستقلة. إلا أنه تم الاتفاق في الاجتماع التحضيري للمؤتمر في ديسمبر 1954 على أن يسمح بمشاركة الجزائريين ضمن وفود كل من المغرب وتونس كملاحظين[9] إضافة لقبرص ومفتي

8 منها تسع دول عربية هي: مصر، ليبيا، السودان، العراق، لبنان، سوريا، العربية السعودية، الأردن، اليمن وخمس دول إسلامية هي : تركيا، إيران، أفغانستان، باكستان واندونيسيا.

9-مثل الجزائر محمد يزيد وحسين آيت أحمد انظر:

La diplomatie algérienne à la conférence de Bandung évoquée au forum de la mémoire d'El Moudjahid : la voie de l'internalisation de la cause algérienne –publie le 21/04/2013, www.elmoudhahid.com/fr/mobile/detail-article/id/4

فلسطين. لعب الوفد الجزائري دورا دبلوماسيا هاما توج بإصدار المؤتمر لبيان ختام تضمن البند «د» منه مسألة مشاكل الشعوب الخاضعة للاستعمار، وخصصت الفقرة الثالثة منه للوضعية غير المستقرة في شمال افريقيا والرفض المستمر لمنح شعوب المنطقة حق تقرير مصيرهم، حيث أكد المؤتمر على دعمه لحق الشعوب الجزائرية والمغربية والتونسية في تقرير المصير والاستقلال والضغط على فرنسا لا يجاد حل سلمي للقضية دون تأخير. [10]

وخصص المؤتمر البند «ج» من بيانه الختامي لحقوق الانسان وتقرير المصير، حيث أكد على دعمه المطلق للمبادئ الأساسية لحقوق الانسان كما وردت في ميثاق الأمم المتحدة وكذلك مراعاة ما تضمنه الإعلان العالمي لحقوق الانسان ودعمه المطلق كذلك لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها وفقا لما تضمنه ميثاق الأمم المتحدة وقرارات المنظمة حول هذا الحق باعتباره شرطا مسبقا للتمتع بكل الحقوق الأساسية الأخرى للإنسان. [11]

2-تسجيل «القضية الجزائرية» بجدول أعمال الجمعية العامة وكيفية التعامل معها

شكلت النتائج التي توصل اليها مؤتمر «باندونغ» خطوة أولى هامة في تاريخ تدويل القضية الجزائرية مانحة إياها دفعا قويا لإخراجها من النطاق الإقليمي الضيق الافرو-آسيوي ومنحها طابعا دوليا عالميا في إطارها المناسب الذي تكرس فيه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها. انسجاما مع ما تقرر في مؤتمر «باندونغ» بادرت 14 دولة من المشاركين في المؤتمر [12] بتوجيه مراسلة إلى السيد الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ 29 جويلية (يوليو) 1955 طلبت بمقتضاها تسجيل «القضية الجزائرية» في جدول أعمال الدورة العادية العاشرة للجمعية العامة المنتظر انعقادها في شهر سبتمبر من نفس السنة،

10- انظر:
»Communiqué final de la conférence Afro-Asiatique de Bandoeng (24 avril 1955)«, Annuaire Français de droit international, 1955, pp.723-728 ; Discours d'ouverture de Sukarno, http://www.cvce.eu/content/publication/2001/9/5/88d3f71c.../publishable_fr.pdf

11-المرجع نفسه.

12- هي أفغانستان، العربية السعودية، بورما، مصر، الهند، إندونيسيا، العراق، إيران، لبنان، ليبيريا، باكستان، سوريا، تايلاند واليمن

وألحق بالمراسلة مذكرة توضيحية تؤكد على ضرورة تطبيق حق تقرير المصير للشعب الجزائري لتسوية المسألة الجزائرية وفقا لما قرره ميثاق الأمم المتحدة وأكده مؤتمر «باندونغ». [13]

أثار طلب تسجيل «القضية الجزائرية» في جدول أعمال الجمعية العامة خلال دورتها العاشرة سنة 1955 خلافا حادا بين كتلتين من الدول: الأولى مشكلة من أغلبية الدول الافرو-آسيوية والثانية تزعمتها فرنسا والدول المؤيدة لها. ويمكن إرجاع أهم أسباب هذا الاختلاف الى ما يلي:

2-1- الطبيعة الخاصة «للقضية الجزائرية»

حيث يتعلق الأمر باستعمار استيطاني ألحق الدولة الجزائرية سياسيا وقانونيا بالدولة الفرنسية، إذ بمقتضى الأمر الصادر في 1834/07/22 اعتبر الإقليم الجزائري جزءا لا يتجزأ من فرنسا. فقد أنشأ هذا الأمر نظاما لما أسماه الممتلكات الفرنسية في شمال افريقيا في شكل مستعمرة عسكرية ملحقة بوزارة الدفاع يسيرها مسؤول يسمى الحاكم العام، مفوض من طرف الملك الفرنسي. [14] كما أدمج الإقليم الجزائري رسميا في الإقليم الفرنسي بمقتضى دستور الجمهورية الثانية لسنة 1848، حيث اعتبرت المادة 109 «الإقليم الجزائري اقليما فرنسيا سينظم بمقتضى قوانين خاصة في انتظار صدور قانون خاص يخضعه لنظام هذا الدستور». [15] فالإدماج تم إذن بمقتضى تصرف انفرادي ألحقت بمقتضاه دولة اقليما غير تابع لها.

13- أنظر:
Documents officiels des Nations Unies, A -2924, add.1 X ème session. Voir aussi Khalfa Mameri, Les Nations Unies face à la question Algérienne, 1954-1962, ENAG Editions, Alger 2010, pp22-25 ..

14- هذا ما أكده الممثل الدائم لفرنسا لدى الأمم المتحدة بقوله:
« L'Algérie a été réunie à la France par l'ordonnance de 1834 ; elle fait depuis lors partie intégrante de la France métropolitaine au même titre que l'Ile de France, la Bretagne ou l'Auvergne », Débat du Bureau de l'Assemblée Générale des Nations Unies, X ème session 103 éme séance, 22 septembre 1955.

15-النص الفرنسي كالتالي:
« Le territoire de l'Algérie et des colonies est déclaré territoire français, et sera régi par des lois particulières jusqu'à ce qu'une loi spéciale les place sous le régime de la présente constitution », http://www.conseilconstitutionnel.fr/...constitutions.../

2-2- وزن الدولة الاستعماري

كان لطبيعة الدولة الاستعمارية ذاتها تأثير كبير على عرقلة تدويل القضية الجزائرية نظرا لكون فرنسا عضوًا أصليا من أعضاء منظمة الأمم المتحدة يتمتع بصفة العضوية الدائمة بمجلس الأمن، ومن ثم بحق النقض أو ما يسمى ب»الفيتو» في وقت كان فيه العدد الإجمالي لأعضاء مجلس الأمن محددا ب 11 عضوا فقط. ولهذا تم شطب القضية الجزائرية من جدول أعمال الجمعية العامة –كما سنرى- بعد انسحاب المندوب الفرنسي احتجاجا على إدراج القضية الجزائرية بجدول الأعمال.

2-3- الطابع العام لبعض نصوص الميثاق وقبولها للتأويل

تضمن ميثاق الأمم المتحدة نصوصا ومبادئ عامة كانت محل تفسيرات متنوعة بخلفيات سياسية مختلفة، بل اعتبرت أحيانا متناقضة. فقد نصت المادة الأولى في فقرتها الثانية على «احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها» من جهة، بينما أكدت الفقرة الرابعة من المادة الثانية على «سلامة الأراضي» و»الاستقلال السياسي» لأية دولة من جهة ثانية، وحفظت الفقرة السابعة من هذه المادة للدولة العضو مجالا من الاختصاص لا يجوز للمنظمة الدولية أن تتدخل فيه، وهو ما يعرف بالاختصاص الداخلي المحجوز أو المحفوظ للدولة أو مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وهو ما فتح المجال للخلاف حول تحديد أي المبدأين أسمى، مبدأ «الوحدة الإقليمية» أو مبدأ «تقرير المصير»، [16] رغم إمكانية التوفيق بين المبدأين حيث أن قاعدة الحق في تقرير المصير هي القاعدة الأساسية، باعتبارها قاعدة

16- حول هذه المسألة راجع مثلا:
Particia Carley, Self-determination, sovereignty, Territorial Integrity , and the Right to Secession, Report from Roundtable held in Conjunction with U.S. Department of State's Policy Planning Staff, United States Institute of Peace; Inigo Urrutia, "Territorial Integrity and Self-determination: The Approach of the International Court of Justice in the Advisory Opinion on Kosovo", 16 REAF, No. ,(2017), pp. 107-140; James Crawford, "State Practice and International Law in Relation to Secession", 69 British Yearbook of International Law (1998), pp.85 ff; Oliver Corten, "Territorial Integrity Narrowly Interpreted: Reassessing the Classical Inter-State Paradigm of International Law", 24 Leiden Journal of International Law (2011), pp.89 ff.; and Theodor Christakis, Self- determination, Territorial Integrity and fait accompli in the Case of Crimea, 2015, Max Planck Institute,
www.zaoerv.de/75_2015/75_2015_1_a_75_100.pdf

عرفية أولا، [17] ثم قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي JusCogens ثانيا[18] أو كالتزام مفروض في مواجهة الكافة (erga omnes) . [19] بإعمال هذه القاعدة يمكن أن يتحقق مبدأ الوحدة الإقليمية متى قرر الشعب المعني، من خلال الاستفتاء، الاتحاد مع دولة قائمة أو الانضمام إليها. وهذا ما أكده لاحقا إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الأمم المتحدة بنصه عل أن «يكون إنشاء شعب من الشعوب لدولة مستقلة ذات سيادة، أو ارتباطه ارتباطا حرا بدولة مستقلة، أو اندماجه الحر في هذه الدولة، أو اكتسابه مركز سياسي آخر يحدده بنفسه بحرية إعمالا من جانبه لحقه في تقرير مصيره بنفسه. [20] أي أن قاعدة تقرير المصير باعتبارها القاعدة الأسمى تحقق الوحدة الإقليمية باعتبارها قاعدة فرعية متى قرر الشعب ذلك لكنها لا تقصي الحق في الاستقلال متى كان اختيارا شعبيا.

وقد تمسكت الدول الافرو آسيوية في مذكرتها التوضيحية للأمين العام للأمم المتحدة والمتعلقة بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة بمبدأ تقرير المصير وفقا للمادتين 1(2) و55 من الميثاق، بينما تمسكت فرنسا بمبدأ الوحدة الشاملة لإقليم الفرنسي التي تشمل الإقليم الجزائري برمته. فقد أعلن المندوب الفرنسي في الأمم المتحـــدة أن الفقرة الثـــانية من المادة الأولى تعطي لمنـظمة الأمم المتـحدة اختصاصا

17- أنظر مثلا الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية في قضية الصحراء الغربية:
Western Sahara, Advisory Opinion, I.C.J. Reports 1975, p.33; Legal Consequences for States of the Continued Presence of South Africa in Namibia (South West Africa) notwithstanding Security Council Resolution 276 (1970), Advisory Opinion, I.C.J. Reports 1971, pp. 31-32, paras. 52-53 ; East Timor (Portugal v. Australia), Judgment, I.C.J. Reports 1995, p. 102, para. 29 ; Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territories (2004) , Opinion on Construction of Wall, I.C.J. Reports 2004, p. 136,

18- أشار المقرر الخاص للأمم المتحدة حول منع التمييز الى أنه لا يمكن تحدي حقيقة أنه في ضوء المعاهدات الدولية المعاصرة فإن حق تقرير المصير يحوز بالضرورة طابع القواعد الآمرة، انظر:
« The Right to Self-Determination : Implementation of the United Nations Resolutions,12 U.N. Doc E/C.N.4/ Sub. 2/405/Rev.1.

19-أنظر:
Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territories (2004) Op. Cit.p.172 , and East Timor Op. Cit., p. 102, para. 29.

20- أنظر القرار 2625 (الدورة 25) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1970 ، الوثيقة رقم A/RES/2625 (XXV)

لغرض واحد يتمثل في «إنماء العلاقات الودية بين الأمم كهدف أساسي، وأن المساواة بين الشعوب في تقرير المصير هي أمر ثانوي باعتباره وسيلة لتحقيق الهدف. [21]

ومن جهة أخرى فسر حق تقرير المصير وحقوق الانسان الأساسية الأخرى المنصوص عليها في المادة 55 بأنها تتعارض مع مبدأ أساسي آخر تضمنه الميثاق في الفقرة السابعة من المادة الثانية مقتضاه عدم جواز تدخل الأمم المتحدة «في الشؤون التي تكون من صميم الاختصاص الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم الميثاق». حيث اعتبرت مسائل حقوق الانسان، بصفة عامة، وحق تقرير مصير الشعب الجزائري، بصفة خاصة، شأنا داخليا يدخل في نطاق الاختصاص الداخلي المحفوظ لفرنسا ولا يجوز للأمم المتحدة، وفقا للمادة 2(7) أن تتدخل فيه. [22]

في الحقيقة لم يقتصر تكييف «القضية الجزائرية» بأنها قضية داخلية لا يمكن للأمم المتحدة التدخل فيها طبقا للمادة 2(7) على الموقف الرسمي الفرنسي، بل ساند هذا الموقف جانب من القانونيين الدوليين الفرنسيين أمثال الأستاذ FLORY [23] والأستاذة BASTID [24] و MATHIOT [25] حيث اعتقدوا أن الاستثناء الذي تضمنته الفقرة السابعة أدرج في المادة الثانية التي تكرس المبادئ التي تحكم عمل منظمة الأمم المتحدة بغية تحقيق الأهداف التي حددتها المادة الأولى من الميثاق. فهذه الأهداف لا يمكن أن

21-نظر:
Débats au Bureau de l'Assemblée Générale des Nations Unies, X eme Session, 103 eme séance, 22 septembre 1955.

22-المرجع نفسه.

23-راجع مثلا:
Michel Virally, L'O.N.U. d'hier et demain, éditions du Seil, 1961, p.106; »L'Algérie et droit international 5 ,«Annuaire Français de Droit International, (1959), pp.817-844 at 819, et « La politique coloniale des Nations Unies », Revue de l'Action Populaire, (1957), p.679

24- راجع:
Mme Bastid, *« La thèse française est basée sur l'art.2, para.7 de la Charte »*, *le Monde diplomatique*, oct.1959, p.5

25-راجع مثلا:
A.Mathiot, *« Le statut des territoires dépendants d'après la Charte des N.U. »*, *Revue Générale de Droit International*, (1946), p.159 ; « *Les territoires non autonomes et l'application de la Charte des N.U.* », *R.J.P.U.F.*, 1948, p.405 ; et « *Le contrôle des N.U. sur l'administration des territoires non autonomes* », *R.J.P.U.F.*, 1949, p.26.

تتعارض مع المبادئ التي تحكم عمل المنظمة الى درجة أنها لا ترجح على هذه الأخيرة، بل على العكس لا يمكن أن تحقق هذه الأهداف الا من خلال الوسائل الناجمة عن تلك المبادئ. [26]

أيد الادعاء الفرنسي، باعتبار القضية الجزائرية قضية داخلية لا يجوز للأمم المتحدة مناقشتها، سبع دول من تلك التي تدخلت في النقاش أمام الجمعية العامة. [27] إلا أن أغلب المساندين لطلب تسجيل القضية الجزائرية بجدول أعمال الجمعية العامة استندوا الى حقيقة أن المسألة المراد مناقشتها تتعلق أساسا بالحرب الجارية في الجزائر، وهي مسألة لا يمكن اعتبارها مسألة داخلية.

وبعد نقاش طويل تدخل فيه مندوبو 25 دولة قررت الجمعية العامة بأغلبية 28 صوتا ضد 27 صوتا وامتناع خمس دول عن التصويت تسجيل «القضية الجزائرية» على جدول أعمالها، رافضة اقتراحاً عكسياً قدم من مكتبها. [28]

ترتب عن تسجيل القضية الجزائرية على جدول الجمعية العامة أثار هامة، بعضها ذو طبيعة عامة، مثل توسيع نطاق دور الأمم المتحدة بإدراج قضايا تصفية الاستعمار في نطاق أعمالها وإدراجها كذلك في نطاق الحرب الباردة، وأخرى خاصة بالقضية الجزائرية حيث تحقق هدف تدويلها، من جهة، ومن جهة أخرى ترتب عن ذلك انسحاب الوفد الفرنسي من الجمعية العامة مباشرة بعد التصويت. [29]

حاولت بعض دول أمريكا اللاتينية [30] إفشال الإنجاز الذي تحقق بتسجيل القضية الجزائرية على جدول أعمال الجمعية العامة ودفع هذه الأخيرة الى التراجع عن قرارها بطريقة غير مباشرة من خلال اقتراح تأجيل دراسة القضية. وأمام هذا الخطر تدخل

26- انظر M. Bastid المرجع السابق، وقارن:
E.Eugène Aroneanu, « Le vote de l'Assemblée était légitime », Le Monde , 7/12/1955.

27-هي بلجيكا، كولمبيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الصين (فرموزا)، النرويج، هولندا والمملكة المتحدة، انظر:
Document, Assemblée Générale, Débat, plénières, X ème session.

28-راجع الوثيقة رقم: A. 520, Rev.8

29-نظر:
Mameri, Op.Cit., pp.66-71

30-هي الشيلي، كولمبيا، كوبا والإكوادور

السيد Krisna Menon ممثل الهند بحنكته الدبلوماسية لإنقاذ الموقف باقتراح اصدار الجمعية العامة لائحة تقرر بمقتضاها عدم مواصلة دراسة القضية . اعتمد هذا الاقتراح بإصدار الجمعية العامة اللائحة رقم (909 (X بالإجماع حيث نالت رضا الجميع بما في ذلك فرنسا وجبهة التحرير الوطني. [31] ولا شك في أن هذه اللائحة لا تمحو واقعة التسجيل السابق للقضية الجزائرية بجدول أعمال الجمعية العامة.

3-المرحلة الإجرائية لتدويل القضية الجزائرية

لم يعد مبدأ التدخل في الشؤون الداخلية أو نطاق الاختصاص الداخلي المحجوز للدولة وفقا للفقرة السابعة من المادة الثانية من الميثاق عائقا أمام التسجيل اللاحق للقضية الجزائرية بجدول أعمال الجمعية العامة، بل أن فرنسا ذاتها لم تعترض على إدراج القضية بالجدول سنة 1956،(Flory 1959) رغم أنها بقيت متمسكة بموقفها بأن القضية الجزائرية مسألة فرنسية داخلية وأن تسجيل القضية بجدول أعمال الجمعية العامة لا يخول هذه الأخيرة إصدار قرار حولها.[32]

كان الهدف الذي توخته جبهة التحرير سنة 1956 التدويل الرسمي للقضية بدراستها وإصدار قرار بشأنها حتى ولو كانت صياغته عامة بحيث ينال تأييد أكبر عدد ممكن من الدول، خاصة بعد استقلال كل من المغرب وتونس في نفس السنة ومشاركة فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر وردود الفعل المنددة به خاصة من الدول الافرو آسيوية والدول الإسلامية، إضافة الى ربط المشاركة الفرنسية في العدوان بالقضية الجزائرية نظرا للتأييد المصري المطلق للقضية. [33]

31-انظر:

Assemblée Générale, Documents officiels, supplément no. 19 (A- 3116)

32-انظر:

Documents officiel des Nations Unies, Débats, 1 ère commission, XI eme session, 843 eme, séance, p.204

33-راجع مثلا تدخل مندوب ايرلندا في الجمعية العامة في دورتها 11 حيث قال صراحة «لو سويت القضية الجزائرية لما وصل النزاع المتعلق بقناة السويس والعلاقات المصرية الغربية الى هذا المستوى من التوتر.

Documents officiels des Nations Unies, 1ere commission, XI ème session, p.128

وتجدر الإشارة الى أن 13 دولة افرو آسيوية قدمت طلبا بتاريخ 18 جوان 1956 لمجلس الأمن لدراسة القضية الجزائرية. ولم يتجاوز هذا الطلب عتبة التسجيل في جدول أعمال المجلس نظرا لعدم حصوله على أغلبية الأصوات، حيث عارضه 07 أعضاء (استراليا، بلجيكا، كوبا، الولايات المتحد الأمريكية، فرنسا، البيرو والمملكة المتحدة) وأيدته دولتان (ايران والاتحاد السوفياتي) وامتنع عضوان عن التصويت (الصين ويوغسلافيا).

Documents officiels du Conseil, S –pv, 729 eme et 730 eme séances, 26 juin 1956.

أعلنت الدول الافرو آسيوية في مشروع اللائحة الذي اقترحته تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره لإنهاء الوضع الخطير في الجزائر، ودعوة طرفي النزاع لإيجاد حل سلمي استنادا لذلك الحق ودعوة الأمين العام للأمم المتحدة لمساعدة الطرفين للتوصل الى هذا الحل. [34] الا أن المشروع سحب بعد فشله في الحصول على الأغلبية المطلوبة، بعد الاعتراض على الفقرة الأولى منه التي تطالب فرنسا بتمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره.

بدلا عن ذلك أصدرت الجمعية العامة اللائحة التوفيقية رقم (1012) XI التي أشارت الى الآراء المختلفة المعبر عنها بصدد القضية الجزائرية، كما أخذت بعين الاعتبار الوضع السائد في الجزائر المسبب لمعاناة شديدة وفقد في الأرواح الإنسانية. [35]

وتتضمن هذه الصياغة العامة التوفيقية إشارة غير مباشرة الى حق تقرير المصير كمبدأ من «مبادئ ميثاق الأمم المتحدة» وكذلك الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كطرف مفاوض، باعتبار أن المفاوضات هي أولى «الوسائل المناسبة»، وبالتالي فمما لا شك فيه أن هذا القرار يعد انتصارا دبلوماسيا كبيرا للقضية الجزائرية، حيث ارتفع عدد الدول المؤيدة للقضية، إذ وصل عدد الدول التي قدمت مشروع اللائحة الى 18 دولة أمام اللجنة الأولى وتم لاحقا اعتماد اللائحة رقم 1012 من طرف الجمعية العامة بالإجماع.

مهدت هذه اللائحة الطريق لاعتماد لائحة أخرى بالإجماع كذلك (اللائحة (1184) XI والتي لم تعبر فقط عن أمل غامض بل أنها اقترحت حلا دقيقا ، (Flory 1959) رغم أنها لم تتضمن إشارة صريحة الى حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره. ذكرت اللائحة الجديدة باللائحة السابقة رقم 1012، وعبرت مجددا عن القلق الناجم عن الوضع بالجزائر، وأخذت بعين الاعتبار عرض المساعي الحميدة المقدم من ملك المغرب والرئيس التونسي [36] وعبرت، أخيرا، عن الرغبة في دخول الطرفين في مفاوضات، بروح من

34- قدم هذا المشروع من 18 دولة افرو آسيوية، انظر مثلا:
Documents officiels des Nations Unies, Débats, 1 ère commission, XI eme session no 17 (A- 3572)

35- نفس المرجع.

36- أنظر:
Année politique 1957, PUF, Paris, p. 415.

التعاون الفعال، واستخدام الوسائل الأخرى المناسبة بغية التوصل الى حل طبقا الأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة.[37] مثل اعتماد اللائحة (1184) XI ، كسابقتها، حلا توفيقيا بين مشروعين أساسيين أحدهما قدمته الدول الافرو آسيوية ينص صراحة على «الاعتراف بأن حق تقرير المصير يطبق على الشعب الجزائري» ويوصي بالدخول في مفاوضات لتجسيد ذلك الحق، بينما يتوقف الثاني عند حد اقتراح دخول الطرفين في مفاوضات بغية التوصل الى حل ديمقراطي عادل.[38]

4-المرحلة الموضوعية للتدويل بدءا من سنة 1958

بعد النجاح الذي حققته الدبلوماسية الجزائرية في معركة الإجراءات داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتسجيل القضية على جدول الأعمال ومناقشتها وإصدار لوائح بشأنها، بدأت الحرب الدبلوماسية حول جوهر القضية –الاستقلال، ولا بديل عن الاستقلال، من خلال التطبيق الفعلي لحق تقرير المصير، بعد مفاوضات تتولاها الحكومة المؤقتة هذه المرة بعد تأسيسها في سبتمبر1958، خاصة بعد احتدام المعارك في الميدان وما خلفته من دمار على المستويين المادي والبشري وما نجم عن ذلك من تهديد للسلم والأمن الدوليين. فالقضية لم تعد إذن مسألة داخلية كما تدعي فرنسا وبعض الدول المؤيدة لها. (meamri 2010) أدرجت هذه المسائل ضمن مشروع لائحة قدمته 17 دولة افرو آسيوية [39] أمام اللجنة الأولى سنة 1958، حيث نصت الفقرة الرابعة على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال [40] وعبرت الفقرة الخامسة عن القلق من استمرار الحرب في الجزائر [41] ، وكيفت الفقرة السادسة الوضعية السائدة في الجزائر بأنها «تشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين» [42] ، ولاحظت الفقرة السابعة استعداد الحكومة المؤقتة للدخول في مفاوضات بين الطرفين بغية الوصول الى حل وفقا لميثاق

37- راجع:

726 eme séance plénière, 10 décembre 1957.

38- حول المشاريع المقترحة من مختلف مجموعات الدول ومناقشاتها راجع

K. Meamri, Op., Cit., pp. 107-111.

39-هي أفغانستان، العربية السعودية، برمانيا، سيلان، غانا، إندونيسيا، العراق، الأردن، لبنان، ليبريا، ليبيا، المغرب، النيبال، الجمهورية العربية المتحدة، السودان، تونس واليمن.

40- تحصل المشروع على 39 صوتا ومعارضة 15 وامتناع 23 دولة عن التصويت

41- تحصل النص على 55 صوتا ومعارضة 07 وامتناع 17 دولة عن التصويت

42- نالت هذه الفقرة قبول 47 صوتا ومعارضة 09 وامتناع 20 دولة عن التصويت

الأمم المتحدة. [43] عرض مشروع اللائحة على التصويت في الجلسة العامة للجمعية العامة رقم 792 ولم ينل أغلبية الثلثين المطلوبة لاعتماده.

أعيد التأكيد على أغلب هذه القضايا في الدورة 14 للجمعية العامة سنة 1959 حيث تقدمت 22 دولة افرو آسيوية [44] بمشروع لائحة أمام اللجنة الأولى للجمعية العامة ذكرت باللائحتين السابقتين للجمعية العامة (اللائحة رقم (1012)XI و (1184) XII ، ثم أكدت على حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وعن القلق العميق مما آلت إليه الوضعية في الجزائر نتيجة استمرار الاعمال العدائية وما نجم عن ذلك من تهديد للسلم والأمن الدوليين، وعبرت اللائحة عن رضاها لقبول الطرفين لحق تقرير المصير كأساس لحل المشكلة الجزائرية ودعت الطرفين للشروع في مفاوضات لتحديد شروط تطبيق حق تقرير المصير في أقرب وقت ممكن، بما في ذلك شروط وقف إطلاق النار.

إلا أن هذا المشروع اعتمد أمام اللجنة الأولى بأغلبية بسيطة، [45] وخوفا من عدم حصوله على أغلبية الثلثين أمام الجمعية العامة تم استبداله بمشروع آخر قدمته باكستان أبقى فقط على التأكيد على حق تقرير المصير ودعوة الطرفين للتفاوض استنادا الى هذا الحق، ورغم ذلك لم يحظ المشروع بقبول أغلبية ثلثي الأصوات[46].

لكن يلاحظ الإنجاز الموضوعي الكبير الذي حققته الدبلوماسية الجزائرية خلال هذه الفترة، حيث أن 39 دولة من أصل 77 دولة عضواً بالأمم المتحدة سنة 1958 أيدت صراحة حق الشعب الجزائري في الاستقلال، ولم تعترض سوى 15 دولة صراحة على هذا الحق وأن حق تقرير المصير كأساس لتسوية القضية الجزائرية لم يعد محل خلاف سنة 1959، حيث أيدته صراحة 61 دولة من أصل 81 دولة عضواً بالأمم المتحدة ولم تعترض عليه سوى دولة واحدة هي فرنسا مع امتناع 19 دولة عن التصويت. [47]

43- نالت هذه الفقرة قبول 36 صوتا ومعارضة 18 وامتناع 25 دولة عن التصويت. حول نص المشروع انظر الوثيقة A-4075

44- هي الدول التي قدمت مشروع لائحة الدورة السابقة (1958) إضافة لدول جديدة هي أثيوبيا، * غينيا، الهند، ماليزيا وباكستان، راجع مشروع اللائحة Projet de résolution A-C 1-L 246

45-حظي المشروع بقبول 38 صوتا ومعارضة 26 وامتناع 17 دولة عن التصويت

46- راجع :Projet de résolution A-C1-L276

47- المرجع نفسه.

5-مرحلة الحسم بدءا من سنة 1960

رغم عدم صدور أي لائحة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنتي 1958و1959 فإن النقاش الموضوعي العميق للقضية الجزائرية وتحديد اتجاهه فرش الأرضية لمرحلة الحسم بدءا من سنة 1960 خلال الدورة 15 للجمعية العامة حيث قدمت 24 دولة افرو آسيوية [48] أمام اللجنة الأولى للجمعية العامة مشروع لائحة تضمنت حلا نهائيا للمشكلة الجزائرية بمساهمة منظمة الأمم المتحدة التي تتحمل مسؤولية أعمال حق تقرير المصير باعتباره أداة التسوية الوحيدة، ولم تعترض أي دولة من الدول الأعضاء (83 دولة) مع امتناع 13 دولة عن التصويت، رغم أن الديباجة نصت على مسائل لم تحظ بأغلبية الثلثين في الدورتين السابقتين سنتي 1958و1959، كالإشارة الصريحة الى «أن الحالة الراهنة في الجزائر تشكل كذلك خطرا على السلم والأمن الدوليين، وأن الطرفين «قد ارتضيا حق تقرير المصير أساسا لحل المشكلة»، وادراك «التوق الشديد الى الحرية الذي يخالج جميع الشعوب غير المستقلة، والدور الحاسم الذي تقوم به هذه الشعوب لنيل استقلالها «، والاقتناع «بأن لكل الشعوب حقا غير قابل للتصرف في الحرية التامة، وفي ممارسة سيادتها، وفي سلامة اقليمها القومي».

أما فيما يتعلق بالمنطوق فقد تضمنت اللائحة فقرة رابعة كانت محل نقاش كبير في إطار اللجنة الأولى، قبلتها 38 دولة ورفضتها 33 دولة وامتنعت 23 دولة عن التصويت، نصت على أن الجمعية العامة قررت بأنه سيجري استفتاء في الجزائر تنظمه الأمم المتحدة وتراقبه وتشرف عليه يحدد بمقتضاه الشعب الجزائري مصيره بحرية. وحذفت هذه الفقرة لاحقا أمام الجمعية العامة حيث لم تتحصل على أغلبية الثلثين المطلوبة للاعتماد. [49] وبناء عليه حذفت تلك الفقرة وأبقي على الفقرات الثلاث الأخرى في اللائحة رقم 1573 (الدورة 15) التي نصت على ما يلي :

48- هي الدول التي قدمت مشروع لائحة سنة 1959 باستثناء ماليزيا واضافة ثلاث دول جديدة هي المالي، نيجيريا والصومال.

49-جرت محاولات لإعادة صياغة الفقرة الرابعة من خلال اقتراح قدمته قبرص وآخر قدمته مجموعة من الدول لافريقية (Document A-L 333)

لم يتحصل أي منهما على الأغلبية المطلوبة (Document A-L 334)

1-«تعترف (الجمعية العامة) بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي الاستقلال،

2-وتدرك الحاجة الماسة الى توفير ضمانات كافية فعالة للتأكد من إعمال حق تقرير المصير بنجاح وانصاف وعلى احترام وحدة الجزائر وسلامتها الإقليمية

3-وتعترف كذلك بأن على الأمم المتحدة مسؤولية الاسهام في إعمال هذا الحق بنجاح وانصاف». [50]

ولم يبق إذن سوى تطبيق تلك اللائحة في الميدان، بدءا بالمفاوضات لتحديد شروط وقف القتال وشروط تطبيق حق تقرير المصير من خلال تنظيم الاستفتاء الشعبي وكيفية إجرائه ومراقبته. وهذه المسائل لم تتحقق في تلك السنة، وبالتالي عرضت القضية الجزائرية مجددا على الجمعية العامة للأمم المتحدة لإصدار لائحتها الأخيرة في الموضوع (اللائحة رقم (724) (XVI) ، والتي تضمنت في ديباجتها إشارة للوائح السابقة المتعلقة بالقضية وكذلك قرارها التاريخي رقم (1514) (XV) ، وفي المنطوق أبدت الجمعية العامة «قلقها الشديد من استمرار الحرب في الجزائر»، وأسفها «لتوقف المفاوضات التي باشرتها كل من الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية»، وناشدت الطرفين استئناف المفاوضات بغية إعمال حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي الاستقلال، مع احترام وحدة الجزائر وسلامتها الإقليمية. [51]

يظهر جليا مما سبق أن حق تقرير المصير شكل الأداة الرئيسة لتدويل القضية الجزائرية بدءا من مؤتمر باندونغ وانتهاء بمنظمة الأمم المتحدة. فقد وظفته الدبلوماسية الجزائرية قبل تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وبعدها بتنسيق كامل مع دول سبق أن عانى أغلبها من ويلات الاستعمار في القارتين الافريقية والآسيوية، في مواجهة دول استعمارية وأخرى تعاطفت معها في إطار منظمة الأمم المتحدة التي اعترف ميثاقها صراحة بالحق وأدرجه ضمن مقاصدها ومبادئها الأساسية، وبالتالي اعترفت به كل الدول الأعضاء في المنظمة، وقد وظف مبدأ حق تقرير المصير بإتقان، مشكلا بذلك مفتاح القضية الأوحد.

50- انظر:
Résolution 1573, Assemblée Générale, session plénière, 20 décembre 1960, Res.1573 (XV)
51- انظر اللائحة رقم (1724(XVI الجلسة العامة، 20 ديسمبر 1961.

ثانيا- مظاهرات 11 ديسمبر 1960 وتأثيرها على حق تقرير المصير

قبل التعرض للأثار التي أفرزتها مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على تطور تدويل القضية الجزائرية في حد ذاتها وعلى حق تقرير المصير تستحسن الإشارة الى سلسلة من الاحداث التي سبقها والسياق الذي تمت فيه، حيث أن بعضها كان سببا مباشرا لاندلاع تلك المظاهرات.

أ-بعض الاحداث الهامة التي سبقت مظاهرات 11 ديسمبر:

من بين أهم الاحداث التي وقعت في الفترة التي سبقت 11 ديسمبر 1960 وكان لها تأثير على هذه الأخيرة يمكن الإشارة الى ما يلي:

1-مظاهرات الأيام الثمانية

نظمت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في سياق مشابه لمظاهرات سابقة عرفت بمظاهرات الثمانية أيام (28 جانفي (يناير) – 04 فيفري 1957) في الجزائر بتعليمات من جبهة التحرير الوطني ، التي سعت لخلق حدث هام جدا قادر على تعبئة الشعب الجزائري برمته حول الجبهة لتوجيه رسالة الى الدولة الاستعمارية-فرنسا – لتأكيد أن ثورة نوفمبر 1954 هي ثورة شعب بأكمله وليست «عصيان» أو «تمرد» نخبة من الجزائريين، وأخرى الى الرأي العام العالمي، وخاصة منظمة الأمم المتحدة، حيث تزامنت هذه المظاهرات مع افتتاح اشغال الجمعية العامة في اليوم الأول من الاضراب، أي 28 جانفي 1957 بعد أن أجلت مرتين قبل ذلك في شهر ديسمبر 1956. فقد ارادت لجنة التنسيق والتنفيذ التي أعلنت الاضراب، أن يعرف العالم بأسره أن مطلب الشعب الجزائري هو الاستقلال، و بالتالي كسب مزيد من التعاطف مع القضية الجزائرية في اطار الجمعية العامة وممارسة نوع من الضغط على هذه الأخيرة لإعادة ادراج القضية في جدول أعمالها وبدء دراستها و تحديد وجهة مآلها .[52]

52-La grève des 8 jours (28 janvier- 4 février 1957): le caractère populaire de la révolution, https://www.infos-premieres.com/2017/01/25/greve-8-jours-28-janvier et Mameri, Op.Cit., pp.116-118

2-مجزرة» ساقية سيدي يوسف 08فبراير 1958

ارتكبت فرنسا الاستعمارية يوم 08 فبراير 1958 جريمة في حق الإنسانية، حيث امرت سرباً من الطائرات الحربية بأنواع مختلفة بقنبلة قرية «ساقية سيدي يوسف» على الحدود الجزائرية التونسية بحجة حق الملاحقة «droit de poursuite »، أي ملاحقة وحدات جيش التحرير الوطني الموجودة على الحدود الشرقية، وترتب عن هذه الغارة التي استمرت لمدة حوالي ساعة وعشرين دقيقة قتل أكثر من 70 شخصا وجرح أكثر من 130 اغلبهم من نساء وأطفال من التلاميذ من التونسيين واللاجئين الجزائريين الفارين من الاضطهاد الاستعماري، كما أصيبت سيارات شحن تابعة للصليب الأحمر كانت بصدد توزيع المؤونة الغذائية والالبسة على اللاجئين الجزائريين وهدم وتحطيم جزء كبير من مباني القرية بما فيها من مدارس. (اللواب 2009 و moreno et Gay 1950) وكان لهذه الغارة آثار مباشرة على تدويل القضية الجزائرية، حيث على المستوى الإقليمي دعت الحكومة التونسية سفراء عدة دول منها الولايات المتحدة الامريكية، مصر، ليبيا، العراق، سوريا، لبنان، ايران و الملحقين بالسفارات البريطانية والاسبانية والإيطالية الى المكان للاطلاع على حجم الكارثة الإنسانية، وطلب الرئيس التونسي من السفير الفرنسي مغادرة تونس وقدم شكوى لدى الأمم المتحدة. [53]

اما على المستوى الدولي فقد خلفت الغارة تعاطفا دوليا كبيراً سواء على المستوى الرسمي او الراي العام العالمي، فقد استدعى كاتب الدولة الأمريكي Dulles السفير الفرنسي Harvé Alphand واخبره بان هذه الغارة ستخلف عنها « كارثة عظمى» « un désastre majeur »، حيث اثبتت عجز فرنسا عن رقابة الوضع في الجزائر ويمكن ان تكون مسؤولة عن حدوث نزاع conflit في شمال افريقيا، كما عبر له عن استيائه من استخدام فرنسا لطائرات أمريكية. [54] كما اثار هذا القصف تنديداً عربيا وعالميا وسوء العلاقات بين فرنسا وتونس.

53- أنظر Moreno et Gay المرجع نفسه.
54- المرجع نفسه

وعلى مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة استغلت مجموعة الدول الافرو آسيوية ذلك القصف لمنح القضية الجزائرية ابعاداً جديدة باعتبارها « تهديدا للسلم والامن الدوليين "وليست قضية داخلية تخرج عن نطاق اختصاص منظمة الأمم المتحدة وفقا للفقرة السابعة من المادة الثانية من الميثاق كما تدعي فرنسا. فقد اشارت الفقرة الخامسة من مشروع اللائحة التي قدمتها مجموعة الدول الافرو اسيوية امام اللجنة الأولى الى ما يلي:

« وإذ تأخذ الجمعية العامة بعين الاعتبار ان الوضع الحالي في الجزائر يشكل تهديداً للسلم والامن الدولي »

وقد نالت هذه الفقرة 47 صوتا مؤيدا مقابل معارضة 9 أصوات وامتناع 20 دولة عن التصويت. (55)

وتجدر الإشارة الى التغيير في الموقف الأمريكي عقب ذلك القصف في الجمعية العامة للأمم المتحدة، اذ لأول مرة تتخلى الولايات المتحدة الامريكية عن موقفها الداعم لفرنسا وامتنعت عن التصويت على مشروع اللائحة المقترحة من مجموعة الدول الافرو آسيوية. (56)

3-وصول ديغول الى الحكم:

حدثت تحولات كبيرة في السياسة الفرنسية تجاه القضية الجزائرية بدءاً من سنة 1958 بعد وصول الجنرال ديغول الى الحكم حيث تميزت سياسته تجاه القضية بالغموض والتناقضات. فقد أعلن بتاريخ 23 أكتوبر 1958 مشروع «سلم الشجعان» La paix des braves» الذي دعا بمقتضاه جبهة التحرير الوطني الى تعيين ممثلين عنها للبحث مع السلطات الفرنسية عن تسوية نهائية لما اعتبره « تمرداً ». الا ان الجبهة رفضت

55- انظر: Projets de résolution on d'amendements présentes en première commission – A -C. 1-L232

56-انظر: Documents Officiels des Nations Unies, Débats, 1ere commission ; A-C -1. S R 1023eme séances

المقترح وأبدت استعدادها للدخول في مفاوضات جدية. [57] ولعل تاريخ 16 سبتمبر 1959 يسجل اكبر تحول في لسياسة الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، حيث سجل فيه اعتراف الجنرال ديغول،
بوصفه رئيسا للجمهورية الفرنسية، صراحة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره تحت ضغط المقاومة المسلحة داخليا والضغط الدولي خاصة في إطار الأمم المتحدة. [58]
فقد اعترف للجزائريين شكلا بالحق في الانفصال او الاندماج في فرنسا او ان يحكموا انفسهم بأنفسهم من خلال الاعتماد على فرنسا. وفي الحقيقة فان هذا التغيير في الموقف الفرنسي يعتبر شكليا ما دامت قناعة الرئيس ديغول مقتنعا بأن خيار « الانفصال عن فرنسا « تعد كارثية» (désastreuse) [59]

واستخدم هذا الاعتراف بحق تقرير المصير، من جهة أخرى، لتضليل الراي العام العالمي والتأثير على مسار القضية الجزائرية في الأمم المتحدة . [60] في هذا السياق كذلك اعلن الرئيس ديغول في خطابه بتاريخ 04 جوان 1960 عن فكرة « الجزائر جزائرية » (l'Algérie algérienne) والتي تعد في ظاهرها كذلك تحولا موضوعيا هاما يبتعد عن فكرة« الجزائر فرنسية »، وتعني ان تكون الجزائر مستقلة ذات سيادة لها حكومتها ومؤسساتها وقوانينها وتنظم علاقتها مع فرنسا في إطار الاستقلال. [61] الا ان ما كان يقصده ديغول هو بدء مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الفرنسية الجزائرية بإحلال الاستعمار الجديد محل القديم، بحيث تبقى الجزائر مرتبطة بفرنسا سياسيا من خلال اقصاء جبهة التحرير

57 -حول سياسة الرئيس ديغول تجاه القضية الجزائرية و«سلم الشجعان» انظر:
BENJAMIN STORA ; Le Mystère De GALILLE ,Son choix pour l'Algérie, eb Robert Laffont, (2009)

وانظر كذلك:
Jean- Pierre Brun , D'Azzedine a Si Salah, Une étude sur « La paix des braves, éd. Dualpha, 2016.

58-أشار المؤرخ الأمريكي Irwin M.Wall في كتابه
(Les Etats Unis et la guerre d'Algérie. Préface de George- Henri Soutou, éd. Soleb , Paris, 2006)
إلا ان اعلان الجنرال ديغول المتعلق بتقرير المصير في الجزائر تم تحت ضغط الأمم المتحدة والولايات المتحدة الامريكية حيث كان خطابه حول الموضوع أياماً قليلة بعد زيارة الرئيس الأمريكي روزفلت لفرنسا في سبتمبر1959 .

59-انظر: M. FLORY, Algérie Algérienne, Op. Cit ., p.974
وانظر حول الموضوع بصفة عامة,Charles-Robert Agerm , De « l'Algérie française » à l'Algérie algérienne .vol. 1 ed. Bouchèna, 2005

60- انظر د. عبد القادر كرليل، مرجع سابق صفحة 83

61-راجع: M. FLORY, Algérie Algérienne, Op. Cit ., p.974

الـــوطني واسناد تســـييرها لجيـــش من «القوة الثالثة »، او الـــقوة المحلية أي مـــن « الحركة» والموالين لفرنسا. [62]

4- تأسيس الحركة المؤقتة

شكل تاريخ 11 سبتمبر 1958 حدثا هاما جداً في تاريخ الثورة الجزائرية حيث أسست فيه جبهة التحرير الوطني ذراعها، أي الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر، كأداة حاسمة لتطور القضية الجزائرية كجهاز تنفيذي سياسي أسندت له مهمة ديبلوماسية سواء على مستوى المناقشات الجارية في اطار الأمم المتحدة باعتباره المفاوض المخول لتمثيل الجزائر في المفاوضات الجادة الفرنسية الجزائرية ان رغبت فرنسا فعلا في ذلك اولكشف مناوراتها التي اعلنها الرئيس الفرنسي ديغول بدءاً من بالاعتراف بحق الشعب الـجزائري فـي تقرير مصيره وما اعقبه من مشاريع وعلى راسها مشروع «الجزائر جـــزائرية «. [63] ومن الانتصارات التي حققتها الحكومة المؤقتة مشاركتها في مؤتمر الدول الافريقية المستقلة بمونروفيا في أغسطس 1959 ، بعد اعتراف عدد كبير من الدول الافرو اسيوية بها، حيث رفع العلم الجزائري بجانب اعلام الدول الافريقـــية المستقلة. [64]

5- الاثار الإنسانية الكارثية للحرب

عرفت الفترة التي سبقت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 زيادة حدة الحرب على مستوى الإقليم الجزائري بأكمله. حيث ارادت جبهة التحرير تأكيد الانتصارات الدبلوماسية المحققة بأخرى عسكرية، خاصة في سياق الحرب الإعلامية الفرنسية حول انقسام الجبهة وضعفها، ومن جهة أخرى ارادت فرنسا فرض امر واقع عسكري يحول دون تنفيذ حق تقرير المصير. وتدخل مجزرة ساقية سيدي يوسف في هذا الإطار، كما برزت خلال هذه الفترة مشكلة اللاجئين الجزائريين في كل من تونس والمغرب وفرضت نفسها في

62-(وهذا ما سعى ديغول الى تجسيده بداية من شهر جويلية (يوليو) 1960، بعدما قام بتكوين لجنة مؤلفة من 120 شخصا من مجلس الشيوخ والبرلمان والمجالس الإقليمية والفرق التجارية والفلاحية ورؤساء البلديات ومستشارين، ولتحقيق ذلك شكل مجموعة من اللجان ، أنظر: عبد الحميد ابراهيمي، في أصل الأمة الجزائرية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان 2001، ص 23، السيد علي احمد مسعود. التطور السياسي في الثورة الجزائرية، 1960-1961، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص194 وشارل ديغول. **مذكرات الامل**، ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات لبنان،1971، ص102.)

63- حول دور الحكومة المؤقتة في هذا المجال أنظر: Mameri ، مرجع سابق، ص. 121 وما بعدها.

64-أنظر:

The Monrovia Conference, August 4-8 1959 auteur conference of Independent States 1959, Monrovia, Liberia) ; League of Arab states

إطار الأمم المتحدة. فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اللائحة 1286 في دورتها الثالثة عشر سنة 1958 اشارت فيها الى انها درست تقرير مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين [65] وانها اخذت بعين الاعتبار الجهود التي بذلها صندوق الأمم المتحدة في سبيل مساعدة اللاجئين ، وبعد احاطتها علما بالأعمال التي قام بها المفوض السامي سنة 1958 في سبيل لاجئي الجزائر في تونس، اوصت مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين لمواصلة القيام على نطاق كبير بأعماله في خدمة اللاجئين في تونس وبالاضطلاع بأعمال مماثلة في مراكش. [66]

وكان من نتائج ذلك إضافة البعد الإنساني للقضية الجزائرية سواء في إطار القانون الدولي الإنساني او في إطار القانون الدولي لحقوق الانسان وإخراج القضية أكثر من مجال الاقتصاد الداخلي الفرنسي حتى بالنسبة للمتعاطفين مع فرنسا خاصة في ضوء ما نجم عن ذلك من تهديد للسلم والامن الدوليين.

ب - تأثير احداث 11 ديسمبر 1960 على سيرورة القضية الجزائرية:

في الثامن من ديسمبر 1960 اعلن الجنرال ديغول بان استفتاء حول تقرير مصير الجزائر سينظم في فرنسا بتاريخ 08 جانفي (يناير) 1961، وعقب ذلك مباشرة قامت «جبهة الجزائر فرنسية» (Le Front de l'Algérie Française) بتوزيع مناشير تدعو الى الاضراب واتخاذ ما يلزم من إجراءات لمنع الجنرال ديغول من تنفيذ خطته الموسومة «الجزائر جزائرية» كما سبقت الإشارة، ورفض زيارته المبرمجة للجزائر من 09 الى 12 ديسمبر 1960 والتنديد بسياسته وللتعبير عن تمسك المعمرين (les ultras) والمتمردين منالجيش الفرنسي الموجود بالجزائر بمطلب « الجزائر فرنسية «.[67] فكان رد الفعل الطبيعي من الجزائريين الخروج في مظاهرات شعبية حاشدة في مختلف المدن والقرى الجزائرية بدءاً من ليلة الاحد 11 ديسمبر 1960 متحديين القوات الفرنسية المدججة بأثقل واحدث الأسلحة، رافعين العلم الجزائري، شعارهم الاستقلال او الشهادة، لم

65- حول التقرير: انظر الوثائق الرسمية للجبهة العامة، الدورة الثالثة عشر، الملحق رقم 11، ج ع/828/التنقيح 1 والوثيقة ج ع /3828 ، التنقيح1/ الاضافة1

66-لوثائق الرسمية للجبهة العادية للأمم المتحدة الجلسة العامة 782، 5 ديسمبر 1958 ()

67- « بلغ عدد القوات العسكرية المتواجدة بالجزائر في الاول من ديسمبر 1960، 467200 عسكري واكثر من 94387 احتياطي، انظر: Alban Mahieu, « les effectifs de l'armée française en Algérie », in Jean-Charles Jauffret et Maurice Vaisse, Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, Editions Complexe, 2001,pp.43-44

تثنهم جثث من استشهدوا وبرك دماء الجرحى، رافعين لافتات تحيا « الجزائر مسلمة» « تحيا جبهة التحرير « « تحيا الحكومة المؤقتة « – « الجزائر مستقلة «، وغيرها من الشعارات الرافضة لفكرة « الجزائر فرنسية» او « الجزائر – جزائرية « حسب مقترح الجنرال ديغول [68] وبذلك اقبـــرت هذه المظاهرات نهائيـــا فكرة « الطـريق الثالث « troisième voie او» القوة الثالثة «الذي اعتمده الجنرال ديغول واجبرته على التخلي عنه نهائيا، وكانت بمثابة استفتاء شعبي عبر من خلاله الشعب الجزائري برمته عن مطلبه الأوحد والوحيد الجزائر مستقلة حرة. [69]وبذلك اثرت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على سيرورة القضية الجزائرية في حد ذاتها كما اثرت على مبدأ حق تقرير المصير.

1- تأثير مظاهرات 11 ديسمبر على حسم القضية الجزائرية في الأمم المتحدة

أوصلت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 القضية الجزائرية بمأساتها الى كل انحاء العالم بفضل الصحافة الدولـــية المتواجـــدة بالجزائر لتغطـــية زيارة الرئيس الفرنسي ديـغول [70] حيث أوضحت الحجم الحقيقي لمأساة الجزائريين نتيجة القمع الممارس من طرف الاستعمار الفرنسي. ونجم عن ذلك استنكار عالمي للقمع الفرنسي، وفي الوقت ذاته تنامى تعاطف الرأي العام العالمي مع حرب التحرير، ووفرت المظاهرات الجو

68-حول مظاهرات 11 ديسمبر 1960 راجع : مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954: www.cnerh.dz/wpcnerh/nov54- و كذلك Limara B, « 11 décembre 1960 le- Dion bien Phu politique de la guerre d'Algérie « https://www.socialgerie.net/spip.php?article 313 ; Histoire coloniale et postcoloniale, décembre 1960 : Alger manifeste pour l'indépendance ; https:// ..histoirecoloniale.net/décembre1960-Alger-manifest-pour

69- اقتنع الجنرال ديغول من خلال معايشته لهذه المظاهرات بان لابديل عن استقلال الجزائر، حيث كتب في مذكراته « ان ما رايته بأم عيني خلال خمسة أيام وما سمعته باذني وما تغلغل في أعماق فكري ترك لدي انطباعا واضحا عن حقيقة وضع الجزائر ان الحرب أصبحت شبه منهية والفجوة بين الطائفتين عميقة: الفئة المسلمة مقتنعة بان لها الحق في الاستقلال وانها ستحصل عليه وان معظم الأوروبيين مصممون على ان يحجبوا عنها ذلك مهما كلف الامر» شارل ديغول، مذكرات الامل، مرجع سابق، ص 106-107

70-نتيجة لدور الاعلام العالمي وكشف للحقائق انقسم الراي العام الداخلي الفرنسي، حيث أصدرت بعض الجمعيات المناهضة للاستعمار وثيقة شارك فيها رجال الفكر والادب في نهاية 1960، امضتها 121 شخصية فرنسية، واستنكر رجال الكنائس ما جرى ويجري في الجزائر وطالبوا الحكومة الفرنسية بفتح تحقيق والشروع في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني لوقف القتال: انظر: « تدويل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة « http//:www.fondalimmali.org/le11decembre1960.htmi

حول تعليق وسائل الاعلام العالمية على المظاهرات راجع المجاهد، رقم 75، سحب خاص، 19 ديسمبر 1960، وحول تعليق جريدة نيويورك تايمز على المظاهرات انظر:

Un autre regard sur l'histoire et l'avenir de l'Algérie ; http://www.fondationmessali.org/le11de-cembre1960.htmi

المناسب لحسم القضية الجزائرية بشكل نهائي في إطار الأمم المتحدة، حيث شرعت الجمعية العامة في مناقشة القضية في اليوم الثاني للمظاهرات، أي يوم الاثنين 12 ديسمبر 1960. ويؤكد ذلك تدخل المندوب السويدي M. Astrom أمام اللجنة الأولى للجمعية العامة بقوله أنه شعر بضرورة التنديد بقوة بالتصرفات الوحشية التي ارتكبت آنذاك على الأراضي الجزائرية انتهاكا للإعلان العالمي لحقوق الانسان واتفاقيات جينيف لسنة 1949. [71]

برز تأثير مظاهرات 11 ديسمبر على سير اشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة من خلال تغير مواقف العديد من الدول التي كانت مساندة للموقف الفرنسي في الدورات السابقة للجمعية العامة. ومن ذلك مثلا انسحاب فنزويلا من كتلة الدول الامريكية اللاتينية المؤيدة لفرنسا. حيث اعلن المندوب الفنزويلي M. Sosa Rodriguez في هذه الدورة ان مظاهرات 11 ديسمبر اثبتت انه رغم النوايا الحسنة للرئيس الفرنسي تجاه القضية الجزائرية فان سنوات الحرب الست وتناقض المصالح المتعلقة بالمشكلة الجزائرية تجعل من الصعب جدا تنظيم استفتاء حر في الواقع، الا اذا جرى تحت رعاية منظمة دولية حيادية كمنظمة الأمم المتحدة. [72] بل ان تغيير المواقف امتد لدول أوروبية غربية هامة كان دورها بارزا ومؤثرا في النقاش لدعم القضية الجزائرية، كالنمسا، أيسلندا، فنلندا والسويد، كما سبقت الإشارة.ومن جهة أخرى وقع في شهر سبتمبر من نفس السنة (1960) حدث هام أثر كثيرا على سير المناقشات في الجمعية العامة لصالح فرنسا، حيث انضم الى عضوية الأمم المتحدة 13 دولة افريقية كانت مستعمرات فرنسية [73] منحتها فرنسا الاستقلال لاستخدامها في استراتيجيتها في الأمم المتحدة لتمرير سياستها في النقاش والتصويت، على الأقل لضمان استمرارية النقاش العام الغامض غير المتوج بقرارات رسمية كما جرى في الدورتين السابقتين للجمعية العامة « (الدورتان 13 و14).

71-نظر:
Documents officiels des Nations Unies, Débats, 1ere commission, A-C 1 –SR, 1133 eme séance.

72- قال المندوب الفنزويلي:
Les tragiques événements de la semaine passée (journées des manifestations) ont prouvé que, malgré les bonnes intentions du président de la république française, les six années de guerre et le conflits d'intérêts engendré par le problème algérien rendraient excrément difficile, l'organisation d'un référendum véritablement libre, à moins que celui-ci n'ait lieu sous les auspices d'une organisation internationale, impartiale, telle que l'organisation des Nations Unies. », *Ibid*.

73-هي : الكاميرون، الكونغو برازافيل، كوت ديفوار، الداهومي، الغابون، فولتا العليا، مدغشقر، النيجر، جمهورية افريقيا الوسطى، التشاد، التوغو (انضمت هذه الدول في 20 سبتمبر 1960)، مالي والسنغال « (انضمتا في 28 سبتمبر)

وباستثناء ثلاث دول هي غينيا، مالي والطوغو، فان الدول الأخرى والتي توصف ب « مجموعة برازافيل» [74] اتخذت موقفا موحدا ومنسجما في النقاش والتصويت تميز بالغموض والعداء لمطالب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ولعل تصريح المندوب السنغالي بالجمعية العامة – كمنسق لهذه المجموعة – يلخص هذا الموقف، حيث اعلن انه يجب على منظمة الأمم المتحدة ان تعرف حدودها، فلا يمكنها في الواقع ان تفرض حلا، بل لا يمكنها ان تقر اجراء ما، فعليها فقط ان تخلق مناخاً مناسباً لعودة الحوار بين الفرنسين والجزائريين. [75]

النقاش في الجمعية العامة كان منقسما اذن بين كتلتين من الدول، فئة الدول الافرو اسيوية التقليدية، التي بفضلها سجلت المسألة الجزائرية سنة 1956 على جدول اعمال الجمعية العامة وصدرت بشأنها لائحتان سنة 1957، وفئة الدول المؤيدة للموقف الفرنسي. بالنسبة للفئة الأولى فإن المناخ الذي وفرته مظاهرات 11 ديسمبر ملائم لاقتراح حل حاسم للقضية الجزائرية بإصدار لائحة دقيقة الصياغة تستجيب لمطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة المتمثلة في الانهاء الفوري للحرب من خلال مفاوضات مباشرة بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية وتطبيق حق تقرير المصير المفضي لاستقلال الجزائر عن طريق اجراء استفتاء تتحمل منظمة الأمم المتحدة مسؤولية ضمان تنظيمه ورقابته.

ومن الجانب الاخر سعت فرنسا-من خلال مؤيديها- بما في ذلك مجموعة برازافيل، الى عرقلة اصدار أي لائحة او على الأقل ربح وقت أكبر يسمح اما بالقضاء على الثورة او تطبيق حل يضمن استمرار تبعية الجزائر لفرنسا.

74-حاولت هذه الدول تنسيق سياستها تجاه القضية الجزائرية في اطار تبعيتها لفرنسا حيث عقدت اجتماعين: الأول في ابيجان في شهر أكتوبر 1960 والثاني في برازافيل من 15 الى 19 ديسمبر 1960 وكان منسق المجموعة المندوب السنغالي، G. D'Arbousier المرجع السابق ص 155 – 156 راجع: Mameri ، مرجع سابق، ص. 155-156

75- صرح المندوب السينغالي بما يلي:

« L'Organisation des Nations Unies…doit reconnaître ses limites : elle ne peut, en effet, ni imposer une solution, ni même une procédure ; elle doit se borner à créer le climat nécessaire à la reprise du dialogue entre français et Algériens « document officiel des Nation U. A/C 1 -SR, 1129 -ème séances.

تبنت مجموعة الدول الافرو اسيوية مطالب الحكومة المؤقتة في مشروع لائحة قدمتها امام اللجنة الأولى للجمعية العامة تضمنت ديباجة وأربع فقرات.

أشارت الديباجة الى قراريها الصادرين في الدورتين 11 و12 (القرار1012 و1184 على التوالي)، وأبدت أسفها على عدم اجراء المحادثات بين الطرفين، وتعبيرها عن قلقها الشديد لاستمرار القتال بما يهدد السلم والامن الدوليين، إضافة الى مسائل جديدة تتعلق بقبول الطرفين لحق تقرير المصير كأساس لحل المشكلة الجزائرية، وبصفة خاصة ادراك الجمعية العامة للتوق الشديد الى الحرية الذي يخالج جميع الشعوب غير المستقلة والدور الحاسم الذي تقوم به هذه الشعوب» لنيل استقلالها، وكذلك قناعتها « بان لكل الشعوب حقاً غير قابل للتصرف في الحرية التامة، وفي ممارسة سيادتها وفي سلامة اقليمها القومي».اما المنطوق فنص على ما يلي:

1-الاعتراف « بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي الاستقلال ».

2-إدراك الحاجة الماسة الى توفير ضمانات كافية فعالة للتأكد من إعمال حق تقرير المصير بنجاح وإنصاف على أساس احترام وحدة الجزائر وسلامتها الإقليمية.

3- لاعتراف « كذلك بان على الأمم المتحدة مسؤولية الاسهام في اكمال الحق بنجاح وإنصاف».

3-قرار الجمعية العامة بانه سيجري استفتاء في الجزائر تنظمه منظمة الأمم المتحدة وتراقبه وتشرف عليه يحدد بمقتضاه الشعب الجزائري بحرية مصير دولته بأكملها.

حظي مشروع المجموعة الافرو اسيوية بموافقة اللجنة الأولى للجمعية العامة بأغلبية 47 صوتاً ومعارضة 20 وامتناع 28 دولة عن التصويت وأحيل الى الجمعية العامة للمناقشة والاعتماد.

أمام هذا الموقف حاولت مجموعة برازافيل إفشال المشروع امام الجمعية العامة بعد ان تلقى مندوبوها تعليمات بذلك من دولهم اثناء اجتماعهم في برازافيل من 15 الى 19 ديسمبر 1960، حيث اقترحوا تعديلين على مشروع اللجنة الأولى.

التعديل الأول يتعلق بموضوع اصبح تقليديا وهو دعوة الأطراف المعنية بالنزاع « les parties intéressées au conflit » للدخول في مفاوضات بدون شروط مسبقة أو إقصاء، ويعد هذا الاقتراح تراجعا عما تحقق في دورتيها 12و13 واللتين أشارتا الى دخول طرفي النزاع في مفاوضات. ويبدو من تدخل المندوب السنيغالي (منسق مجموعة برازفيل) أن هذا المقترح قصد به تمييع القضية أكثر بحيث يجب أن تتم المفاوضات بين الحكومة الفرنسية وممثلي الشعب الجزائري دون إقصاء، أي ممثلي الثورة وممثلي الأوروبيين المقيمين بالجزائر وربما كذلك ممثلي ما سمي «بالقوة الثالثة». [76]

أما التعديل الثاني فتعلق بإنشاء لجنة دولية خاصة يتم تحديد تشكيلها وتعيين أعضائها بالاتفاق مع الأطراف المعنية بالنزاع لتسهيل الاتصال بين تلك الأطراف واجراء المفاوضات. [77] ويبدو ان الغرض من هذا الاقتراح واضح بحيث قصد به اخراج القضية من نطاق الأمم المتحدة واحالتها الى لجنة دولية يمكن بسهولة عرقلة انشائها طالما ان تشكيلها وتعيين أعضائها يحتاج الى موافقة «الأطراف»، حيث يمكن مثلا لفرنسا ان تقترح ادخال ممثلين عن الأوروبيين المقيمين بالجزائر او عن المتواطئين معها (القوة الثالثة)، للحيلولة دون تشكيل اللجنة أصلا.

رفض هذان التعديلان، حيث نال الاقتراح الأول موافقة 39 دولة ومعارضة 31 وامتناع 25، بينما حظي التعديل الثاني بموافقة 39 دولة ومعارضة 22 وامتناع 35، وبالتالي لم يتحصل أي منهما على اغلبية الثلثين (2/3) المطلوبة لاعتماده من طرف الجمعية العامة. [78] يرجع ذلك بصفة أساسية الى النشاط الديبلوماسي المكثف الذي قاده مندوبو تونس والمغرب بدعم من مندوبي المالي وغينيا وبالتنسيق مع الدول الإسلامية ومجموعة الدول الافرو اسيوية.

76- راجع Mameri ، مرجع سابق ص 162.
77-انظر: Document A-L 334
78- المرجع السابق

وبناء على ذلك طرح مشروع اللجنة الأولى على التصويت امام الجمعية العامة حيث تحصلت الفقرات الثلاث الأولى على اكثر من نسبة الثلثين المطلوبة. [79] اما الفقرة الرابعة المتعلقة بتقرير مسؤولية الأمم المتحدة عن تنظيم الاستفتاء ومراقبته والاشراف عليه فلم تحصل على الأغلبية المطلوبة حيث وافق عليها ممثلو 38 دولة واعترضت عليها 33 وامتناع 23.

ربما ساهمت الصياغة التي تمت بها الفقرة الرابعة وإصرار الدول التي قدمتها في اللجنة الأولى ، أي مجموعة الدول الافرو اسيوية على التمسك بها، في استخدامها كذريعة لرفضها . فقد نصت تلك الفقرة على ان الجمعية العامة «تقرر» اجراء استفتاء في الجزائر، بدلاً من كلمة «توصي» نظراً لأن سلطة الجمعية العامة في هذا المجال تنحصر وفقا لميثاق الأمم المتحدة، في التوصية. ويرجع تمسك الدول الافرو آسيوية بهذه الصيغة إلى رغبتها في حسم المشكلة الجزائرية نهائيا في هذه الدورة في ضوء المعطيات السابق الإشارة اليها والمناخ المناسب لذلك، ولأنها تشكل جوهر الحل المنشود، حيث رغبت هذه الدول في تجاوز النص على تقرير المصير الى وضع ضمانات لتطبيقه عمليا في مواجهة دولة كبرى استعمارية من خلال تحميل منظمة الأمم المتحدة مسؤولية ضمان أن يجرى «استفتاء حر ناجح وعادل» تنظمه المنظمة وتراقبه وتشرف عليه عمليا.

رغبة في تفادى الانتقادات المتعلقة باستخدام كلمة «تقرر» قدمت قبرص اقتراحاً لتعديل الفقرة الرابعة من مشروع لائحة اللجنة الأولى بحيث تستبدل كلمة «تقرر بكلمة «توصي» وكلمات «استفتاء منظم، مراقب وتحت اشراف» بجملة «تحت رعاية» منظمة الأمم المتحدة، بحيث يتوافق ذلك مع سلطات الجمعية العامة بمقتضى الميثاق. ورغم ذلك لم يعتمد هذا الاقتراح لعدم حصوله على أغلبية الثلثين المطلوبة. [80] مما يؤكد أن الصياغة استخدمت كذريعة وأن الغرض الأساسي كان محاولة افراغ اللائحة من

79-اعتمدت الفقرة الأولى بموافقة 83 صوتاً دون معارضة وامتناع عشر»10» دول عند التصويت، واعتمدت الفقرة الثانية بموافقة 73 دولة دون معارضة وامتناع 20 عن التصويت، اما الفقرة الثالثة المتعلقة بمسؤولية الأمم المتحدة عن المساهمة في اعمال حق تقرير المصير بنجاح وانصاف فنالت موافقة 70 دولة ومعارضة 10 دول وامتناع 14 عن التصويت، انظر:

(XVème session, 20 décembre 1960, résolution 1573 XV)

80-تحصل الاقتراح على 52 صوتا ومعارضة 27 وامتناع 17 مندوباً عن التصويت، راجع:

Documents A.L.333

جوهرها الحقيقي. لم يبق إذن سوى التصويت على مشروع اللجنة الأولى مع حذف الفقرة الرابعة، حيث نال المشروع رقما قياسيا من الأصوات، باعتماده من طرف 63 دولة وامتناع 27 دولة ومعارضة 08 دول فقط من بينها ست دول افريقية من مجموعة برازفيل [81] رفقة جنوب افريقيا.

قد يعتبر هذا الموقف المخزي من مجموعة برازافيل جديراً بالإشارة لأنه تزامن مع مناقشة الجمعية العامة في نفس الدورة لقرارها التاريخي حول تصفية الاستعمار، أي القرار 1514 والذي اعتمد لاحقا بالإجماع، رغم أنه يمكن اعتبار الامتناع عن التصويت من دولة افريقية موقفاً عدائياً تجاه شعب يكافح من اجل استقلاله. [82]

الا أن فشل اعتماد الفقرة الرابعة من مشروع اللجنة الأولى لا يحجب النجاح الحاسم الذي تحقق في هذه الدورة سواء من حيث محتوى اللائحة الصادرة عن الجمعية العامة أو من حيث تأثيرها على حسم القضية الجزائرية مستقبلا. فقد تم الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال، وليس مجرد تقرير المصير، خاصة بالمفهوم الذي طرحه الجنيرال ديغول في خطابه في شهر سبتمبر 1959، إذ فهمت المجموعة الدولية مطلب الشعب الجزائري المعبر عنه في مظاهرات 11 ديسمبر 1960، وقد سجلت ديباجة اللائحة 1073 ذلك بنصها على أن الجمعية العامة «تدرك التوق الشديد الى الحرية الذي يخالج كل الشعوب غير المستقلة، والدور الحاسم الذي تقوم به هذه الشعوب لنيل استقلالها». ولم تكن الفقرة الثانية من اللائحة اقل أهمية بتأكيدها على «وحدة الجزائر وسلامتها الإقليمية»، اذ يعتبر ذلك رفضا صريحا لمحاولة فرنسا تجزئة الإقليم باقتطاع الصحراء أو الجزء الأكبر منه. ما يمكن استخلاصه إذن أن مظاهرات 11 ديسمبر 1960 سرعت من وتيرة تسوية المشكلة الجزائرية، ولم يبق أمام فرنسا سوى الاستسلام وقبول هذه الأرضية كأساس للتسوية في السنتين اللاحقتين.

81-هي الكاميرون، الكوت ديفوار، الغابون، فولتا العليا، مدغشقر والتشاد

82- قارن Mameri ص 164.

2-تأثير مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على حق تقرير المصير

يمكن ابراز مدى تأثير مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على حق تقرير المصير من خلال تأثيرها على بلورة هذا الحق واعماله في الميدان وكذلك من حيث تطوير محتواه.

2-1 - تأثير القضية الجزائرية على إعمال حق تقرير المصير:

يستفاد من الاحداث التي وقعت في فترة قصيرة قبل المناقشات التي جرت في إطار الجمعية العامة للأمم المتحدة بصدد القضية الجزائرية وكذلك من تلك المناقشات مدى تأثير القضية الجزائرية ومظاهرات 11 ديسمبر على اعمال حق تقرير المصير، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بعض الدراسات التاريخية تشير الى أن المظاهرات لم تكن تلقائية بل تم التخطيط لها مسبقا وأسندت مهمة تنظيمها في الجزائر العاصمة لقيادة الولاية الرابعة.

كما أن تنظيم مظاهرات فيفري 1957 التي سبقت الإشارة اليها تؤكد استراتيجية قادة الثورة الجزائرية القائمة على محاولة لفت انتباه الراي العام العالمي بصفة عامة، والمجتمع الدولي بصفة خاصة في إطار الأمم المتحدة الى مأساة الشعب الجزائري وبشاعة الاستعمار الفرنسي وعدالة القضية الجزائرية.

وأهم هذه الاحداث إقدام فرنسا في سبتمبر 1960 كما سبقت الإشارة، على منح 13 دولة مستعمرة افريقية استقلالها تنفيذاً لاستراتيجية ثلاثية الأبعاد:

1-أولها التفرغ داخليا للقضية الجزائرية بتركيز كل إمكانياتها المادية والبشرية للقضاء على الثورة الجزائرية

2-محاولة تزيين صورتها على المستوى الخارجي، خاصة في إطار الأمم المتحدة، وبالتالي خلق ظروف مناسبة لربح وقت إضافي فيما يتعلق بالقضية الجزائرية، من خلال استخدام هذه الدول كمجموعة منسقة للتأثير على سير النقاش في الجمعية والتصويت لصالح المشروع الفرنسي، وهو الدور الذي قامت به مجموعة برازافيل كما سبقت الإشارة.

3-تهيئة الظروف المناسبة لخلق ما يسمى «بالقوة الثالثة» لتجسيد شعار «الجزائر – جزائرية « بالمفهوم الديغولي كبديل لشعار»الجزائر-فرنسية» المرفوض. [83]

83- قارن Mameri ص 151

ولتأكيد تأثير القضية الجزائرية على منح الاستقلال لهذه الدول تجدر الإشارة الى تدخل المندوب الغيني السيد Touré امام الجمعية العامة حيث علق على موقف دول مجموعة برازافيل المؤيد لقيام الجنيرال ديغول بتنظيم استفتائه ورفض تلك الدول لتحمل الأمم المتحدة مسؤولية تنظيم ورقابة الاستفتاء في الجزائر بقوله» من المحزن رؤية ممثلي الدول الافريقية يباركون مثل هذه الخيانة تجاه الشعب الجزائري « [84] . وكان السيد GABA المندوب الغيني أكثر وضوحاً في هذا المجال حيث خاطب الدول الافريقية التي صوتت ضد مشروع اللائحة الذي أعدته الدول الافرو-اَسيوية بقوله أن إخواننا في المجموعة نسوا بأن فضل استقلالكم يعود في جزئه الأكبر الى شجاعة وتضحيات الشعب الجزائري. [85] يستشف مما سبق أن القضية الجزائرية كانت سببا في تصفية الاستعمار في عدد كبير من الدول الافريقية في نهاية سنة 1960. [86]

2-2 - تأثير مظاهرات 11 ديسمبر 1960 على تطور مفهوم تقرير المصير

يظهر جليا مدى تأثير القضية الجزائرية على بلورة مفهوم تقرير المصير وتطوره من خلال اللائحة رقم 1073 الصادرة عن الجمعية العامة في 19 ديسمبر 1960 حول القضية الجزائرية وكذلك النقاش المتزامن معها والمتعلق بالقرار رقم 1415 الخاص بتصفية الاستعمار.

فاللائحة رقم 1073 تضمنت إشارات جديدة تتعلق بالبعد الفلسفي لحق تقرير المصير وعلاقته بالحقوق والحريات الأساسية للإنسان، فهو حق مرتبط بالحرية وبالكرامة الإنسانية، ولا يمكن الحديث عن أي حقوق أو حريات في ظل الاستعباد. لذلك اشارت ديباجة هذا القرار الى إدراك المجموعة الدولية مجسدة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، «للتوق الشديد الى الحرية الذي يخالج جميع الشعوب غير المستقلة، والدور الحاسم الذي تقوم به هذه الشعوب لنيل استقلالها».

84- أنظر:

Documents officiels des Nations Unies ,A-C.1-SR,1133 ème séance

85-قال:

« …nos frères dits de la communauté ont déjà oublier qu'ils doivent en grand partie leur indépendance au courage et aux sacrifices du peuple algérienne » Ibid.

86-من المعلوم كذلك أن استقلال كل من تونس والمغرب يدخل في هذا السياق في بداية الثورة الجزائرية قصد التفرغ للقضاء عليها.

والأهم من ذلك التأكيد على الطبيعة المميزة لهذا الحق من حيث عدم إمكانية التنازل عنه لعلاقته بالحرية الفردية من جهة وعلاقته بكيان الدولة في حد ذاتها وحقوقها الأساسية، وأخصها حقها السيادي وسلامتها الإقليمية متى تعلق الامر بحق جماعي للشعب بأكمله كعنصر أساسي من عناصر وجود الدولة. لذلك نصت الفقرة الأخيرة من القرار 1073 على اقتناع الجمعية العامة «بأن لكل الشعوب حقا غير قابل للتصرف في الحرية التامة وفي ممارسة سيادتها، وفي سلامة اقليمها القومي».

كما تجدر الإشارة الى تزامن مظاهرات 11 ديسمبر مع مناقشة الجمعية العامة لمشروع القرار التاريخي 1514 المتضمن إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة. لذلك نجد أن الفقرتين السابقتين من ديباجة القرار 1073 تضمنتها حرفيا ديباجة القرار 1514 في فقرتيها الثالثة والأخيرة على التوالي.

كما تضمنت الديباجة ومنطوق هذا القرار الإطار المفاهيمي والفلسفي لحق تقرير المصير بدءاً بتعريفه، حيث أشارت الفقرة الثانية من القرار أنه يشكل الأداة التي بمقتضاها «تحدد (جميع الشعوب) مركزها السياسي وتسعى بحرية الى تحقيق انمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي». وبذلك تضمن هذا التعريف مختلف أبعاد حق تقرير المصير.

أبرز القرار كذلك أهمية علاقة حق تقرير المصير بمختلف حقوق الانسان وحرياته الأخرى من حيث أن تحقيقه يعد « شرطا أساسيا للضمانة الفعلية والاحترام الفعلي لحقوق الانسان الفردية، ولتعزيز هذه الحقوق وتقويتها» [87]

من الاستحداثات التي أدخلها القرار كذلك اعتباره تقرير المصير كشرط أساسي لتحقيق استقرار السلم والامن الدوليين، سواء من حيث أن الاخلال به يعد تهديداً مباشراً للسلم والامن العالميين « نظراً للمنازعات المتزايدة الناجمة عن إنكار حرية الشعوب أو إقامة العقبات في طريقها»، أو أنه يشكل تهديداً غير مباشر بسبب اعاقته لإنماء مختلف صور التعاون الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للشعوب غير المستقلة، بل أن الاخلال به « يناقض مثل الأمم المتحدة للسلم العالمي».

87-راجع تعليق اللجنة المعنية بحقوق الانسان، الدورة الحادية والعشرون (1984)، التعليق العام رقم 12، المادة الأولى، وثيقة الأمم المتحدة: HRI/ GEN/1/Rev.1.

ولعل أبرز تقدم في التوسع المفاهيمي لحق تقرير المصير ربطه بالسيادة الاقتصادية للشعوب من حيث استئثارها بثرواتها الطبيعية دون تدخل أجنبي، إذ يخول حق تقرير المصيرللشعوب «التصرف بحرية في ثرواتها ومواردها الطبيعية دون الاخلال بأية التزامات ناشئة عن التعاون الاقتصادي القائم على مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولي».

وبناء على هذه الأهمية لحق تقرير المصير أعلنت الجمعية العامة رسميا «ضرورة وضع حد بسرعة وبدون قيد أو شرط للاستعمار بجميع صوره ومظاهره»،« وينبغي الاَ يتخذ أبدا نقص الاستقرار في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي ذريعة لتأخير الاستقلال»، حيث أنه « لا يمكن مقاومة عملية التحرر وقلبها».

ولا شك في ان الظروف التي نوقشت في ظلها القضية الجزائرية وظهور بوادر حسمها النهائي في إطار الجمعية العامة في الدورة الخامسة عشرة، بعد أن خسرت فرنسا كل اوراقها القانونية والسياسية واضطرارها للاعتراف رسميا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وبعد التحول الجدري طرأ على مواقف الدول النافذة دوليا بعد مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي ابرزت مأساة الشعب الجزائري وتمسكه باستقلاله، خاصة الولايات المتحدة الامريكية ودول أوروبية غربية أخرى وقبلها الاتحاد السوفياتي، [88] والصين إضافة الى الدور النضالي الذي قامت به الدول الافرو آسيوية، هذه الظروف هي التي مهدت لاعتماد القرار 1514 بالإجما

بعبارة أخرى ازاحت المسالة الجزائرية أكبر عائق امام تطور حق تقرير المصير عالميا، لان الامر كان يعني فرنسا كدولة استعمارية وكعضو أصلي دائم في مجلس الامن المشكل من 11 دولة فقط، خمسة منهم دائمون. [89] كما أن نفوذ الدول الغربية و سيطرتها على المجلس كان واضحا. يظهر مما سبق دور مظاهرات 11 ديسمبر في تسريع وتيرة تسوية

88-غم أن بيان الرئيسين خروتشوف والجنيرال ديغول ببارس من 23 مارس الى 03 أبريل 1960 لم يتضمن أي إشارة الى المسألة الجزائرية [راجع Annexes de l'année publique 1960 , P.U.F., Paris ,p.641] إلا أنخروتشوف هو من اقترح بتاريخ 23 سبتمبر 1960 تسجيل اعلان منح الاستقلال للبلدان و الشعوب المستعمرة على جدول أعمال الجمعية العامة [انظر الوثيقة A/4561,23 septembre 1960 et A/4502 ; 23septembre 1960].

89- أصبح عدد أعضاء مجلس الامن 15 عضواً بعد التعديل الذي ادخل على ميثاق الأمم المتحدة سنة 1963 ودخل حيز النفاد في 31 أغسطس 1965 ، انظر:

Amendments to articles 23,27 and 61 y the charter the United nations adopted by the General assembly the United nations resolution 1991 A and B (XVIII) of 17 December 1963 , Official Records the General Assembly, Eighteenth Session , supplement N 15 (A55 15)

المشكلة الجزائرية التي كان تأثيرها واضحا على أعمال حق تقرير المصير ومنحه مفهوما أوسع وأكثر تطوراً، حيث نجم عن ذلك توسع كبير في اعمال الحق بمفهومه الجديد، إذ تحصل عدد كبير من المستعمرات على استقلاله عقب ذلك مباشرة، وارتفع عدد أعضاء الأمم المتحدة من 82 دولة سنة 1959 الى 113 دولة 1962، [90] من بينها الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية التي انضمت للمنظمة بتاريخ 08 أكتوبر 1962 بعد حصولها على استقلالها استناداً الى لائحة جديدة صادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 19 ديسمبر 1961 (اللائحة رقم 1724 (الدورة 16) ذكرت فيها بلوائحها السابقة و ناشدت الطرفين استئناف المفاوضات بغية إعمال حق الشعب الجزائري في تقرير المصير و في الاستقلال، مع احترام وحدة الجزائر وسلامتها الإقليمية، وهو ما تحقق فعلا بإجراء الاستفتاء الشعبي حول تقرير المصير بتاريخ الأول من شهر جويلية 1962 وإعلان استقلال الجزائر في الخامس من نفس الشهر.

فتح بعد ذلك المجال لتطور حق تقرير المصير بعد ادراجه في المادة الأولى من العهدين الدوليين لحقوق الانسان لسنتي 1976: العهد الدولي للحقوق المدنية والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بحيث أصبحت جميع الدول الأطراف في هذين العهدين ملزمة تجاه جميع الشعوب، التي لم تتمكن من ممارسة حقها في تقرير المصير او حرمت من إمكانية ممارسته، وليس تجاه شعوبها فحسب، أن تعمل على تحقيق حق تقرير المصير وأن تحترم هذا الحق. فالالتزام له طابع عام ببعديه الإيجابي والسلبي، إما باتخاذ إجراءات إيجابية لتسهيل تحقيقه واحترامه، أو بالامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى والتأثير بذلك سلبا على ممارسته. [91] وتأكد هذا المفهوم الجديد لحق تقرير المصير بعد ذلك بمقتضى القرار 2625 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والعشرين سنة 1970 الذي تضمن إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الأمم المتحدة. [92] بذلك أصبح حق الشعوب غير المتمتعة بالحكم الذاتي أو المستعمرة في تقرير مصيرها معترفاً به على نطاق واسع كقاعدة عرفية من قواعد القانون الدولي. تأكدت طبيعة هذا

90-أنظر:
Grouth in United Nations Membership , 1945–present/ United Nations , http://www.un.org/en/sections/member-states/growth-united-natio...

91-تعليق اللجنة المعنية لحقوق الانسان، مرجع سابق

92- أنظر وثيق الأمم المتحدة رقم 2625/RES/A (XXV)

الحق من طرف منظمة الأمم المتحدة وأجهزة دولية أخرى، بما فيها محكمة العدل الدولية. [93] وتظهر عناصر هذه القاعدة العرفية في قرارات الجمعية العامة والآراء الاستشارية لمحكمة العدل الدولية وممارسة الدول خلال الفترة الاستعمارية [94] والقواعد الدولية التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة واتفاقيات حقوق الأنسان، خاصة عهدي 1966. وقد أكدت محكمة العدل الدولية الطابع العرفي لهذه القاعدة في العديد من آرائها الاستشارية. [95] بل أن حق الشعوب المحتلة وغير المتمتعة بالحكم الذاتي في تقرير مصيرها ارتقت الى مصاف القواعد الآمرة في القانون الدولي بعد أن أدرجت اتفاقية فينا لقانون المعاهدات هذه القواعد في القانون الدولي الوضعي بمقتضى مادتيها 53 و64. [96] كما اعتبرت محكمة العدل الدولية الالتزامات التي يفرضها حق تقرير المصير على جميع الدول بأنها التزامات في مواجهة الكافة(erga omne) [97]

93- راجع الهامش رقم 19 أعلاه.

94 -أنظر:

L. Hanauer, "The Irrelevance if Self-Determination Law To Ethno-National Conflict: A New Look At The Western Sahara Case", 9 Emory Int'l L. Rev 133 (1995), p. 138.

95-من هذه القضايا:

Legal Consequences for States of the Continued Presence of South Africa in Namibia (South West Africa) notwithstanding Security Council Resolution 276 (1970), Advisory Opinion, I.C.J. Reports 1971, pp. 31-32, paras. 52-53 ; Case Concerning East Timor (Portugal v. Australia), Judgment, I.C.J. Reports 1995, p. 102, para. 29; and Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territories Opinion on Construction of Wall, I.C.J. Reports 2004, p. 136.

96-حول الطابع العرفي لقاعدة الحق في تقرير المصير أنظر الرأي الانفصالي للقاضي Ammoun في قضية الاثار القانونية للدول نتيجة استمرار تواجد جنوب افريقيا وناميبيا (جنوب غرب افريقيا)

Legal Consequences for States of the Continued Presence of South Africa & Namibia (South West Africa) Notwithstanding Security Council Resolution 276, Advisory Opinion, I.C.J. Rep. 1971, p.16 at 64

وكذلك:

I. Brownlie, PRINCIPLES OF PUBLIC INTERNATIONAL LAW (3rd ed. 1979), p. 83; Karen Parker, "Understanding Self-Determination: The Basics", , Presentation to First International Conference on the Right to Self-Determination, United Nations, in Geneva (August 2000), http://www.humanlaw.org/determination.html ; H. Gros Espiell, "The Right to Self-Determination", U.N. Doc. E/CN.4/Sub.2/405/Rev.1, U.N. Sales No. E.79.XIV.5 (1980); and Karen Parker & Lyn Neylon, "Jus Cogens: Compelling the Law of Human Rights", 12 Hastings Int. & Comp. L. Rev. (1989), p.411 at 440-41

97-انظر مثلا:

Legal Consequences for States of the Continued Presence of South Africa in Namibia, Op. Cit., pp. 31-32, paras. 52-53; Western Sahara, Advisory Opinion, I.C.J. Reports 1975, pp. 31-33, paras. 54-59) ; and Legal Consequences of the Construction of a Wall in the Occupied Palestinian Territories (2004) Op. Cit., p.172 .

خاتمة

شكل حق تقرير المصير السلاح القانوني الحاسم الذي استخدمته الثورة الجزائرية لتدويل قضيتها في نضالها السياسي والديبلوماسي في مختلف المحافل الدولية، وخاصة في إطار الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث رجح هذا الحق الذي اعتبره ميثاق الأمم المتحدة كمقصد أساسي من مقاصدها وأهدافها على مبدأين اخرين مماثلين ركزت عليهما نفس الأداة (الميثاق) وهما مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية أو ما يعرف بالنطاق الداخلي المحفوظ او المحجوز للدولة تتصرف فيه بحرية بعيدا عن رقابة القانون الدولي ومبدأ السلامة الإقليمية للدولة و اللذاين وظفتهما فرنسا في معركتها السياسية و القانونية داخل الأمم المتحدة، و قد توفرت ظروف واحداث سياسية محلية و دولية ساهمت في ترجيح كفة حق المصير تقرير لصالح الجزائر على حساب الحجج و المصالح الفرنسية .

وبالمقابل كانت «المسألة الجزائرية» سببا مباشراً وغير مباشر في التأثير على حق تقرير المصير سواء من حيث اعماله او من حيث تطوره وتوسيع نطاقه مفاهيميا وفلسفيا. فقد تم إعمال الحق لشعوب أخرى، خاصة على مستوى القارة الافريقية، حيث منحت فرنسا في سبتمبر 1960 الاستقلال ل 13 دولة افريقية كانت مستعمرة من طرفها بغرض التفرغ للثورة الجزائرية بتركيز كل الإمكانيات المادية والبشرية للقضاء عليها، وتبعها استقلال عدد كبير من المستعمرات الافريقية والاسيوية بعد ذلك حيث اكتسبت 31 دولة مستعمرة صفة العضوية في الأمم المتحدة خلال الفترة من 1960 الى 1962. [98]

قائمة المراجع:

- ابراهيمي عبد الحميد،2001، في أصل الأمة الجزائرية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان.
- ديغول شارل، 1971، مذكرات الامل، ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات لبنان، ص102.
- اللواب حسن حبيب، 2009، التونسيون والثورة الجزائرية، ج. 2، دار السبيل، الجزائر.
- سيد علي احمد مسعود، 2010، التطور السياسي في الثورة الجزائرية، 1960-1961، دار الحكمة، الجزائر.
- « تدويل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة

http//:www.fondalimmali.org/le11decembre1960.htmi

- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، مظاهرات 11 ديسمبر **1960**: wpcnerh/dz.nov54-cnerh.www

98-أنظر:

Grouth in United Nations Membereship, Op.Cit.

- Ageron Charles-Robert, 2005 , De « l'Algérie française » à l'Algé rie algérienne, vol. 1, ed. Bouchène, Paris, France.
- Alban Mahieu, 2001, «les effectifs de l'armée française en Algérie », in Jean-Charles Jauf fret et Maurice Vaisse, Militaires et gué rilla dans la guerre d'Algérie, Editions Complexe, Paris, France.
- Berta Paredero Moreno et Catalina Pajares Gay, Conseil de Sécurité Historique, Guerre d'Algérie, Au lendemain du bombardement de Sakiet Sidi Youssef du 8 février 1958,https://docplayer.fr/25258682-Conseil-de-securite-historique html
- Brownlie Ian, 1979, Principles of public of law, 3rd ed., Oxford:Clarendon Press.
- Brun Jean-Pierre, 2016, D'Azzedine a Si Salah, Une étude sur « La paix des braves, éd. Dualpha Paris, France.
- Cop, and Eymirlioglu Dogan, " The right to Self-Determination in International Law . To wards the 40th Anniversary of the Adoption of ICCPR and ICESCR", Perceptions, (Winter 2005), pp. 115-146. URL:sam.gov.tr/wp-content/.../BurakCopAndDoganEymirlioglu. pdf
- Cassese Antonio, 1995, Self- Determination of People: a Legal Appraisal, Cambridge, Cambridge University Pressp.
- Christakis Theodor, 2015, Self- determination, Territorial Integrity and fait accompli in the Case of Crimea, Max Planck Institute.
- Corten Oliver, 2011, "Territorial Integrity Narrowly Interpreted: Reassessing the Classical Inter-State Paradigm of International Law", 24 Leiden Journal of International Law.
- Flory Maurice, juin 1957, « La politique coloniale des Nations Unies », Revue de l'Action Populaire
- Flory Maurice, 1959, »L'Algérie et droit international«, in Annuaire Français de Droit In ternational, n° 5, pp.817-844.
- Griffioen Christine, 2010, Self- Determination as a Human Right The Emergency Exit of Remedial Secession, Science Shop of Law, The Netherlands.
- Gros Espiell H., "The Right to Self-Determination", U.N. Doc. E/ CN.4/Sub.2/405/Rev.1, U.N. Sales No. E.79.XIV.5 (1980);
- Hanauer L., 1995, "The Irrelevance if Self-Determination Law To Ethno-National Con flict: A New Look At The Western Sahara Case", 9 Emory Int'l L. Rev 133.
- Inigo Urrutia, 2017, "Territorial Integrity and Self-determination: The Approach of the International Court of Justice in the Advisory Opinion on Kosovo", 16 REAF, No.

- Irwin M. Wall, 2006, Les Etats Unis et la guerre d'Algérie. Préface de George- Henri Soutou, éd. Soleb , Paris, 2006.
- Limara B, « 11 décembre 1960 le Dion bien Phu politique de la guerre d'Algérie » : https:// www.socialgerie.net/spip.php?article 313.
- Mameri Khalfa, 2010, Les Nations Unies face à la question Algérienne, 1954-1962, ENAG Editions, Alger.
- Mathiot, 1948, « Les territoires non autonomes et l'application de la Charte des N.U. », R.J.P.U.F., p.405 ; et « Le contrôle des N.U. sur l'administration des territoires non auto nomes », R.J.P.U.F., 1949, p.26.
- Parker Karen & Neylon Lyn, 1989, "Jus Cogens: Compelling the Law of Human Rights", 12 Hastings Int. & Comp. L. Rev.
- Parker Karen, 2000, "Understanding Self-Determination: The Basics", Presentation to First International Conference on the Right to Self-Determination, United Nations, in Geneva (August 2000), http://www.humanlaw.org/determination.html ;
- Pomerance M., 1982, Self- Determination in Law and Practice: the New Doctrine in the United Nations, The Hague: Martinus Nijhoff Publishers.
- President Wilson's Fourteen Points, World War I, Document Archive, 1918 Documents https://wwi.lib.edu/index.php/president_Wilson's_fourteen_P...
- Stora Benjamin, 2009, Le mystère De Gaulle ,Son choix pourl'Algérie, éd. Robert Laffont, Paris, France.
- Sukarno (Koesno Sosrodihardjo), 24 avril 1955, Discours d'ouverture de la conférence Afro-Asiatique de Bandoeng, http://www. cvce.eu/content/publication/2001/9/5/88d 3f71c.../publishable_ fr.pdf
- Summersm J., 2007, People and International Law: How National ism and Self- Determi nation Shape a Contemporary Law of Nations, Leiden, Martinus Nijhoff Publishers.
- Tunkin G., 1974, Theory of International Law, Harvard University Press.

مصادر: تاريخ الجزائر المعاصر
المجلد: 17 عدد: 1 سنة 2020
Maçadir: Contemporary History of Algeria
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/29

جمعية العلماء و الثورة الجزائرية في اهتمامات الاستخبارات الفرنسية ما بين 1956/1953

أ.د. أحمد مريوش
المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر
meriou cheahmed@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/05 تاريخ القبول: 2019/11/26

ملخص

إن دراسة نشاطات جمعية العلماء الجزائريين منذ تأسيسها الى نهاية الاربعينيات وجد مساحته لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم؛ إلا أن البحث والتحقيق في مدى مساهمة الجمعية في الثورة التحريرية ما زال يحتاج الى الدراسة و التمحيص، وهذا ما اردنا الوقوف عليه من خلال هذه الدراسة التي اعتمدنا في مادتها العلمية على تتبع الاستخبارات الفرنسية لنشاط الجمعية قبيل اندلاع الثورة والى غاية حلها سنة 1956. هل كانت للجمعية مساهمة في صناعة الحدث التاريخي لاندلاع ثورة أول نوفمبر، كهيأة رسمية في الجزائر، أو من خلال تواجد رئيسها الشيخ البشير الابراهيمي في القاهرة ؟ أو ان الجمعية لم تعر أي اهتمام وقتها لما كان يجرى على الساحة الوطنية؟ أم ان علاقة بعض من رجال الإصلاح بالثورة كانت بحسب اجتهادات فردية لا علاقة لها بالهيأة الرسمية؟ هذه بعض من التساؤلات التي حاولنا الوقوف عندها من خلال التقارير الفرنسية التي تابعت الموضوع بدقة، وذلك حتى نبعد بعض اللبس عن الموضوع و حتى نساهم في عملية الاثراء الموضوعي للتعريف بنشاط الجمعية في مسارها الحقيقي كغيرها من الجمعيات الوطنية الأخرى التي ساهمت في حركية البناء الحضاري للجزائر في مرحلة عصيبة من الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء المسلمين ، الاصلاح ، الاستعمار الفرنسي ، الحركة الوطنية، جريدة البصائر.

Abstract

The studies regarding the activities of the Association of Algerian Oulema covered mainly the period, from its creation until the end of the 1940s. This period has found its place among researchers of different intellectual tendencies. However, the subject regarding the participation of this Association in the effort of the revolution for independence has not yet been sufficiently studied. In this article, we try to fill part of these shortcomings, by examining documents, which we draw from sources of the French intelligence services. Indeed, those services had followed the activities of the Association, from the beginning of the revolution until its dissolution in 1956. We are trying to answer important questions: Did this association really contribute to the revolution of first of November ,1954 ,as an official body in Algeria ,or through the presence of its president ,Cheikh El-Bachir

El-Ibrahimi in Cairo? Didn't the Association pay attention to what was happening on the national scene? To what extent was the relationship of some reformers personalities with the revolution was just an individual initiative without any official relationship with the organization? These are some of the questions that we have tried to elucidate, by referr ring to reports from the French intelligence services, which have carefully monitored the activities of the Association.
We thus hope to remove some of the existing confusion, and contribute objectively to expose the activity of the Association of Oulema with regard to the other national associations, which contributed to the movement of Algerian cultural construction, during a difficult phase of the occupation.
Keywords : Association of Muslim Scholars, Reformism, French colonialism. Elbaça'ir.

Résumé

L'étude des activités de l'Association des Oulema Algériens n'a couvert principalement que la période, allant de sa création jusqu'à la fin des années 40. Elle a trouvé sa place chez des chercheurs de différentes tendances intellectuelles. Cependant, le sujet de la participation de cette Association dans l'effort de la révolution d'indépendance n'a pas encore été suffisamment étudié. Dans cet article, nous essayons de combler une part de ces insuffisances, en examinant des documents, que nous puisions dans des sources des services de renseignement français, qui ont suivi les activités de l'Association, du début de la révolution jusqu'en 1956. Nous tentons de répondre à des questions importantes: Cette association a-t-elle contribué réellement à la révolution du 1er novembre 1954, en tant qu'organisme officiel en Algérie, ou par le biais de la présence de son président, Cheikh El-Bachir El-Ibrahimi au Caire ? L'Association n'a-t-elle pas prêté attention à ce qui se passait sur la scène nationale ? Dans quelle mesure la relation de certains réformateurs avec la révolution a-t-elle été la manifestation d'une initiative individuelle sans aucun rapport officiel avec l'organisation ?
Telles sont quelques-unes des questions que nous avons essayé d'élucider, en se référant à des rapports des services de renseignement français, qui ont surveillé attentivement les activités de l'Association. Nous espérons ainsi écarter la confusion existante, et contribuer objectivement à faire connaître l'activité de l'Association des Oulema à l'égard des autres associations nationales, qui ont contribué au mouvement de construction culturelle algérien, durant une phase difficile de l'occupation française.
Mots-clés: Association des Oulémas Musulmans, Réformisme, Colonialisme français, Elbaça'ir.

مقدمة

كثرا ما ينجر المهتم بسيرورة تاريخ الجزائر المعاصر وراء دعاة تزئة أحداثه و محاولة التشكيك في ثنايا معالمه وذلك من خلال تقطيع مراحله المختلفة وربطها بالأشخاص المحددة مع الاهمال للدور المجتمعي و مساهمة عامة الشعب في صناعة الحدث ، وقد

تولد عن ذلك تصور قاصر على أن دراسة الحركة الوطنية في نظر البعض تتمحور في حزب الشعب الممثل في حفنة من المناضلين تقودهم شخصيات معروفة و معدودة على الأصابع ، وهي التي وصلت بنضالها السياسي الى خط مسدود فيما بينها مما أدى ببعض مناضليها الى التبكير بتفجير الثورة التحريرية في غرة نوفمبر 1954 . لكن الواقع التاريخي غير ذلك و هناك اطراف أخرى ساهمت في صناعة الحدث كما نجده خلال هذه الدراسة

أ- إرهاصات الفكر الوطني قبل ثورة 1 نوفمبر 1954

ان الحركة الوطنية ليست ممثلة في حزب الشعب لوحده ، ولا في الانتصاريين بل هي نشاط شامل اقرت به الطبقة العامة الممثلة في تيارات متعددة شملت البيانيين و الانتصاريين و الشيوعيين و العلماء والمجتمع المدني ، وكل ناضل من وجهته الخاصة لمحاولة اصلاح شؤون الجزائر، مع العلم ان من فجر الثورة ينتسب الى مدرسة الانتصاريين لكن الثورة احتضنها الشارع المتشبع بالفكر الوطني الذي شرب من مرجعيات متعددة في ايديولجية الحركة الوطنية .

و من دون شك أن هذه النظرة الشمولية التي أنجبتها مدرسة الحركة الوطنية لم تكن غريبة عن سلطة الاحتلال وعن أعين الاستخبارات الفرنسية التي تتبعت نشاطات و تحركات كل التيارات السياسية التي كانت متواجدة في الساحة الجزائرية بما فيها نشاط جمعية العلماء المسلمين التي كان رئيسها بالقاهرة منذ 1952 ، ولكنها ظلت على ما عليه من نشاط عشية اندلاع الثورة التحريرية ، كما كانت في نظر الشرطة الفرنسية من بين التيارات التي تمكنت من توعية العامة و جلب الكثير منها الى مشروع التغيير الذي راهنت عليه مدرسة الإصلاح منذ العشرينيات ، وذلك ما اشار إليه أحد مناضلي المنظمة الخاصة محمد يوسفي(2002) بقوله: (عاملت السلطات الاستعمارية العلماء معاملتها رجال السياسة و اخضعت نشاطهم الديني لنفس القوانين التي تحدد المساس بالسيادة الفرنسية و لم تجد الادارة لتضمن لنفسها طمأنينة فعلية شيئا افضل من تهديدها هذه النخبة فأخذت تستفز انصارها و تعتقل وعاظها و تسعى لتحويل المدارس الحرة الى اوكار تجسس ، كما أخذت تكيد لشخصيات مرموقة كيدها المعهود ابتغاء الحط من سمعة الجمعية ووضع حد لتصرفاتها التي تناهض السيادة الاستعمارية الوهمية و لم تكتف الولاية العامة بخلق جو من الرعب المعنوي ترهب به العلماء و الجماهير التواقة الى الحرية. بل راحت تقرر وحدها رزنامة مختصة بشهر رمضان و الاعياد و الحج) قبيل

اندلاع الثورة بشهور افردت الولاية العامة جهازا استخباراتيا خاصا يتابع نشاط جمعية العلماء ورجالاتها وكانت تصدر مع نهاية كل شهر نشرية إسلامية خاصة تبرز التفاصيل الخاصة بتحركات و نشاطات رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لذلك لم تكن تحركات رجال الإصلاح بعيدة عن اعين سلطة الاحتلال منذ العشرينيات من القرن العشرين. وازداد اهتمام إدارة الشؤون الأهلية [1] بذلك بعدما كشفت الجمعية عن نشاطاتها السياسية علنا وأبدت عن تحالفها مع رجالات الحركة الوطنية منذ المؤتمر الاسلامي سنة 1936 الى التوافق حول ارضية البيان الجزائري في فبراير 1943 الى ميلاد البيان و الحريـــة في 14 مارس 1944 الـذي يعد نقة في الائتلاف بـــين التيارات الوطنية كـما عبـر عنها يوسـفي (2002) بقـولـه : (و مدت الحوادث يد المساعدة للعلماء و للمناضلين في صفوف حزب الشعب الجزائري و احباب البيان و الحرية ، فراحوا يوقعون معا بتاريخ 14 مارس1944 اتفاقا مبدئيا يتضمن كتمهيد سياسي استقلال الجزائر بلا قيود ولا شرط فوطد هذا الاتفاق وحدة الاهداف السياسية التي تبنتها المنظمات الوطنية الثلاث فشعر الشعب و زعماء هذه المنظمات بارتياح كبير، و منذ عام 1945 رفض فرحات عباس رسميا في مؤتمر احباب البيان كل نظام اتحادي مع فرنسا و دافع دفاعا شديدا عن استقلال الجزائر السياسي ، وتبنت بدورها جمعية العلماء التي شاركت في المؤتمر هذا الاقتراح المبدئي). و الظاهر ان تجربة التحالف ظلت هي السبيل الأوحد الذي قرب بين الجمعية ورجالات السياسة ، والأحزاب الأخرى ، إذ ظهر تحالف آخر بعد مذبحة الثامن ماي 1945 بمدينة سطيف وما جاورها التي لم تسلم منها كل التيارات ، مما ادى في نهاية الأمر الى ظهور التحالف من جديد في تشكيل التحالف المسمى بالجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها في 5أوت 1951 بعد تزوير الحاكم العام ناجلان للانتخابات (مريوش 2013)

ولعل الدارس لتاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر يستنبط الاشياء الكثيرة التي كانت توحي بضرورة تعميق حس اليقظة والمطالبة بالمكتسبات المسلوبة ، و لو تحتم ذلك بالعودة مرة أخرى الى حركة الجهاد ومقاومة فرنسا وكان ذلك واضحا خلال تصريحات بعض رجالها مثل، ابن باديس و الابراهيمي و الميلي و غيرهم ، ففي إحدى الخرجات الميدانية التفقدية التي كان يقوم بها المكتب الاداري للجمعية كل سنة الى مناطق مختلفة من الوطن ، خاطب العقبي سنة 1937 حوال 2500 من الجزائريين بميلة في تجمع شعبي

1 - إدارة الشؤون الأهلية :إدارة تابعة للحاكم العام تتولى حكم المسلمين الجزائريين على رأس هذه الادارة ضابط فرنسي يسمى مدير الشؤون الأهلية.

جماهيري قائلاً: لو طلبت منكم الجهاد ضد فرنسا هل تفعلون ذلك؟ و بصوت واحد كانوا يصغون اليه بروح دينية نعم ؟ لكنه اضاف مسرعا لن اطلب منكم ذلك في الوقت الراهن [2] ولذاك لم يكن الخطاب الديني ولا الكتابات النثرية ولا قول الاشعار خالية من الروح الوطنية النضالية التي تتماشى و مطالب الاحزاب الاخرى بما فيها حزب الشعب الجزائري ، وكانت الحركة الاصلاحية السلفية يشدها الماضي حنينا ووفاء ، فكانت في مختلف نشاطاتها نزوعا الى امجاد هذا الماضي ، ومبعثا له على اعمدة الصحف و المنابر و المدارس الحرة و تعزيز جانب المواطن ببطولات آبائه و أجداده ، و تحفيزه الى ان يكون جديرا بوراثة هذا التراث من البطولات و الامجاد[3] ومن دون شك أن صدى حيثيات الصراع الذي ألم بالتيار الاستقلالي و بروز الشرخ بين المصاليين و المركزيين لم يكن غائبا عن اهتمامات أنصار الجمعية و رجالاتها، و التي باتت هي بدورها كهيأة أو كأفراد منشغلة بما يجرى على الساحة الوطنية و حتى الدولية منها، و ظهر ذلك جليا
في نشاط حركة شباب الموحدين التي كانت ترابط بنادي الترقي مع نهاية الخمسينيات وبتوجيهات روحية من قبل الشيخ الطيب العقبي خطيب نادي الترقي ببطحاء الحكومة[4] (ساحة الشهداء حاليا) و قد راسل هؤلاء الشباب جامعة الدول العربية يناشدون من خلالها المجتمع العربي و الدولي للنظر بعين الاعتبار لانغالاتهم المرتبطة بقضايا الجزائر التحررية [5] .

ب- مساهمة جمعية العلماء في تعميق الفكر التحرري الوطني :

الحقيقة أن جمعية العلماء لم تكن بعيدة عن قضايا السياسة و مطالب الاحزاب الجزائرية على مختلف مشاربها ، ولو أنها لم تكن مرتبطة بذلك ارتباطا مباشرا بل كانت دوما تغازل البعض منها كما كان ذلك واضحا في المؤتمر الاسلامي سنة 1936 ، إذ كانت مطالب الجمعية واضحة المعالم و هي خادمة في نفس الوقت بعض مطالب التيارات الاخرى المشاركة ، و بالخصوص النجميين منهم و كان مطلب فصل الدين عن الدولة و

2 أرشيف آكس آن بروفانس بفرنسا رقم : 46هـ9.

3-الدكتور صالح خرفي ، (1971) الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث ، مجلة الثقافة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، مارس 1971، الجزائر

4-أرشيف آكس آن بروفانس رقم : 15 هـ 15 ، وكذلك : مريوش (2013)، الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،دار عرار الجزائر

5-مريوش أحمد ،(1989) أضواء على تاريخ شباب الموحدين ، جريدة المنتقد، عدد 3، الجزائر

حرية الديانة الاسلامية و استرداد اللغة العربية و العمل بمبادئ الاسلام و الدعوة الى التحرر الفكري و العقيدي كلها معالم واضحة في فكر النخبة الوطنية [6] والمتتبع لعلاقة الجمعية مع غيرها من التيارات الأخرى يجدها كانت دوما تجعل من شعرة معاوية وسيلتها في التعامل مع التيارات السياسية والتنظيمات المدنية المختلفة ، ولكنها لم تقطع الصلة و التشاور مع بعض قاداتها وكانت نظرة الجمعية في البحث عن الحلول متقاربة أحيان مع الشركاء السياسيين كما كان ذلك واضحا خلال فترة حكم البشير الابراهيمي للجمعية سواء خلال وثيقة البيان الجزائري في فبراير 1943 أو خلال الائتلاف الذي جمع العلماء و البيانيين و الانتصار الممثل في تشكيلة أحباب البيان و الحرية في مارس سنة 1944 و التي حلها الحاكم العام ايف شاتينيو في سبتمبر من نفس السنة بالتواطىء مع غلاة المعمرين بحسب ما ذكره فرحات عباس. [7]

و من دون شك أن حركية التكوين و الفعل الثقافي لدى مسار نشاطات الجمعية تغير بتغير موازين القوى التي تعيشها الساحة الوطنية ، وبحسب دراسة الدكتور قورصو فإن اهتمامات مدرسة الاصلاح تطورت مع مطلع الخمسينيات وأضحت مدارس الجمعية و نواديها تتقارب في مسعاها بما تقدمه مدارس الانتصاريين و حتى معاهد بعض رجال الزوايا منها معهد الكتانية الذي اصبح تحت ادارة الشيخ بلحملاوي بقسنطينة ، والذي أصبح ينافس معهدا بن باديس حتى وصل عدد طلابه الى 600 طالبا [8] و قد يخطئ من يحمل رجال الجمعية أولوية التحضير المباشر للثورة التحريرية التي فجرها تيار الاستقلال في غرة نوفمبر 1954 ، ولكن من العدل أيضا ، وتثمينا للحقائق التاريخية، يجب العمل الآن على عدم إقصاء رجال الإصلاح من مرحلة بناء الدولة الوطنية وغرسهم للثقافة الاستقلالية في قيم الأمة الجزائرية من خلال مجالات عملهم المتنوعة ، و بالخصوص المطالبة باستعادة مقومات الهوية الوطنية التي تعد الركيزة الاساسية في تحقيق الاستقلال الجغرافي والسيادي للأمة الجزائرية. وقد أشار الى ذلك ابن باديس في محاضرة له بعنوان : الشعب الجزائري لن يموت ، ومما جاء في بعضها قوله : إننا شعب خالد ككثير من الشعوب ، وإنما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود ، ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر و المستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين اللغة العربية لغة الدين ، لغة الجنس ، لغة

6-مجلة الشهاب ، المجلد 12، الجزء 4، جويلية 1936

7- فرحات عباس (2005) ليل الاستعمار، تعريب ابو بكر رحال ، دار القصبة للنشر الجزائر.

8-URASC Oron : (1988) lettrés intellectuels , et militants en Algérie 1881L1950 ; éd 0PU ; Alger

القومية ، لغة الوطنية المغروسة [9]. و الظاهر ان الاستخبارات الفرنسية كانت تتابع كل صغيرة وكبيرة عن نشاط الجمعية ، وظهر ذلك جليا عشية اندلاع الثورة في تقرير لها بعنوان : الأحزاب الوطنية في الجزائر, خصت به نشاطات التيارات السياسية و منها الجمعية و اشارت الى مساهمة ابن باديس في ذلك ، وصنفتها ضمن الاعمال الموجهة للتحرر من الوجود الاستعماري ، بل قارنتها بما كان يدعو إليه مصالي الحاج بقولها كانت أفكار ابن باديس منذ الثلاثينيات تتقارب الى حد كبير مع افكار مصالي الحاج [10].

والمتتبع لنشاط التيار الإصلاحي و ما تركه من إرث تراثي كبير شفويا أكان ام مكتوبا يجد في محتواه الشيء الكثير الذي اسهمت من خلاله الجمعية ببرنامجها من محتويات فكرية وعقدية واجتماعية اسهمت في التنظير لرؤية جزائرية مبنية على الدين واللغة و الوطنية الصادقة ظلت سبيل دعاة الحركة الاصلاحية في منهجهم لتكوين الجيل الجديد، و كان ذلك واضحا حينما جعل ابن باديس مع منتصف العشرينيات شعاره الهام على رأس جريدة المنتقد : الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء وظل كذلك وكتب سنة 1937في الشهاب بقوله : و قد أعلناه يوم قلنا على رأس جريدة المنتقد (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء) و سرنا على مقتضاها الى اليوم في كل ما قلنا وكتبنا و سنبقى عليها ككل مسلم جزائري حتى نلقى الله أن شاء الله

أشعب الجزائر روحي الفدا لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها فكانت سلاما على البشرية [11]

و مما سبق ذكره نخلص الى القول ان الفكر الاستقلالي لم يكن غائبا عن المخرجات التي كانت ترصدها الجمعية في برنامجها الاصلاحي ، و قد حدثني أحد طلبة ابن باديس و هو الشيخ احمد حماني أن الثورة كانت متأججة في روح و نشاط ابن باديس و قال لطلبته في اوائل 1940 ابان الحرب العالمية الثانية : والله لو وجدت عشرة من عقلاء الامة يوافقوني على إعلان الثورة لأعلنتها[12]

ولعل ذلك ما اشارت إليه بعض تقارير الاستخبارات الفرنسية التي كشفت عن قوة

9 -جريدة البصائر، العدد171، السنة الرابعة ، 22 جوان 1939 ، وكذلك : مريوش ، (2013) دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، ج1 ، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر

10-Les partis Nationalistes en Algérie ;Archive d Aix en Provence ;10H87

11 محمد الميلي ،(1972) بن باديس و عروبة الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر

12 - محاثة شخصية مع أحمد حماني بتاريخ :1984/01/11 بمقر المجلس الاسلامي الأعلى بالعاصمة ، وكذلك : الدكتور فهمي سعد ،(1980) حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب بيروت

التواصل بين الجمعية و باقي التيارات الوطنية الأخرى منذ عودة الابراهيمي من المنفى وتجلى ذلك التواصل سنة مشاركة الجمعية في تأسيس جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها في اوت 1951 [13] بعدما تنوعت مطالب الجمعية من كونها ثقافية دينية الى سياسية محضة تحت شعار الوطنية الاسلامية بحسب التقرير الفرنسي [14].

والظاهر أن اندلاع الثورة في كل من تونس والمغرب زادت من إحساس الوطنيين الجزائريين ورجال الفكر و الإصلاح بضرورة الاسراع لتفعيل القضية الجزائرية و التجاوب مع أحداث المغرب العربي ، علما ان التواصل بين حركات التحرر و شعوب منطقة المغرب العربي كانت قوية بل توصلت الى التفكير في تشكيل جيش المغرب العربي الموحد ، وكان ذلك واضحا في تصريح احمد توفيق المدني واستنكاره لما يجرى ضد التونسيين من قبل سلطة الحماية الفرنسية ، وقد نشر ذلك التصريح في جريدة البصائر الصادرة في جوان 1954، [15]

ج- نماذج من نشاطات رجال الجمعية عشية تفجير الثورة :

أشارت الدورية الفرنسية التي تخصصت في معاينة نشاطات الحركة الوطنية وتتبع أثر رجالاتها أن الفكر السياسي كان واضحا في برنامج و نشاطات الجمعية خلال صائفة 1954 ، وذلك ما جاء على لسان الشيخ مصباح الحويدق[16] في خطبة خلال شهر رمضان بمدينة معسكر، و قد أثنى فيها على جهود المغاربة و التونسيين في مقاومتهم للاحتلال الفرنسي كما دعا الى ضرورة مقاطعة البضائع الاوروبية و فرض الحصار على تجاراتهم (16) بحسب ما ذكرته نشرية الاستعلامات الفرنسية التي كان ينشرها Services des liaisons Nord Africain المكتب الثاني للحاكم العام بالجزائر باسم:

وكانت المصلحة تجمع تقاريرها السرية في نشرة شهرية خاصة توجه للحاكم العام تحت إسم «نشرية شهرية للقضايا الاسلامية» ، وبنفس النغمة تقريبا ذكرت النشرية خطبة

13 - جريدة المنار ، العدد 7، الموافق لـ: 15 أوت 1951 ، وكذلك :مريوش ، محاضرات ،

14 -جاء في التقرير الصادر في جويلية 1951 أن عدد مدارس الجمعية بلغ 54 مدرسة حرة يدرس بها 18 الف تلميذ، و يؤطرهم 178 معلم ، زيادة على 79 مدرسة قرآنية بها 8.500 طفل و130 معلم قرآن للمزيد أنظر: Archive d Aix en Provence;10H87

15-جريدة البصائر الصادرة في 11جوان 1954

16 -الشيخ مصباح الحويدق من مواليد وادي سوف درس بالزيتونة بتونس وتولى التعليم بمدارس جمعية العلماء ، كما نصب على ادارة مدرسة معسكر بالغرب الجزائري ، خدم الثورة بفكره و لسانه من خلال انتسابه للمنظمة المدنية ، اعتقل سنة 1956 برفقة مجموعة من المثقفين منهم عبدالقادر الياجوري وعباس سليمان و محمد المجاجي و أحمد الثابتي وعبد القادر بودربالة و محمد الجزائري ومحمد الطاهر الاطرش و قد نقلت ادارة سجون الاحتلال هذه المجموعة من معتقل الى آخر أصعبها معتقل آفلو بحسب شهادة أحد المعتقلين المدعو محمد الاطرش ، وبعد الاستقلال تولى الحويدق الامامة بمسجد الحراش بالعاصمة و انتقد سياسة بومدين الاشتراكية وتعرض للضغوطات حتى وفاته .للمزيد أنظر: شهادة مخطوطة للمجاهد محمد الأطرش مؤرخة في 17مارس 1984

الشيخ السعيد الزموشي [17]التي القــاها في تدخله بمدينة تلمسان أمام جمهورغفير من الجزائريين وحثهم على الوحدة بغية تحقيق التضامن ورفض سياسة فرنساغير العادلة [18]وفي 14 من شهر أوت 1953 شدد الشيخ الزموشي مرة أخرى من لهجته في خطبة الجمعة ضد سياسة فرنسا المنتهجة في دول الجوار و خص بالذكر الاجراءات التعسفية التي يتعرض لها الشعب المغربي و هي لا تختلف في شيء عما يتعرض له الشعب الجزائري واعتبر التقرير الفرنسي ان دعوة الزموشي كانت لصالح التضامن بين شعوب منطقة المغرب العربي ، و بنفس النغمة والاهتمام تقريبا خاطب توفيق المدني جمهور الغرب الجزائري خلال زيارته للقطاع الوهراني من نفس السنة [19] كما تابعت ادرة الاستخبارات نشاط الشيخ العربي التبسي[20] و سلطت عليه الاضواء لما كان يقوم به خدمة للجمعية في غياب الابراهيمي وكان أكثرتشددا من الشيخ خير الدين ففي 20 فيفري 1954 قام بزيارة الى القطاع الوهراني لتفقد مؤسسات الجمعية و ذكر الحضور بأن فرنسا سوف يأتي يوم لترحيلها من الجزائر، و على كل الجزائريين المساهمة في تحقيق هذا المطلب [21]

و في 15 مارس 1954 صرح الشيخ الزموشي من مدينة تلمسان من خلال تجمع شعبي أن الغرض من رحلات رجال الجمعية هي المعاينة و الوقوف عند قضايا الجزائريين بغرض تجديد و تحسين صورة الإسلام و محاربة الخوف و تحرير الجزائر من العبودية و يقصد

17- ذكر الباحث خيترعزيز إن النشرية بدأت في الصدور مع مطلع 1950 واستمرت الى غاية 1957 لكن السنوات الاولى غيرمتوفرة و غير منتظمة باستثناء سنوات 1955و1956 للمزيد انظر: خيترعزيز، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال بعض تقارير الاستخبارات الفرنسية 1956/1954 ، مجلة حوليات التاريخ و الجغرافيا ، العدد8، ديسمبر2014 ، ص 424 ، وكذالك : الحكومة العامة بالجزائر،مصلحة الربط شمال افريقيا ، نشريات دورية حول القضايا اسلامية ، ماي جوان 1954 ، ص 65

18 - الشيخ السعيد الزموشي (1960/1904)من مواليد 4 مارس 1904 بمنطقة العين البيضاء ولاية أم البواقي ، تابع دراسته في جامع الزيتونة و تحصل على شهادة التطويع ، و ساهم في نشاطات جمعية العلماء الدعوية و التربوية عمل خطيبا في المسجد الأخضر بقسنطينة و خدم الثورة واعتقل سنة 1956 و سجن لمدة 3 اشهروتوفي في 19 ديسمبر1960 للمزيد انظر: بوعلام قاسمي ولاخرون ، موسوعة أعلام الجزائر1962/1954، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954 ، ص61 ، وكذلك : Archive d Aix en Provence ;10H87

19 النشرية ، ماي جوان 1954، ص65

20-Direction de sûreté national en Algérie :sous direction des renseignent généraux : A. O. M. :16H74

21 الشيخ العربي التبسي (1957/1895) من مواليد منطقة تبسة حفظ القرآن على يد ابيه في سن مبكرة ،وزاول الدراسة بزاوية سيدي ناجي قرب بسكرة ، ثم زاوية مصطفى بن عزوزبنفطة التونسية ، ثم جامع الزيتونة سنة 1913 ، و في سنة 1920 التحق بجامع الازهر حيث نال الشهادة العالمية ، أخذ عن حركات النهضة العربية بالمشرق ، عاد الى الجزائر سنة 1924 و ناضل مع بن باديس منذ 1929 ، ساهم في تأسيس جمعية العلماء ،

وأسس بتبسة حركة تعليمية وكشفية وشبانية ورياضية، كما تولى نيابة رئاسة جمعية العلماء خلال مرحلة رئاسة الابراهيمي كما ساهم في تفعيل وتوجيه معهد بن باديس وخدم الثورة بقلمه ولسانه ومواقفه ونصحه عبان رمضان بالخروج من الجزائرلكنه رفض ذلك وظل مرابضا لخدمة الثورة حتى اختطفته فرنسا من بيته ببلكور في 4 مارس 1957 ليختفى عن الانظارللمزيد راجع : محمد الصالح بن عتيق (1990) أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإسلامية و الحركة الوطنية الجزائرية ، منشورات دحلب الجزائر وكذلك : حمزة بوكوشة ، (1971) اعتقال العربي التبسي ، مجلة الثقافة ، العدد 3، ، الجزائر

هنا قيود الاستعمار، و الظاهر أن الزموشي شدد من لهجته ضد فرنسا ففي 31 جويلية خطب امام جمهور سيدي بلعباس و حث الشباب على التنظيم و اليقظة باعتبار ان مطلب الجزائريين هو الحرية و الاستقلال [22]وتسابقت الأحداث وتوسعت الدعوة لمقاطعة الفرنسيين ففي خريف 1954 أشرف الشيخ الياجوري [23]بوهران على تنظيم اجتماع بمدرسة جمعية الفلاح التابعة للجمعية و تطرق في خطابه الى نبذ سيادة فرنسا و الدعوة للقطيعة معها ، مما ألهب من احساس وتعميق شعور الحضور، كما توالت تصريحات رجال الإصلاح في نفس الغرض ، ففي 27 سبتمبر1954 ذكر الشيخ مصباح مجددا الجزائريين بفحوى أسباب مشاكلهم الاجتماعية والسياسية ، وذلك في محاضرة القاها بمدينة مستغانم وبحضور أعضاء من البيانيين و الانتصاريين منهم المناضل حسين لحول [24]هذا الأخير الذي اشاد بجهود جمعية العلماء في مجال تربية الجيل ونشر التعليم و توسيع المعرفة و هي سبل كفيلة بتقوية الحس السياسي والفكر التحرري و هي معالم رافضة للاستعمار الفرنسي في الجزائر[25]

و الظاهر أن الطرح المساند للأخذ بمبدأ الاستقلال أصبح يوما بعد يوم يجد رواجه بين الإصلاحيين بعد العواصف التي ألمت بالانتصاريين حول فكرة التبكير بالإعلان عن الثورة و تشير التقارير الفرنسية أنه خلال تدشين مدرسة تابعة للجمعية بباتنة في الخامس من سبتمر 1954 حضرت الوجوه الاصلاحية لحفل التدشين ووقتها أعلن الكاتب العام للجمعية توفيق المدني أن توجه الجمعية اصبح واضحا و هو المطالبة بالاستقلال على غرار ما تطالب به الشقيقة تونس[26]

22 -: A. O. M. :16H74

23-نفســه

24- الشيخ الياجوري(1912/1991) من مواليد وادي سوف درس بالزيتونة ، ، بعد عودته للجزائر امتهن التعليم و الوعظ وكان قريبا من الشيخ عبد العزيز الهاشمي رئيس الطريقة القادرية ، سجن بقسنطينة سنة 1938 ، وبعدها نفي الى القطاع الوهراني ، وظل على علاقته برجال الجمعية العلماء وتولى عضوية مجلسها الاداري ، ويقال ان ميولاته السياسية كانت اقرب الى الانتصاريين منها الى البيانيين ، تولى التدريس بمعهد بن باديس و عضوية اللجنة العليا للتعليم ، كما تولى ادارة مدرسة الفلاح بوهران و خلال الثورة القي عليه القبض و اودع السجن حتى الاستقلال و خلال الاستقلال تابع نشاطه في ميدان التربية والتعليم حتى وفاته سنة 1989 للمزيد أنظر: سعد الله ،(2005) تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3و4، دار الغرب الاسلامي بيروت

25-حسين لحول (1917/1989) من مواليد منطقة سكيكدة ناضل في صفوف نجم شمال افريقيا ، وتولى تحرير جريدة الأمة لحزب الشعب الجزائري ، اعتقل سنة 1937 برفقة مفدي زكرياء ومصالي الحاج ، وضع تحت الإقامة الجبرية بمنطقة عين الصفراء ، ومنذ ازمة حركة الانتصار للحريات أصبح لحول من أكبر المركزيين المعارضين للتيار المصالي ، وفي جانفي من سنة 1955 انظم لجهة التحرير الوطني، هذه الأخيرة التي انتدبته ليكون ممثلا لها في الخارج مثل اندونيسيا و باكستان و أمريكا اللاتينية و بعد الاستقلال تولى إدارة الشركة الوطنية للنسيج .وتوفي سنة 1989 .للمزيد أنظر:

Benjamin Stora ; (1985) Dictionnaire Biographique de militants nationalistes Algériens 19261954/ éd Harmattan Paris

26 - نشرية سبتمبر1954 ، ص 100

وخلال هذه المرحلة تزايد الوعي السياسي أكثر مما كان عليه بين صفوف طلبة الجمعية وأضحى التقارب جليا بينهم وبين باقي الطلبة المنتمين للتيارات الأخرى وبالخصوص طلبة التيار الانتصاري ، وبحسب شهادة الدكتور محمود يعقوبي الذي كان طالبا وقتها بمعهد ابن باديس بقسنطينة فإن البعض من طلبة المعهد كانت لهم اتصالات مع طلبة ثانوية حيحي المكي للتشاور حول المستجدات التي آلت اليها الحركة الوطنية الجزائرية ونفس الرواية كررها الدكتور عثمان سعدي وهو وقتها كان طالبا في معهد ابن باديس قبل التحاقه بجامعة القاهرة[27] كما تشير التقارير الفرنسية أنه ما بين جويلية حتى سبتمبر 1954 لوحظ نشاط موسع لمجلس إدارة الجمعية الذي عرفته مدينة قسنطينة من قبل الشيخ خير الدين بحضور ابن الشيخ الحوسين في اوت وتمحور الكلام حول دعم المغاربة و التونسيين وفي 3 سبتمبر من نفس السنة نظم ابن الشيخ الحوسين تجمعا شعبيا في مدينة ندرومة بالغرب الجزائري وخاطب الجمهور بقوله : لا تعتقدون ان الجزائر نائمة بل هي متابعة لأحداث تونس والمغرب ، وبعد شهر أو شهرين وبأقل من سنة سوف تقوم هي ايضا بما تقوم به الدول العربية ،ولعله يقصد بذلك الكفاح المسلح وبنفس اللهجة خاطب المدني الجمهور الاوراسي في 5 سبتمبر 1954 لقد قاومتم الرومان وعاد الاستعمار مرة أخرى ومسؤولية الجميع تطهيره ، وبعد شهرين انفجرت الثورة بالاوراس بحسب التقرير[28] وقد أكدت هذه الشهادة ما جاء في النشرية الفرنسية التي ذكرت أن طلبة معهد ابن باديس خلال شهر نوفمبر 1954 أصبحوا أكثر يقظة واستنفاراً ودعوا في صلاتهم الى انتصار الحق على الباطل وانتصار الاسلام على الظلم ، كما شكلت لجنة للتعبئة مكونة من الاساتذة منهم : أحمد حماني ، وابراهيمي محمد وأحمد بن دياب ومن مهامها الدعوة الى التضامن بين الاساتذة والدعاة وطلبة المعهد وتلاميذ المدارس الحرة التابعة للجمعية بقسنطينة خدمة للقضية الجزائرية[29] كما يشير أحد التقارير الفرنسية أن نشاط الابراهيمي مع مطلع الخمسينيات كان له أثر واضح مع قيادات احزاب المغرب العربي وظهر ذلك جليا في الدور الكبير الذي قام به هذا الأخير في الدعوة لتأسيس لجنة الوحدة لحركة شمال افريقيا بباريس ، وذلك بتاريخ 2 فبراير 1952 والمكونة من حركة الانتصار والبيان والحزب الدستوري التونسي وحزب الاستقلال والحزب الاصلاحي

27- نشرية أكتوبر 1954 ، ص 108

28 -حديث خاص مع الدكتور يعقوبي بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة بتاريخ 2006/05/14 وكذلك : مريوش أحمد ،(2018) الحركة الطلابية الجزائرية ودورها القضية الوطنية وثورة التحرير 1954 ، ج1، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر

29 -: A. O. M. :16H74

المغربيين ، وكانت للشيخ يعلاوي عبد الرحمان بباريس نشاطات مكثفة خلال المهرجانات التي كانت تعقدها اللجنة نيابة عن الابراهيمي[30]

ويقال ان تواجد الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء بالقاهرة منذ 7مارس 1952 لم يؤثر كثيرا على نشاطات وسير الجمعية بالداخل ، إذ تشير النشرية أن العربي التبسي لعب الدور المنوط به وكان ذلك جليا خلال اجتماع المجلس الاداري للجمعية بالعاصمة بتاريخ 8 فبراير 1954 ، أذ ذكر التبسي مجددا بضرورة ربط صلة الجمعية بشخص الإبراهيمي بالقاهرة، وبحسب التقرير أن هذا الأخير يوجهها سياسيا ويعد من اهم القيادات بشمال افريقيا وان الجمعية تسعى دوما خلال نشاطاتها السياسية والشبانية لتعميق الوعي من اجل استقلال الجزائر[31]

كما تشير الدورية أيضا الى اتساع دائرة الحس السياسي لدى جماعة العلماء مع مطلع الخمسينيات ،كما تعايشت نشاطات مكتبها الاداري مع جل القضايا والمطالب التي كانت تقدمها التيارات السياسية الاخرى بما فيها تيار الاستقلال، ومن دون شك ان حركية رجال الجمعية تعد جزءاً لا يتجزأ من التحولات الجوهرية التي شهدتها الحركة الوطنية قاطبة ،وبالخصوص بعد المجازر الشنيعة التي ألمت بالجزائريين خلال الثامن ماي 1945 والتي لم تسلم الجمعية من نتائجها [32]

كما ذكرت النشرية أيضا أنه بتاريخ 10فيفري 1954 بعث الشيخ العربي التبسي وهو الاكثر راديكالية بين اعضاء الجمعية مقارنة بباقي زملائه من العلماء ببرقية احتجاج الى الوالي العام إتيان جوزيف ليونار الذي استغرق حكمه في الجزائر ما بين 1951 الى 1955، وكانت مطالب الجمعية تتمحور حول الاحتجاج ضد سلبية المجلس الجزائري الذي ظل بعيدا عن ايجاد الحلول الكفيلة لمشاكل الجزائريين العالقة [33]كما كانت لرجالات الجمعية خلال شهر مارس 1954 نشاطات معتبرة بالقطاع الغربي ففي مدينة مستغانم القى توفيق المدني محاضرة عبر من خلالها ان مصدر البؤس الذي لحق بالجزائريين مصدره سياسة فرنسا التعسفية غير عادلة التي جعلت من الجزائريين غرباء عن وطنهم وفي نفس الجولة صرح الشيخ الزموشي مدير دار الحديث بتلمسان بأن تدخل الادارة الفرنسية في الديانة الاسلامية منح الفرصة امام جهلة المستخدمين الذين استغلوا مناصبهم ، وأن الجمعية عازمة في سيرها على إحياء الدين الاسلامي الحنيف ، وتصفيته

30 - نشرية نوفمبر 1954 ، ص 119

31 -Direction de sûreté national en Algérie :sous direction des renseignements Généraux : A. O. M. :16H74

32-نشرية فيفري 1954 ، ص 3

33 -مربوش ، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، ج1، ص 179

من الشوائب البالية التي حجرت العقول التي لا تفكر في مسعى تحقيق حرية واستقلال الجزائر.[34]

و في 17 أكتوبر 1954 القى التبسي محاضرة بمدينة تبسة أوضح من خلالها ضرورة محاربة المدمنين على تناول و شرب الخمور ، إذ لا يجوز شرعا للمسلمين تناول المشروبات الكحولية لأنها تفسد العقول و تشيع الرذيلة بين الافراد ، كما دعا ايضا في خطبته الجزائريين إلى مقاطعة مقاهي المعمرين ، و هي استجابة من الجمعية للنداء الذي دعا اليه التيار الاستقلالي بزعامة حركة الانتصار وهي سياسة مدنية ترى في العصيان قوة و ضغطاً على مصالح فرنسا[35]

وقد شغل خبر تفجير الثورة وانتشار اخبارها إهتمامات المسؤولين على الإدارة المشرفة على التعليم الحر و المسجدي في مؤسسات الجمعية ، و تابعت الأخبار بما كان يجرى على الساحة الوطنية ، كما ساهمت في نشر البيانات التوضيحية بغرض التوعية و الاعلام كما جاء ذلك في محتوى معلقات ديسمبر 1954 بمعهد بن باديس و التي ذكرت بالإمكانيات و المراحل التي تسعى اليها قيادة الحركة الوطنية من أجل كسب الانتصار، وان مطلب الحرية مطلب شرعي ، كما حثت المعلقات على الدعوة الملحة للتحصين بالعلم و المعرفة و الحفاظ على اللغة العربية والدين الاسلامي و تشجيع تواصل تعليم الطلبة الذين اوفدوا الى المشرق لمواصلة التعليم .، ويشير التقرير أن استجابة الطلبة كانت واضحة ،و لأول مرة أنجز طلبة السنة الرابعة بالمعهد بح ثا حول العلم الجزائري [36]

د- الموقف الرسمي لجمعية العلماء من ثورة نوفمبر 1954 :

بعد اندلاع الثورة في غرة نوفمبر 1954 عبر مكتب جمعية العلماء بالقاهرة عن موقفه الصريح من الثورة الجزائرية وذلك ما نشرته الجرائد المصرية في 3 نوفمبر تحت عنوان الى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت ، ومما جاء فيه : حياكم الله ايها الثائرو ن الأبطال ، و بارك في جهادكم و أمدكم بنصره و توفيقه ، و كتب ميتكم في الشهداء الأبرار و حيكم في عبـــاده الأحرار لقد أثبــتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق .....) [37]

من دون شك أن تفجير الثورة أصبح الحدث الجامع للجالية الجزائرية على مختلف مشاربها بالمشرق العربي و بالخصوص مدينة القاهرة التي كانت ملتقى لرجال السياسة و

34 -نشرية فيفري 1954، ص 17

35 -نشرية مارس 1954 ، ص 24

36- نشرية أكتوبر 1954 ، ص 110

37-نشرية ديسمبر 1954 ، ص 135 .

الوطنيين و المثقفين الرافعين لراية التحرر ، ولذلك تكررت الكتابات و اللوائح الصادرة من مكتب جمعية العلماء منها ما نشر بتاريخ 15 نوفمبر 1954 بعنوان : «نداء الى الشعب الجزائري المجاهد نعيذكم بالله أن تتراجعوا» و النداء طويل و به الكثير من المحطات التوضيحية للجزائريين حول جرم فرنسا في الجزائر ومطالب الجزائريين التي ظلت مرفوضة و مواقف الجزائريين مع فرنسا في محنها و تنكرها لكل ذلك ، و ان الوقت قد حان للاستمرار في المقاومة و الوحدة ضد فرنسا وقد وصف البيان رجال الثورة بالأبطال وأن التراجع معناه الفناء الى ان يقول : «إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة فاملئوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ وهي ارث العروبة و الاسلام فيكم .....أيها الاخوة الأحرار هلموا الى الكفاح المسلح ....و كلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبنا و ألزمنا في اعناقنا إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب و يدفع عنا وعن ديننا العار فسيروا على بركة الله و بعونه و توفيقه الى ميدان الكفاح المسلح فهو السبيل الواحد الى احدى الحسنيين : إما موت وراءها الجنة ،و إما حياة وراءه العزة و الكرامة» ...[38]

من ذلك لم تكن مواقف رئيس الجمعية بالخارج تحيكها بعض الضبابية كما روج لها البعض بما فيهم رئيس الاستعلامات المصرية وقتها المدعو فتحي الديب الذي اهمل دور الجمعية و خص بالذكر جماعة حركة الانتصار و على رأسهم المناضل أحمد بن بلة كما جاء في قوله : «ومن المدهش و الغريب حقا ان يتوافد على مكتبي مندوبو الاحزاب الجزائرية و جمعية العلماء ليتطوع كل منهم بإخطاري بأنهم بدأوا الكفاح متناسين ان احزابهم كانت اول من قاد حركة المعارضة لأي كفاح مسلح واصفة اياه بالتهور و التهوس و تعجبت من هذا التبجح المتطاول على حق المناضلين الحقيقيين و سذاجة هؤلاء المندوبين وادعائهم متصورين انني بعيد عن الصورة و جاهلين لحقيقة دورنا في المعرفة و متابعة تنفيذ الكفاح منذ البداية ، واكتفيت بوعدهم بالنظر في طلب امدادهم بالمعونات المادية لضمان استمرار الثورة» ...[39]

و الظاهر ان فتحي الديب رئيس المخابرات المصرية أسس لكلامه و كأنه كان يجهل تماما نشاطات الابراهيمي قبيل الثورة ، علما أن هذا الاخير كان مثقلا بالكثير من النشاطات مع الاخوان و غيرهم من الجمعيات الأخرى التي لم تكن مفضلة في قاموس فتحي و حتى جمال عبد الناصر نفسه ، و ظل الحكم على الابراهيمي إخوانيا لا غير، و ذلك عكس ما ذكره المدني في مذكراته و نشرته جريدة البصائر وقتها و اشادت بالزيارة ، و أن زعيم

38- الفضيل الورتلاني ، (1992) الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر،

39 - محمد البشير الابراهيمي ، (1997) آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ، الجزء الخامس، ، دار الغرب الاسلامي بيروت.

الثورة العظيم البكباشي جمال عبد الناصر استقبل قبيل الثورة بأيام وفد الجمعية المكون من الابراهيمي و العربي التبسي و الورتلاني و احمد بوشمال و دارت المحادثات ساعة ونصفاً حول قضايا الجزائر و المغرب العربي[40]. هذا في حين هناك من يرى من الباحثين الجزائريين الذين عايشوا عن قرب بعض نشاطات الابراهيمي بالقاهرة و منهم الدكتور سعد الله الذي يملك بعض الخبايا حول أسرار الثورة ان نشاط الابراهيمي كان خادما للثورة منذ الوهلة الأولى وكما هو معلوم فإن سعد الله يعتبر من الطلبة الذين انشغلوا بالحدث كغيره من باقي الطلبة وكان مراسلا لجريدة البصائر من القاهرة و دون الكثير من الحيثيات في يومياته [41]

وقد تطرق سعد الله في كتاباته الى مساهمة الجمعية في القضية الوطنية وثورة التحرير و قال عن موقف الابراهيمي من الثورة أنه كان واضحا و لا غبار عليه يقول : وعندما أعلن الشعب ثورته كان الشيخ الابراهيمي أول من احتضنها من الزعماء رغم أنه كان في المشرق بعيدا عن الوطن[42]

في حين يرى بعض الباحثين في تاريخ الثورة ان اهتمام ادارة الجمعية لم تعطى العناية الواضحة لحدث بتفجير الثورة كما اشار الى ذلك محمد حربي الذي اعتبر ان الانتفاضة اي الثورة ليست حدثا بالنسبة للعلماء ولم يتلقوه بفرح ، ولعل الشيخ العربي التبسي الذي اغتاله الاستعماريون سنة 1956 هو الوحيد في صفوفهم الذي ادرك ان عهد الشرعية ولى ومضى ،وذلك على الرغم من مواقفه التي يغلب عليها الحذر و من افكاره المسبقة عن العناصر الراديكالية في حزب الشعب الجزائري [43]وعلى الرغم من أهمية كتابات حربي حول تاريخ الثورة ، فالظاهر أن احكامه ظلت عالقة بارتباطه الايديولوجي ونضاله مع التيار اليساري من جهة وكذا حساباته مع جهة التحرير و ما آلت إليه وضعية ازمة صائفة 1962 من جهة ثانية ، باعتبار ان الكثير من الدلائل لا تصب فيما قاله .

هـ- وسائل دعم الجمعية للثورة التحريرية :

لقد اشارت التقارير الفرنسية أن رجال الجمعية اعطوا من العناية الكبيرة لما كان يجرى من احداث عبر المناطق المختلفة ،كما فعل بعض الاساتذة من المدارس الحرة بقسنطينة

40 -فتحي الديب ،(1990) عبد الناصر و ثورة الجزائر ، ، دار المستقبل العربي القاهرة

41 -جريدة البصائر، العدد290 ، الموافق لـ:20 اكتوبر 1954

42- أبو القاسم سعد الله ،(2005) مسار قلم (يوميات) ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي بيروت

43- سعد الله ،(2005) أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار الغرب الاسلامي بيروت

إذ وزعوا مناشير يشرحون فيها افكارهم للجزائريين كما يخاطبون من خلالها وجدان أحرار الشعب الفرنسي ضد سياسة القمع الاستعمارية و رفض الاجراءات التعسفية الصادرة لسجن الجزائريين بدون مبررات واضحة و في مارس 1955 عبر العلماء صراحة عن رفضهم لسياسة الكولون الانتهازية في الكثير من الميادين منها الاستحواذ على اراضي الجزائريين و غلق المؤسسات الدينية و تحويلها الى كنائس و تدخل الولاية العامة في شؤون الديانة الاسلامية، و كانت الغاية تحريض الجزائريين على العصيان المدني [44] وكان القصد من ذلك محاولة قطع الطريق امام سياسة الحاكم العام جاك سوستيل الذي حاول مرارا مغازلة بعض العناصر من رجال الحركة الوطنية والنواب المنتخبين[45] كما تشير التقارير الفرنسية أنه بعد مرور شهر واحد فقط من تفجير الثورة استدعت ادارة الجمعية اساتذة المدارس الحرة و نصحتهم بالتحلي ببرودة الأعصاب من جراء الاستفزازات الاستعمارية و مراسلة مكتب الجمعية بكل مستجد[46]

و دائما بحسب ما ذكرته النشرية الفرنسية ، فإن موقف الجمعية من قرار حالة الطوارئ الذي فرضته الولاية العامة في الجزائر بعد اتساع رقعة العمليات الجهادية التي كان يباشرها المجاهدون ضد مصالحها كان واضحا و هو الرفض ، بل سعت هذه الأخيرة الى تقديم الدعم المالي للثوار، وزودتهم خلال شهر مارس 1955 بمليونين فرنك فرنسي ، كما سعت أيضا الى توفير أماكن مخصصة لتجميع الجزائريين و مد المساعدة لضحايا عنف الاستعمار الفرنسي [47] وهو عمل تضامني يزيد من شرعية الثورة وخلال رمضان سنة 1955 سعى رجال الجمعية الى تقوية العمل الدعوي بتعميق الخطاب الديني و تعبئة الاتباع والمناصرين و تحسيسهم أكثر بما يجرى على الساحة الجزائرية و شددوا أكثر على توعية عنصر الشباب المتوافد على المساجد والنوادي بغية تقوية الحس الوطني الموحد ، و تجلى ذلك في محتوى الكلمة التي القاها الشيخ محمد خير الدين رئيس الجمعية [48] ففي 24 افريل من نفس السنة خاطب الحضور قائلا: نحن نرفض دوما جور الاستعمار ونحارب مسعى الخونة الداعم للطغيان ، وقضية الشعب الجزائري حقيقة

44 -محمد حربي(2006) ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية

45- نشرية مارس 1955 ، و كذلك جريدة البصائر مارس 1955

46- Benjamin Stora ; (1995) Histoire de la guerre d Algérie 19541962/ ;éd la découverte : Paris

47-A. O. M. :16H74

48-نشرية أفريل 1955، ص 55

حية لا يمكن لأحد نكرانها ولا يمكن إلغائها ، ولن تكون رهينة كما يتصورها البعض [49]ومن دون شك ان حدث الثورة كان ضمن خطابات الجمعية سواء عند رئيسها بالقاهرة اولدى مندوبها بالداخل ، كما تابعت جريدة البصائر تحركات الثوار منذ انطلاق الشرارة الأولى للثورة وكتبت تحت عنوان :حوادث الليلة الليلاء جاء فيه فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلها بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين غرة نوفمبروبلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران[50] -

كما كانت للشيخ العباس بن الشيخ الحسين [51]اسهامات كبيرة وهو من العناصر الفاعلة في الجمعية بعد سفر الابراهيمي الى المشرق سنة 1952 ، ودعا هذا الأخير الى ضرورة تحرير المساجد وتوظيفها في الدعوة للوحدة لتقوية الصفوف وخدمة الوطن ، وأن الجزائريين مستعدون للتضحية من أجل تحقيق الهدف، وفي نفس السياق وفي افريل 1955 أصدرت إدارة معهد بن باديس بالتنسيق مع بعض مدراء المدارس الحرة فتوى جاء في محتواها أن الثوار(المجاهدون) هم محاربوا الحق الاسلامي وعملهم سيلقى جزاءه عن ربهم ، وأن استشدادهم من أجل الوطن جزاؤه الجنة [52] كما كانت أخبار الثورة الجزائرية حاضرة خلال بعض نشاطات العمل الجمعوي ، ففي ربيع 1955 عقدت الجمعية الخيرية[53]دورتها العادية بالعاصمة برئاسة الشيخ العقبي ، وهي جمعية يرعاها

49 - الشيخ محمد خير الدين (1902/1994) من مواليد بسكرة سنة 1902، درس بقسنطينة وأكمل دراسته بالزيتونة نشط رفقة فريق من الاصلاحيين بالزيبان خلال العشرينيات واسس معهم جمعية الاخاء لنشر التعليم والارشاد كانت له اسهامات كبيرة مع جمعية العلماء منذ التأسيس الى حلها ، تولى العضوية في المجلس الاداري ، ساهم في تأسيس شباب المؤتمر الاسلامي برفقة الأمين العمودي ، كما ساهم في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية وفي تأسيس لجنة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1952 كان قريبا من البيانيين خاصة عباس وسعدان استمالته الثورة الى صفوفها بعد مناورة الحاكم العام سوستيل للتفاوض مع بعض رجال الحركة الوطنية منهم عباس وخير الدين ، ومنذ 1956 اصبح ممثلا للثورة بالمغرب الاقصى لعلاقته القوية مع سلطان المغرب ، وعين عضوا في المجلس الوطني للثورة سنة 1958 ، وفي سنة 1976 أصدر برفقة عباس ولحول وبن خدة بيانا ضد سياسة بومدين ليعتقل حتى مجيء الرئيس بن جديد ورفعت عنه الرقابة حتى وفاته ببئرخادم بالعاصمة سنة 1994 .للمزيد أنظر: محمد خير الدين ،(1985) مذكرات الشيخ محمد خير الدين ج1و2 ، مطبعة دحلب الجزائروكذلك عن حوار أجريته معه بمنزله بتاريخ : 1985/10/25

50-نشرية أفريل 1955، ص 56

51 جريدة البصائر، السلسلة الثانية ، العدد292، الموافق لـ:5نوفمبر 1954

52-العباس بن الشيخ الحسين (1913/1989) ولد بسيدي خليفة بميلة سنة 1913 تعلم في زاوية العائلة ثم ارتحل الى جامعة القرويين بفاس وتحصل على العالمية منها ، وبعد اتمام الدراسة رجع الى الجزائروربط علاقته بالشيخ بن باديس هذا الاخير الذي انتدب للدعوة والإصلاح بعنابة وكانت له ارتباطات بحزب الشعب وخلال مجازر الثامن ماي 1945 القي عليه القبض من قبل سلطة الاحتلال و سجن بالحراش برفقة رجال الاصلاح ومناضلي حزب الشعب ، وفي سنة 1946 انتخب في المجلس الاداري للجمعية ، كما درس بمعهد بن باديس وتولى رئاسة الدعاية والتنظيم للجمعية ، وبعد اندلاع الثورة كلف بمهمة الى القاهرة سنة 1956 برفقة توفيق المدني من قبل عبان رمضان للتواصل مع الابراهيمي ، كما عين ممثلا للجبهة بالسعودية وجلب مكاسب مالية ومعنوية كبيرة للثورة ، وبعد الاستقلال تولى سفارة الجزائر بالسعودية ، كما تولى عمادة مسجد باريس حتى وفاته سنة 1989وبحسب ما ذكر عنه سعد الله فإن خطبه كانت تميل الى سياسة حزب الشعب للمزيد : سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج8 ، ص 117 ، وكذلك : بوقجاني أحمد ، (1999) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية ، اطروحة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر ص 55.

53 -نشرية افريل 1955، ص 57

رجال الإصلاح و يمولها رجال المال وتتلقى بعض الدعم من الولاية العامة وتشير النشرية الفرنسية أن الحضور للحفل كان كبيرا جدا، وخلال التجمع القى العقبي خطبة دلالية تتبعها الحضور الغفير و مما جاء في بعض فقراتها قوله : إبقوا ثائرين نحن كلنا إخوة و علينا وضع اليد باليد لتقوية الصف [54]والظاهر أن مصطلح الثورة لم يرد على لسان المحاضر مباشرة و لكن الدعوة للوحدة وتقوية الصف و تحقيق الاجماع الاخوي كان واضحا ، علما أن انتشار الثورة و احتضانها من قبل كل الجزائريين وقتها كان نسبيا ، ولم يلق رواجه بعد ، وهذا باعتراف بعض الأسماء التي ساهمت في الإعداد و التفجير والمتابعة للثورة ،وكان ذلك الاعتراف على لسان المجاهد لخضر بن طوبال الذي كان نشاطه وقتها في الولاية الثانية بقوله: كانت ميزانية الولاية الثانية لتفجير الثورة لا تتجاوز 60 الف سنتيم و لم يكن لدينا في البداية ما نبدأ به الثورة ،و أن زيغود كان عليه دين بـ:15000 سنتيم و بن عودة في عنابة في جيبه سوى 4500 سنتيم و معه من الرجال ثلاثة افراد و كانت الولاية الثانية كلها تضم 45 مجاهدا تحت قيادة زيغود يوسف الذي يعتبر أكبر واحد فينا معه عدد غفير من المجاهدين كانت هذه هي البداية الصعبة [55]كما تشير تقارير النشرية أيضا انه منذ منتصف الخمسينيات أولت خطب صلاة الجمعة في مساجد عديدة الكلام عن تقوية الدعوة الى التضامن الإسلامي و تعزيز ترابط الاخوة بين الجزائريين و إخوانهم في دول المشرق العربي و العالم الإسلامي ، لتوفر المقومات الحضارية المشتركة ،و أن المطالبة بالاستقلال حق شرعي ومن رغب من الكولون بالبقاء في الجزائر عليه ان يخضع للسيادة الجزائرية على ان تستمر العلاقات الاقتصادية .[56]

لعل المتتبع لموقف الجمعية من الثورة سواء كأفراد او كهيأة رسمية يجد تجاوبها يتضح أكثر مع تطور الأحداث واتضاح معالم الثورة وذلك كغيرها من الأحزاب و الجمعيات الأخرى ، و هذا ليس بالموقف السلبي منها و هي التي تعرف حقيقة العديد من قيادات الاحزاب، ولكن تفجير الثورة لم يصدر من هؤلاء الأقطاب ، لذلك عرفت الثورة خلال

54 الجمعية الخيرية الإسلامية تأسست بالجزائر العاصمة في ديسمبر 1933 وهي جمعية تتولى التكفل باليتيم وعابر السبيل و تقديم الدعم المادي و المعنوي للفقراء ، كما تتولى العناية بتعليم الاطفال والتكفل بقضايا المرأة ودمجها في المجتمع من خلال تقديم النصائح ومنحها بعض الوسائل مثل ماكنات الخياطة و الطرز لترقيتها اجتماعيا ، وكانت الجمعية تعقد اجتماعها السنوي في قاعة الماجستيك بباب الواد بغرض تقييم النشاطات السنوية وعرض المنتوج السنوي لنشاطات الجمعية ، وعادة ما كانت يخلص الاجتماع الى جمع التبرعات من الحضور لاستمرارية النشاط الخيري ، وتشير التقارير الفرنسية أن الجمعية كانت تتكفل بحوالي 6000 محتاج ، كما تقدم قرابة 300 وجبة غذائية في الشهور العادية و حوالي 1200 وجبة خلال شهر رمضان ، كما تأوي حوالي 500 مسكين ليلا للمزيد أنظر: نشرية أفريل 1955 ، ص 57 ، وكذلك : جريدة الصراط السوي ، العدد 16 ، السنة الأولى ، 1 جانفي 1934

55 -نشرية أفريل 1955، ص 56.

56 -للمزيد أكثر راجع حوار لخضر بن طوبال (1984) : حديث الرواد الأوائل للثورة ، مجلة الباحث ، العدد2، الجزائر

اسابيعها الاولى بعض الشك لقادة الجمعية اولغيرها من التوجهات الأخرى وفي ذلك الصدد يقول سعد الله :والذي يدرس تطور الاحداث خلال خريف وشتاء 1954 يدرك ان اللجنة التي كونت جبهة التحرير واعلنت الثورة لم تكن معروفة حتى لزعماء الحزب الذي خرجت منه فما بالك بقيادة التنظيمات الاخرى ولا سيما من كان منهم بالخارج مثل الشيخ الابراهيمي ومن الطبيعي ان يبادر الى تأييد الثورة والدعوة لها دون التسرع في الانضمام للهيكل الذي يقود الثورة [57]

بالرغم من الصعوبات المتنوعة التي اعترضت سبيل اتساع الثورة وانتشارها خلال السنة الاولى من اندلاعها ، فإن ذلك لم يقلل من زيادة انصارها والمتطوعين في صفوفها مما جعل البعض من رجالات الجمعية يشهر صراحة دعمه للثورة ففي 22 جويلية صرح الشيخ الياجوري من وهران بعد صلاة الظهر أنه على الجميع تحمل المسؤولية وأن المشاركة في الثورة أضحت ضرورة ماسة ، مع الزامية التكفل بعائلات الشهداء وجمع التبرعات تحت وصاية الجمعية لإيصالها الى قادة الثورة .[58]

وفي صائفة 1955 صرح العباس بن الشيخ الحسين أنه ارسل الى قادة جبهة التحرير الوطني قيمة مالية ، كما جهز مجموعة من الطلبة كمرشدين ودعاة ورجال قضاء لدعم جيش التحرير الوطني [59] ، وفي شهر أوت 1955 بعد عملية الهجوم التي بادرت بها قيادة الولاية الثانية في الشمال القسنطيني ضد المصالح الحيوية للفرنسيين ، وما نتج عنها من ردود افعال فرنسية إجرامية في حق المدنيين ندد وقتها الشيخ أحمد رضا حوحو[60] و جماعته من أساتذة معهد ابن باديس بالجرائم الفرنسية الشنعاء المقترفة في حق الجزائريين وعبروا عن ذلك الرفض من خلال محتوى رسالة احتجاج شديدة اللهجة التي بعثوا بها الى وزير الداخلية الفرنسي .[61]

57-شربة جوان 1955 ، ص 70

58-محمد البشير الإبراهيمي ،(2007) في قلب المعركة ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر

59- نشربة جويلية 1955، ص 79 .

60-نفسه .

61 -أحمد رضا حوحو من مواليد 1907 بسيدي عقبة تعلم العربية وحفظ القرآن بمسقط رأسه ، وادخله والده المدرسة الرسمية الفرنسية وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية انتقل الى سكيكدة لمواصلة دراسته في التعليم المتوسط ، وفي 1929 اسس الطيب العقبي بالمنطقة جمعية الشباب العقبي الثقافية وانخرط بها حوحو في مجال التمثيل ، وفي سنة 1935 سافر برفقة عائلته الى الحجاز وفي سنة 1946 عاد الى الجزائر وتواصل مع رجال جمعية العلماء ، كما تولى منصب الكاتب العام لمعهد بن باديس ، وكذا العضوية في المجلس الاداري للجمعية وأيضا عضوية لجنة التعليم العليا ، وفي سنة 1949 اسس برفقة زملائه جريدة الشعلة التي تولى رئاسة تحريرها ، وصبت جام غضبها على العقبيين كما اسس في نفس السنة جمعية المزهر القسنطيني للموسيقى والمسرح وخلال الثورة اعتقل سنة 1956 وسجن بالكدية ومنها ثم اعدامه بجبل الوحش بقسنطينة للمزيد انظر: اتحاد الكتاب الجزائريين ، الأدباء الشهداء ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1998، ص 123 ، وكذلك : / بوعلام قاسمي وآخرون ، (2007) موسوعة أعلام الجزائر 1962/1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر

ومع مطلع 1956 عبرت العديد من التيارات السياسية عن ولائها للثورة كما حدث مع البيانيين و الشيوعيين و حتى مع النواب ، واتضح الخيط الأبيض مـن الأسود ، و اصبح لزاما على الكثير من الجمعيات و نحوها التعبير عن مـــوقفها تجـاه الثورة بالتأييد او الرفض و وقتها أكدت إدارة الجمعية من الداخل أنها تحت تصرف القيادة ، و أن حركة الجهاد لن تتوقـف إلا إذا تحصلت الجزائر على استقلالها ، و أن حوار الادارة الفرنسية لن يكون سوى مع قادة الثورة وتجلت تلك المواقف صراحة خلال خطبة القاها الشيخ العربي التبسي في مسجد بولوغين بغرب العاصمة بتاريخ 13 جانفي 1956[62]

وذكر توفيق المدني بأن الكثير من رجال الجمعية كانوا على صلة بقادة الثورة بالعاصمة و كان مركز الجمعية بالعاصمة على صلة بالسيد ساطور الوسيط بينهم وبين الجبهة وتبودلت الرسائل بينهم ومن الذين ذكرهم المدني من الجمعية بوكوشة واحمد سحنون و الجيلالي الفارسي و مصباح الحويذق [63]

كما تشير التقارير الفرنسية أنه خلال سنة 1956 أصبحت الدعوة الى العصيان المدني و مقاطعة كل ما هو فرنسي بما فيه ما كان لدى يهود الجزائر باديا بشكل ملحوظ واضحا في النـــشاط الدعوي الذي يقـــوم به الكثير مـــن رجال الجمعيـــة و انصارها ، مع الضرورة الملحة الى تطبيق ما جاء في الشريعة الاسلامية من نصرة للثوار وتحريم الخمور والمسكرات، وترك الالبسة الغربية و غلق المحلات التجارية خلال صلاة الجمعة ، ورفض العمل لدى العائلات الفرنسية و اليهودية ، كما نشرت الجمعية عيونها لتقصي الحقائق وجمع المعلومات حول نشاط عناصر الامن الفرنسي و معرفة العناصر الفرنكفونية الخادمة لـفرنـــسا وكل ذلـــك بغرض تزويد و مساعدة الثورة [64]

كما عرفت منتصف الخمسينيات و ما بعدها حملة صريحة قادها البعض من رجال الجمعية ضد رجال الدين الرسميين الذين تولوا الوظيفة الدينية لدى فرنسا ، و كان شعار الحملة: الصلاة وراء المفتي او امام رسمي من قبل الادارة الفرنسية غير شرعية و هي حرام [65]مع العلم ان هذه الإشكالية قديمة طرحت للنقاش على صفحات جريدة صوت المسجد التي توقفت في 10 جانفي [66]1951،اعتبرت السلطة الفرنسية ان الحملة التحريضية ضد رجال الدين الرسميين ما هي سوى بداية تحضيرية للتصفية الجسدية

62- نشرية أوت 1955، ص 79

63- نشرية جانفي 1956، ص 3 .

64-توفيق المدني ، (2010) حياة كفاح مذكرات ، ج3، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر

65-نشرية أكتوبر 1956، ص 21 .

66-نشرية ديسمبر 1956، ص 22

بعد التأييد الواسع والعلني للجمعية ورجالها للثورة[67] وتلقت قيادة الثورة بكل ترحيب استجابة الجمعية ورجالاتها لحركة الـــجهاد ، وقلدت العلماء مسؤوليات ووظـــائف سامية في جبهة وجيش التحرير بالمناطق المختلفة من امثلة ذلك اسناد مسؤولية ضابط سياسي الى الشيخ معاشي احمد بن الطيب بالولاية الأولى وهو من طلبة جمعية العلماء هذا الاخير الذي جر معه اخويه محمد وصالح اللذين استشهدا في ساحة الشرف ، وكان يرى في الثورة بصيص الامل للخروج من النفق المظلم وكتب شعرا في البصائر مع بداية الثورة كقوله :

بدأ الصبح من بعد ليل بهيم طويل المدى وعذاب اليم
ضيـاء تـــألـــق لا بلـــظى شموس ولكن بنور عظيم[68]

كان القادة الاوائل للثورة يراهنون دوما على اشراك المتعلمين والمناضلين في الحركة الوطنية والفكرية في خدمة الثورة ، كما هو الشأن في اسناد المسؤلية العسكرية للشيخ لعبيدي الحاج لخضر لتشبعه بالفكر السياسي الوطني [69]وكذا مهمة الإشراف على القضاء الشرعي للشيخ بوعبيـــدي مصطفى بمنطقة بلـــزمة والأوراس [70]كما تولت اسماء أخرى القيادة في مناطق اخرى عسكريا ومدنيا نذكر منهم على سبيل المثال: ابراهيم مزهودي، ونعيم النعيمي، وعـبد الرحمـان شيبـان وأحمد حماني ، ومصطفى بوغابة وأحمد زوزو، وصالح بودراع، ومحمد الزاهي وغيرهم الكثير.

وإذا كانت شرارة الثورة التحريرية ليست من صنيع رجال الجمعية ، فإن مفاهيم الثورة وقيمها كانت ضمن برامجها التكوينية وكانت مدارسها بمثابة مشتلة قدمت العديد من

67- لقد أثيرت هذه الإشكالية قبل هذا التوقيت ، وظهرت جليا على صفحات جريدة صوت المسجد التي كان يصدرها محمد العاصمي المفتي بالجزائر العاصمة ، والجريدة تصدر شهريا على لسان حال رجال الديانة الاسلامية في القطر الجزائري ظهر منها العدد الأول في 5أكتوبر 1948، وتوقفت في شتاء 1951 بعد أن صدر منها 21 عدداً للمزيد أنظر: مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ، ص 346

68-نشرية ديسمبر 1956، ص33.

69 الشيخ احمد الطيب معاش من مواليد 1926 بسريانة زاول تعليمه بمسقط رأسه بباتنة ثم قسنطينة واكمل دراسته بالزيتونة بتونس التحق بصفوف الثورة في اوائل 1955 بالمنطقة الأولى بالأوراس ، وكلفته قيادة الثورة بتمثيلها في الخارج وانتقل بين اقطار عربية مثل جبهة التحرير الوطني في دمشق بسوريا الى غاية الاستقلال ،وفي سنة 1963 عين سفيرا بليبيا لمدة 7 سنوات ، بدأ كتابة الشعر في سن مبكر ونشر الكثير من القصائد الوطنية في جريدة البصائر التابعة للعلماء والمنار التابعة للانتصاريين جمع بعضها في ديوانه : التراويح و أغاني الخيام ، للمزيد أنظر: أحمد الطيب معاش، (1986) التراويح وأغاني الخيام ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر

70 الشيخ لعبيدي الحاج لخضر (1998/1914) اسمه الحقيقي عبيدي محمد الطاهر من مواليد باتنة مناضل سياسي شارك في تأسيس خلايا سرية خلال الحرب العالمية الثانية برفقة بن بوالعيد ما بين 1941/1939 ، و سجن سنة 1947، كما ابعد الى تونس وهناك عزز من علاقاته مع الطلبة الجزائريين الزيتونيين وطلبة حزب الشعب ، وفي سنة 1952 سافر الى البقاع المقدسة للحج وبعد عودته نظم الحياة السياسية بالمنطقة واستقبل الفارين من مناضلي المنظمة الخاصة امثال مسعود بالعقون ورابح بيطاط ولخضر بن طوبال وزبغود يوسف وكان برفقة بن بوالعيد لتنظيم صفوف الثورة بمنطقة الاوراس بالولاية الاولى ،شارك في تأسيس خلايا الثورة عشية اندلاعها وفي غرة نوفمبر قاد فوجا من المجاهدين وقاموا بأعمال تخريبية لمراكز فرنسية كما حضر مؤتمر العقداء بتونس سنة 1959 وخلال أزمة 1962 فضل الحكمة وناصر بومدين لفرض الاستقرار وتولى العضوية في المجلس التأسيسي في سبتمر 1962 وظل محافظا على مبادئ الثورة حتى وفاته ساهم في العمل الخيري بالشيء الكثير. كما جاء في مذكراته التي حررها الطاهر حليس.

الطلبة للثورة ، والظاهر أن وضع الجمعية عشية الثورة لم يؤهل قادتها على المستوى الداخلي بالفصل الرسمي في القضية لأن الشيخ الابراهيمي كان وقتها في القاهرة ولم تكن فكرة بوادر الثورة غائبه عليه وهو في المشرق برفقة الفضيل الورتلاني ، هذا الأخير الذي اصدر بلاغا في وقت مبكر بعد اندلاع الثورة اوضح من خلاله من موقف الجمعية والبلاغ صدر عن مكتب الجمعية بالقاهرة ، وقد تداولته الجرائد المصرية بتاريخ 3 نوفمبر 1954 بعنوان : الى الثائرين الأبطال من ابناء الجزائر اليوم حياة أو موت يساوي بقاء أو فناء و مما جاء في بعض فقراته قوله حياكم الله ايها الثائرون الابطال و بارك في جهادكم ، و أمدكم بنصره و توفيقه ، و كتب ميتكم في الشهداء الابرار و حيكم في عباده الأحرار ، لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق .....أيها الأحرار الجزائريون أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي اعملوا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد ، قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا ، فرضه عليكم دينكم و فرضته قوميتكم و فرضته رجولتكم و فرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم ، ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم لأنكم اليوم أمام أمرين : إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف [71]

و تشير النشرية الفرنسية إلى أن تواجد الشيخ الابراهيمي بمعية الفضيل الورتلاني في القاهرة كان دعما للثورة منذ بدايتها ، إذ ارسل الابراهيمي برقية بتاريخ 12 نوفمبر 1954 للرئيس المصري جمال عبد الناصر أعرب له فيها عن تشكراته لما قال به الرئيس و السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي انور السادات عن دعمهما لقضايا دول المغرب العربي كما طلبوا ايضا من مسؤول الأزهر تعبئة اساتذة الجامعة وكبار العلماء لنصرة القضية الجزائرية والدعوة الى الجهاد ضد فرنسا و مقاطعة بضائعها في العالم الإسلامي مع الاسراع الى تبني الجامعة العربية للقضية الجزائرية وتدويلها في انشغالات الامم المتحدة عن طريق ممثل المملكة العربية السعودية [72]

كما يشير التقرير أيضا الى مساهمة رئيس الجمعية الابراهيمي في وقت مبكر بعد اندلاع الثورة الى محاولة تقريب وجهات النظر بين الاطراف الجزائرية المتواجدة بالقاهرة و خصوصا بعد المؤتمر الصحفي الذي عقده محمد خيضر القريب من مصالي الحاج بتاريخ 15 نوفمبر 1954 حول اسباب و اهداف الثورة التحريرية ووقتها سعى الابراهيمي برفقة الفضيل الورتلاني و هو من طلبة جمعية العلماء وأحد مساعديه في القاهرة الى

71 - الشيخ بوعبيدي سي مصطفى :من معلمي جمعية العلماء تولى ادارة مدرسة عين البيضاء وانتدبته قيادة الولاية الاولى لمنصب قاضي المحكمة العسكرية بالا وراس .

72-الفضيل الورتلاني ، (1992) الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر .

التوفيق بين وفد المصاليين بقيادة أحمد مزغنة و المركزيين بقيادة حسين لحول [73] وتوسعت نشاطات الابراهيمي بحسب النشرية الى تثمين العلاقات مع جمعية الشبيبة الاسلامية التي نظمت تظاهرة بالقاهرة يوم 22 ديسمبر1954 وخلال التجمع أوضح الابراهيمي للحضور بأن فرنسا هي سبب كل المآسي و البؤس و الحرمان الذي مني به الشعب الجزائري ، كما حث على الجهاد و ان الثورة لا تروى بالمياه بل تروى بالدماء حتى تحقق ثمار الحرية [74]

و الظاهر ان رئيس الجمعية بالقاهرة أخذ قضية الثورة الجزائرية على عاتقه عكس ما تروج له بعض الاقلام مثل كتابات حربي و محساس وبن بلة و غيرهم ، ففي 22 ديسمبر 1954 أعلن الإبراهيمي صراحة عن بغضه لفرنسا ، كما وجه نداء شديد اللهجة الى الشعب الجزائري كشف من خلاله عن الأعمال الاجرامية الوحشية التي يعانيها الشعب الجزائري الأعزل من جراء السياسة الاستعمارية الغاصبة ،و مما جاء في ذلك قوله : الشعب الجزائري يعيش تحت عبودية فرنسا يعاني من المرض و الجهل و العذاب نتيجة الاستغلال المفرط الذي مورس عليه من الادارة و الكنيسة ، و ان المطالب تنتزع ولن تعطى ، و الثورة لا تسقى بالمياة بل تسقى بالدماء و من نتائجها الحصول على الحرية كل ذلك زاد من رفع معنويات المقاتلين الجزائريين بحسب تعبير النشرية [75] كما أن جماعة العلماء بالداخل لم تتأخر عن دعم الثورة التحريرية ، و قد أشار الى ذلك فرحات عباس بقوله : وكان الشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء الذي سيأخذه في وقت لاحق كومندوس معاد لجبهة التحرير من بيته و يقتله . ولم يعثر على جثمانه . قد أمر تلاميذ المدارس الحرة بالالتحاق بالثورة و دافع في جريدة البصائر لسان الجمعية على أهداف جبهة التحرير الوطني ، وأيد استبدال النظام الاستعماري بدولة جزائرية مستقلة متفتحة على ترقية الجزائريين [76]

ودائما بحسب رواية عباس فإن الكثير من رجالات الجمعية ساندت الثورة كل بحسب موضعه ، و ذكر ان كلاً من الشيخ محمد خير الدين و عباس بن الشيخ الحسين من جهتهما عكفا على إظهار الأسباب التي أدت الى الثورة التي كان الاستعمار هو السبب المباشر فيها و من ثمة ساندا معركة الشعب المشروعة و هذا قبل ان ينتقلا الى الخارج لتمثيل جبهة التحرير ، الأول في المغرب و الثاني في المملكة العربية السعودية[77]

73 -نشرية نوفمبر1954، ص 118

74- نفسه .

75 -نشرية جانفي 1955، ص 2

76 -نفسه

77 -فرحات عباس ،(2010) تشريح حرب ، ترجمة أحمد منور ، المسك للطباعة الجزائر

كما تشير النشرية أيضا إلى أن دور الابراهيمي في المشرق العربي و تنقلاته بين عواصم عربية وإسلامية كان مميزا جدا بل و خطيرا في نفس الوقت و كان دوما يسعى لتجميع القوى الوطنية سواء الجزائرية منها او من دول المغرب العربي التي باشرت هي بدورها فعل المقاومة، ففي 9مارس 1955 وافق الابراهيمي على بروتوكول وحدة اتحاد احزاب شمال افريقيا برئاسة عبد الكريم الخطابي و هو اتحاد جمع شمل المقاومة بمنطقة المغرب العربي منها الحزب الديموقراطي للتحرير بزعامة ابراهيم الوزاني و حزب الوحدة المغربية بقيادة نصيري يمني و جمعية العلماء بزعامة الابراهيمي و البيانيين بقيادة أحمد بيوض و الحزب الدستوري القديم بقيادة درمونة يونس [78]

ومع تطور الأحداث و بروز نجاحات الثورة الجزائرية في الميدان توسع فعل التضامن معها سواء من قبل المهاجرين بالمهجر أو من قبل العديد من الشخصيات السياسية و الثقافية ، وكان ذلك واضحا في تصريح الابراهيمي بمناسبة عيد الفطر بالقاهرة و الذي اذيع على أمواج صوت العرب وقد ذكر فيه بضرورة وحدة العالم الاسلامي بعد ان ذكر بخصال الثورة التي تسعى لتحقيق استقلال الجزائر العربية المسلمة[79] ولعل المتتبع لما ورد في النشرية الفرنسية يستشف مدى اهتمامها بروح التضامن والمساعي لتحقيق الأهداف بين ما يجرى من أحداث في اقطار المغرب العربي من نضال تحرري موحد ضد سياسة فرنسا من جهة ،وكذا العمق الواضح للقضية الفلسطينية في اهتمامات شعوب المنطقة من خلال مظاهر التضامن بالكتابة في البصائر وكذا جمع الاموال و التبرعات و تقديمها للمجاهدين كما تجسد ذلك التعاطف خلال ايام عيد الاضحى في جويلية 1955 معتبرين ان قضية الجزائر هي قضية فلسطين و قضية المغرب أجمع بعد ان اضحت هذه البلدان مسرحا للأعمال الوحشية البربرية الظالمة[80]

و خلال الذكرى الأولى لاندلاع الثورة الجزائرية حاول الكثير من رجال الجمعية في الداخل و الخارج توظيف الخطاب الدعوي لنصرة الثورة والتذكير بمبادئها واهدافها وحث الشعب الجزائري على مساندتها و دعمها ، ففي 19 نوفمبر 1955 ألقى توفيق المدني بالمناسبة كلمة شديدة اللهجة نشرت في جريدة العلم ابرز من خلالها الوحدة المصيرية في نضال شعوب المنطقة بعد ان اشاد بالتجربة التونسية و بنفس اللهجة خاطب الورتلاتي أيضا الشعوب العربية من بيروت و اشاد بمساهمة علال الفاسي في تمكين ثقافة المقاومة العسكرية و حركة الجهاد ضد الفرنسيين وما على شعوب وأنظمة العالم

78 -عباس ، المرجع السابق ، ص 265.
79 - ، نشرية مارس 1955، ص 48 وكذلك A. O. M. :16H74
80 -نشرية جوان 1955، ص 67

العربي سوى تقديم العون المادي والعسكري للمقاومة في منطقة شمال افريقيا [81]
كما أشارت النشرية أيضا إلى أنه مع حلول سنة 1956 انتاب المجلس الاداري للجمعية بعض الصعوبات الممثلة في الاختلاف الذي ظهر باديا للعيان بين العربي التبسي و الشيخ خير الدين ووقتها سافر المدني للقاهرة للتشاور مع الابراهيمي و تذويب الجليد و الحد من الخلاف، هذا فضلا عن الصعوبات المالية وشح التبرعات التي اصبح جزء منها يمول الثورة، مما جعلها تتأخر عن دفع رواتب المعلمين مما ولد بعض الاحتجاجات دفعت بالهيأة المشرفة على قطاع التعليم لزيادة الرواتب وانتقلت من 30 و 35 ألف فرنك الى 40 الف فرنك بحسب اقدمية الاساتذة ، وكل ذلك اثر سلبا على حركة التربية والتعليم الذي تشرف عليه الجمعية ففي طائفة 1956 أصبحت معظم مدارس الجمعية بمثابة مخابئ للثوار مما دفع بالسلطة الفرنسية الى تعطيلها و فرض الاقامة الجبرية على العديد من مسيريها ومعلميها ، كما منعت إدارة الاحتلال صدور جريدة البصائر اللسان الناطق باسم الجمعية و تم تعطيلها منذ الخامس من افريل 1956[82] و كان سبب انضمام الجمعية كمؤسسة أو كأفراد الى الثورة كما تشير النشرية الفرنسية إلى أنه منذ حلول شهر أكتوبر 1956 نشطت مجموعة من رجالات الجمعية اسمتهم بسفراء الوطنية الجزائرية منهم توفيق المدني و الورتلاني بتوجيه من الشيخ الابراهيمي الى تعزيز التواصل مع المنظمات والجمعيات و رجال الثقافة والفكر بغية التعريف بالقضية الجزائرية و تقوية الدعم لها مع الكثير من البلدان العربية، و ركز المنشور على نشاط المدني بمصر و تنقلاته بين العواصم العربية سعيا منه لتأسيس خارطة طريق تحوي مختلف التوجهات السياسية الجزائرية لتأسيس حكومة جزائرية بالخارج [83] و تركز النشرية على مشاركة الابراهيمي في المؤتمر العالمي الاسلامي بكراتشي وصرح ان اهتمامات المسلمين الجزائريين هي نفس اهتمامات اخوانهم المسلمين و الداعية الى تحقيق الوحدة الاسلامية كما اشارت النشرية الى الزيارات المراطونية التي قام بها الابراهيمي برفقة الورتلاني الى عدة بلدان عربية واسلامية منها : سوريا و العراق و باكستان و لبنان والعربية السعودية واندونيسيا و الاردن و الكويت و التقى خلالها مع بعض الرؤساء و الوزراء و رجال الفكر و الثقافة تناولت قضايا سياسية وادارية واقتصادية واجتماعية لشعوب شمال افريقيا على العموم و قضايا الجزائريين على وجه التحديد ، كما القى خلال الزيارة ما يقارب 250 محاضرة ، و قد اثمرت لقاءات الابراهيمي بتقديم الدعم المادي و المعنوي للقضية

81- نشرية جوان 1955، ص 67
82 -نشرية أكتوبر 1956، ص 23
83 -نشرية أكتوبر 1956، ص 22

الجزائرية و الممثلة في اهتمام الجامعة العربية بالمشكل الجزائري كما جاء على لسان احمد الشقيري الكاتب العام المساعد للجامعة و تقديم المملكة العربية السعودية ما يقارب 671 كتابا للمدارس الحرة بالجزائر مع بداية افريل 1953 [84]

كما شارك الابراهيمي برفقة الورتلاني أيضا في فعاليات المؤتمر الاسلامي الذي عقد بالقدس ما بين 3 الى 8 ديسمبر 1953 و يشير التقرير الفرنسي إلى ان الابراهيمي هو من طلب من العربي التبسي زيارة القاهرة في اكتوبر 1954 بغرض تعميق التواصل و ابلاغ العالم العربي بقضايا الجزائر و كذا متابعة قضايا الطلبة المتمدرسين في مؤسسات المشرق العربي ، ولعل رواية المدني عن العربي التبسي ترى عكس ذلك ، وأن زيارة التبسي للحج سنة 1953 كان يعتزم من خلالها إلى رفع يد الابراهيمي عن الطلبة بالقاهرة [85]

وكما يشير التقرير إلى ان اهتمامات الابراهيمي بعد احداث اول نوفمبر تركزت بالأساس حول قضية الثورة و اتضح ذلك في مشروع المطالب التي قدمها الابراهيمي الى عميد جامعة الازهر بتاريخ 12 نوفمبر 1954 و التي من بينها : 1/ إعلان الحرب المقدسة ضد فرنسا

2/ ارسال الوفود للبلاد العربية بغية التحصيل على الدعم المادي للجزائر

3/ تدويل القضية الجزائرية بمساعدة الجامعة العربية و بدعم من المملكة العربية السعودية [86]

وقدمت هذه المطالب من قبل الورتلاني للكاتب العام للمؤتمر الاسلامي أنور السادات خلال انعقاد المؤتمر الاسلامي الذي احتضنته مكة المكرمة، و الظاهر ان نشاطات الابراهيمي جلبت للثورة الشيء الكثير في سنواتها الأولى، ولم تمر سنة واحدة حتى وجدت الثورة الدعم المالي من البلدان العربية و بحسب دراسة فرنسية فإن مداخيل جبهة التحرير الوطني بلغت 12 ملياراً منها 8 ملايير من البلدان العربية ففي 25 جانفي 1955 تحصلت جبهة التحرير على مبلغ 16 مليوناً من المملكة العربية السعودية ، وما بين 22 جويلية و 25 أوت 1955 منحت مصر العربية لجبهة التحرير 24 مليوناً ، وفي 25 أوت منحت اندونيسيا هي الأخرى للجبهة 20 مليوناً كما قدمت سوريا هي بدورها اعانة للجبهة قدرها 3 ملايين [87]

84- نشرية جويلية أوت 1955 ، ص 78

85 -A O M ; 16H74

86- المدني ، المرجع السابق

87 -A O M ; 16H74

كما اشار التقرير ايضا إلى أنه توفرت معلومات مفادها تفكير كل من الابراهيمي وتوفيق المدني في تشكيل حكومة جزائرية في القاهرة منذ سفر المدني للقاهرة بدعوى ان سبب خروجه من الجزائر دعوة الابراهيمي للعودة الى الجزائر[88] وبحسب رواية خير الدين فإن قادة الثورة كانوا على اتصال ببعض اعضاء الجمعية على مستوى العاصمة كالذي حدث بينه و بين عبان رمضان عن طريق الوسيط سعد دحلب وكان اللقاء بديار المحصول ليلا بحضور كل من عبان و بن خدة ، وتم التوافق على خطة عمل كما انتدبه عبان لتمثيل الجبهة في المغرب[89]

خلاصة

نستنتج مما سبق ذكره أن مساهمة الجمعية في ترشيد الثورة لم تكن غائبة منذ انطلاقها الى مرحلة حل الجمعية سنة 1956 و انخراط الكثير من مناضليها في صفوف الثورة في ميادين مختلفة مدنية أوعسكرية في الداخل والخارج ، وقد ساهمت مؤسسات الجمعية في وقت مبكر في ترشيد الوعي الوطني الذي صب في معالم الثورة لاحقا ، كما أن موقف رجالات الجمعية كأفراد كان واضحا و خدم الثورة منذ الوهلة الأولى بعيدا عن قيادة الجمعية بالخارج التي كان يشرف عليها الابراهيمي ، هذا الأخير الذي لم يتأخر هو بدوره عن مساندته للثورة ، ولم يكن للجمعية تردد أوشك في الثورة كما روج له البعض ، بقدرما كانت كغيرها من الجمعيات تتريث في معرفة الكثير عما تفرزه الساحة الوطنية وقتها ،وهذا لا ينقص شيئا من الجمعية، علما ان الرواد الذين فجروا الثورة لم تكن زعامات سياسية كبيرة ولا حتى قيادات فاعلة في المسار الذي عرفته الحركة الوطنية منذ حركة الأمير الى مرحلة تفجير الثورة ، ومع تطور الأحداث و اتضاح الرؤية عبرت الجمعية بصفة رسمية عن ولائها و دعمها للثورة ماديا و معنويا بوسائل متنوعة بل و تولى قادتها وطلبتها مسؤوليات عليا عسكرية و مدنية وصلت الى رئاسة قيادة الولايات التاريخية ، ولذلك صح القول أن مؤسسات جمعية العلماء كانت اشبه ما يكون بمشتلة خاصة قدمت الكثير من ابنائها و وانصارها تحت تصرف قيادة الثورة .

88-Jean André Faucher (1957) L› Algérie Rebelle . éd du grande damier : paris
89 -A O M ; 16H74

المراجع

1-الابراهيمي محمد البشير،(1997) آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي ، الجزء الخامس، دار الغرب الاسلامي بيروت
2-الإبراهيمي محمد البشير،(2007) في قلب المعركة ، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر
3-بن عتيق محمد الصالح ،(1990) أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإسلامية و الحركة الوطنية الجزائرية ، منشورات دحلب الجزائر
4- اتحاد الكتاب الجزائريين ،(1998) الأدباء الشهداء ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر،
5- بوعلام قاسمي و آخرون ،(2007) موسوعة أعلام الجزائر 1962/1954، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر
6-حربي محمد ، (2005) الثورة الجزائرية سنوات المخاض ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية
7-خير الدين محمد ، (1985) مذكرات الشيخ محمد خير الدين ، ج,1 ، مطبعة دحلب الجزائر
8-نفسه ، مذكرات ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
9- سعد الله أبو القاسم ، (2005) مسار قلم (يوميات) ، الجزء الأول ، دار الغرب الاسلامي بيروت
10- سعد الله ،(2005) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،الجزء الخامس ، دار الغرب الاسلامي بيروت
11- سعد الله ، (2005) تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3و4، دار الغرب الاسلامي بيروت
12- فتحي الديب ، (1990) عبد الناصر و ثورة الجزائر، دار المستقبل العربي القاهرة
13- فرحات عباس (2005) ليل الاستعمار، تعريب ابو بكر رحال ، دار القصبة للنشر الجزائر
14- فرحات عباس ،(2010) تشريح حرب ، ترجمة أحمد منور ، المسك للطباعة الجزائر
15- فهمي سعد ،(1980) حركة عبد الحميد بن باديس و دورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب بيروت
16- المدني توفيق ، (2010) حياة كفاح مذكرات ، ج3، عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر
17- معاش أحمد الطيب ،(1986) التراويح و أغاني الخيام ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،
18- مريوش أحمد ،(2013) محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر من النضهة الى البناء السياسي المنظم 1954/1900 ، ج2، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر
19- مريوش ،(2013)الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية ،دار عرار للنشر و التوزيع الجزائر
20- مريوش ، (2013) دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج1، مؤسسة كنوز الحكمة الجزائر
21- مريوش أحمد ، (2018) الحركة الطلابية الجزائرية ودورها القضية الوطنية وثورة التحرير 1954 ج1، ط2، دار قرطبة للنشر و التوزيع الجزائر
22- الميلي محمد ، (1972) بن باديس و عروبة الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر
23- الورتلاني الفضيل، (1992) الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر،
24- يوسفي محمد ،(2002) الجزائر في ظل المسيرة النضالية ، ترجمة :محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر

المقالات بالعربية

1-بوكوشة حمزة ، (1971) اعتقال العربي التبسي ، مجلة الثقافة ، العدد 3، الجزائر
2- خيترعزيز ،(2014) النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال بعض تقارير الاستخبارات الفرنسية 1956/1954 ، مجلة حوليات التاريخ و الجغرافيا ، العدد8، الجزائر
3-خرفي صالح ،(1971) الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث ، مجلة الثقافة ، العدد الأول السنة الأولى ، الجزائر
4-بن طوبال لخضر : (1984) حوار حول حديث الرواد الأوائل للثورة ، مجلة الباحث ، العدد2، الجزائر
- مريوش أحمد ،(1989) أضواء على تاريخ شباب الموحدين ، الحلقة الثانية جريدة المنتقد، عدد 3، الجزائر

الدوريات بالعربية مرتبة ترتيبا زمنيا

1-جريدة الصراط السوي ، العدد 16 ، السنة الأولى ، 1 جانفي 1934
2-مجلة الشهاب ، المجلد 12، الجزء 4، جويلية 1936
3-جريدة البصائر ، العدد171، السنة الرابعة ، 22 جوان 1939 ،
4- جريدة المنار ، العدد 7، الموافق لـ: 15 أوت 1951
5-جريدة البصائر الصادرة في 11جوان 1954
6-جريدة البصائر الصادرة في 5 نوفمبر 1954

لقاءات شخصية مرتبة زمنيا

1- محادثة شخصية مع الشيخ احمد حماني بالعاصمة بتاريخ 11/ 01/ 1984
2- محادثة شخصية مع الشيخ محمد خير الدين بمنزله ببئر خادم بتاريخ : 1985/10/25
3- محاثة شخصية مع الدكتور يعقوبي بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة بتاريخ 2006/05/14

رسائل جامعية

1- بوقجاني أحمد ، (1999) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية وثورة التحريرالجزائرية اطروحة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر

المراجع بالفرنسية

1 -André Jean Faucher 1957)) L Algérie Rebelle. éd du grande damier : paris
2 -Benjamin Stora ;(1995)Histoire de la guerre d› Algérie 1954..196 éd la découverte : Paris
3 - Benjamin Stora ;(1985) Dictionnaire ; Biographique de militants nationalistes Algériens 1954..1962 :éd Harmattan Paris
4 - URASC Oron : (1988) lettrés intellectuels , et militants en Algérie 1881L1950 ; éd 0PU Alger

وثائق ارشيفية بالعربية والفرنسية

4-: شهادة مخطوطة للمجاهد محمد الأطرش مؤرخة في 17مارس 1984 مديرية المجاهدين بالعاصمة
2/ الولاية العامة بالجزائر، أعداد من نشريات دورية حول القضايا اسلامية ، 1956/1954
3- Les partis Nationalistes en Algérie ; Archive d Aix en Provence 10H87
4- Direction de sûreté national en Algérie : sous direction des renseignements généraux: A.O. M. :16H74
5- Fichier d archives d Aix en Provence: no9H46 / 9H15. / 16H74 /15H15 / 10H87

مصادر: تاريخ الجزائر المعاصر
المجلد: 17 عدد: 1 سنة 2020
Maçadir: Contemporary History of Algeria
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/29

القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية

ا.د. علي غنابزية
جامعة الوادي، الجزائر
Ghenabzia-ali@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2019/08/20 تاريخ القبول: 2019/11/27

ملخص

يدرس هذا البحث، المذكرات الشخصية بصفة عامة، من حيث مفهومها، وجذورها التاريخية، وحضورها في تاريخ الجزائر منذ القدم، ولعل الجزائر أول بقعة في الأرض عرفت المذكرات وفتحت باب التأليف في فنها، عندما كتب القديس أوغسطين مذكراته «اعترافات» في القرن الخامس الميلادي، ثم تتالت الكتابات في هذا الشأن، وكان لها الانتشار الواسع، ولاسيما حول الثورة الجزائرية، واكتست الأهمية الكبرى، وحاول أصحابها تحري الموضوعية والحقيقة التاريخية. وأبرزت هذه الدراسة حاجتنا إلى اعتبار المذكرات مادة ضرورية لكتابة تاريخ الثورة التحريرية.

وتهدف الدراسة إلى تنبيه الهيئات العلمية والمراكز البحثية إلى القيمة التاريخية والمعرفية للمذكرات الشخصية، باعتبارها يوميات المجاهدين فيها تفاصيل نشاطاتهم، ومن خلالها ندرك البعد الفكري والإيديولوجي لأصحابها، وكيف تمكنوا من تجاوز كل الخلافات، وساهموا في تحرير البلاد.

ولتحقيق الاستفادة الكبيرة من هذه الكتابات، يمكن تأسيس مكتبة وطنية خاصة بمذكرات مختلف المجاهدين والمساهمين في تاريخ الجزائر المعاصر، من مختلف البلدان والجنسيات، وإخضاعها للدراسة والتمحيص. كما يمكن تكوين فرق للبحث في هذا الميدان البحثي لفهم أعمق لتاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية من شتى النواحي.

الكلمات المفتاحية: القيمة التاريخية، المذكرات الشخصية، يوميات المجاهد، اعترافات اوغسطين، تاريخ الجزائر.

Abstract

This paper studies Personal Memoirs in general (definition, historical origins and presence in the history of Algeria since antiquity). Algeria is one of the oldest countries to have known this type of writing (Memoirs), and to have sketched its art (Saint Augustine's "Confessions" is the first autobiographical work). Noting that, today writing Personal Memoirs has spread everywhere. Among the most recent writings of Memoirs, there were those about the Algerian Revolution, which have grown in importance, and their authors have tried to be objective in their quest for truth.

In this contribution, we will try to highlight our need to benefit from these Memoirs, by classifying them among the sources of the history of the revolution of liberation, and thus to draw the attention of organizations and research centers to these valuables sources. These Memoirs are newspapers of the Mujahideen, and by these means one can detect the cultural and ideological aspects of their authors, and know how they have managed to overcome all their differences, and contributed to the liberation of the country.

In order to better improve the use of these writings, it is important to create a national library of the Memoirs of mujahideen and all those who have contributed to the history of contemporary Algeria. One can also encourage the creation of research teams about the history of the national movement and the Algerian revolution.

Keywords: Historical value, Personal Memoirs, Mujahideen newspapers, The Confessions of Saint Augustine, History of Algeria.

Résumé

L'objet de cette contribution est l'étude des Mémoires en général (définition, origines historiques et présence dans l'histoire de l'Algérie depuis l'antiquité). L'Algérie était l'un des plus anciens pays ayant connu les Mémoires, et ébaucher son art (les « Confessions » de Saint-Augustin en est la première œuvre autobiographique), qui s'est répandu partout à nos jours. Parmi les plus récents écrits, les Mémoires sur la révolution algérienne ont pris de l'importance, et leurs auteurs ont essayé d'être objectifs dans leur quête de vérité.

Dans cette contribution, nous tenterons de mettre en évidence notre besoin de bénéficier des Mémoires, en les classant parmi les sources de l'histoire de la révolution de libération, et ainsi d'attirer l'attention des organismes et centres de recherche à ces sources de grande valeur. Ces Mémoires sont des journaux de Moudjahidines, et par le biais desquels on peut déceler les aspects culturel et idéologique des auteurs, et savoir comment ils ont réussi à surmonter toutes leur différences et ont contribué à la libération du pays.

Afin de mieux améliorer l'usage de ces écrits, il est impératif de créer une bibliothèque nationale des Mémoires de moudjahidines et de tous ceux qui ont contribué à l'histoire de l'Algérie contemporaine. On peut aussi penser à la formation d'équipes de recherche spécialisées dans l'histoire du mouvement national et la révolution de libération nationale.

Mots-clés: Valeur historique, Mémoires personnelles, Journaux de Moudjahidines, Les Confessions de Saint-Augustin, Histoire de l'Algérie.

مقدمة

إن شعور الإنسان بذاته، والاهتمام بما يدور حوله من أحداث، التي ساهم في صناعتها، وعايش وقائعها، هو شعور ايجابي يدعوه إلى الفخر، ويجعله يسعى دوما إلى التغني

بماضيه وأمجاده، والتذكير به في المناسبات، واستغلاله لشتى الأغراض التي تعود عليه بالمنافع المادية والمعنوية.

وكلما كان الفرد فاعلا في التاريخ، ومؤثرا في المجتمع، يكون ارثه التاريخي زاخرا بالقيم والمبادئ التي تشرفه، وتفيد غيره؛ ولكن أغلب تلك الصور تموت بنهاية حياة صاحبها، الذي بخل بها عن نفسه ومجتمعه، عندما تركها حبيسة في ذاته؛ ولعل تاريخ الثورة التحريرية في الجزائر حافل بصور عديدة لمن مضوا دون تقييد تلك المآثر في سجل جهادهم.

- أبعاد الإشكالية

لقد تعدت الكتابات الراصدة للأحداث السياسية والعسكرية للثورة، الذات الشخصية للمجاهد، وأكدت على تثبيت حقيقة المجتمع الذي ولدت فيه، وتتمثل في المعركة أو الكتيبة العسكرية، أو الهيئة السياسية، أو البعثة الدبلوماسية، أو المنظمة المدنية المساندة للثورة في المدن، والمدعمة للثوار في الجبال، وحينئذ انتقلت المذكرات من الاهتمام "بالأنا" إلى الاهتمام بالمجتمع الثائر، والمتفاعل مع الواقع. ومن هذا المنطلق تتوالى الأفكار، وتتداعى التساؤلات عن مدى مساهمة المذكرات الشخصية للمجاهدين في كتابة تاريخ الفاعلين في خضم المعارك والحوادث ـ بدون استثناء ـ لإبراز القيمة التاريخية لها. وما هي الأهمية الكامنة في سرد المجاهد للأحداث ضمن سجل حركته، بروايته العميقة للوقائع، وبثه للشواهد، وتقديمه للشهادات الحية، حول المشاهدات والمشاركات في القتال، وقد يعتري ذلك بروز الذاتية، فيميل صاحب المذكرات إلى تمجيد النفس، وتكون سببا للزيغ عن الحقائق، ومن خلالها نتساءل مرة أخرى عن مدى حضور الموضوعية والحقيقة التاريخية " للمذكرات الشخصية " ورغم ذلك تبقى هذه الوثائق تفتقر لها دور الأرشيف، مع العلم أن الكثير من الحقائق تبقى كامنة في الصدور، التي تتحرج من البوح بالحقيقة لأسباب موضوعية أو ذاتية. ومن هنا تتجلى القيمة العلمية للمذكرات كمادة خام، ومحورية في كتابة التاريخ الوطني، باعتبارها مصدراً أساسياً لا غناء عنه.

- أهداف الدراسة

إن اختيار الكتابة في هذا الموضوع الصعب، والمتشابك، والذي يتطلب الرجوع إلى ما كتبه المجاهدون، ويتعذر ذلك سواء من باب جمع المذكرات أو الاطلاع عليها ـ إن توفرت

ـ أو بسبب عامل الوقت، وضيق هذه الصفحات عن استيعابها، ولكن تحديد الأهداف يغني عن كثير من الأفكار، والأهداف الأولية هي:

ـ لفت انتباه الباحثين، والهيئات العلمية إلى القيمة التاريخية والمعرفية للمذكرات الشخصية.

ـ اعتبار المذكرات ويوميات المجاهدين، كمادة مصدرية أساسية في تاريخ الثورة الجزائرية.

ـ وضع مخطط وطني لجمع المذكرات، باعتبارها المادة الحية في شتى المجالات المحورية، والاعتماد عليها في كتابة تاريخ المقاومة والكفاح في الجزائر.

ـ الوقوف على التنوع في كتابات المجاهدين، وإدراك البعد الفكري والإيديولوجي لها وقراءة أفكارها، وكيف تجاوزت الثورة، والذاتية المحدودة إلى تقوية عامل التعاون والتماسك والشمول.

-منهج الدراسة

لا يمكن إدراك القيمة التاريخية، والأهمية التوثيقية للمذكرات، دون قراءة متأنية، والاعتماد على المنهج الاسترادادي(التاريخي) المتكامل، الذي يبدأ بعملية المسح ـ ولو جزئيا ـ للمذكرات، والتي بلغ عددها في هذه الدراسة "ثلاثون مذكرة " تم الاطلاع عليها وانتقاء شذرات مضيئة، للتدليل وضرب الأمثلة منها، والتركيز على أفكار كتابها من خلال مقدمات كتبهم، التي استفاضوا في شرح الأهداف والدوافع الموضوعية والذاتية لكتاباتهم التي اعتبروها واجبا -على حد تعبير بعضهم- وأضيف لهذا المنهج، الاستقراء والتقميش، الذي يبرز مواطن الثراء فيها، ويمكن للمنهج المعتمد، أن يطور الدراسة المستقبلية المتفحصة في خزان المذكرات، الغني بالمآثر والبطولات والأمجاد، لتترابط الدراسة في عقد جميل يرصع جبين الثورة الخالدة.

-محاور الدراسة

كانت البداية تعريفية، بوضع المذكرات الشخصية في إطارها التاريخي، بتحديد مفهومها، وبداية الكتابة فيها، وتطورها التاريخي في أوروبا، والكشف عن مدى حضورها في الثقافة العربية الإسلامية قديما وحديثا، والتنويه بأهميتها العامة. وذلك يمهد لاكتشاف قيمتها عند الجزائريين، بالغوص في جذورها التاريخية، فتبين أن الجزائر أول بلد كتبت فيه المذكرات بقلم القديس اوغسطين، في القرن الخامس الميلادي، مما يجعل مذكرات

المجاهدين في التاريخ المعاصر امرأ طبيعياً، وامتدادا علميا، واستكمالا لجهود العلماء والمفكرين الجزائريين، والانتباه الواعي إلى قيمتها المصدرية في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر.

وتبقى العناية بدراسة المذكرات وسبر غورها، واستلهام معانيها، وعرض مآثرها، ووضعها في بساط البحث والتحليل، أمراً ضروريا، ومؤكدا، رغم كل الصعوبات التي تعترض الباحث، لأن الخوض في غمارها ـ ليس بالأمر الهين ـ وتتبعه محاذير كثيرة، ولكن المنهج العلمي السليم، وتحري الموضوعية، من شأنه تبديد تلك العوائق، ويمكننا الارتقاء بالبحث إلى المستوى الأسمى.

1. أهمية المذكرات الشخصية

تمثل المذكرات الشخصية معلما هاما في الكتابة التاريخية للأفراد والمجتمعات، وكان لها حضورها منذ آماد بعيدة، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال مفهومها وتاريخها وقيمتها العلمية:

أ - مفهوم المذكرات الشخصية (Mémoires):

المذكرات: هي ما يكتبه الفرد حول تفاصيل حياته، وما يحيط بها من أحداث عاشها في مجتمعه الأصلي، أو مرت في البيئات التي انتقل إليها في ظروف خاصة، وتمت كتابتها على شكل يوميات [1] سردية، يتتبع فيها حيثيات الحوادث التي رآها مهمة، أو كتبها لغاية محددة، وتمت الكتابة في زمنها الحي (اللحظية[2] وفي مفكرته الخاصة[3]، أو بعد زمن من حدوثها، ويومها يتذكر ما وقع، ويكتبه في دفتره[4]، فيصير نوعا من الترجمة لحياته أو سيرة ذاتية لخطوط عمره، تدخل ضمن التدوين التاريخي، وتوفر مادة (مصدرية) هامة للكتابة التاريخية. وربما يعيش صاحبها ترددا، ولكن يعز عليه أن يترك ما كتبه يضيع سدى، وهذا ما أشار إليه الشيخ عبد الرحمن العقون: (... هذه الوضعية هي التي جعلتني ـ برغم طلبات كثير من الإخوان وتشجيعاتهم ـ أتردد منذ سنوات: أأكتب أم أسكت؟ وقد عز

1 - اليوميات نقاط، يكتبها صاحبها يوميا، وهي ملخص نشاطه وعمله المثمر خلال يوم كامل.

2 - اللحظية: وهي ما يدعى بالتاريخ اللحظي، الذي يكتب في الحين، ويكون كاتبه مستوعبا لكل التفاصيل والحيثيات. أنظر: عبد الله العروي،1997، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب)، ج1، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء ـ المغرب، ص ص 68-69.

3 - المفكرة (Agenda): كما يطلق عليها المذكرة، وهي دفتر صغير، معد سلفا، ومخصصا لتقييد النشاطات اليومية، والمواعيد الخاصة، والمعلومات المفيدة التي يحتاجها صاحبها. أنظر: مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، ص 698.

4 دفتر المذكرات: يختار بعض الكتاب دفاتر خاصة يسجلون فيها مذكراتهم اليومية، بشكل محدود مثلما فعل أبو القاسم سعد الله في أصل مفكرته اليومية التي طبعت تحت عنوان « مسار قلم».

علي السكوت ووبخني الضمير أكثر من مرة، لاسيما حين أتذكر أني كنت ـ وأنا منذ سني الشباب ـ أسجل حوادث هي الآن، حينما أذكرها تظهر لي معينا يمكن الاغتراف منه، أو على الأقل اعتباره نقطة انطلاق صحيحة لا يشوبها أية شائبة غير شريفة). [5]

ب - تاريخ المذكرات الشخصية:

إن كتابة المذكرات، وتسجيل الملاحظات الشخصية عند الإنسان قديمة، ولعها ارتبطت ببداية التدوين، ولكن المذكرات المكتوبة لغرض التعريف بالذات[6]، ترجعها الكتابات الغربية إلى القديس سانت أوغسطين،[7]الجزائري[8]، باعتباره أول من كتب سيرته الذاتية، وتحدث فيها عن تأثير الدين في حياته الخاصة،[9]ولكن الفرنسيين تميزوا في هذا الفن الأدبي الذي كان مصدرا مهما للتاريخ، وبرز مبكرا عند الدوق دي سان سيمون،[10]والسياسي الفرنسي شاتوبريان[11]، ثم تبلور وتحول إلى جنس أدبي مستقل على يد جان جاك روسو (1712-1778) ولاسيما في كتابه "اعترافات" ، وكان يدرك أنه أول من كتب هذا الجنس الأدبي في قالب فني متكامل حين كتب يقول: (أنا افعل شيئا لم يفعله شخص قبلي ولن يقدر شخص بعدي على تقليده). [12]وقد شاعت كتابة المذكرات في الغرب مرتبطة بالحروب، وكتبت من قبل الساسة والعسكريين، وحملت السيرة الذاتية، والنظريات الحربية، مثلما فعل أدولف هتلر في مذكراته« كفاحي» الذي كتبه

5- عبد الرحمن بن إبراهيم العقون،1984، الكفاح القومي والسياسي من خلال

6-أنظر: اعترافات القديس أوغسطين،1987، ترجمة الخوري يوسف العلم، راجعه الأب لويس برسوم، نشر المعهد الاكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي، ط 6، الجيزة - مصر.

7-سانت أوغسطين (-354 430 م) : هو لاهوتي وفيلسوف كاثوليكي، من أبرز مفكري النصرانية في عهودها الأولى، اعتنق النصرانية عام 386 ودافع عن الكنيسة دفاعا قويا، وأشهر آثاره سيرة حياته الذاتية، وعنوانها « اعترافات» (Confessiones) كتبها حوالي عام 400 م. أنظر: منير البعلبكي،1992، معجم أعلام المورد، إعداد رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، ص 76.

8 -ولد بطاغست أو تاجيسته(سوق أهراس حاليا) وهي مدينة امازيغية في عهد الرومان بالجزائر. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي،1994، تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، ص 91.

9 -راجع مقال: جودت هوشيار، المذكرات الشخصية وكتابة التأريخ، موقع الحوار المتمدن، تم الاطلاع يوم 2017/09/22، العاشرة والنصف ليلا.

10-الدوق دي سان سيمون (1675-1755م) : سياسي وكاتب فرنسي، يعتبر من ابرز رجال البيان الفرنسي في عصره، وكتابه بعنوان «مذكرات» (Mémoires) الذي يقع في 41 مجلدا، وصور فيه الحياة في بلاط الملك لويس 14 وانتقدها، ونشر قسما منها في الثمانينات من القرن 18، ثم نشرت كاملة في الثلاثينات من القرن 19. أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 231.

11-شاتوبريان (1768-1848م) : الفيكونت فرانسوا رينيه دو، كاتب ودبلوماسي فرنسي، واحد رواد الحركة لرومانتيكية الفرنسية، تقلد منصب سفير عدة مرات في برلين ولندن، وأشهر مؤلفاته، بعنوان «مذكرات ما وراء القبر» (Mémoires d›outre tombe) ولكنها نشرت بعد وفاته. أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 254.

12 راجع مقال: جودت هوشيار، المذكرات الشخصية وكتابة التأريخ، موقع الحوار المتمدن، تم الاطلاع يوم 2017/09/22، العاشرة والنصف ليلا.

سنتي 1925-1926، وجسد فيه فكره النازي، وكتب بعد الحرب العالمية الثانية قادة الحرب وصناعها، ومنهم الماريشال مونتغمري(1887-1976) قائد معركة العلمين، في كتابه "مذكرات" ، والجنرال الفرنسي شارل ديغول (1890-1970) في مذكراته التي تحدث فيها عن أخبار الحرب العالمية، وعلاقته بالرؤساء والقادة[13]، الذين صنعوا الأحداث ووثقوا لها، ويمتلكون الوثائق، ويتوغلون في عمق الحقائق، من أمثال رئيس الوزراء البريطاني وينتسون تشرشل، والرئيس الأمريكي إيزنهاور، وغيرهم، وهي ذات أهمية ليس في تاريخ أصحابها وبلدانهم فحسب، بل في تاريخ العالم خلال الحرب العالمية الثانية. [14]

وإذا انتقلنا إلى البحث في التراث العربي، ونقبنا عن أدب المذكرات والسير الذاتية، نجدها نشأت في ظل السيرة النبوية، وكتب المغازي، واختلط بعضها بالتاريخ، الذي عاصره كتابه، فابن الأثير أبدع في وصفه الدقيق للغزو المغولي لديار الإسلام، ووصف الوحشية التي فاقت كل تصور بشري[15]،ومما قاله " لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، من الذي يهون عليه ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا... فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فان التواريخ لم تتضمن ما يقارنها ولا يدانيها ...)[16]. ونجد المقريزي (764-845هـ) تحدث عن المجاعات والطاعون الذي تفشى في زمنه، في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، وتوفيت ابنته الوحيدة سنة 807هـ بالطاعون الذي أعقب تلك المجاعات، وسببها فساد الحكام، وغفلتهم عن مصالح الرعية. [17] وإذا كانت هناك كتب في التراث العربي تحسب في خانة المذكرات، مثل كتاب "المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال" ، لأبي حامد الغزالي(1058-1111م) الذي ضمنه تجربته الروحية والفكرية مع الفلاسفة والباطنية وأهل الكلام والصوفية، وابن خلدون (1332-1406م) في التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، فإن الثقافة العربية - من جانب آخر- لم تعرف كتابة المذكرات الشخصية، والسير الذاتية كجنس أدبي شائع، وله مكانته واستقلاله إلا مع النهضة العربية الحديثة. [18]ولعل كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص

13 انظر: مذكرات شارل ديغول، ترجمة وتعليق خيري حماد، منشورات دار أسامة،ط1، دمشق – بيروت، د ت.

14 -إسماعيل احمد ياغي،1999، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعيبيات، (كتاب الكتروني) الرياض ، ص ص 42-46.

15 -السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 124.

16-ابن الأثير،2003، الكامل في التاريخ ، مج 10، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، ص 399.

17-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 125.

18 -جودت هوشيار، المذكرات الشخصية وكتابة التأريخ، موقع الحوار المتمدن، تم الاطلاع يوم 2017/09/22، العاشرة والنصف ليلا.

باريز" لرفاعة الطهطاوي، من أول المذكرات في حياة البعثة التعليمية المصرية التي أرسلت لتلقي العلوم الحديثة، [19]

ولعل القرن الماضي، انتشرت فيه المذكرات بشكل لافت للنظر، في صفوف المفكرين، والكتاب، والمثقفين العرب، وكانت مصر رائدة في هذا المجال، فنجد مذكرات طه حسين (1889-1973) الأيام التي نشرها عام 1929، وجسد فيها مراحل حياته، في مصر أثناء الاحتلال، وهجرته لفرنسا، وتأثره بالمستشرقين، وأفكاره المتحررة من القيود، وعلى رأسها قيود الدين كما تصورها، ودعا إليها. وظهرت مذكرات الكاتب أحمد أمين "حياتي" ومذكرات عباس محمود العقاد الذي كتب في مجلة الهلال عددا من المقالات منذ 1947، حول تجربته في الحياة، وهي نوع من السيرة الذاتية، وجمعت بعد وفاته في كتاب تحت عنوان " أنا" ، كما كتب سنة 1957 كتابه "حياة قلم" وهو عن حياته السياسية والاجتماعية منذ ثورة 1919. [20] ولم يقتصر ذلك على الأدباء، بل شمل السياسيين وأبرزهم الزعيم سعد زغلول[21]

جـ. أهمية المذكرات الشخصية:

تكمن أهمية المذكرات والسير الذاتية فيما تقدمه من معلومات خبرية، وشهادات حية لصاحبها الذي تفاعل مع أحداث عصره، وبلغها بعاطفة، وفيها كثير من الصدق، ولفت الانتباه إلى أحداث غائبة عن بني جنسه، ولعل عناصرها البارزة تنحصر فيما يلي:

-المذكرات مصادر حية، ونادرة، وتأتي في الدرجة الثانية بعد الوثائق الأرشيفية، لأنها تقدم معلومات لا يمكن للوثائق أن تشير إليها، ولاسيما مشاعر وأحاسيس أصحابها، وهو الجانب النفسي والإنساني الذي لا يمكن أن تبوح به الوثائق.[22]

- تكتب المذكرات تاريخ المجتمع بكل فئاته، لأن أصحابها تبدأ سيرتهم من عمق الأسرة التي ترعرعوا فيها، والوسط الشعبي الذي انتموا إليه، بكل بساطته، وسذاجة أصحابه، واهتماماتهم، وأوضاعهم الخاصة، وهي صفحات غالية من تاريخ "العَامَّةَ"، والحياة المعيشية الصعبة في عهود الاستعمار، والمعاناة التي عاش فيها الكاتب، والذي لم يكن يحلم في تلك الفترة الأولى إلا بلقمة تسد رمقه، أو ما يوفره من نقود تساعده على إتمام دراسته، أو إصلاح شأنه.

19-أنظر: رفاعة الطهطاوي،1991، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، دار موفم للنشر، الجزائر.

20-عباس محمود العقاد،1971، أنا، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، ص ص 07-22.

21-مذكرات سعد زغلول،1996، تحقيق عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

22-إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 38.

- ذكر التفاصيل عن حياة المهجر المؤقت في بلاد الغرب، والكشف عن التفاعل الذي حدث، والآثار السلبية التي تركها الاحتكاك، واثر على حياة شيوخ تعلموا في الأزهر الشريف، ولكنهم انبهروا بالغرب، وأثرت فيهم فرنسا كما أشار إليها رفاعة الطهطاوي[23].
- يكتب المذكرات السياسيون والزعماء، والقادة، والمقاتلون في الحروب، والذين ساهموا في صنع تاريخ بلادهم بأنصبة متفاوتة، وكلما كانوا اقرب إلى صنع القرار- في مستواهم - وامتلاكهم الوثائق والمعلومات، تكون مذكراتهم أكثر نفعا، بحكم أنهم شهود عيان، تمتاز كتاباتهم بكثرة التفاصيل، ودقة الوصف.[24]
- ليست كل المذكرات بدرجة واحدة من الأهمية، ولا من الصدق والجدية، فهي تصبغ بلون كاتبها واتجاهه الفكري والأيديولوجي، ومن هنا ينبغي الإلمام بتاريخ الكاتب وتفاصيل حياته[25] الخفية التي لم يبح بها في المذكرات، وهي تساعد في تقصي الحقائق، وتصحيحها.

2-القيمة التاريخية للمذكرات الشخصية عند الجزائريين

عرفت الجزائر منذ القدم بخطها الفكري، واهتمامها العلمي، ورغم قلة الكتابات حول المنجزات العلمية، والمؤلفات التي تهتم بالتاريخ والتأليف، بسبب الحياء المفرط من الجزائريين، وعدم مبادرتهم لنشر كتاباتهم، أو تأليف كتب حول سيرهم، وفي كثير من الأحيان - لما دونوها - كتبوها لأسرهم أو بسبب خاص، أو بطلب من السلطة الروحية أو الرسمية، وربما ضاع بعضها بفعل إهمال العائلات التي توارثتها ضمن التركات، وأتلفت أو ضاعت للجهل بقيمتها وفحوى مضمونها، ومع ذلك نُعرف ببعض المذكرات والسير كنماذج على سبيل المثال لا الحصر.

أ - الجذور الأولى لكتابة المذكرات الشخصية عند الجزائريين:

إذا انطلقنا في تتبع الكتابات الذاتية للجزائريين، وتجاوزنا المدرسة التاريخية الفرنسية، فان الجزائر عرفت هذا الفن من الكتابة في بداياته، بل على المستوى العام آنذاك، بمذكرات أوغسطين السابقة الذكر، ولكن شحت الكتابات في هذا المجال- حسب علمنا- حتى برزت مذكرات الشريف الزهار في أواخر العهد العثماني، ورغم محاولات الفرنسيين الاستحواذ عليها إلا أنها لم تستطع ، وكللت جهود أصحابها الجزائريين بالنجاح،

23-إرفاعة الطهطاوي، المصدر السابق

24-إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص ص 38-39.

25-فسه ، ص 42.

وأنقذت منهم، وتمكن احمد توفيق المدني من تحقيقها وقام بنشرها عام 1975[26]،وهي تؤرخ للسنوات الأخيرة من عمر الدولة الجزائرية الحديثة التي وقعت تحت الاستعمار، وتكشف عن واقع الحياة في الجزائر، وتلفت الانتباه لظروف الغزو الفرنسي واحتلاله للبلاد الجزائرية وردود الفعل الوطنية. وتلتها مذكرات الحاج أحمد باي قسنطينة، وحمدان خوجة وبوضربة التي حققها محمد العربي الزبيري سنة 1971[27]، وفصل حمدان خوجة في كتابه "المرآة" ما كان عليه الحال الذي كان المؤلف شاهد عيان عن الأحداث[28] ؛ وتواصلت المذكرات والسير الذاتية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد ألف محمد بن عبد الرحمن كتابا تضمن سيرته الذاتية بعنوان "الياقوتة" ركز فيه على نشاطاته في الزاوية، وكذلك كتب الشيخ محمد بن عاشور (1850-1938) سيرة عرفت باسم "المناقب" [29]، وكذلك مذكرات سي عزيز بن الشيخ الحداد، التي كتبها عام 1837 قبل محاكمته، ونشرها يحي بوعزيز، وهي تدور حول ثورة المقراني ودور عائلة الحداد في ثورة 1871، وربما أملاها على محاميه للدفاع عنه قبل محاكمته[30].

وكل المذكرات السابقة الذكر، تدخل ضمن السير الذاتية، التي يُعرف فيها المؤلف بنفسه، وعائلته، ويشيد بمآثره، وتجارب حياته وما يحيط بها من أحداث، وبعضها كتبها المؤلف بنفسه مثل الشريف الزهار وحمدان خوجة ، وصاحب الياقوتة والمناقب، أو أملاها على غيره، كما مر في مذكرات أحمد باي وسي عزيز، وكلها كانت عملا جديدا في الحياة الفكرية والسياسية في الجزائر ولاسيما في فترة الاحتلال الفرنسي. [31]

ب ـ المذكرات الشخصية الجزائرية والثورة التحريرية:

وعندما اندلعت ثورة التحرير، كانت حافلة بالأخبار والحوادث والذكريات لدى صناعها، والمشاركين في حوادثها العسكرية والسياسية، ما بين (1954-1962)، ويغلب على الفئات المشاركة فيها، الأمية من جهة، وعدم توفر الظروف المناسبة للكتابة والتوثيق في الحين، حتى من الطبقة المثقفة، ولكن الزمن حفظ تلك الذكريات، والتي قدمت في شكل

26-أنظر: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر»، 1980، تحقيق ونشر المدني احمد توفيق، الشركة الوطني للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر.

27- أنظر: مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة»، 1981، تحقيق ونشر محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر.

28-أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، 1975، المـــرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

29أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، 1975، المـــرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

30-أنظر: وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، 1989، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

31-أنظر: فارس كعوان، المرجع السابق، ص 126.

شهادات، قدمها المجاهد بعد حين،[32]أو استعان في ذلك بصحفي[33]أو كاتب في صناعة مذكرته، أو سُجل في حلقات إذاعية، أو من خلال التسجيلات التي يشرف عليها متحف المجاهد في الولاية التي ينتمي إليها المجاهد المقصود،ويتولى المؤرخ أو الباحث بلورتها في شكلها المفيد، وقمت شخصيا بتحقيق بعض المذكرات للمجاهدين المنتمين لولاية الوادي.[34] أو يقوم بها أستاذ في الأدب، مثلما اشرف الدكتور احمد زغب المختص في الأدب، وقدم وحقق مذكرات المجاهد بن سالم الشايع، وذكر سبيل إعدادها، ولاسيما أن الأستاذ ضليع في دراسة الرواية الشفهية، وخبير بمناهجها، ويمكن تلخيص ذلك، لأنه نموذج حي وتجربة رائدة، وتنبيه للمنهجية المسطرة: (وقد حاولنا تطبيق منهج الرواية الشفهية، في تسجيل هذه المذكرات، وهي تقوم على تسجيل صوتي يعقبه تفريغ للتسجيل كتابة ثم التعامل مع المدونة المكتوبة على أنها رواية شفهية صرفة تتسم بما تتسم به الأعمال الشفاهية عموما...) والمرحلة الثانية هي عرضها للتصحيح: (وهكذا فكلما انتهيت من صياغة فصل من فصول حياته، كان قد رواها بإيجاز شديد من ذاكرته، عرضته عليه ليقرأه ويضيف شيئا أو يحذف شيئا آخر، أو يصحح خطأ، لذا لم يكن تحرير هذه الذكريات قاصرا عليَّ وحدي إنما كان بالاشتراك معه وبموافقته.) [35] كما كُتبت بعض المذكرات باللغة العربية، وأخرى كتبت باللغة الفرنسية لتمكن أصحابها من نواصيها، وعجزهم عن الكتابة بالعربية، مثل مذكرات مقاتل لآيت أحمد الحسين،[36]ومذكرات محمد العربي مداسي،[37]وترجم بعضها، مثل مذكرات: آيت مهدي

32-يمكن التمييز بين نوعين من المذكرات وفق عامل الزمن، منها المذكرات المكتوبة في حينها، في مفكرة صاحبها، ولا تتوفر إلا لمن ملك الكراس والقلم، كما فعل أبو القاسم سعد الله في مذكراته التي نشرها في كتابه «مسار قلم» أو لتي ينشرها صاحبها بعد تقاعده من العمل، وتفرغه للكتابة، وهذا ما يفعله كثير من الكتاب والمؤلفين، والمجاهدين وغيرهم، كل في عمله وفته .

33-كان لرجال الصحافة دورهم البارز في حث المجاهدين على الإدلاء بشهاداتهم، وعرضها عبر الصحف، على شكل تحقيق، وتطور بعضها إلى مذكرات منشورة في كتب مطبوعة، مثل مذكرات الحاج لخضر التي اشرف عليها الصحفي الطاهر حليس، ومذكرات المجاهد محمد الوردي قصبابة التي نشرت في بادئ الأمر في الصحافة، من قبل الصحفي يحيى باردو في سلسلة من 12 حلقة خلال سنة 1983 بجريدة الجمهورية الصادرة بغرب البلاد، ثم قام الأستاذ الباحث أحمد بن السايح بنشرها في سلسلة من 06 حلقات خلال سنة 2004، بالجريدة الوطنية «صوت الأحرار» . أنظر: محمد الوردي قصبابة،2017، مذكرات مجاهد من الاوراس خلال ثورة أول نوفمبر 1954-1962، دار علي بن زيد للطباعة، ط1، بسكرة- الجزائر.

34- على سبيل المثال ننوه بالجهد المشكور الذي قام به مدير متحف المجاهد بالوادي اطليبة بوراس، بالإشراف على استجواب المجاهدين وتسجيل مذكراتهم بالصوت والصورة، وتقديم بعضهم مباشرة على أثير إذاعة سوف الجهوية، وكانت المرحلة الثانية الاستعانة ببعض أساتذة التاريخ بجامعة الوادي لتصحيح المذكرات وتقديمها للطباعة تحت إشرافهم، ولاسيما علي غنابزية، ومحمد السعيد عقيب.

35-المذكرات المقصودة، والتي قمت بتصفيفها وترتيبها، ومراجعة مادتها التاريخية، وتقديمها، مذكرات المجاهد بوغزالة حمد الهادي، ومذكرات المجاهد معتوقي إبراهيم، التي نذكرها في نهاية الدراسة.

36-بن سالم الشايع،2016، من ذاكرة مجاهد عصامي، تحرير وتقديم وتعليق الدكتور أحمد زغب، مطبعة الوادي – الجزائر، ط1، ص ص 10-12.

37-Ait Ahmed, Hocine, 1990, Mémoires d›un Combattant, L›esprit d›indépendance, 1942-

أمقران، التي اشرف على ترجمتها فريق من المهتمين[38].

وكانت مرحلة التقاعد، والتي تراوحت بين الكهولة والشيخوخة، هي الميقات المحدد والمناسب لكتابة المذكرات، وهذا معروف حتى لدى اكبر المؤرخين والمؤلفين والأدباء والسياسيين، [39]كما أن فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ، لم تتوفر فيها الإرادة الكافية للكتابة والتأمل إلا من عدد محدود من المجاهدين، خوفا من البوح بالحقيقة، وانكفاء النظام السياسي على نفسه، وغياب ثقافة الكتابة لدى الجزائريين؛ ولكن الانفتاح السياسي ودخول البلاد إلى التعددية السياسية، والشعور بالحرية في التعبير عما حدث، والتنافس بين المجاهدين، والاضطرار إلى استعمال حق الرد، بسبب وجود تضارب في الأقوال، أو إشارة إلى عمل لم يشرف صاحبه، فكانت الصحافة مجالا للرد، وتطورت تلك الردود إلى مذكرات تخدم الحقيقة التاريخية. ولعل الأهداف والدوافع الحقيقية التي صرح بها المجاهدون، ما سطرته أناملهم، أو ما سجل من شهادات، في مقدمات مذكراتهم، ومن أبرزها:

- التشجيع والإلحاح على المجاهد من أهله وذويه وأصحابه، وكان حافزا قويا للمجاهدين، بغية تخليد المآثر، حتى تبقى شاهدا للأجيال، وهذا ما ذكره المجاهد عبد السلام حباشي في شهادته، فضلا عن تصويبه للحقائق المنشورة: (قبلت تأليف هذا الكتاب، حرصا مني على تصويب بعض الحقائق حول بعض الأحداث التي كنت طرفا فيها، واخص بالذكر هنا اجتماع قسنطينة لسنة 1954 الذي حضرته). [40]وما ذكره أبو القاسم جبالي من أهداف: (... مع الاعتقاد أنه سيكون فيها فائدة وعبرة للقارئ الكريم والأبناء بالأحرى، ولا أستطيع أن أربط كل الحوادث بتاريخها لأني لم أسجلها في وقتها، ولم تقيدها الذاكرة). [41]

- معاناة المجاهد، وتطلعه إلى كتابة مذكراته، وتردده وخوفه من قول الحقيقة، وقد عبر عنها المجاهد لخضر بورقعة: (لقد عانيت هاجس كتابة مذكراتي سنوات طويلة، وترددت كثيراً قبل أن أحول خواطري الحميمة ومعاناتي إلى مادة ومعلومات موثقة في متناول أي قارئ. لأني أتحرج من مسؤولية الكلمة التي تقال عن الثورة إلى الأجيال الصاعدة...).[42]

38-Mohamed Labri Madaci, 2001, Les Tamiseurs de Sable , Aurès – Nememcha 1954 -1959, ed Anep, Alger.

39- ترجمها آيت موهوب مصطفى، بمساعدة عبد مزيم فلة وبكاري سعيد. أنظر: آيت مهدي محمد امقران، 2013، لمسار الصعب واللامعقول لمقاتل – مذكرات وشهادات ، ترجمة آيت موهوب مصطفى ، دار رافار للنشر، الجزائر.

40لذين كتبوا مذكراتهم في تلك المرحلة ، وفي سن الشيخوخة، نذكر على سبيل المثال المجاهد العربي بلول في سن 77 سنة، وكل من احمد توفيق المدني، وأبو القاسم سعد الله ، والمجاهد تواتي إبراهيم معمر، والهادي حمد بوغزالة ما بين العمر 84-85 سنة.

41-عبد السلام حباشي، 2008، من الحركة الوطنية إلى الاستقلال، مسار مناضل، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ص ص 13-14.

42- أبو القاسم جبالي،2012، مذكرات حياتي، دار نوميديا للطباعة، قسنطينة -الجزائر، ص12.

- الرغبة الذاتية من المجاهد في كتابة مذكراته، وتبليغ رسالته التاريخية، وهذا ما لاحظته عند الشيخ محمد خير الدين: (لقد كتب الله لي أن أواكب قوافل الكفاح الوطني، في بلادنا عهودا متلاحقة من الصراع الطويل المرير مع الاحتلال والاستعمار بكل أنواعه، وأشهد في ذلك مواقف بطولية رائعة أرى من الواجب تسجيلها لتقرأها الأجيال الحاضرة والقادمة لما تلقى من أضواء تنير صورا من جهاد الشعب الجزائري.) [43] ويتطور الدافع ـ عند بعضهم ـ إلى القيام بالواجب، لأنه شاهد على السنوات السبع للثورة، وعاش في الاوراس أغلب أحداثها، وصار لزاما عليه أن يسجل ما علق بذهنه نحوها، وهو يردد: (كل ذلك شجعني على خوض غمار تجربة تسجيل ما تبقى مترسخا في الذاكرة من أحداث... كإثراء لعملية كتابة تاريخ الثورة الذي يعد فرض عين على كل من شارك في ملاحم ثورة التحرير بمعاناته وعرقه ودمه ووجدانه)[44].

- كسر حاجز الجهل والغفلة عن وقائع الثورة المغيبة، ويشعر بها المجاهد الذي اكتوى بنارها، ثم يجد فراغا مهولا في المجتمع، وتساؤلات عمن صنعوا الأحداث، ومآثرهم الغائبة، وَوُجد هذا الحس عند أكثر من مجاهد، وعلى سبيل التدليل تحضرني حالة المجاهد "عمار قليل" الذي شارك في الثورة خلال عمرها الكامل، واحتضنته الولاية الثانية، ولكنه تصدى للكتابة الواسعة حول الثورة بأسرها، وتوسع أكثر في تاريخ الولاية التي شهد أحداثها بنفسه، وأخرج ذلك في ثلاثة أجزاء، ومما قاله في مقدمته: (... شعورنا بأن الكتابة عن الثورة هي جزء من الثورة نفسها، وهو واجب وطني مطلوب من كل مجاهد قادر على الكتابة أن يدون للأجيال القادمة هذه الملحمة من تاريخ الشعب الجزائري. فإذا كنت بالأمس قد ضحيت بشبابي في الجبال، فإنني اليوم وأنا شيخ جاوز الستين من عمره مستعد للتضحية بوقتي وجهدي من أجل تبيان حقيقة الثورة ووضعها أمام الأجيال الجديدة بكل ايجابياتها وسلبياتها، فهي أولا وأخيرا ثورة بشر يصيبون ويخطئون). [45]

- التعريف بالثورة، والكتابة عنها، في قلب المعركة، كما فعل الفضيل الورتلاني ولكن الموت عاجله في أنقرة سنة 1959 ولم يذق طعم الحرية، ولعله أول من كتب مذكرات أو بالأحرى تلك المقالات التي جمعها غيره، وطلبوا منه تصديرها، ففعل على مضض بسبب كثرة انشغالاته، وجمعت لتكون ذخرا " للجزائر الثائرة"، كما سماها الشيخ المصلح

43 -مذكرات الرائد لخضر بورقعة،2000، شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ص 14.

44-محمد خير الدين، مذكرات ، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ص 02.

45-أنظر: مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير،2013 ، شاهد على الثورة في الاوراس ، دار القدس العربي، وهران- الجزائر، ص 09.

المجاهد الفضيل الورتلاني في كتابه الذي صدر سنة 1956 في طبعته الأولى[46]، والذي يعرف بالكفاح ضد الاستعمار، ويلتفت إلى صفحات مشرقة من حياة الثورة، كتبها بعمق المجاهد المثقف، والعالم المصلح. فما مدى وجود الموضوعية والحقيقة التاريخية في تلك المذكرات عموما ؟

3- الموضوعية والحقيقة التاريخية في كتابة المذكرات

لا شك أن كتابة المذكرات الشخصية، مفعمة بالعاطفة، ويتقمص فيها المجاهد مقام البطولة، مما يجعله يبالغ في تمجيد نفسه، وإبرازدوره المحوري، لأن الذاتية قلما ينجو منها الفرد؛ ولكن الحقيقة تتطلب من أصحابها التحلي بالتجرد الكبير، وقول الحق ولو كان على نفسه، لأن قول الحق مسؤولية ورسالة، وعندما تصفحت بعض المذكرات، وجدت المجاهد نفسه يصرح بالتزام الموضوعية في سرده للأحداث، لعدة اعتبارات:

- ذكر الحقائق ولو كانت تمس أخلاق أصحابها وسلوكهم المخالف للقيم، ولكن التاريخ أولى من الأشخاص، وقد أشار إليه المجاهد آيت مهدي محمد أمقران: (ستكون الحقيقة مبدأ سرد هذا الحدث الذي كان له مدى كبير عبر العالم بأسره والذي كانت نتيجته في مستوى تضحيات أبناء هذا الشعب. الكذب أو كتم الحقيقة يجعل المرء جديرا بالاحتقار. ذلك ما يجعلني أنقل بفكر سليم اللحظات التي تمت معايشتها في معظم الأحيان في ظل معاناة نفسية ومعنوية وجسدية جد أليمة لا تصدق وكثيرا ما تبدو غير واقعية). وهو يصر على ذكر الحقيقة ولو كانت مؤلمة: (لقد كانت هناك انحرافات ولا حرج في قول ذلك، لن يتم أبدا تحريف الأحداث لأنني أعتقد واكرر ذلك " الكتابة هو قول الحقيقة وحفظها من النسيان"). [47]

- ذكر الخبر بما يناسبه، ولو كان شهادة للعدو قبل الصديق، وهذا ما نبه إليه المجاهد أحمد توفيق المدني: (ولست خلال كتابي هذا مفتشا عن جملة ناصعة أو عبارة براقة أو تعبير أدبي ثري، بل هي الفكرة أطلقها سليقًا، الذاكرة تمليها والقلم يرسمها، ولا أكاد أتدخل بينهما إلا نادراً، ثم إني من خلال هذه الصورة الواضحة، أتكلم بحرية تامة، دون تحيز أو تعصب، عن كل ما مر من أمامي من حوادث، وعن كل من عرفت من الرجال وعن جميع ما لاحظته عن الدول والنظم ومختلف الأقوام، فأنا ممتهن الصديق أحيانا، في مواطن ضعفه، وأنا مشيد ببعض الأعداء في ميادين عملهم من جهة أخرى، فالصورة

46عمار قليل، 1991، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، دار البعث، ط1، قسنطينة- الجزائر، ص ص 8-9.

47- الفضيل الورتلاني، 1992، الجزائر الثائـرة، دار الهدي، عين مليلة- الجزائر، ص ص 25-29.

التي ارتسمت في ذهني للحوادث والأشخاص، أريد أن أقدمها ساطعة النور، ناصعة البياض لقراء كتابي، قل عددهم أو كثر). [48] وهو يؤكد على الموضوعية في تبليغ مذكراته، ولو كان ضد نفسه، بقوله: (ولست خلال عملي هذا، محاولاً الانتصار لنفسي أو تبرير كل مواقفي وأعمالي، ولا تحسين أو تشويه صورة إنسان مهما كان، إنما أريد أمراً واحداً ليس إلاَّ ، ألا هو خدمة الحق والحق وحده. ولا أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء).[49]

- التأكيد على التزام الصدق في تبليغ الحقائق، والدقة في عرضها، كما كتب الشيخ محمد خير الدين:(وسألتزم أمام الله تعالى وأمام ضميري بالصدق في القول والحياد التام والموضوعية المطلقة في عرض ما شاهدته من أحداث أو شاركت فيه بجهد متواضع، فلا اذكر منه إلاَّ ما تأكَّد ثبوته في الذاكرة، أو دونته في مذكرات شخصية مخطوطة، أو ما نشرته من مقالات ومحاضرات في بعض الصحف والمجلات وما ألقيته في الندوات والمؤتمرات العربية، وتجمع لدي من ذلك قدر وفير... وقد نظمت وحررت وراجعت وتحريت الدقة قدر جهدي، وأرجو لعملي هذا أن يكون خالصا لوجهه تعالى، وأن يضع لبنة في بناء تاريخ امتنا العظيمة...)[50].

- عرض حقائق الثورة المعاشة بايجابياتها وسلبياتها، وهذا ما عبر عنه المجاهد بودوح السبتي، الذي رأى أن الواجب يحتم عليه كتابة ما عاشه، وقال : (أبدأ مذكراتي بقولي " التزوير في التاريخ جريمة وإخفاؤه خيانة). وحاول الدقة في ذكر الأحداث: (... كما حرصت على عدم التعرض أو ذكر كل ما هو مشكوك فيه من الناحية العملية ما عدا بعض الأحداث الهامة التي مررت عليها وذكرتها أو أشرت إليها بدون تفصيل وذلك لعدم وجود الأدلة الكافية وكذا النسيان الذي أصاب ذاكرتي، ومن سوء حظي أنه كلما أسأل أو أتنقل للاتصال بمجاهد عاش بعض الأحداث لكي أستعين به وما يعرفه إلا ويقال لي أنه مات، وهكذا فقد مات الكثير من المجاهدين دون ترك ما عاشوه وما يعرفونه عن الثورة)[51] وينبه صاحب هذه المذكرات إلى مرض نفسي قد يصيب رواة الأحداث، هو تقمص البطولة، وتبنيها ـ ولو جانبت الحقيقة، ويضيف بودوح بقوله: (أخي القارئ لا تنتظر أن تجدني في مذكراتي بطلا في ساحة الوغى أو من الذين خاضوا المعارك كلا يا أخي إن الثورة ليست المعارك وقتل العدو فقط بل إن الثورة أعمال كثيرة وميادين متعددة يكمل بعضه البعض ويرتكز بعضه على البعض). [52]

48 -آيت مهدي محمد امقران ، المرجع السابق، ص 11.

49-أحمد توفيق المدني،2009، حياة كفاح ، ج1، دار البصائر، الجزائر ، ص 27.

50-نفسه، ص 27-28.

51 -محمد خير الدين، مذكرات ، ج1. ص ص 05-06.

52 -راجع: مذكرات المجاهد بودوح السبتي1955-2002،1962، مطبعة عمار قرفي، باتنة - الجزائر، ص 08.

- يرى بعض المجاهدين في الموضوعية أن يُذَكِّر بالأخطاء التي وقعت في الثورة، والتي وسعت شقة الخلاف، وكانت سببا للانحراف عن جادة الصواب، وحدوث الخيانة، والتي عبر عنها المجاهد بورقعة "باغتيال الثورة" وذلك لم يمنعه من سرد قصص الانحرافات، في قصة صالح زعموم واتصاله بقصر الاليزي، ومصالي وجماعة بلونيس، وكوبيس، وأزمة الولايات والصراع على السلطة،[53]ومثلها قضية البلويت (مؤامرة الزرق) وهم الأشخاص الذين تم توظيفهم من قبل المخابرات الفرنسية،[54] وقد ضرب القائد عميروش ـ في قضيتهم ـ بيد من حديد، وراح ضحيتها عدد من المجاهدين[55].

وهذا ما جعل المجاهد عبد السلام حباشي يقدم شهادة فيها قوة في الطرح، وحدة في النقد، حول اجتماع مجموعة 22، وسياسة الإقصاء التي طالت صاحب البيت المجاهد "لياس دريش" والذي خصص صفحات للدفاع عنه، وكذلك ما مس مجموعة قسنطينة من إقصاء وتهميش، يراه مقصودا من كبار القادة، بحرمانهم من معرفة موعد اندلاع الثورة، وهم من مجموعة التحضير لها، ولكنهم سمعوا بها فقط من خلال المذياع، وذلك حز في نفسه، وما زال يتألم منه[56].

بينما يرى المجاهد هلايلي أن السكوت عن بعض الأوضاع والحالات أحسن، ومما قاله في هذا الشأن: (إنه مجهود متواضع يتضمن مذكراتي الشخصية، ورؤيتي الخاصة... ولكنها بالتأكيد ستكون جزءا أساسيا منها تساعد المؤرخين على تجميع أجزاء الصورة المتكاملة دون زيادة ولا نقصان، وعلي أن أعترف بأنني لم أفصح عن بعض الحقائق التي يمنعني التحفظ عن ذكرها.) [57]

ولا يمكننا إغفال الجانب الإيديولوجي لكتاب المذكرات، ومواقفهم وخلفياتهم الفكرية، والتاريخية، مثلما يكتبه رجال جمعية العلماء ومن تبنى فكرها ونلاحظه في مذكرات المدني وخير الدين وأبو القاسم سعد الله وعبد الحفيظ أمقران، والطرف الآخر المتأثر بالفكر الفرنسي كالذين عاشوا في فرنسا مثل خالد نزار، وآيت مهدي، ومن لهم ثقافة يسارية كمحمد حربي، الذي كتب في مذكراته، التحدي والصمود، ومما قاله: (... وحين أتحدث عن نفسي ، فاني لا أحيد، بأي حال، عن منطق اختياراتي، التي تتمحور حولها ممارساتي المتمثلة في نشاط فكري يسعى إلى أن يجعل حاضر المجتمع الجزائري مفهوما،

53-نفسه، ص 10.

٥٤-راجع: المجاهد مذكرات لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة .

55-آيت مهدي محمد امقران ، المرجع السابق، ص 38.

56-عبد الحفيظ امقران الحسني،1997، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، ط1، الجزائر، ص 85.

57-والجهاد، دار الأمة، ط1، الجزائر، ص 85.

58 - أنظر: مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير،ص 09 .

وانشغال سياسي لا يهدف فقط إلى ملاحظة تاريخ بلادي، ولكن إلى التأثير فيه) [58]وكيف يؤثر فيه، هذه هي الايدولوجيا عند أصحابها والتي تمثل أكبر تحد عند المؤرخ الذي يقف أمامها متأملا، وراصدا، ومحللا.

4 - المذكرات الشخصية مصدر في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية

تعتبر المذكرات مصدرا هاما من مصادر التاريخ المعاصر الذي يخلد مآثر الثورة الجزائرية بأقلام وشهادات أصحابها، بصفحات مكتوبة، وهي شواهد حية، وشهادات نابعة من عمق المعاناة، التي تضع التاريخ الغائب ـ عن الأجيال المتوالية ـ في بؤرة الحقيقة، والتي يقف عندها المؤرخ محققا، وناقدا ومصوبا، والمذكرات لا يمكن أن نحصي لها عدا، وفي السياق الموالي إشارة إلى بعض الجوانب من المواضيع المطروحة في صفحات بعض المذكرات، وهي جزء محدود، ونستأنس به ليكون منطلقا للباحثين في إثرائها، وتعميق أفكارها، وبناء الأحداث بأكثر دقة ووضوح:

أ. المجال السياسي:

تتحدث المذكرات عن جيل مارس العمل السياسي مبكرا، في خلايا سرية لحزب الشعب، تربت على الوطنية، وعملت جاهدة على تكوين المناضلين، وازدادت حياتهم تمرسا على شتى الفنون في صفوف المنظمة الخاصة، التي تم الإعداد فيها للعمل المسلح الذي كان على الأبواب عند مريديه، وكانت نفوسهم تتحفز للانطلاق منه نحو الثورة. [59]

وأما العمل في الخارج، فقد أسهبت بعض المذكرات في الإشارة إليه، واختلط بعضة بالنشاط الدبلوماسي، وكانت الإشارات متميزة، عندما يذكر أبو القاسم سعد الله ذلك موثقا في "مسار قلم" نشاطه في القاهرة،[60]مدققا باليوم والساعة، وكذلك احمد توفيق المدني عن دوره الأولي في جمعية العلماء، وظروف انتقاله للعمل الثوري، ونشاطه الكثيف في القاهرة، ومشاركته في العمل الدبلوماسي والإداري، وحضوره للاجتماعات التاريخية، فكل شهادة منه بمثابة وثيقة حية، تجسدت في أعماله، وتوثقت في مذكراته[61]،

59-محمد حربي، 2004، حياة تحد وصمـــــود مذكرات ســياسية 1945-1962، دار القصـــبة للنشر، الجزائر، ص 05.

60- أنظر: قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، كتابة الطاهر حليس شركة الشهاب الجزائر، مطبعة قرفي باتنة، د ت، ص ص 20-34. عبد السلام حباشي، المرجع السابق، ص ص 215-234.

61-أبو القاسم سعد الله ،2011، مسار قلم، ج2، ج3 ،عالم المعرفة، الجزائر.

وكانت مذكرات أبو القاسم جبالي في القاهرة ثرية حول علاقته بجبهة التحرير، وشهوده في موطن امتاز بزخم النشاط، وحضور رجال الفكر والسياسة من أقطاب الجزائريين، وأبرزهم "مالك بن نبي" وموقفه من الثورة، وانتقاده لها، ورد فعل السياسيين على تصريحاته، وعلاقته الباهتة مع عمق الثورة. [62]

والشيخ محمد خير الدين الذي يصف بدقة مهامه في الثورة منذ اتصاله بالمجاهد عبان رمضان، وإشرافه الإداري على العمل في المغرب الأقصى، ممثلا لجبهة التحرير بالتنسيق مع المملكة المغربية، واتصاله بمعسكرات التدريب في الحدود الجزائرية المغربية، ومشاركته في مؤتمر طنجة 1958، وعضويته في المجلس الوطني للثورة الجزائرية. [63]

وكانت بلاد الغرب فضاء آخر للثورة، في أوربا من العمال والمجندين، وفي الولايات المتحدة من الطلبة، الذين كان لهم نشاطهم السياسي والإعلامي، للتعريف بالثورة، وفضح أساليب الاستعمار الفرنسي، وتبليغ الرأي العام بأفعاله الشنيعة، في وقت كان الإعلام الأمريكي لا يهتم بالجزائر ولا يعطي أهمية لأخبارها، وقد وقف على ذلك أبو القاسم سعد الله ووصف الوضع بدقته العلمية، في مذكراته الأخيرة. [64]

كما قدم بعض المجاهدين معلومات معتبرة عن فرارهم مع غيرهم من المجندين من الجيش الفرنسي في الخارج، ودخولهم للجزائر عبر تونس، واندماجهم في صفوف المجاهدين. [65]كما أن نشاط فيدرالية جبهة التحرير في فرنسا كان لها صداها التاريخي، وشواهدها لدى العمال المناضلين، ومنهم تواتي إبراهيم معمر. [66]

ذكر المجاهد عبد السلام حباشي تنقل المجاهدين في نواحي ومدن عديدة من الوطن، من الاوراس إلى القطاع القسنطيني إلى القبائل وغيرها وهو تعبير عن إيمان الشعب بقضيته العادلة، والتحامه في خوض المعركة ضد الاستعمار الغاشم،[67]وتجد مذكرات يفصل أصحابها في الولاية التاريخية التي مارسوا فيها العمل الثوري مثل منطقة الاوراس عند الرائد هلايلي محمد الصغير[68].

62-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج1.

63-أبو القاسم جبالي، مذكرات حياتي ، ص ص 165-171.

64-دين، مذكرات ، ج2. ص ص 163-199.

65-أبو القاسم سعد الله، 2015، حياتي ،عالم المعرفة، الجزائر، ص ص -315 320.

66-أنظر: مذكرات اللواء خالد نزار ، منشورات الخبر، دار الشهاب باتنة - الجزائر، د ت ، ص ص -30 43. آيت مهدي محمد امقران، المصدر السابق، ص ص 23-27.

67-أنظر: تواتي ابراهيم معمر،2013، مذكرات مجاهد في أرض العدو، مطبعة سخري، ط1، الوادي –الجزائر، ص ص 35-76.

68 -أنظر: عبد السلام حباشي، المرجع السابق، ص 11.

كما كان للثورة نشاطها الإعلامي والدعائي .في المراكز. انطلاقا من المحافظة السياسية، والذي يضم قسم التصوير والسينما، وإعداد الأفلام، واستقبال الصحفيين الأجانب. [69]

ب -المجال العسكري:

قدمت المذكرات معلومات مهمة حول التحضير العسكري للثورة، بجمع السلاح وترحيلة عبر المعابر الشرقية نحو الاوراس، والمعابر الجنوبية من تونس وليبيا بواسطة ابل وادي سوف، وعبرت عن ذلك مذكرات الحاج لخضر، ومذكرات مجاهدي وادي سوف ، وفيها نوع السلاح، وحفظه[70].

كما أشارت إلى العمل العسكري في تونس، والذي يمثل مجالا واسعا لنطاق الثورة، وتعددت المعارك، والأفواج المقاتلة، والجيش الذي قاده الطالب العربي، وضم مجموعات من الجنوب الجزائري (وادي سوف)، وأوراس النمامشة، وكتب عنها الرائد عثمان سعدي واصفا النشاطات في تونس، وجبال المناطق الشرقية من الجزائر، والخلافات بين القيادات، ووصف حياة المجاهدين ومآثرهم[71]، كما أكد بعضها المجاهد بودوح السبتي في مذكراته، وعرض مواضيع أخرى لها حساسيتها، ومنها التحاق المغتربين بالجبال عبر تونس، وإدارة السعيد عبد الحي لجبهة التحرير ونهايتها المأساوية في تونس، وما عاشه في تونس من أحداث، والتي أكملها في جبال الجزائر، [72]

وكذلك أشارت المذكرات إلى العمليات العسكرية الأولى في ليلة أول نوفمبر، وما صاحبها من شجاعة نادرة، وبطولات خالدة، وتضحيات من اجل الوطن. والتخطيط للمعارك والمعمليات الحربية، وترجمت لأهم المعارك التي لا تتوفر أخبارها، ولا تتجمع خيوطها وأحداثها إلا من ذاكرة صانعيها، ولا يمكن فهم الوثائق الأرشيفية بدون الرجوع إليها، فهي مادة محورية في نطاقها. [73]وعلى سبيل المثال مذكرات بها السرد الواقعي للأعمال الفدائية، وللمعارك المتعددة في الولاية الرابعة، وتفصيل للعمليات الخاصة بكمندوسي الزبير وكتيبة الحمدانية، والتي يرويها من شارك في قلب المعركة. [74]

69-أنظر: مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير. 71 - أنظر: مذكرات الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، ص ص 44--48.

70 راجع: مذكرات المجاهد بودوح السبتي

71-أنظر: مذكرات الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، ص ص 44-48.

72-أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، 2000، تقديم عثمان سعدي بن بلقاسم، دار الأمة، ط1، الجزائر، ص ص 62-68.

73 -راجع: مذكرات المجاهد بودوح السبتي.

74-أنظر: مذكرات الحاج لخضر قائد الولاية الأولى ، ص ص 44-48.

ج- المجال الاجتماعي:

وكانت الحياة الاجتماعية للثورة والمجاهدين، وارتباطهم بالمواطنين، وفعاليتهم مثل تنظيم الثورة لميدان القضاء، الذي كلفت به الأئمة والعلماء في المنطقة، وكان الحكم في القضايا الاجتماعية المعقدة وفق القرآن الكريم والسنة النبوية والأحكام الفقهية الواضحة، ولما انعقد مؤتمر الصومام، زادها تنظيما وضبط نظام العقوبات المختلفة.[75]

أما تنظيم جهاز الصحة الذي يعتني بالمواطنين وجيش التحرير[76] فقد أفاضت بعض المذكرات في ذكر الصحة العسكرية وهياكلها، وحالها في الحدود الجزائرية التونسية، والمستشفيات التابعة لها، ودور الأطباء والممرضين.[77]وذكر المجاهد بلقاسم متيجي صفحات عن نشاطه في مراكز التمريض[78]

وكشفت المذكرات عن علاقات صنعتها الثورة في صفوف الأسرى الفرنسيين، أو الفارين إلى صف المجاهدين، مثلما وقع للجندي الفرنسي برتبة رقيب من كتيبة المظلات، والذي عاش مع المجاهدين، ورأى المعاملة الحسنة منهم، ولاسيما من الجندي، المجاهد محمد الصالح نصير، وكتب عن تلك الحادثة كل واحد مذكراته، الأولى الفرنسي لنويل فافرليار[79]، والثانية للجزائري محمد أنصير[80].

د - المجال الثقافي والديني:

لم تغفل المذكرات التطرق للثقافة، والروحانيات التي أحاطت بميادين الثورة والمجاهدين، فذكرت دور الثورة في التعليم :(فالتعليم في منظور الثورة هو أنه لا بد أن يأخذ مساحة عريضة من أبناء هذه الأمة وفي أولوية الأولويات أبناء المناطق المحررة التابعة للتسيير المباشر لجيش وجهة التحرير الوطني وهذه المناطق تضم قرى ومداشر بأكملها). وهذا نموذج منطقة الاوراس، الذي كانت الثورة تشرف على التعليم بداية من المعلم إلى التلميذ وما يتطلبه المقام، ومناهج التعليم، ومواده، ودروس في الوعي وتجنب مخططات العدو وغاراته).[81]

75-(-راجع: محمد الشريف ولد الحسين،2007، في قلب المعركة، تقديم الحاج بن علا ، دار القصبة للنشر1، الجزائر.

76-أنظر: مذكرات الحاج لخضر قائد الولاية الأولى ، ص ص 132-138.

77-نفسه ، ص ص 139-145.

78-أنظر: مذكرات المجاهد بودوح السبتي1955-1962، ص ص 195-200.

79- بلقاسم متيجي، 2007، يوميات فتى مجاهد من 1957 إلى 1962، دار الجائزة للنشر، الجزائر، ص ص 73-81.

80- نويل فافرليار، 2012، القفار عند الفجر، ترجمة علي رزيق، مطبعة مزوار،ط1، الوادي - الجزائر .

81- محمد الصالح نصير، 2015، من بطولات ثورة التحرير – المجاهد نصير محمد الصالح والجندي الفرنسي نويل فافروليير علاقة إنسانية... لا تصدق، إعداد عمار عوادي، وعبد القادر عوادي، دار الكتاب الحديث، الجزائر.

وكانت أوامر الجبهة أن كل مناضل مثقف داخل السجن، عليه أن يعلم إخوانه، فان لم يكن مثقفا فعليه أن يتعلم، وهذا جعل الشيخ احمد حماني وإخوانه العلماء في سجن تازولت، الذي حولوه إلى مدرسة للعلوم العربية والدينية والدروس الوطنية، وساعدتهم إدارة السجن بمكتبة، وكتبوا مجلة سميت "صوت السجين" ، وكان هذا النشاط وما يشابهه في مختلف السجون، كما ذكر الشيخ أحمد حماني في مذكراته في كتاب متخصص. [82]

ويكلف المجاهد بمهمة المحافظ السياسي، ودوره يتمثل في توعية الناس، وربطهم بالثورة، وتوعيتهم بالمساجد في حوض الصومام، وتكليفه برعاية التعليم في تلك المناطق في المدارس الباقية والزوايا التي كانت معاقل للحفاظ على القرآن والدين، وتشجيع التعليم، وبثه عند الأطفال[83].

هـ- المجال الطبيعي والبيئي:

ولم تكن الطبيعة بكل تنوعها، والبيئة وامتدادها في فضاء الجزائر الشاسعة، بمنأى عن المذكرات، ووصفها الدقيق لتلك الميادين المادية والحيوية، وما فيها من وصف الجبال وسبل الحياة فيها، والصحراء ومصاعبها ودروبها الوعرة، ورمالها المتراكمة التي يصعب السير فيها، وحياة البدو وعلاقاتهم بالمجاهدين في تلك البيئات. وقد فصل المجاهد إبراهيم معتوقي في سرد نشاطه في الجبال بين النمامشة وحتى تونس، وما فيها من أدغال ووهاد،[84]ومياه، ومعارك، كما قص المجاهد العربي بلول أحوال جيش التحرير والمعارك في تونس[85]، والمجاهد مبروك حمتين ما بين تونس والاوراس[86]. وأضاف إليها حمد بوغزالة ـ العارف بالصحراء ـ ومداخلها وأهوالها، وصفا للجيش ومعاركه في الصحراء الشرقية لوادي سوف والتي تمتد إلى قارة الهامل على الحدود الجزائرية الليبية، وقصته مع جيش الطالب العربي والنكبة التي أصابته، ولكن لم ينكسر الثوار بل واصلوا مسيرتهم إلى أن

82 -أنظر: مذكرات الحاج لخضر قائد الولاية الأولى ، ص ص 127-132.

83-أحمد حماني،1984، صراع بين السنة والبدعة،ج2، دار البعث، ط1، قسنطينة – الجزائر، ص ص 302-303.

84-عبد الحفيظ امقران الحسني، المرجع السابق، ص ص 44-46.

85-مذكرات المجاهد معتوقي إبراهيم – شاهد من الثورة، 2015، حاوره اطليبة بوراس، تقديم وتحقيق علي غنابزية، منشورات متحف المجاهد بالوادي، مطبعة منصور، الوادي –الجزائر.

86-مذكرات المجاهد العربي بلول – شاهد على ثورة التحرير 1956-1962، 2010، منشورات دار الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر.

رفعوا العلم الوطني في تلك الفيافي، بعد ضغطهم على المفاوضين في ايفيان[87]، لأنهم أرادوها جزائر موحدة بشمالها وصحرائها وتلك إرادتهم، وهي مستمدة من إرادة الله العزيز القدير.

خاتمة

أكدت هذه الدراسة المتواضعة حول مذكرات المجاهدين، وشهاداتهم الحية عن الثورة الجزائرية، أن لها قيمتها المعتبرة كروايات شفوية مدونة، وأخبار مرصودة ويمكن الوقوف عند النقاط الموالية في آخر الدراسة :

- تمثل المذكرات الشخصية والسير الذاتية، مادة خاما، وخزانا ثريا بالقيم والمعاني السامية، والتضحيات الجليلة، والحوادث المتميزة. بحلوها ومرها. لنشاطات المجاهدين، ومن عايشهم وعايشوه من مجتمعات - داخليا وخارجيا - في حياتهم السياسية أو ميادين القتال، وكلها أخبار، بمثابة اللبنات الضرورية لبناء الفعل التاريخي.

- تقتضي الأسس المنهجية، إخضاع المادة المصدرية التي احتوتها المذكرات، إلى التمحيص، والفرز والتصنيف، والانتباه والحذر من طغيان العاطفة الجياشة، والذاتية العمياء، التي قلما ينجو منها صاحب الفضل، ولكن الموضوعية، وطلب الحقيقة، تحتم على المؤرخ أن يتصدى لكل زلل، بتصويب الأخطاء، وتلطيف العبارات، عندما توضع الحقائق في سياقاتها المكتوبة، ضمن المواضيع المنتقاة، والمناسبة لمواضع البحث.

- اهتمت هذه الدراسة بتقديم التوصية التالية، بالدعوة إلى اعتماد مكتبة وطنية للمذكرات الشخصية، للمجاهدين في الثورة الجزائرية في أي مستوى، دون إعطاء الاعتبار للجنسية أو البلد، ما دام صاحبها منخرطا في الجهاد، أو شاهداً عليه. وتنطلق العملية من الإحصاء، ثم الجمع والتصنيف، وتُدرس بطريقة علمية، وتوضع لها فهارس وببليوغرافيات ترشد الباحثين والقراء. وحتى تكون ميسرة، تحتضنها متاحف المجاهد الولائية، ومكتبة المركز الوطني بالأبيار، حتى تكون مقصدا للباحثين في التاريخ الوطني للجزائر.

87- مذكرات المجاهد مبروك حمتين - شاهد من الثورة، حاوره اطليبة بوراس، تقديم محمد السعيد عقيب، منشورات متحف المجاهد بالوادي، مطبعة سخري، ، الوادي -الجزائر، د ت.

- المصادر والمراجع

- المذكرات:

- امقران آيت مهدي محمد ،2013، المسار الصعب واللامعقول لمقاتل – مذكرات وشهادات ، ترجمة آيت موهوب مصطفى ، دار رافار للنشر، الجزائر.
- امقران الحسني عبد الحفيظ ،1997، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر.
- باي أحمد ، 1981، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة"، تحقيق ونشر محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بلول العربي،2010، شاهد على ثورة التحرير1956-1962، منشورات دار الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار، الوادي –الجزائر.
- بودوح السبتي، 2002، مذكرات المجاهد بودوح السبتي1955-1962، مطبعة عمار قرفي، باتنة – الجزائر.
- بورقعة لخضر،2000، شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة للنشر، الجزائر.
- بوغزالة حمد الهادي ، 2012، شاهد من الثورة، حاوره اطليبة بوراس، تقديم وتحقيق علي غنابزية، منشورات متحف المجاهد بالوادي، مطبعة سخري ، الوادي –الجزائر.
- جبالي أبو القاسم ، 2012، مذكرات حياتي، دار نوميديا للطباعة، قسنطينة–ا لجزائر.
- ديغول شارل، د ت، مذكرات شارل ديغول، ترجمة وتعليق خيري حماد، منشورات دار أسامة، دمشق – بيروت.
- هلايلي محمد الصغير،2013، شاهد على الثورة في الاوراس ، دار القدس العربي، وهران- الجزائر.
- الورتلاني الفضيل ، 1992، الجزائر الثائرة، دار الهدي، عين مليلة- الجزائر.
- ولد الحسين محمد الشريف ،2007، في قلب المعركة، تقديم الحاج بن علا ، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- الزهار أحمد الشريف،1980، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر"، تحقيق ونشر المدني احمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- زغلول سعد، 1996، مذكرات سعد زغلول، تحقيق عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الحاج لخضر، د ت، قبسات من ثورة نوفمبر1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، كتابة الطاهر حليس شركة الشهاب الجزائر، مطبعة قرفي باتنة.
-حباشي عبد السلام ،2008، من الحركة الوطنية إلى الاستقلال، مسار مناضل، دار القصبة للنشر، الجزائر.
-حماني أحمد،1984، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث، قسنطينة – الجزائر.
- حمتين مبروك، د ت، شاهد من الثورة ، حاوره اطليبة بوراس، تقديم محمد السعيد عقيب، منشورات متحف المجاهد بالوادي، مطبعة سخري، ، الوادي – الجزائر.

- حربي محمد ،2004، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- الطهطاوي رفاعة ، 1991، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، دار موفم للنشر الجزائر.
- المدني أحمد توفيق ، 2009، حياة كفاح ، دار البصائر، الجزائر.
- معتوقي إبراهيم ،2015، شاهد من الثورة، حاوره اطليبة بوراس، تقديم وتحقيق علي غنابزية، منشورات متحف المجاهد بالوادي، مطبعة منصور، الوادي –الجزائر.
- متيجي بلقاسم ، 2007، يوميات فتى مجاهد من 1957 إلى 1962، دار الجائزة للنشر، الجزائر.
- نزار خالد، د ت، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر، دار الشهاب باتنة – الجزائر.
- نصير محمد الصالح ، 2015، من بطولات ثورة التحرير– المجاهد نصير محمد الصالح والجندي الفرنسي نويل فافروليير علاقة إنسانية... لا تصدق، إعداد عمار عوادي، وعبد القادر عوادي، دار الكتاب الحديث، الجزائر.
- سعد الله أبو القاسم ،2011، مسار قلم، ج2، ج3، عالم المعرفة، الجزائر.
- (ـ ، ـ)، 2015، حياتي ،عالم المعرفة، الجزائر.
- سعدي عثمان، 2000، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، تقديم عثمان سعدي بن بلقاسم، دار الأمة، الجزائر.
- العقاد عباس محمود ، 1971، أنا، دار الكتاب العربي، بيروت.
- العقون عبد الرحمن بن إبراهيم ،1984، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات مجاهد (1920-1936)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
-فافرلياربنويل ،2012، القفار عند الفجر، ترجمة علي رزيق، مطبعة مزوار، الوادي – الجزائر.
- قليل عمار،1991، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء 1، دار البعث، قسنطينة- الجزائر.
- قصباية محمد الوردي،2017 ، مذكرات مجاهد من الاوراس خلال ثورة أول نوفمبر1954-1962، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة- الجزائر.
- الشايع بن سالم ، 2016، من ذاكرة مجاهد عصامي، تحرير وتقديم وتعليق الدكتور أحمد زغب، مطبعة الوادي – الجزائر.
- الشيخ الحداد، 1989، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- تواتي ابراهيم معمر،2013 ، مذكرات مجاهد في أرض العدو، مطبعة سخري، الوادي –الجزائر.
- خوجة حمدان بن عثمان، 1975، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- خير الدين محمد، د ت ، مذكرات ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- Ait Ahmed, Hocine, 1990, Mémoires d'un Combattant, L'esprit d'indépendance, 1942- 1952,ed,Bouchene,Alger.
- Mohamed Labri Madaci, 2001, Les Tamiseurs de Sable , Aurès – Nememcha 1954 -1959, ed Anep, Alger.

- الكتب

- ابن الأثير، 2003، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البعلبكي منير، 1992، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين بيروت.
- الجيلالي عبد الرحمن ، 1994، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- ياغي إسماعيل احمد ،1999، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة الكعيبيات، الرياض ، 1999.
- السيد عبد العزيز سالم، د ت، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت.
- العروي عبد الله،1997، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب.
- المعجم الوسيط،2004، نشر مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر،

- الرسائل الأكاديمية

-كعوان فارس،2012، "المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي الوطني(1830-1962) مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري ، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة.

التقطيع الإقليمي أثناء الثورة التحريرية بين الجغرافية المتحركة والتاريخ المتوقف: الولاية الثالثة أنموذجا (1954-1962)

د. مصطفى سعداوي
جامعة أكلي محند ولحاج، البويرة- الجزائر
salisada@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/14 تاريخ القبول: 2019/11/26

الملخص

تحاول هذه الدراسة استنطاق البنية الاقليمية للثورة التحريرية الجزائرية ما بين 1954 و1962، مركزةً على إحدى ولاياتها التاريخية الست وهي الولاية الثالثة. ومن المعروف أن هذه البنية صاغها قادة «جبهة-جيش التحرير الوطني» لأهداف استراتيجية مرتبطة -أساسا- بالمشروع الثوري الرامي الى انهاء الاحتلال الفرنسي للبلاد. بيد أننا إذا تجاوزنا هكذا نظرة وقائعية، واجتهدنا في سبر أغوار البنية المعنية من منظور الأمد الطويل، سنخلص الى أنها -في المحصلة- تعبير عن حقائق تاريخية مكثفة، وصدى لهيكلية اجتماعية عميقة، جرى تكريسها وترسيخها عبر نقلها من المستوى التاريخي-الاجتماعي العميق والمتخفي الى المستوى السياسي-الاداري البارز والمتجلي، وذلك بعد تكييفها مع المتطلبات الاستراتيجية والمقتضيات التكتيكية للفعل الثوري.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، البنية الاقليمية، الولاية الثالثة، التاريخ المكثف، الجغرافية المتحركة.

Abstract:

This study questions the territorial structure of the Algerian revolution between 1954 and 1962, focusing on one of its six "Willayas" as a prototype, namely the "Willaya" three. It is known that the said structure was conceived by FLN-ALN leaders from a revolutionary perspective aimed at putting an end to the (French) colonial occupation of the country. However, if we supplant such an event-driven perception by means of a deep exploration of the underside of the structure concerned and according to a long-term vision, we will certainly see that it was -in fact- only an expression of condensed historical realities, and the echo of deep social structuring. This is after having transferred these so-called realities of the deep and invisible historico-social level to at the apparent and observable político-administrative level after an adaptation to the strategic requirements and tactical needs of the revolutionary action.

Keywords: Algerian Revolution, Territorial Structure, Wilaya Three, Condensed History, Moving Geography.

Résumé

Cet étude interroge la structure territoriale de la révolution Algérienne entre 1954 et 1962, en se centrant sur l'une de ses six Willayas comme prototype, à savoir la Willaya trois. Il est connu que ladite structure était conçue par les chefs du FLN-ALN dans une perspective révolutionnaire visant à mettre fin à l'occupation coloniale (française) du pays. Toutefois, si on supplante une telle perception événementielle à la faveur d'une exploration profonde des dessous de la structure concernée et selon une vision de longue durée, on constatera certes quelle n'était-en somme- qu'une expression de réalités historiques condensées et l'écho d'une structuration sociale profonde. Cela, après avoir transférer les dites réalités du niveau historico-social profond et invisible au niveau politico-administratif apparent et observable, suite à leurs adaptation aux exigences stratégiques et besoins tactiques de l'action révolutionnaire.

Mots clés : Révolution Algérienne, structure territoriale, Willaya Trois, histoire condensée, géographie mouvante.

مقدمة

كانت الثورة الجزائرية (1954-1962) ترمي الى أن تُحِلّ مكان النظام الكولونيالي نظاما جديدا، وتَضعَ أمام بُناه بُنى الدولة الوطنية القادمة. لذا عملت وسعها لتكون حاضرة في كل قرية، وكل مدينة وكل مكان، وهو ما عكسته هيكلتها الاقليمية التي شملت مجمل البلاد مقسمةً إياها الى ستّة أقاليم عُرف كل واحد منها بالولاية.

ويعتقد الكثيرون أن تلك الأقاليم (أو الولايات) مجرد مساحات جغرافية محددة تؤطرها هياكل الثورة. إلا أنها في الواقع أكثر من ذلك، فهي أيضا «تكثيف تاريخي»، إذ أن أي قطعة جغرافية ما هي -في المحصلة- سوى تاريخ توقف، تماما كما أن الوقائع التاريخية التي تجري عليها هي -في جانب منها- جغرافية متحركة، فهما وجهان لعملة واحدة. أضف الى ذلك أن الاقليم، أي إقليم، تقيم عليه مجموعة من الناس بوصفها نظاماً من العلاقات المتبادلة، الأمر الذي يعني أنه علاوة على ما سبق (أي كونه قطعة جغرافية وبالتالي تكثيفاً تاريخياً) هو كذلك تمثلٌ جماعي، وظاهرة ثقافية.

على ضوء هذه المنظورات المختلفة والمتشابكة، يسعى هذا المقال الى مقاربة البنية الاقليمية للولاية الثالثة[1] كأنموذج، وذلك قصد بناء صورة أكثر شمولا لحقيقة الثورة وأشدّ قربا من واقعها المركب. وهو ينطلق -في هذا المسعى- من الاستفهام التالي:

- على أي أساس جرى تشكيل الوحدات الإقليمية المؤلِفة لهذه البنية وضبط الحدود بينها؟ أو بصيغة أوضح؛ ما هو المحدد الرئيسي لهذه العملية: هل هو التجاوب مع المتطلبات الآنية للعمل الثوري؟ أم التناغم مع البنيان العميق للمجتمع المحلي؟ أم كلا الأمريْن معا؟

لحلحلة هكذا اشكالية لا يكفي الاقتصار على الزمن القصير، ولا حتى الابحار مع زمنية ذات نفس طويل، وإنما لا بدّ من حركة جيبية في اطار جدلية الزمنين. وذلك طبعا ضمن نطاق مكاني محدد هو الولاية الثالثة (التاريخية).

1- من التقليد الى الابتكار

تعد الولاية الثالثة احدى مخرجات التقسيم الاداري (الخريطة 1) الذي تبنته الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، ونفترض أن هذا الأخير يستبطن منظورا اجتماعيا–ثقافيا تبلور على امتداد التاريخ الطويل للجزائر. وهو ما سنناقشه فيما يأتي من خلال تحليل أنموذج الولاية الثالثة.

1- تتوسط الولاية الثالثة شمال الجزائر، وهي تمتد على طول شاطئ البحر الأبيض المتوسط Wمن»زموري» شرق العاصمة (على بعد 20 كلم) إلى «سوق الإثنين» شرق «بجاية». وتحدها من جهة الشرق الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) انطلاقا من «سوق الإثنين» على البحر إلى غاية «سطيف» مرورا بـ «خراطة». ويفصلها من ناحية الجنوب عن الولاية الأولى الطريق الوطني الرابط بين «برج بوعريريج» و»المسيلة» والذي يقطع منطقة الحضنة على طول سهل القصب. ولا تتوقف الولاية الثالثة عند «المسيلة» بل تمتد لتصل الى مدينة «بوسعادة» حيث تلتقي بالولاية السادسة (الصحراء). وانطلاقا من «بوسعادة» تأخذ حدودها في الصعود باتجاه الشمال الى غاية «زموري» على البحر بعد المرور بـ «عين الحجل» و»سيدي عيسى» و»البويرة» و»الأخضرية» و»الثنية» لترسم بذلك الحد الفاصل بينها وبين الولاية الرابعة.

وتعد هذه الولاية أصغر الولايات التاريخية من حيث المساحة، بيد أنها في المقابل تتمتع بموقع استراتيجي؛ فهي جدّ قريبة من عاصمة البلاد، وتعد ممرا اجباريا بين القطاع القسنطيني والقطاع الجزائري، ولها حدود مع جميع الولايات التاريخية بإستثناء الولاية الخامسة. كما تتسم بسطح في غاية التعقيد والوعورة؛ إذ تتوفر على العديد من السلاسل الجبلية... الأمر الذي يجعل منها أرضا مثالية لخوض حرب عصابات. هذا، وتتميز-من الناحية الديمغرافية- بكثافة هي الأعلى وطنيا، في مقابل حضور ضعيف للاستيطان الأوربي، علاوة على وجود تجانس ثقافي واجتماعي قوي بين مكوناتها السكانية. ولا يفوتنا التذكير بالحضور القوي والمبكر للإيديولوجية الوطنية في هذه المنطقة التي لعب مهاجروها بفرنسا دورا محوريا في صياغتها إبان فترة ما بين الحربين العالميتين.

وبدايةً، نشير الى أن البنية الاقليمية للولاية المعنية (الخارطة 2) تختلف عن كل التنظيمات الاقليمية والبنى الادارية التي أَطَرَت قبلها ذات الحيز الجغرافي. وللتوضيح أكثر، فإننا إذا عقدنا –على سبيل المثال- مقارنة بينها وبين التنظيم الاداري الاستعماري السابق عليها، نسجل أن الولاية الثالثة كوحدة ادارية ليس لها ما يقابلها في المنظومة الاقليمية الكولونيالية، كما أن مناطقها تختلف جذريا عن «دوائر» المستعمِر Ar-rondissements، ونواحيها لا تتوافق مطلقا مع ما يُدعى بـ«البلديات المختلطة»[2]، ونفس التقرير يسري على أقسامها وقسماتها. فهل يعني هذا أنها بنية مبتكرة؟

1-1- التقليد أولا:

بهذا الخصوص، لا بد أن نسجل بأن «سمة الابتكار» الملحوظة على التقطيع الاقليمي للولاية الثالثة لم تكن ملازمة له منذ الانطلاق. ففي نوفمبر1954، كانت المنطقة الثالثة (التي ستصبح ولاية ثالثة لاحقا) تضم سبع نواحٍ[3] هي: ناحية ذراع الميزان، ناحية تيزي-وزو، ناحية برج منايل، ناحية عزازقة، ناحية عين الحمام، وناحية البويرة، ناحية تيقزرت-مكودة- سيدي نعمان.

وهذه الهيكلة لم تكن -في الواقع- سوى نسخة طبق الاصل لدوائر «الولاية 4-5» أي «ولاية القبائل الكبرى» التابعة لحزب الشعب-حركة الانتصاروهي متأثرة –بشكل كبير- بالتقسيم الاداري الاستعماري[4].

2- للإطلاع على التقطيع الاداري لبلاد القبائل في العهد الاستعماري، ينظر:

-Tarik Bellahsene, La colonisation en Algérie : processus et procédures de création des centres de peuplement : institutions, intervenants et outils, les cas des centres en Kabylie du Djurdjura, thèse de doctorat, université Paris 8, 2006, p-p : 534-537.

-Département d'Alger, «Monographie de l'arrondissement de Tizi-Ouzou», octobre 1953, in Archives CAOM 915/88.

3- تذكر معظم المصادر أن عدد النواحي المؤلفة لمنطقة القبائل في أول نوفمبر1954 كان سبعا، إنظر:

-Amar Hamdani, Krim Belkacem lion du djebel, Ed. Bouchène, Alger, 1993, p,p. 122, 131.

-Yves Courière, La guerre d'Algérie : les fils de la Toussaint, éd Rahma, Alger, 1992, p. 352.

بينما يذكر علي زعموم في مذكراته أن عدد النواحي في أول نوفمبر1954 كان ستاً إنظر:

-Ali Zamoum, Tamurt Imazighen Mémoire dun survivant 1940-1962, ed Rahma, Alger, 1993, p.p. 157-158.

4- انظر:

-PRG, District d'Alger, P.V. d'audition du nommé Fernane Hanafi, Ben Mohammed, le 22 mars 1950, in Archives CAOM, 91 1F 205-206.

-PRG, District d'Alger, Implantation du PPA-MTLD dans le département d'Alger, 3 avril 1953, in Archives CAOM 91/ F525.

-PRG, District d'Alger, Structure du PPA-MTLD, 27 janvier 1953, in Archives CAOM 91/ F525.

الخارطة رقم 1: التنظيم الاقليمي للجزائر أثناء الثورة التحريرية 1954-1962

الخارطة 2: التنظيم الاقليمي للولاية الثالثة (1956-1962)

المصدر: عبد الحفيظ أمقران الحسيني، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 184.

1-2- الابتكارو»ديناميكية التوسع»:

بيد أنه سرعان ما أخذ التغيير يعتري هذه البنية الأولية، سيما وأن الولاية الحزبية المذكورة أعلاه كانت مقتصرة على القبائل الكبرى فقط، بينما «المنطقة الثالثة» كانت تشمل أيضا –على الأقل نظريا في هذه المرحلة- القبائل الصغرى ومناطق أخرى تقع خارج النطاق التقليدي لمنطقة القبائل. وفي فترة المخاض هذه، وقبل أن تأخذ الوحدة الاقليمية المعنية صيغتها النهائية في أعقاب مؤتمر الصومام (أوت 1956)، عرفت عدة صيغ وتقسيمات انتقالية[5]. وكان العامل الأبرز تأثيرا في ذلك المخاض هو ما يمكن أن نسميه بـ«ديناميكية التوسع»؛ حيث كانت الاقاليم التابعة لسلطة كل قائد تتحدد شيئا فشيئا تبعا لديناميكية المجموعات العاملة تحت إمرته أي مدى نجاحها في مدّ وإرساء نظام الثورة في قرى ودواوير جديدة. وكمثال على ذلك يمكن أن نشير الى ناحية البيبان التي كانت أثناء الثورة مقسمة بين منطقتين من مناطق الولاية الثالثة؛ فالجهة الشمالية (جعافرة، تفرق، ألماين، ثنية الخميس، المرابعة...) كانت تابعة للمنطقة الأولى بينما الجهة الجنوبية (أولاد سيدي ابراهيم وما جاورها، بني منصور، دوار بوقطن، موقة، تابوعنانت، مزيتة...) كانت ملحقة بالمنطقة الثانية. ومرد ذلك الى كون الفوج الذي مدّ تنظيم الثورة إلى الجهة الشمالية (أمثال: سعيد إيواسيف، حمو أوقابشون، أحسن أومالو، علي أوقلول...) كان قادما من بني عباس، في حين كان قد تولى ايصال الثورة الى الجهة الجنوبية فوج من بني مليكش (على غرار: الربيع مليكشي، أعمر ميرة...)[6].

غير أنه لا ينبغي المبالغة في أهمية هذا العامل؛ فهو وإن لعب –بكل تأكيد- دورا حاسما في زعزعة البنية الاقليمية القديمة، فإنه لم يكن له ذات التأثير في بلورة الهيكلة الجديدة. وتعد منطقة الصومام أحسن نموذج على ذلك؛ حيث تذكر المصادر المتاحة أن القائد

5 - انظر:

- شهادة سي الصادق دهيلس، في: عباس محمد، **فرسان الحرية**، دار هومة، الجزائر، 2001، ص: 92.

- FLN-ALN, « Extrait du P.V. du congrès de la Soummam », in Abdelhafid Amokrane, Mémoires de combat, Ed. Dar El Oumma, Alger, 1998.

6 - الجمعية الولائية لحماية وتخليد مآثر الثورة التحريرية، ولاية البرج بوعريرج، **حياة المجاهد الشهيد عيسى حميطوش «البنداوي»**، الملتقى التاريخي الأول لولاية البرج بوعريرج يومي 11 و12 جويلية 2005، ص ص: 31-32.

عميروش أيت حمودة[7] عندما قدم إليها في مارس 1955 قسمها عموديا الى منطقة«الصومام السفلى» التي امتدت من «إغزر أمقران» الى بجاية وكان على رأسها قاسي حماي، و»منطقة الصومام» العليا التي توسعت من «إغزر أمقران» الى «البويرة» ثم الى برج بوعريريج وقائدها عبد الرحمان ميرة. لكن عقب مؤتمر أوت 1956 أُعيد تقطيع المنطقة على محور أفقي متوافق مع مجرى وادي الصومام الى منطقة 1 على الضفة اليمنى للوادي ومنطقة 2 على ضفته اليسرى[8]. وهذا يعني أن هناك عوامل أخرى كان لها التأثير الأقوى في بلورة الصياغة النهائية للبنية الإقليمية للولاية الثالثة، فما هي؟

2- محددات الجغرافيا:

إذا أمعنا النظر في المثال الأخير، نكتشف أن القول الفصل في المسألة عاد لظاهرة طبيعية (وادي الصومام). وبالفعل، فقد ضُبطت في عديدٍ من الحالات الحدود بين المكونات الإقليمية المختلفة للولاية الثالثة بواسطة فواصل طبيعية كالسلاسل الجبلية (انظر الخارطة 3) والمجاري المائية (انظر الخارطة 4).

7- هو ابن عميروش أيت حمودة وفاطمة آيت منداس، ولد في 31 اكتوبر 1926 بقرية «تاسافت اوقمون» بعرش آث واسيف، بلدية جرجرة المختلطة (التابعة لولاية تيزي-وزو حاليا)، وهذا أربعة أشهر بعد وفاة والده. ونشأ عميروش في كنف أخواله بقرية «إيغيل بوماس»، والتحق بالمدرسة الأهلية بذات القرية في 1932. وفي سن الثانية عشر، أخذه عمه بلعيد ايت حمودة للعيش معه بـواد الفضة (التابعة لولاية الشلف حاليا)، ثم بغيليزان. وتزوج عميروش من ابنة عمه بلعيد، ورُزق منها بولد واحد.وانخرط في حزب الشعب-حركة الانتصار، وفي 1948 جرى تجنيده في المنظمة الخاصة، وأضحى مسؤول فرعها بغليزان، وألقي عليه القبض في أعقاب اكتشاف أمر المنظمة في 1950، لكن لم يلبث أن أطلق سراحه أمام انكاره لأي علاقة له بالمنظمة المعنية. وبسبب مضايقات الشرطة انتقل الى مدينة الجزائر ثم هاجر في أواخر 1950 أو مطلع 1951 الى فرنسا، واستقر في باريس، حيث تقلب في عدة مهن، كما انخرط في فرع جمعية العلماء في حي سان دوني التي كان يديرها الشاعر ربيع بوشامة.

وبعد اندلاع الثورة بأسبوعين عاد عميروش الى ارض الوطن (وحسب بعض الروايات الأخرى يكون قد عاد في سبتمبر 1954)، والتحق بالعمل المسلح تحت قيادة أعمر آث الشيخ مسؤول ناحية عين الحمام (ميشلي سابقا). وفي ربيع 1955، أُرسل الى منطقة وادي الصومام لإعطاء دفع قوي للثورة بها، وهو ما نجح في تحقيقه بدليل احتضان المنطقة للمؤتمر المعروف بإسمها في اوت 1956. وفي هذا المؤتمر تمت ترقيته الى رتبة صاغ أول (رائد)، وتعيينه كنائب عسكري لقائد الولاية الثالثة محمدي السعيد. وفي نفس الوقت، أرسل من قبل قيادة الثورة الى الأوراس لإعادة تنظيم الولاية الأولى وتسوية الخلافات التي ظهرت بين قادتها بعد استشهاد قائدها الأول مصطفى بن بولعيد. وبعد استدعاء محمدي الى تونس في صائفة 1957، حل مكانه عميروش كقائد للولاية الثالثة. وعمل هذا الأخير على اعطاء نفس جديد لولايته. هذا الى جانب سعيه الحثيث الى اقامة تنسيق وثيق بين قادة الداخل كما يعكس ذلك وقوفه وراء انعقاد اجتماع قادة الداخل في ديسمبر 1958. وفي 29 مارس 1959 سقط العقيد عميروش شهيدا رفقة العقيد سي الحواس قائد الولاية السادسة بجبل تامر بالقرب من بوسعادة، وكانا في طريقهما الى تونس.

8- انظر:

- عبد العزيز وعلي، **أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة**، دار الجزائر للكتب، الجزائر، د.ت.، ص 376.
- جودي أتومي، **العقيد أعميروش بين الأسطورة و التاريخ: المسيرة الطويلة لأسد الصومام**، تر: موسى أشرشور، 2005، ص 26.

2-1- الكتل الجبلية:

فيما يخص الجبال لدينا مثال صارخ هو سلسلة جرجرة، فهي كما تُعد القاسم المشترك

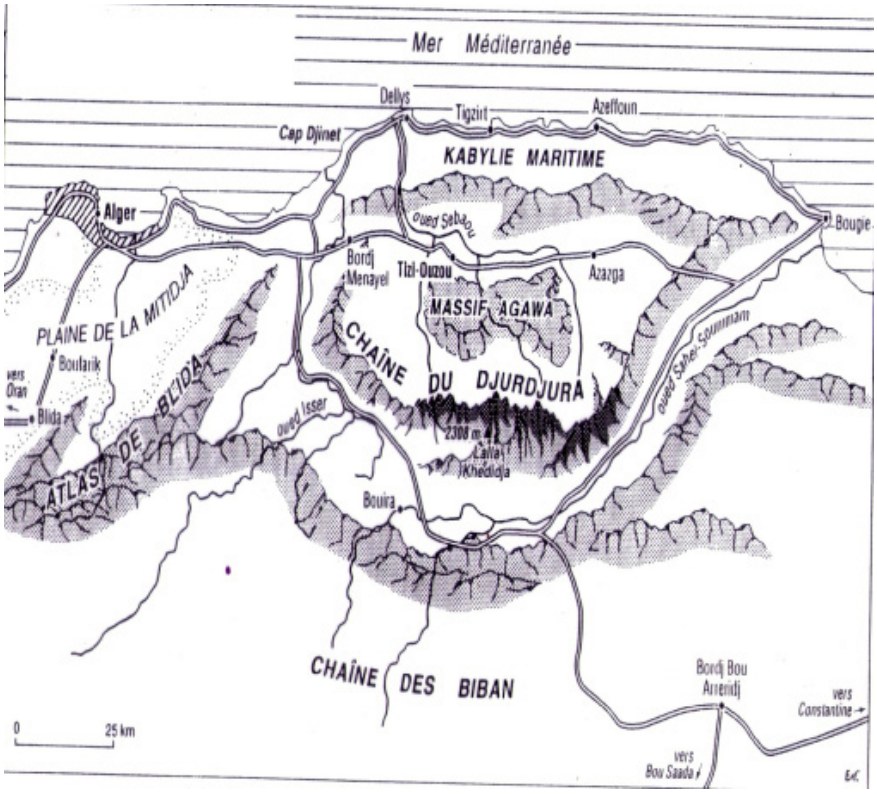

الخارطة 3: أبرز مظاهر التضاريس في الولاية الثالثة (منطقة القبائل)

المصدر:

Camille Lacoste-Dujardin, Opération l'oiseau bleu, La Découverte, Paris 1997, p 18.

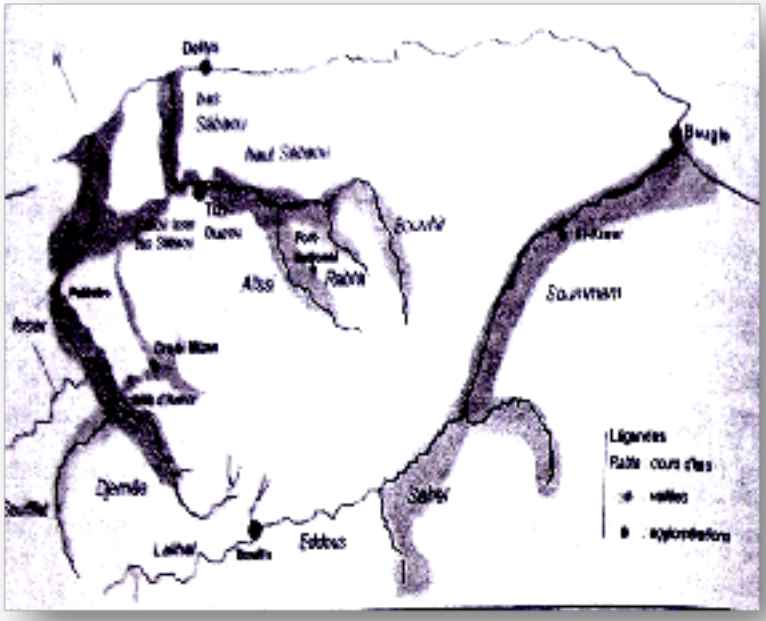

الخارطة 4: الأودية والمجاري المائية في الولاية الثالثة

المصدر:

Tarik Bellahsene, La colonisation en Algérie : processus et procédures de création des centres de peuplement : institutions, intervenants et outils, les cas des centres en Kabylie du Djurdjura, thèse de doctorat, université Paris 8, 2006, p 548.

الجبال في ضبط التقطيع الإقليمي على مستوى الولاية الثالثة أنه لا يتعين في رسم الحدود دائما وإنما يتمثل غالبا في لعب دور الجزء المحوري والمميزللوحدة الاقليمية المعنية بحيث تتبلور حوله لتشكل مجموعة مندمجة ومتجانسة طبيعيا وبشريا. والأمثلة في هذا المجال كثيرة، على غرار الناحية الأولى (لاربعا-ناث-إراثن) من المنطقة الثالثة التي تبلورت حول الكتلة الجبلية المركزية المعروفة بـ«كتلة زواوة»، والناحية الثالثة من ذات المنطقة (آث جناد-تقزرت) المتشكلة حول السلسلة الساحلية، والناحية الخامسة من

المنطقة الثانية (آث عباس) المتماهية مع كتلة البيبان الشرقية... ألخ. وفي مثل هذه الحالات، تتدخل دوما ظاهرة جغرافية أخرى على أطراف الوحدة الاقليمية لتضبط معالمها بصورة أدق، وهذه الظاهرة تتجسد غالبا في المجاري المائية.

2-2- المجاري المائية:

وحول دور هذه الأخيرة تتوفر معطيات جمّة، فعلاوة على وادي الصومام الفاصل بين المنطقتين الأولى والثانية كما مضت الاشارة، نصادف في المنطقة الأولى وادي بوسلام الذي يضبط الحدود بين العديد من نواحيها كالناحيتين الثالثة (آث عيذل) والخامسة (آث عباس) على سبيل المثال... وذلك بمعية عدة وديان أخرى كـ «وادي إلماين» و«وادي شرطيوة» و«وادي ماحاجار». وذات الشأن في المنطقة الثانية حيث يفصل وادي البارد بين الناحية الثانية (البويرة) والناحية الثالثة (مايو-أقبو) ووادي سمعون بين هذه الأخيرة والناحية الرابعة (بجاية). هذا شرق سلسلة جرجرة أما غربها، فأهم مجرى مائي على الاطلاق هو وادي سيباو وهو في ذات الحين أحد أبرز الفواصل الحدودية بين المنطقتين الثالثة والرابعة جزئيا وكذا بين نواحي المنطقة الثالثة. وتُعضّده في ذلك أودية وروافد أخرى عديدة نذكر منها: وادي بوبحير ووادي بركموش ووادي عيسي ووادي بوقدورة... دون أن ننسى وادي يسر الذي يفصل المنطقة الرابعة (الولاية الثالثة) عن الولاية الرابعة.

إلى هنا، قد يُفهم من هذا التحليل أن الشكل الطبيعي لسطح المنطقة هو من فرَض البنية الاقليمية للولاية الثالثة في غياب أي دور ايجابي للعنصر الانساني، فهل هذا صحيح؟ طبعا لا؛ لأن تأثير المحيط المكاني –دوما- مشروط بادراك الانسان له وكيفية تفاعله معه، وهو ما يمكن أن نتلمسه –هنا- من خلال مسألتين أساسيتين: المدلول التاريخي للظاهرات الطبيعية المذكورة أعلاه، والتكييف الاستراتيجي الذي خضعت له لتتجاوب مع الأهداف التي صُممت من أجلها البنية المعنية.

2-3- الجغرافيا كتاريخ مكثف:

بخصوص المسألة الأولى؛ إذا تأملنا في دور الظاهرات الطبيعية من جبال ومجاري مائية المطروق أعلاه، وهذه المرة من منظور تاريخي يأخذ بعين الحسبان «الأمد الطويل»، فإننا

سنخلص الى أن تلك الظاهرات لم تؤثر في البنية الاقليمية باعتبارها جزءاًمن الجغرافيا بقدر ما أثرت بوصفها تجسيدا لتاريخ بعيد الغور أي تعبيرا عن قوى ترسبت في أعماق المجتمع على مرّ القرون وما فتئت تؤثر في حركيته بشكل تلقائي.

فتقسيم الولاية الثالثة –مثلا- على أساس خط قمم جبال جرجرة الى المنطقتين 1 و2 الى الشرق منه والمنطقتين 3 و4 الى الغرب، ليس مجرد تقسيم جغرافي شكلي أملته ظاهرة طبيعية جامدة، إنما هو تجسيد لمسار تاريخي طويل الأمد طالما كرس الفروق بين قبائل شرقيةٍ وأخرى غربيةٍ. إذ ما فتئت أولاهما تولي وجهها شطر الشرق وتتمحور حول مدينة بجاية، وتعانق السهول العليا، بينما ظلت ثانيتهما ترنو ببصرها الى الغرب وتتفاعل أكثر مع مدينة الجزائر (بالأخص قبل نشأة مدينة تيزي-وزو)، وتلاصق سهول متيجة. وهو ما نجمت عنه تباينات لا تخطئها العين على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتي كان لها دوما وقعها المتميز على الجانب السياسي. هذا علاوة على أن الاستعمار درج –لأزيد من قرن- على تكريس وتعميق الفروق المذكورة، وما مصطلحا: القبائل الصغرى والقبائل الكبرى الموروثيْن عنه إلا عنوانا لذلك.

وذات المنطق التاريخي يسري على استخدام الأودية في الضبط الاقليمي في كلا القطاعين المذكورين (أي القبائل الصغرى والقبائل الكبرى)، حيث أن توظيف وادي الصومام ووادي سيباو على التوالي في تقطيع كل من القبائل الصغرى والقبائل الكبرى الى منطقتين متمايزتين ما هو إلا تجسيد لتغاير تاريخي واجتماعي بين منطقتي «القرقور» (منطقة 1) والصومام (منطقة 2) بالنسبة لقطاع القبائل الصغرى، وبين منطقتي القبائل العليا (منطقة 3) والقبائل السهلية (منطقة 4) بالنسبة لقطاع القبائل الكبرى. كما أن هكذا استخدام للمجاري المائية (أي كفواصل اقليمية) يعكس تقليدا عريقا في المنطقة طالما ساعد على ضبط الحدود بين أراضي الأعراش المختلفة. وهو ما يميط اللثام عن التماهي الخفي بين البنية الاقليمية للولاية الثالثة والتنظيم التقليدي للمجتمع المحلي. ويظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا على مستوى البنى القاعدية من أقسامٍ فما دونها، حيث نصادف حالات عديدة تتطابق فيها حدود الفرع أو القسمة مع حدود العرش.

وإذا قارنا بين النوعين المذكورين من الفواصل الاقليمية (أي الجبال والأودية) فإننا نسجل اختلافا مهمًا في درجة التغاير التاريخي والاجتماعي التي يعبر عنها كل منهما. فبينما تقف الجبال كحواجز طبيعية تحول دون التواصل الانساني بين جانبيها؛ فلا تسمح –مثلا- سلسلة جرجرة بالتنقل بين القبائل الكبرى والقبائل الصغرى سوى عبر عدد محدود من الممرات أهمها: ثيروردة (1760 م)، ثيزي نكولان (1578 م)، أكفادو (1385 م) [9]والتي تخترقها مسالك غاية في الوعورة زيادة على عدم صلاحيتها للاستعمال طيلة شهور الشتاء[10]. فإنه توجد على جانبي أغلب المجاري المائية المذكورة مناطق عامرة يتصل بعضها ببعض وتتشابك مصالحها الاقتصادية وبالتالي فهي وسائل للربط والاتصال بدلا من الفصل. ومنه نخلص الى أن السلاسل الجبلية تجسد حدودًا فعلية أي حدود انفصال، بينما المجاري المائية هي حدود اتصال أي مجرد حدود رمزية تستعمل من أجل التسهيل الاداري (السياسي). وهنا تأكيد إضافي للترادف القائم بين الظواهر الجغرافية والمعطيات التاريخية-الاجتماعية، بحيث يصح القول بأن التسميات الجغرافية المختلفة التي تُستعمل بابتذال لتعيين الإقليم ككل من قبيل: جرجرة، بلاد القبائل... أو كجزء مثل: الصومام، قرقور، القبائل العليا، القبائل المنخفضة... إنما تعبر عن قوى تاريخية مترسبة في عمق المجتمع أو بلغة ابن خلدون تعبر عن «طبائع العمران وأحوال الاجتماعي البشري» المؤثرة في القوى الانسانية التي تتحرك في نطاقها.

إلا أنه وكما هو حال القواعد دائما، لهذه القاعدة أيضا استثناءاتها، وتعد توليفة المنطقة الرابعة مثالا جيدا على ذلك؛ حيث تضم الى جانب القبائلِ السهلية، السفوحَ الشمالية الغربية لجرجرة التي هي جزء أصيل من القبائل العليا. ومن نافلة القول أن هذا الاستثناء وغيره لا يشكل نفيا للقاعدة المعنية وإنما دعما لها، ويمثل في الوقت ذاته مؤشرا على وجود اعتبارات أخرى كامنة وراء تصميم البنية الإقليمية؛ اعتبارات تتصل -هذه المرة- بالأهداف الاستراتيجية لمصممها، الأمر الذي يستدرجنا الى معالجة المسألة الثانية.

9-Département d'Alger, «Monographie de l'arrondissement de Tizi-Ouzou», octobre 1953, in Archives CAOM 915/88.

3- متطلبات الاستراتجية

بخصوص هذه الأخيرة، من الجلي بمكان أنه عند تخطيط البنية الاقليمية للولاية، رُوعيت عدة عناصر استراتيجية على غرار الحصانة الطبيعية والكثافة السكانية ووفرة التموين ومواقع الاتصال، بحيث تكتسب كل وحدة إقليمية توازنها اعتمادا على وسائلها الخاصة... وهو ما يتجلى –على سبيل المثال لا الحصر- من خلال جمع أغلب الوحدات الاقليمية بين مناطق جبلية محرجة (مغطاة بالغابات أو الأحراش) وأخرى سهلية خصبة، ومراكز حضرية وتجمعات ريفية حتى يتوفر لها ما تحتاجه من حاجيات مادية وبشرية[11]، أي أنها قامت على مبدأ التكامل الاستراتيجي بين نوعين من النطاقات:- «نطاقات المقاومة والحماية» التي تكثر فيها الدفاعات الطبيعية كالجبال والغابات... وتشكل قواعد انطلاق وانكفاء مثالية لفصائل جيش التحرير.

- و»نطاقات العمل» التي يطغى عليها الطابع السهلي وتكثر فيها المراكز الحيوية وتخترقها محاور الاتصال... ومن ثمّ تعد مسارح مثالية للعمليات الهجومية ولاستخدام تكتيكات التخريب والاغتيال.

3-1- التكامل الاستراتيجي:

يكفي أن نمعن النظر ولو قليلا في مكونات المناطق الأربع المُؤلفة للولاية لندرك أنها تتجاوب -الى حد بعيد- مع المبدأ المذكور (أي التكامل الاستراتيجي). حيث نجد المنطقة الأولى تتركب من كتلتين جبليتيْن في الوسط هما: مرتفعات البابور وكتلة البيبان الشرقية ذات الكثافة السكانية العالية، الى جانب عدة مناطق سهلية على الأطراف أهمها الشريط السهلي الممتد على طول الضفة اليمنى لوادي الصومام في الشمال الغربي وحزام السهول العليا «السطايفية» الذي يطوقها في الجنوب وترصعه عدة مدن هامة كسطيف وبرج بوعريرج. ونفس الأمر يسري على المنطقة الثانية وإن كان بصورة مقلوبة؛ إذ تتركز على أطرافها سلسلتان جبليتان هما: السفوح الجنوبية-الشرقية لجرجرة التي تنتشر فيها مئات القرى العامرة في الشمال وكتلة البيبان الغربية في الجنوب وتتوسطهما سهول حوض الساحل-الصومام الممتدة بين أهم مدينتين بالمنطقة: البويرة وبجاية. أما المنطقة الثالثة فتتوفر على ثلاث كتل جبلية رئيسية في الجنوب والشرق والشمال، وهي على التوالي: كتلة زواوة وكتلة أكفادو والسلسلة الساحلية ويتوسطها حوض سيباو الذي يحتضن عاصمة القبائل الكبرى تيزي وزو، كما توجد العديد من المدن الصغيرة

11- محمد تقية، الثورة الجزائرية: المصدر الرمز المآل، تر. عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر،ص 174.

والمتوسطة خاصة في الكتلة المركزية. وأخيرا المنطقة الرابعة التي يغلب على أجزاءها الشرقية الطابع الجبلي (كتلة سيدي علي بوناب، والسفوح الشمالية الغربية لجرجرة) بينما تضمّ أجزاؤها الغربية سهولا هي الأهم على مستوى الولاية الثالثة، هذا علاوةً على توفرها (أي المنطقة) على عدة مراكز حضرية هامة مثل ذراع الميزان وبوغني في الجهة الشرقية وبرج منايل ودلس في الجهة الغربية.

ومسايرةً لذات المنطق الاستراتيجي على الراجح، جرى تخصيص كل واحدة من المناطق الأربع المؤلفة للولاية بجزء من شريطها الساحلي (حوالي 300 كلم)، وذلك على الرغم من محدودية دور هذا الشريط في سياق حرب التحرير: فكان الجزء الممتد من سوق الاثنين الى مصب وادي الصومام من نصيب المنطقة الأولى، والجزء المحصور بين المصب المذكور وبني كسيلة من نصيب المنطقة الثانية، بينما حازت المنطقة الثالثة القسم الواقع بين بني كسيلة وضواحي دلس وألحق الجزء المتبقي والممتد من الموقع الأخير الى زموري بالمنطقة الرابعة[12].

3-2- تجاوز الحدود «الاثنولوجية»:

ومن أهم ما ترتب عن التكييف الاستراتيجي للمعطيات الطبيعية تجاوز الحدود «الاثنولوجية» والتقسيمات «الإثنو-لغوية»؛ فأدى -على سبيل المثال لا الحصر- مقتضى «الجمعُ الاستراتيجي» بين المناطق الجبلية ونظائرها السهلية في إطار إقليمي واحد الى دمج المناطق الناطقة بالامازيغية مع مثيلاتها المتحدثة بالعربية في بوتقة واحدة. الأمر الذي أضفى على مناطق الولاية الثالثة تنوعا لغويا وثقافيا واضحا يخالف الصورة النمطية الشائعة؛ إذ ضمت المنطقة الأولى سكانا ناطقين بالأمازيغية في مرتفعاتها الشمالية يمارسون على منحدراتها زراعة الأشجار المثمرة، الى جانب سكان يتحدثون بالعربية يقيمون في الجنوب على امتداد الحزام الذهبي حيث تنتشر حقول القمح (مزيان وشن، 2006: 15؛(Ben Salem, 1985 : 78 . وذات الأمر بالنسبة للمنطقة الثانية التي كان أكثر من نصف مساحتها معربا كنواحي «الحضنة» و»برج خريص» و»سور الغزلان»...، ولم تكن المنطقة الرابعة بدعا في هذا المجال، حيث تألفت هي الأخرى من نواح شرقية قبائلية اللسان (ذراع الميزان وجرجرة) وأخرى غربية ناطقة بالعربية (برج منايل ودلس...)، لتبقى المنطقة الثالثة هي الاستثناء الوحيد في هذا المضمار.

12- انظر الخارطتين رقم 2 و3 الواردتين في الملاحق.

وتماشيا مع هذا التمازج وتكريسا له جرى اللجوء الى استعمال الأرقام لتعيين الوحدات الاقليمية بدلا من أسماء الأماكن، وهذا قصد تلافي ما قد تحمله هذه الأخيرة من معان تمييزية على أساس اثني أولغوي أو قبلي...

خاتمة

بناء على العرض والتحليل اعلاه، نخلص الى ان تعيين الوحدات الاقليمية المؤلفة للولاية الثالثة، وضبط الحدود بينها، وتمييزها عن بعضها البعض بأرقام خاصة، لم ينبثق من العدم ولم ينشأ صدفة، وإنما كان تعبيرا عن حقائق تاريخية عميقة، وصدى لتقسيمات اجتماعية متجذرة، جرى تكريسها وترسيخها عبر نقلها من المستوى التاريخي-الاجتماعي العميق والمتخفي الى المستوى السياسي-الاداري البارز والمتجلي، وذلك –في الغالب- بعد تكييفها مع المتطلبات الاستراتيجية والمقتضيات التكتيكية للفعل الثوري. ولم يكن- بالطبع- القصد من ذلك لا تجزئة المنطقة ولا تمييز جهاتها، وإنما على العكس؛ تجميع كل مكوناتها في بوتقة واحدة، وتعميم حضور الثورة على مجمل ترابها.

وفي الأخير لنا أن نفترض بأن هذا المنطق المركب والعميق الذي ضبط عملية التقطيع الجغرافي للولاية الثالثة، هو ذاته الذي تحكم في بلورة الهيكليات الاقليمية وصياغة المنظومات الادارية للولايات التاريخية الخمس الأخرى. إلا أنه لا مناص من دراسات مماثلة لتأكيد هكذا فرضية أو نفيها.

- قائمة المصادروالمراجع:

1- المطبوعات:

- أتومي (جودي)، 2005، العقيد أعميروش بين الأسطورة و التاريخ: المسيرة الطويلة الأسد الصومام، تر: موسى أشرشور، الجزائر.
- أيت أحمد (حسين)، 2002، روح الأستقلال : مذكرات مكافح 42- 1952، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر.
- بن معلم (حسين)، 2014، مذكرات اللواء حسين بن معلم، الجزء الأول: حرب التحرير الوطني، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر.

- تقية (محمد)، 2010، الثورة الجزائرية : المصدر الرمز المآل، تر. عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر.
- الجمعية الولائية لحماية وتخليد مآثر الثورة التحريرية، جويلية 2005، ولاية البرج بوعريرج، حياة المجاهد الشهيد عيسى حميطوش «البنداوي»، الملتقى التاريخي الأول لولاية البرج بوعريرج.
- دلس (عبد الله)، 2007، 2370 يوما في قلب اللهيب، مطبعة بلقصة- البويرة (الجزائر)، ط1.
- دهيلس سليمان المدعو سي الصادق (شهادة)، في: عباس محمد، 2001، فرسان الحرية، دار هومة، الجزائر.
- فرج (محمد الصغير)، 2007، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، تر: زمولي موسى، دار ثالة، الجزائر.
- مصالي (الحاج)، 2006، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، ترجمة محمد المعراجي، موفم للنشر، الجزائر.
- وعلي (عبد العزيز)، 2011، أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، دار الجزائر للكتب، الجزائر.
- وشن (مزيان)، 2006، اقليم برج بوعريريج عبر العصور، دار النشر جيتيلي، برج بوعريريج، الجزائر.

- Ait Ahmed Hocine, 1990, Mémoire d'un combattant: l'esprit d l'indépendance: 1942-
-Editions Bouchène, Alger -1952
-Bensalem (Djamel-Eddine), 1985, Voyer nos armes voyez nos medecins, ENAL, Alger.
- Bellahsene Tarik, 2006, La colonisation en Algérie : processus et procédures de création des centres de peuplement : institutions,intervenants et outils, les cas des cen tres en Kabylie du Djurdjura, thèse de doctorat, université Paris 8 (France).
- Courrière (Yves), 1992, La guerre d'Algérie : les fils de la Tousaint, éd Rahma, Alger.
- Djoudi Attoumi, 2005, Avoir 20 ans dans les maquis, Ed. RYMA Sidi-Aich (Algérie).
- Hamdani (Amar), 1993, Krim Belkacem lion du djebel, Ed. Bouchène, Alger.
- Jeanjean (Arnaud), juin 1997, la guerre d'Algérie en Kabylie 1954-1962, mémoire de mai trise en histoire, université de Nice-Sophia Antipolis.
- Mahé (Alain), 2001, Histoire de la Grande Kabylie 19-20 siècle Anthropologie

- Historique du lieu social dans les communautés villageoises, Ed Bouchène et éd Edif. 1ER édition, Alger.
- Mekacher (Salah), 2006, Aux P.C de la willaya III : 1957-1962, Ed. El Amel, Tizi-Ouzou (Algérie).
- Zamoum Ali, 1993, Tamurt Imazighen : Mémoire d'un survivant 1940- 1962, ed Rahma, Alger.

2- الأرشيف:

- Commune mixte d'Akbou, «Monographie politique Commune mixte d'Akbou», in Ar chives CAOM 93/ 4207- 4208.
- FLN-ALN, « Extrait du P.V. du congrès de la Soummam », in Abdelhafid Amokrane, 1998, Mémoires de combat, Ed. Dar El Oumma, Alger.
- PRG, District d'Alger, Implantation du PPA-MTLD dans le département d'Alger, 3 avril 1953, in Archives CAOM 91/ F525.
- Département d'Alger, «Monographie de l'arrondissement de Ti zi-Ouzou», octobre 1953, in Archives CAOM 915/88.
- PRG, District d'Alger, P.V. d'audition du nommé Fernane Hanafi, Ben Mohammed, le 22 mars 1950, in Archives CAOM, 91 1F 205-206.
-PRG, District d'Alger, Structure du PPA-MTLD, 27 janvier 1953, in Archives CAOM 91/ F525.
- Willaya 3, «Directives générales du 19 au 30 décembre 1957», in Archives SHAT, 1H 1248.
- Z.E.A. et D.I.A., «Synthése de renseignements concernant une partie des nahias de Fort national et de Michelet (W.3- Z.2- R.4 et R.5) FIN 1957», in Archives SHAT, 1H 3454, D2.

الثورة الجزائرية ومعركتها ضد الشركات الفلاحية الفرنسية الكبرى بالشرق الجزائري 1955-1960: من خلال أرشيف ما وراء البحار

د. توفيق بن زردة
جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي- الجزائر
toufikbenz@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/07/24 تاريخ القبول: 2020/02/01

ملخص

إن عملية استرجاع السادة الوطنية من الاحتلال الفرنسي، كانت عملية معقدة، احتاجت إلى كفاح متعدد بأبعاد جيواستراتيجية انطلقت من الواقع الاحتلالي الذي رسمه منظري المدرسة الكلونيالية. مع العلم أن هذه المدرسة استندت إلى البنية الجغرافية الخصبة للجزائر لتبني مشروعا مناسبا للمحتل بخلفيات ثقافية واجتماعية واقتصادية، سنركز في هذا المقال على البعد الفلاحي. لقد اعتمد المشروع الفلاحي الكولونيالي عبر النطاقات السهلية الكبرى، على الشركات الرأسمالية الفلاحية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على غرار الشركة الجزائرية التي استحوذت على حيز جغرافي كبير في القطاع القسنطيني الذي يتمتع بخصوبة مرتفعة، ومردود جيد للأراضي. إن هذا الفعل عمق من الممارسة الاستعمارية التي وجدت دفعا قويا عبر رساميل الشركة التي تحولت إلى معول كلونيالي تشعبت مصالحه وتجذرت مكاسبه. وقصد فك خيوط إحدى أولويات الثورة الجزائرية والمتمثلة في ضرب منظومة الرساميل الفلاحية الاستعمارية، بنينا هذه الورقة البحثية بالاستناد على مادة مصدرية استقيناها من علب أرشيفية فتحت سنة 2012، بأرشيف ما وراء البحار. ولقد كشفنا من خلالها عن عملية بناء الفعل الثوري ضد واحدة من كبريات الشركات الفلاحية التي وجدت بالشرق الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر.

الكلمات المفتاحية: السهول العليا القسنطينية، الاستعمار الرأسمالي، الشركات الفلاحية الكبرى.

Abstract

The restitution of the national sovereignty from the French occupation was a complex process, which required a multifaceted struggle, with geostrategic dimensions, and was based on the reality of the occupation as drawn by the theorists of the colonial school. In its colonial project, this school was based on the reality of the fertile geographical structure of Algeria, with socio-cultural and economic prejudices.

In this article, we will focus on the agricultural dimension. Indeed, the colonial agricultural project, across the Great Plains, relied on capitalist enterprises, since the second half of the nineteenth century, like the Algerian Society, which acquired a large geographic area in Constantine, which was known for the high fertility and the good yield of its land. This act deepened colonial practices, which found in the capital of the Society a strong stimulus, to the point that this Society became a colonial tool with ramified interests and entrenched gains.

To untie the threads of one of the priorities of the Algerian revolution, i.e. to strike a blow to the colonialist agricultural capital system, we had prepared this research document on sources that we had taken from boxes of archives (overseas), made available to researchers since 2012. It was from these boxes of archives, that we revealed the process of constructing a revolutionary act, against one of the big agricultural companies, present in eastern Algeria during the colonial period.

Keywords: The Constantine highlands, Capitalist colonization, Large agricultural societies.

Résumé

La restitution de la souveraineté nationale de l'occupation française fut un processus complexe, qui nécessitait une lutte multiforme, avec des dimensions géostratégiques, et qui s'appuyait sur la réalité de l'occupation telle qu'elle a été dessinée par les théoriciens de l'école coloniale en Algérie. Dans son projet colonial, cette école s'était appuyée sur la réalité de la structure géographique fertile de l'Algérie, avec des préjugés socioculturels et économiques.

Dans cet article, nous nous concentrerons sur la dimension agricole. En effet, le projet agricole colonial, à travers les grandes plaines, s'appuie sur les entreprises capitalistes, et ce, depuis la seconde moitié du XIXe siècle, à l'instar de la Société Algérienne, qui a acquis une large zone géographique dans le Constantinois, connue par la fertilité élevée et le bon rendement de ses terres. Cet acte a approfondi les pratiques coloniales, qui ont trouvé dans les capitaux de la Société un fort stimulant, au point que cette Société est devenue un outil colonial aux intérêts ramifiés et aux gains enracinés. Pour démêler les fils d'une des

priorités de la révolution algérienne, c'est-à-dire porter un coup dur au système de capitaux agricoles colonialistes, nous avions élaboré ce document de recherche sur des sources que nous avions puisé des boîtes d'archives Outre-mer, mises à la disposition des chercheurs à partir de 2012. C'est à partir d'elles que nous avions révélé le processus de construction d'un acte révolutionnaire, contre l'une des grandes entreprises agricoles, présente dans l'Est algérien durant la période coloniale.

Mots-clés: Les hauts plateaux du Constantinois, Colonisation capitaliste, Les grandes Sociétés agricoles.

توطئة

عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى توظيف ترسانة قوانين وتنظيمات تشريعية، كان من أولوياتها إعادة رسم الخارطة الديمغرافية والاقتصادية للساكنة المحلية، كان من أهمها قانون السناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) 22 أفريل 1863، الذي مكن كبرى الشركات الرأسمالية الفلاحية من السيطرة على أجود الأراضي الزراعية في الجزائر، على غرار الشركة السويسرية (La société genevoise) والشركة الجزائرية (La compagnie algérienne).

وأمام هذا الوضع الذي تجذرت فيه الرساميل الاستعمارية وجودا وممارسة، سعت قيادة الثورة التحريرية إلى إعادة بناء التوازنات في عمق الريف الجزائري، عبر اعلان الحرب على كبرى هذه الشركات الفلاحية منها الشركة الجزائرية، باستهداف محاصيلها الزراعية، التي كانت تجنيها من الحقول الواسعة التي تهيمن عليها، وهو ما يحيل إلى أن هذا اللون من الحرب كان بترتيبات دقيقة وبأبعاد أوسع، وآثار أعمق. ذلك ما سنحاول اكتشافه في هذه الدراسة المؤصلة التي بنيناها على أرصدة وثائقية أتيحت للباحثين سنة 2012 (Communicable) بالأرشيف الوطني لما وراء البحار(Archives nationales d'Outre mer) (ANOM) وبالتالي حداثة هذه الأرصدة من شأنه أن يقدم الاضافة النوعية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية، خاصة وأن الوثائق تتعلق بتقارير أعدتها مصالح الجندرمة بعين عبيد (مقاطعة قسنطينة)[1] حيث يقع قسم من أراضي الشركة،

1 - عين عبيد اليوم هي إحدى دوائر ولاية قسنطينة، وكانت قد شيدتها المؤسسة الجزائرية العامة كقرية استيطانية سنة 1871، على الطريق الرابط بين قسنطينة وقالمة، وعبر واحدة من أهم محاور السهول العليا القسنطينية، بارتفاع يتراوح ما بين 800 إلى 1000 متر، صنفت عين عبيد كبلدية كاملة الصلاحيات بتاريخ 25 أوت 1885، بمساحة سهلية قدرت بـ 17248 كلم2، وكانت قد استقطبت الكثير من الجاليات الأوروبية، على غرار عائلات شوشانة (Chouchana)، برتا (Bertin)، سفاري (Savary)، قييو (Guillaud)، سباطي (Sabathé)، بيتش (Pich)، روتار(Routher)....الخ. للمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى: توفيق بن زردة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الخلفية لمدينة قسنطينة خلال القرن التاسع عشر – مجال عامر الشراقة أنموذجا- رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، السنة الجامعية 2018-2017، ص، 225-221.

وهي التقارير التي حررت وفق معاينات ميدانية ومن تقييمات للخسائر حررها القائمون على الشركة، مما جعل من هذه الوثائق غنية بالتفاصيل، دقيقة من حيث الأرقام والاحصائيات، وهي تغطي الفترة الممتدة ما بين 1955 إلى 1960.

الاستعمار الرأسمالي الفلاحي: الشركة الجزائرية

إن إشراك أصحاب الرساميل في استعمار الجزائر، أو الاستعمار الرأسمالي كما عبر عنه المؤرخ شارل أندري جوليان2006(Charles-André Julien) هي فكرة مُبكرة طرحها الجنرال لومورسيار (Lamoricière) أحد ضباط المارشال بيجو (Bugeaud)، وجاءت لتعطي الدعم للحكومة الفرنسية التي رأت في الاستعمار عملية مكلفة وتستنزف أموالاً كبيرة من الخزينة، لذلك سارعت إلى احتضان هذا المشروع سنة 1845 بعدما منحت لمؤسسة عرفت باسم « وحدة سيق»، مساحة معتبرة قدرت بـ 3000 هكتاراً في منطقة سان دونيس دو سيق (Saint-Denis-du Sig)، مقابل تكفلها بتوطين 300 عائلة أوروبية عبر هذه المساحة، وهو المشروع الذي كُرس بمرسوم ملكي بتاريخ 03 ديسمبر 1846، وجاء ليمنح للاستعمار الرأسمالي سُبلا رسمية[2].

أما في عهد الإمبراطور نابوليون الثالث، وفي إطار المنحى الليبرالي للإمبراطورية الفرنسية الثانية (1852-1870)، التي أيقن ساستها أن الاستعمار الرسمي بقوانينه التي صاحبتها القوة المفرطة، قد عجز إلى حد ما عن تمتين ركائز الاحتلال في عمق الجزائر، لذلك جاء التفكير في دعمه بالمؤسسات البنكية، التي فُتح لها الباب واسعا للاستثمار في الجزائر، وإيجاد مصادر تموين لها في المستعمرات، مع اختبار تطور نشاطها في ما وراء البحار، وهي التجربة التي انطلقت في مصر بشكل موازٍ من خلال شركة قناة السويس بونان 2006باشر نابوليون الثالث في توزيع أراضٍ واسعة على الشركات الخاصة، بعد خطابه سنة 1852 مؤكدا فيه أنه « لدينا مقابل مارسيليا مملكة واسعة تشبه فرنسا»[3]، حيث حصلت« المؤسسة السويسرية»(La société genevoise) التي تعود للمدعو سوتي دو بوروقار (M.Sautter de Beauregard) ورجال أعمال سويسريين على مساحة 20000 هكتار بسهول سطيف سنة 1853، كما جرى الاتفاق على تشييدها للمستوطنات[4]، وفي

2-René Passeron « Les grandes sociétés et la colonisation dans l'Afrique du nord » centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique française, congrès de la colonisation rural, Alger,26-29, mai 1930, 2e partie, les problèmes économiques et sociaux, Ancienne imprimerie Victor Heitz, Alger, p.34.

3- R. Passeron, op.cit, p.34.

4 - من القرى التي شيدتها المؤسسة السويسرية عين ارنات (09 كلم غرب سطيف).

Ch.A. Julien, op.cit, p.407.

سنة 1865 وزع على شركة تدعى « آبرا و دولا ماكتا» (L'Habra et de la Macta) مساحة 25000 هكتار، مقابل تكفلها بتشييد سد «بيريقو» (Perrégaux) والقيام بأشغال عامة أخرى، وهكذا دخلت الجزائر في عهد الامبراطور نابوليون الثالث مرحلة أخطر، كان فيها لأصحاب الرساميل والشركات الكبرى دور في استعمار الجزائر[5].

وجاء اجتماع سنة 1864 الذي جمع كلاً من بولا طالابو (Paulin Talabot) المدير العام لشركة السكة الحديدية بمعية الإداريين ادوارد بلوت (Edouard Blount)، اكطاف دينيار (Octave Deniére)، ادوارد هانتش (Edouard Hentsch)، وشخصيات على صلة بالقرض العقاري الفرنسي، تمثلت في المدير لوي فريمي(Louis Frémy)، ونائبه ارنست لوفي (Ernest Leviez) وسوبايرا (Soubeyran)، وتيودور فارنس (Théodore Vernes) صاحبي بنك وملاك عقاريين بالجزائر، حيث توج هذا الاجتماع بوضع أرضية لبعث شركة استثمارية فلاحية -تجارية بالجزائر[6]. وبتاريخ 18 ماي عام 1865 تم توقيع اتفاقية بين وزير الحربية و»فريمي « (M.Frémy) مسؤول القرض العقاري الفرنسي، و» بولا طالابو» (Paulin Talabot)، المدير العام لشركة السكة الحديدية (كممثلين للمؤسسة الجزائرية العامة الناشئة حيث كان لهم توكيل برساميل، وفتح قروض لكل العمليات الفلاحية، والصناعية والتجارية بالجزائر)، وتضمن نص الاتفاق ثلاثة إجراءات أساسية[7] :

1- تأسيس المؤسسة الجزائرية العامة بقرار من الحكومة، وبرأسمال يصل إلى 100 مليون فرنك في مدة ست سنوات، تستغل فيها المبالغ لانجاز الأشغال والعمليات ذات المنفعة العامة في الجزائر، وفق برنامج يكون بقرار من الحكومة كل سنة.

2- يكون أيضا للمؤسسة الجزائرية العامة الاختيار في انجاز أشغال عامة أخرى.

3- تتعهد الدولة للمؤسسة ببيع 100.000 هكتار[8] من الأراضي الفلاحية الحكومية، مقابل أن تدفع الشركة فرنكا واحداً عن كل هكتار في كل عملية حيازة وذلك في مدة خمسين سنة[9].

5- R. Passeron, op.cit, p.34.

8-Ibid, p.212.

7- R. Passeron, op.cit, p.50.

8 - عملية البيع تمت بعد توقيع نابوليون في 01 سبتمبر 1869، على مرسوم يصادق فيه على عقود بيع مساحة 100000 هكتار للمؤسسة الجزائرية العامة.

Correspondance du 22 septembre 1869 au maréchal au sujet de l'approbation de vente de 100000h de terres faite à la société générale algérienne. FR ANOM, 3L/ 32.

9- Compagnie algérienne, assemblée générale du 27 décembre 1877, communication des des fondateurs, rapport des commissaires, vérifications de l'apport. FR ANOM, 3L/ 30.

بعد هذا الاتفاق تم ترسيم ظهور المؤسسة الجزائرية العامة بتاريخ 15 أكتوبر 1866 التي وضعت قانونها الأساسي[10]، متخذة من باريس مقرا لها (13شارع فوف دي كابيسين) يرأسها «فريمي « (M.Frémy) في 10 نوفمبر 1868، وفي الجزائر كانت عين رقادة[11] هي المقر المركزي لمصلحة الاستغلال التي كانت تتولى كل عمليات إدارة أراضي المؤسسة[12]، ويرأسها ارنست كارم (Eernest Carme)[13].

هذا ورأت الإدارة الاستعمارية أنه من الضروري، أن تخصص للمؤسسة الناشئة أخصب الأراضي في الجزائر خاصة تلك التي تقع عبر المحاور التاريخية، وتجمعات الطرق الرئيسية، كما أثبتت مردودها الزراعي، لذلك جاء الاختيار بالدرجة الأولى على فضاء الريف القسنطيني خاصة السهول العليا التي تتوافق مميزاتها مع استراتيجية الاحتلال، الذي سعى إلى تركيب مصالح متشعبة، تعطي بعدا وجوديا للأوروبي الوافد ودفعا للاستثمارات الفلاحية الكبرى[14].

لذلك كانت الحصة الأكبر من الأراضي التي حصلت عليها المؤسسة على مراحل بعد اتفاقية 18 ماي 1865 تقع بعمالة قسنطينة فمن مجموع 100 ألف هكتار التي توزعت بين عمالات وهران والجزائر وقسنطينة، حصلت في هذه الأخيرة وحدها على مساحة قدرت بـ 89481هـ،89آر، 10 سآ، منها 10430 هكتار تقع بعنابة خصصت لزراعة القطن، أما المساحة المتبقية والمقدرة بـ 79048 هكتار امتدت على نطاق واحد بين قسنطينة وقالمة، وبالتحديد من سهول عامر الشراقة غربا على حدود صومعة الخروب إلى سهول وادي الزناتي شرقا، ومن سهول تاملوكة جنوبا إلى كتلة جبل الوحش وأولاد عطية شمالا، اخترقتها أودية كثيرة مثل وادي مهيريس، وادي تويفزة، وادي عيون الدركم، وادي الزناتي، وادي عين تراب، وادي المريج، وادي الطارفة، ووادي الهرية...الخ[15]، وبمتوسط ارتفاع تراوح ما بين 600 إلى 900 متر، وبمغياثية قدرت بـ 650 ملمتر[16]، وهي الأراضي التي طغت عليها

10 - حول هذا القانون يرجى الرجوع إلى:

La compagnie algérienne*, projet de statuts.* FR ANOM, 3L/ 30.

11 - تقع عين رقادة على طريق قسنطينة قالمة، بين مدينتي عين عبيد ووادي الزناتي، وحول تاريخ تشييدها والجاليات الأوروبية التي عاشت بها يرجى الرجوع إلى:

FR ANOM, 3L/ 29.

12-Assemblée générale des actionnaires, compte rendu au nom du conseil d'administration de la Société générale algérienne, exercice de 1884. FR ANOM, 3L/ 30.

13-Assemblée général du 27 décembre 1877. FR ANOM, 3L/ 30.

14- R. Passeron, op.cit, p.52.

15-Carte des terrains de la société générale algérienne dans la province de Constantine échelle1/500000:. FR ANOM, 3L/ 29.

16- R. Passeron, op.cit, p.55,56.

زراعة الحبوب، يكملها النشاط الرعوي[17] كما امتدت عبر محور أشرف على مينائي عنابة وفليب فيل (سكيكدة)، وذلك ترتيبا لتفعيل نشاط المؤسسة ونقل منتوجاتها نحو فرنسا[18]. بقيت المؤسسة الجزائرية العامة على نشاطها بالجزائر، لكن طابعها العقاري الحكومي جعلها غير قادرة على مواكبة الجانب الاقتصادي، إضافة إلى عدم وفائها بشروط الاستيطان، وسرعان ما انهارت سنة 1877، حيث سمحت الدولة بتصفية داخلية ودية لها وبتحويل إرثها إلى شركة جديدة تسمى الشركة الجزائرية (La Compagnie Algérienne) التي بقي نشاطها قائما إلى الثورة التحريرية وبرأسمال بلغ 276.307.500 فرنك سنة 1956[19].

حرب استنزاف الموارد

تؤشر الوثائق التي بحوزتنا على أن أول هجوم قادته الثورة التحريرية ضد الشركة الجزائرية في نطاق أراضيها ومزارعها التي تمتد في حيز البلدية الكاملة الصلاحيات عين عبيد (مقاطعة قسنطينة)، كان ليلة 06 ديسمبر 1955، أي بعد ثلاثة أشهر من هجومات الشمال القسنطيني (20 أوت 1955) التي صاحبتها عمليات عسكرية كبرى، حيث ورد في تقرير النقيب « بولزجون» (Boulze Jean) قائد القطاع المدني والعسكري والوحدات العملياتية بعين عبيد، أن الهجوم تم من قبل مجموعة من المسلحين في حدود الساعة الثامنة ليلا استهدف واحدة من مزارع الشركة التي تقع بالقرب من الطريق الوطني رقم 20 الرابط بين قسنطينة وقالمة وهي مزرعة بئر الكراطس[20]. أما النقيب «قاي» (Guy) قائد مجموعة الدرك لقالمة فكتب في التقرير « أنه ليلة 06 ديسمبر 1955 تعرضت مزرعة للشركة الجزائرية تدعى بئر الكراطس الواقعة بدوار تويفزة، وعلى بعد 07.5 كلم شرق عين عبيد إلى هجوم من قبل مجموعة مسلحة كان عددهم بين 04 إلى 05 حيث تم تبادل اطلاق النار لمدة 15 دقيقة، مع العسكريين السبعة الذين يحمون المزرعة، وعند وصول التعزيزات العسكرية انسحب المسلحون تزامنا وحرق محاصيل مزرعة مجاورة تدعى بولقنافد من قبل عشرات المتمردين»[21].

17-Assemblée générale des actionnaires, compte rendu au nom du conseil d'administration de la société générale algérienne, exercice de 1885. FR ANOM, 3L/ 31.

18-Ibid.

19-R. Passeron, op.cit, p.55.

20-Correspondance du sous préfet au préfet de Constantine au sujet de l'attaque de la ferme Bir Krates,15 décembre 1955. FR.ANOM, 9314/ 109.

21- Commandement régional de la gendarmerie de la xo région militaire, légion ter de gendarmerie, compagnie de Constantine, section Guelma, sur l'attaque par des éléments rebelles de la ferme Bir Kerates, Douar Touifza, CPE Ain Abid, 15 décembre 1955, no 1.447/ 4. FR.ANOM, 9314/ 109.

كان هذا الهجوم حسب تقارير مصالح الجندرمة، بداية لعمليات منظمة من قبل قادة الثورة استهدفت في كل صائفة حقول القمح التابعة للشركة الجزائرية، فقد أشرت الوثائق أنه ليلة 08 جويلية 1956 أحرق في القطعة B1 حقلان، الأول لقمح صلب بمساحة قدرت بـ19 آرو24 سنتآر، ما يعادل 04 قنطار من القمح، و04 قنطار من التبن، والثاني لقمح لين بمساحة 09 آرو67 سنتآر، بمتوسط مردود 15قنطار في الهكتار، ما يعادل 01 قنطار من القمح اللين، و01 قنطار من التبن[22].

ولم تستثن الثورة التحريرية المعمرين الذين اشتروا أراضي من الشركة الجزائرية، على غرار المعمر ديبيرناردي اميلي (Debernardi Emillien) الذي كان يملك حقلاً بمساحة 340 هكتاراً بدوار تويفزة على بعد 04 كلم من عين عبيد، أُحرقت منه مساحة 07 هكتارات و50 آر، بخسائر قدرها بـ 800.000 فرنك[23].وفي 14 جويلية 1956 أُحرقت بمزرعة بئر الكراطس مساحات بمجموع أكثر من هكتارين، بحوالي 44 قنطاراً من القمح الصلب، وقنطارين من القمح اللين، و46 قنطاراً من التبن[24].

بعدها بأربعة أيام (18 جويلية) وفي حدود الساعة الحادية عشرة والنصف نهارا، تمت عملية نوعية أُحرقت فيها مساحة كبيرة من القمح الصلب يجتازها طريق عين عبيد مونتكالم (تاملوكة)[25] قدرت حسب شهادة لافوي روني (Lafoy René) مسؤول الفلاحة بمصلحة الشركة الجزائرية بـ150 هكتاراً، حيث حرر جاك آدم (Jacquet Adam) مدير الشركة تقريرا بحصيلة الخسائر شملت القطع B1,B2,B3، بمتوسط مردود 22 ق/هـ

22 -Commandement de la gendarmerie en Algérie, 10o légion ter, compagnie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, compagnie algérienne, incendie volontaire de récolte sur pied, no 621, du 11 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

23-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie de récolte sur pied, au préjudice de Debernardi Emillien, no 627, du 13 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

24-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 629, du 15 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

25 - تقع مونتكالم (تاملوكة) شرق قرية عين عبيد على بعد 22 كلم.

حيث كانت الخسائر حسبه 3300 قنطار من القمح الصلب، و3300 قنطار من التبن[26].
بعد هذه العملية رفعت الشركة عريضة إلى فرقة الجندرمة بعين عبيد تشكو فيها حرق مساحة أخرى بـ 03 هكتارات من القمح الصلب بمزرعة بئر الكراطس، في المكان الذي يعرف بـ« مشتة سرباح» مُقدرة الخسائر بـ60 قنطاراً من القمح، و60 قنطاراً من التبن.
أما يوم 21 جويلية 1956 فتمت عدة عمليات حرق في نطاقات مختلفة، وبمساحات متفاوتة ففي حدود الساعة الواحدة والنصف بعد الزوال أُحرقت 45 هكتاراً من القمح لصلب، و10 هكتارات من القمح اللين، على بعد 01 كلم من مزرعة قنافد المسعي، وحسب شهادة المعمر فيرما ريمو (Fermin Raymond) مسؤول الفلاحة بالشركة الجزائرية، فإن الحريق بدأ في مساحة صغيرة ثم توسع إلى هكتارات أكبر كان بها 35 كيساً من القمح اللين وفي كل كيس 90 كلغ، أما العملية الثانية فاستهدفت حديقة بمزرعة بئر الكراطس كان بها أشجار مثمرة، يستغلها المعمر لوفوي روني(Lofoy René)، الذي قدر الخسائر بـ 15000 فرنك. ثالث عملية كانت نوعية مكنت المجاهدين من حرق 208 هكتارو50 آر من القمح الصلب. توالي العمليات ضد الشركة في هذا اليوم دفع بالمارشال داي لوجي (Des-Logis) قائد الكتيبة الكورية المتمركزة في عين عبيد، رفقة قائد فرقة الجندرمة بارسيفو روبار (Percevault Robert) بالتنقل في حدود الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا إلى مزرعة زهانة (تابعة للشركة)، لمعاينة آثار حرق المجاهدين لـ 26 هكتاراً من القمح الصلب[27] وفي الجدول التالي تفصيل بعمليات يوم 21 جويلية 1956.

26-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 636, du 18 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.
27-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie 9314/ 109.

جدول (01) المساحات وخسائر الشركة الجزائرية في عملية حرق المحاصيل الزراعية بتاريخ 21 جويلية 1956

مزرعة قنافد المسعي					
القطعة	المساحة/هـ	نوع القمح	متوسط المردود:ق/هـ		حجم الخسائر/ ق
B1 وبوعون	10	قمح لين	17		170
		تبن	17		170
	45	قمح صلب	17		855
		تبن	17		855
مزرعة بئر الكراطس					
B1	45		قمح صلب	20	900
		تبن	20	900	
B2,B3	06 هـ، 50 ار		قمح صلب	25	162.5
		تبن	25	162.5	
B4,B5	137		قمح صلب		
		تبن	18	2466	
شاوية	20		قمح صلب	20	400
		تبن	20	400	
صوشية	01		قمح صلب	25	25
		تبن	25	25	

في الواقع يكشف الجدول حجم الخسائر التي كبدتها الثورة التحريرية للشركة الجزائرية بتاريخ 21 جويلية 1956، حيث بينت الأرقام التي توصلنا إليها أنها قدرت اجمالا بـ 170 قنطار قمح لين، و5408.5 قنطار قمح صلب، و5578.5 قنطار من التبن، على مساحة اجمالية تربعت على حوالي 290 هكتاراً. كما ذكر دو سيني جيرارد (De Seynes Gérard) سكرتير مديرية الشركة الجزائرية، أنه في آخر يوم من شهر جويلية 1956 مست أعمال

حرق أخرى مزرعة زهانة، شملت قطعتين بإجمالي مساحة 23 آر من القمح الصلب ما يعادل خسائر 04 قناطير من القمح، و04 وقنطار من التبن[28].

بعد هذه العمليات في صيف 1956، رفعت إدارة الاحتلال من مستوى الاجراءات الأمنية، تمثلت في فرض حضر التجوال في هذه الفضاءات، وانتداب فرقة من الكتيبة الكورية لحماية محاصيل الشركة الجزائرية، لذلك سجلنا خلال سنتي 1957 و1958 أربع عمليات فقط كانت بعيدة عن الفضاءات التي اعتيد استهدافها، ففي 23 جويلية 1957 تعرض المكان المعروف بـ«القطار» بدوار الزناتية (البلدية الكاملة الصلاحيات عين عبيد) إلى حرق 28 هكتاراً من القمح الصلب في قطعة تسمى «صوشة»، و03 هكتارات في قطعة أخرى تعرف بـ« نايجة»، بخسائر قدرت بـ 1726000 فرنك. والعملية الثانية كانت يوم 09 أوت بنفس الدوار، بعد حرق 60 هكتار ما يعادل 840 قنطاراً من القمح الصلب، و840 قنطاراً من التبن[29].

أما في صيف 1958 فورد في شهادة المعمر فونتا قيلبار (Fontan Gilbert) مسير مزرعة بوفي موريس (Bovet Maurice) الواقعة برأس العقبة (البلدية الكاملة الصلاحيات وادي الزناتي)، عن تعرض المحاصيل الزراعية للحرق في 28 جوان مست 03 هكتارات وبخسائر قدرت بـ 45 قنطاراً من القمح، و45 قنطاراً من التبن[30]، وفي ليلة 16 أوت أحرق المجاهدون مخزنا بمزرعة زهانة به 870 قنطاراً من العلف و120 قنطاراً من التبن[31].

من الحرق إلى المحرقة

كشفت الوثائق التي بحوزتنا أن سنة 1959 ارتفعت فيها وتيرة استهداف الثورة التحريرية لمصالح الشركة الجزائرية، التي تحولت ملكياتها منذ سنة1957 إلى صندوق الانضمام إلى الملكية والاستغلال الريفي (la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales) (C.A.P.E.R)، حيث بينت الوثائق أن أول عملية كانت في

28- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procverbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 666, du 01 août 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

29-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, *procès verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales-anciens Domaines de la compagnie algérienne, no 897 du 23 juillet 1957,no 944 du 09 août 1957*.FR.ANOM, 9314/ 109.

30-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade de Oued Zenati, procès-verbal, incendie récolte sur pied, victime Bovet Maurice, no 650, du 30 juin 1958. FR.ANOM, 9314/ 109.

31-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, pverbal, incendie volontaire d‹un hangar métallique, au préjudice de la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales-anciens Domaines de la compagnie algérienne, no 736 du 16 août 1958.FR.ANOM, 9314/ 109.

شهر مارس، عندما نظم عدد من المجاهدين هجوما أحرقوا فيه آلات فلاحية بمزرعة بئر الكراطس[32]، أما ليلة 01 جوان 1959 فقام مجاهدون مسلحون بحرق جارين يعودان لمزرعة زهانة، كانا يحرثان على حافة وادي عيون طرون، كما يذكر المعمر دوساك فلافي (Daussac Flavier) مسير هذه المزرعة، أنه ليلة 06 جويلية أحرقت 03 هكتارات من القمح اللين، و01 هكتار من القمح الصلب، بمبلغ 250.000 فرنك[33] كما ورد في أحد التقارير المطولة للجندرمة أنه خلال شهر جويلية أيام 06، 10، 19 و29 أحرقت الثورة التحريرية أكثر من 118 هكتارا من محاصيل القمح اللين والصلب بمزرعة زهانة، خلفت نزيفاً مادياً قدر بـ 10.646.141 فرنك[34].

أما ليلة 11 جويلية وحسب شهادة المعمر ديلار تيبو (Delers Thiébaut) فأُحرقت مساحة 05 هكتارات على بعد 03 كلم من مزرعة بولقنافد، مقدرا الخسائر بحوالي 300.000 فرنك[35]، وفي نفس الليلة وحسب معاينة رجلي الجندرمة لواسال بيار (Loisel Pierre) وديليو لويس (Dulieu Louis)، فإن الحرائق شملت مواقع متعددة من دوار تويفزة، مست حقول قمح تعود لمزرعة بئر الكراطس، منها حرق حقل قمح صلب يقع على بعد حوالي 01 كلم شمال غرب المزرعة، فيما حقل آخر للقمح اللين استهدف بالقرب من مشتة تويفزة العالية، وبناء على تقديرات المعمر بوركي هنري (Porcu Henri) مسير المزرعة، فإن الخسائر التي تكبدوها قدرت بـ 240.000 فرنك موجهـا الاتهام حسبه إلى « الخارجين عن القانون»[36].

32-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de matériel agricole appartenant à la C.A.P.E ferme Bir Krates, no 221 du 06 mars 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

33- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Zehana, no 574 du 12 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

34- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade de Oued Zenati, procès-verbal, renseignements administratifs, Trattier René, audition sur les incendies de récolte au préjudice de la C.A.P.E.R, no 901 du 11 juillet 1960.FR.ANOM, 9314/ 109.

35- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Boulegnafed, no 756 du 12 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

36-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Bir Krates, de la C.A.E.R, no 572 du 11 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

هذا ولم تستثنى الثورة في كل مرة المعمرين الذين توجد ملكياتهم في حيز أراضي الشركة الجزائرية، حيث أُحرق للمعمر ماليا فيرنو (Malea Fernand) ليلة 14 جويلية 1959 مساحة هكتارين تقع بمشتة القاضي بدوار تويفزة، وقدر المعمر خسائره بـ 200.000فرنك[37]. وفي ليلة 16 جويلية 1959 استهدفت الحرائق محاصيل المعمر روشي بيار (Rochu Pierre) المستغل لبعض الدومين السابق للشركة الجزائرية، شملت 07 هكتارات من القمح الصلب بمردود 20 ق/هـ، ما يقابله 140 قنطاراً من القمح الصلب، و140 قنطاراً من القمح اللين، ما يعادل 644.000 فرنك، و05 هكتارات من القمح اللين، ما يعادل 375.000 فرنك[38].

لقد ترك خيم هذا الكم من العمليات بضلاله على أعلى هرم السلطة الاستعمارية، التي أصبحت منشغلة بهذا النوع من الحرب الاقتصادية التي باتت تستهدف كبرى الشركات الفلاحية الرأسمالية، حيث أصبحت مراسلات إدارة بريفي قسنطينة لفرق الجندرمة دورية، قصد فتح تحقيقات معمقة حول ظاهرة الحرائق التي أصبحت تستهدف أراضي صندوق الانضمام إلى الملكية والاستغلال الريفي، الذي حل محل الشركة الجزائرية، نذكر منها المراسلة المؤرخة في 27 جوان 1960 التي طالب فيها (بريفي) قسنطينة من فرقة الجندرمة بعين عبيد قصد فتح تحقيق حول حريق وقع بمزرعة زهانة يوم 19 جويلية 1959، مس القطعة B4 وأتلف 12 هكتاراً من القمح الصلب[39]، وهو الحريق الذي توالى أيام 24، 28 جويلية و13 أوت 1959 مكبدا الصندوق مبلغ 30.07200 فرنك (أكثر من 30 مليون فرنك)[40]. هذا النزيف المادي للصندوق تواصل في صيف 1960، عندما أحرق المجاهدون في العملية الأولى حقلاً بمساحة 40 هكتارا من القمح الصلب، بمقدار 600 قنطار من القمح، و600 قنطار من التبن[41]، وفي العملية الثانية أحرق المجاهدون 10 هكتارات، تقع على حافة الطريق الرابط بين عين عبيد ومونتكالم (تاملوكة)[42].

37-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès- verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, Malea Fernand, no 582 du 15 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

38-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied au préjudice de la C.A.P.E.R et Rochu Pierre, no 604 du 17 juillet 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

39-Correspondance du sous préfet de Constantine au Brigade de la gendarmerie d'Ain Abid au sujet de l'attaque de la ferme Zehana,27 juin

40-Rapport du chef de C.A.P.E.R au commandant de la gendarmerie d'Ain Abid, le 21 september 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

41- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Zehana de la C.A.E.R, no 755 du 07 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

42-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied au préjudice de la C.A.P.E.R, no 864 du 26 juillet 1960.FR.ANOM, 9314/ 109.

خاتمــة:

إن فضاءات السهول العليا القسنطينية التي أطبقت عليها إدارة الاحتلال الفرنسي بمرجعية رأسمالية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مشكلة منها جغرافية اقتصادية بخلفية فلاحية، ونقطة لتوطين رساميل البنوك والمؤسسات التجارية، حولتها الثورة التحريرية إلى حيزلحرب اقتصادية، بأبعاد جيواستراتيجية فككت فيها تحالفات الإدارة الاستعمارية مع الشركات الرأسمالية، وبنت مقابلها توازنات جديدة لإعادة الريف الجزائري إلى عمقه الاجتماعي-الثقافي المتأصل وجودا وممارسة. وبهذا تكون قد كشفت لنا وثائق أرشيف ما وراء البحار التي أتيحت لنا حديثا، عن معطيات جديدة ومَؤصلة من شأنها أن تقدم معطيات جديدة عن واحدة من استراتيجيات كفاح الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي.

المـــلاحـــق

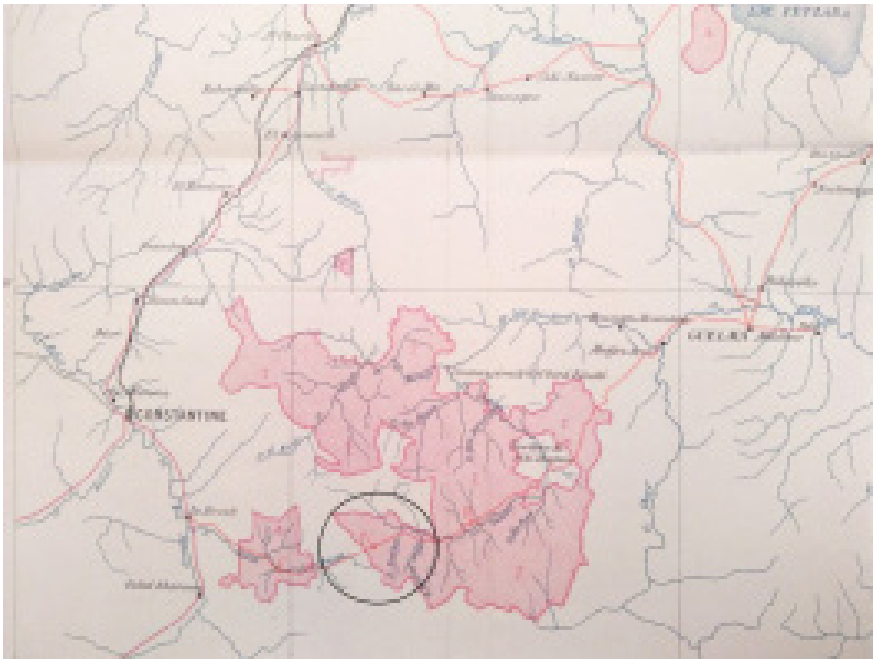

تمثل الدائرة الحيز الذي غطته الوثائق الأرشيفية من أراضي الشركة الجزائرية التي استهدفتها الثورة التحريرية

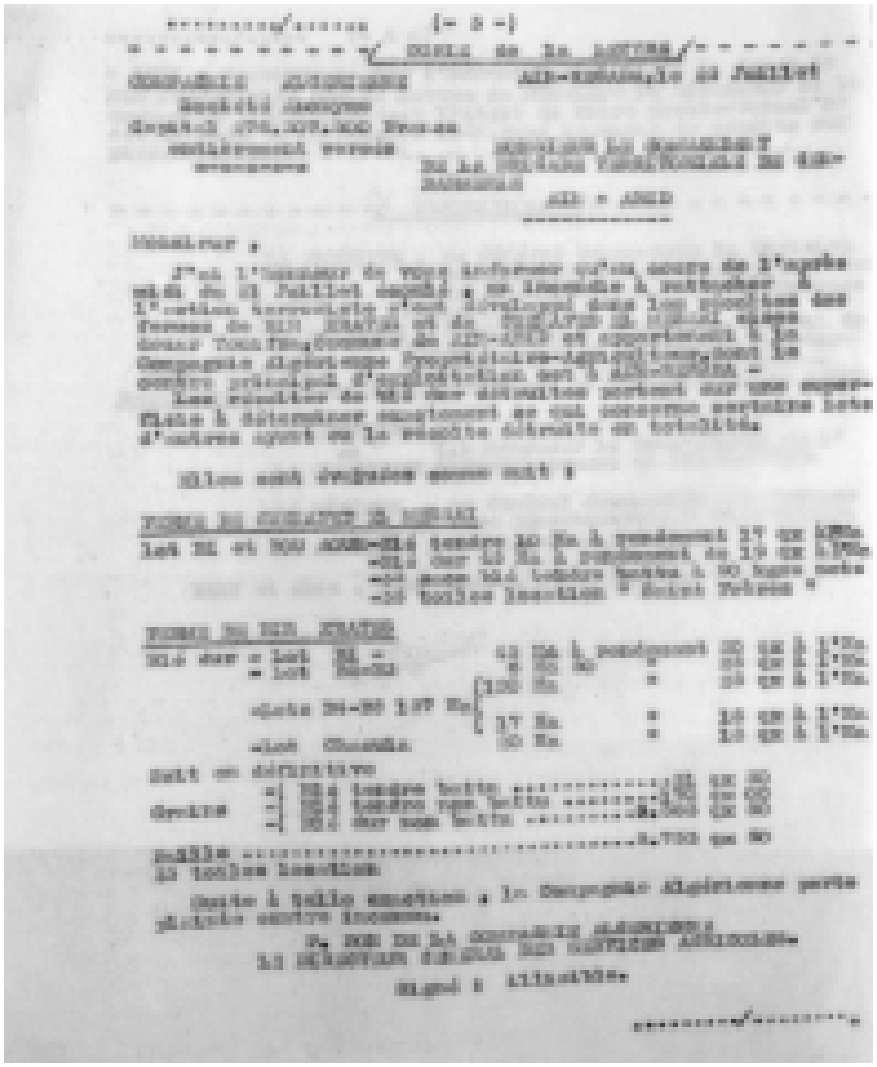

تقرير أعدته الشركة الجزائرية بالخسائر التي تكبدتها بعد حرق مزرعتها قنافد المسعي وبئر الكراطس (23 جويلية 1956)

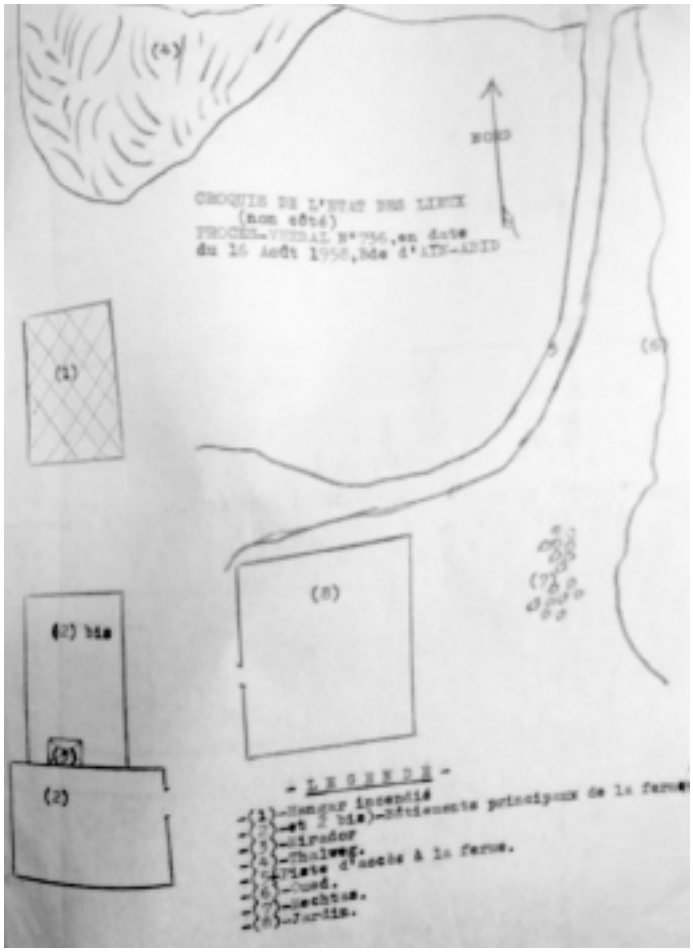

مخطط بحرق مخزن للتبن والعلف بمزرعة زهانة (16 جويلية 1858)

المراجع

1-Charles –André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, Laconquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Casbah éditions,2006, p.436.

2 -Hubert Bonin, « La compagnie algérienne levier de la colonisation et prospéré grâce à elle 1865-1939», R.F.H.O.M, T2, no 328-329, 2000, p210..

-الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحار أكس أون بروفانس :

-(Archives nationales d'Outre mer- Aix-en Province(ANOM),France).

-Gouvernement général de l'Algérie (GGA):

-Série K: Bureaux arabes du Constantinois (Cercle de Constantine)

-46k:26/ Statistiques générales: tableau (1851-1858),Tableau statistique concernant les territoire à remettre à l'autorité Militaire (1864),tableau statistique de la population arabe (1872),Recensement (1871-1872),état de la population et des richesses imposables (1874).
-46k:29/ Application aux Azels (1868-1874).

-Sous série KK: Bureaux arabes du Constantinois (subdivision et Cercle de Constantine)

-30kk:35/ Correspondances avec la division –Affaires civil(du 28.11.1874 au 11.10. 1876
.30kk:40/ Correspondances avec la division Affaires arabes (du 01.01.1876 au 04.10. 1878
30kk:48/ Correspondances avec le cercle de Constantine (du 07.03.1876 au 20.04.1854).

Série L: Colonisation

- 3L:25/ Cession de terres à la société général Algérienne, convention de 1865, état statistiques des villages et hameau de Oued Besbés (prés de Bone), Ras El Akba, Ain Abid.
-2L:26/ Cession de terres à la société général Algérienne dotation territoriale de cent mille hectares, villages projetés.(1866-1876)
2L:27/ Cession de terres à la société général Algérienne:correspondance, acte de cession(1865-1869).
-2L:28/ Cession de terres à la société général Algérienne: correspondance, acte de ventes, plans des terrains concédés à la société Algérienne sur le territoire des Ameurs Cheraga (1865-1869).

- 2L:29/Vente de terre domaniales à la société général Algérienne correspondances, textes réglementaires, cartes (1889-1894).
- 3L:30/ Société général Algérienne et compagnie Algérienne: correspondance documents budgétaires, rapports et compte rendus (1869-1894).
- 3L:31/ Rétrocession à l'Etat de terrains nécessaire à la création de centres dans le quartier de Oued Zenati (1877-1879).
- 3L:32/ Rachat des redevances grenant les terrains cédés par l'Etat à la compagnie Algérienne, création du village d'Ain Abid (1869-1911).
- 3L:34/ Ventes de terres à la société général Algérienne,(1865-1878).
- 3L:35/ Emplois des cent million avancés par la société général Algérienne, programme de colonisation (1873-1881).
- 3L:36/ La compagnie Algérienne et ses terrains, correspondances, plans, actes (1869-1911).

Sous- préfecture de Constantine 1945-1962

-9314/ 109. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbaux, (1955-1961).
- 93/4316. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbaux, (1956-1962).
- 93/ 4254. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès- verbaux, (1954-1962).

المراجـع المتربطة بالموضوع:

-Ageron Charles-Robert, 1968, Les Algériens musulmans et la France 1771-1919) ,Presse universitaires de France, Paris,.
- Arfa-Cherfi Yamina, l'année universitaire, 2005-2006, L'Agriculture familiale structures foncières et dynamiques sociales, enquête dans une commune rurale du Constantinois – Ain Abid – thèse pour le doctorat d'Etat en sociologie de développement, université Mentouri de Constantine,
- Benachenhou Abdellatif, 1970, Régime des terres et structure agraires au Maghreb, édition Populaire de l'armé, Alger
-Bessaoud Omar, 1999, « L'Algérie agricole: de la construction du territoire à l'impossible émergence de la paysannerie » Insanya t, n° 7,p,5-32.
-Enfantin, Colonisation de l'Algérie, 1843, édition P.Bertrand, Paris.-Galons Georges, 1893, Colonisation de l'Algérie par des grands sociétés française, imprimerie orientale pierre fontana, Alger.
-Golzeiguer Annie Rey, 1977, Le Royaume Arabe. La politique algérienne de Napoléon III, SNED, Alger, ,.
-Henni Ahmed, 1982, La colonisation agraire et le sous –développement en Algérie, SNED, Alger.

قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي

أ. د مصطفى عشوي
الجامعة العربية المفتوحة – الكويت
mustafait@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/09/18 تاريخ القبول: 2019/11/28

ملخص

انطلقت هذه الدراسة من سؤال حول إمكانية تقديم قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي في الجزائر بموضوعية؟

وقد استعرضت الدراسة موضوع ومنهجية هذه القراءة؛ وذلك بالتركيز على المنهج التاريخي وتحديد موضوع هذه القراءة بأقلام بعض الكتاب والمؤرخين الفرنسيين أساسا. وقد حددت مواضيع هذه القراءة إجرائيا في تقابل القوة والضعف عند كل من القوة الاستعمارية والشعب الجزائري المحتل مع ذكر بعض الجرائم اللاإنسانية التي قامت بها سلطات الاحتلال منذ غزوها للجزائر، وفي الحرب النفسية التي شنها الخبراء الفرنسيون، وفي تجنيد التدين المزيف، وفي سياسة التجهيل التي طبقها الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وقد استنتج الباحث في آخر الدراسة ما يأتي:

1- إن للاستعمار وللقوة الدافعة له بنية ذهنية تتسم بالعدوانية والتعالي والشعور بالتفوق، واستعمال آليات نفسية لتبرير هذه العدوانية كما تبرر الاعتداء على حقوق الآخرين.

2- قام الاستعمار الفرنسي بإثارة انفعالات شديدة مثل الكراهية والحقد التاريخي لتحطيم الآخر، وتشويهه بل واستعباده وسلب خيراته وحرياته مثل الكراهية والغضب والحقد.

3- أظهرت الأفعال التي قامت بها القوات الفرنسية في الجزائر مدى وحشية هذه القوات مما يعبر عن الذهنية والانفعالات المشار إليها أعلاه.

وتحتاج هذه القراءة النفسية الأولية إلى دراسات أخرى تتعمق في الجوانب النفسية لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر برمته بهدف فهم هذه الجوانب والدوافع المصاحبة لها، كما تتعمق في الجوانب النفسية ودوافعها التي أسهمت في مقاومة الاحتلال من طرف الشعب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: قراءة نفسية، الاستعمار الفرنسي، مقاومة الاحتلال.

Abstract

The main question of this study is: To what extend is possible to present an objective psychological reading about the French colonial history in Algeria?

The subject matter and the methodology of this reading are based on using the historical method, and some French writers and historians' references.

Operationally, this reading is identified in four issues:

- The "power" of the colonizer versus the colonized weakness.
- Using the psychological warfare by the French experts.
- Mobilizing fake "religiosity" to serve the colonial interests.
- Promoting ignorance among the Algerian population.

The following conclusions were inferred:

The colonizer has a cognitive structure (mentality) that is characterized by aggressiveness, and negative motivation.

The French colonizer provoked strong emotions such as abhorrence, and anger in order to destroy, distort the image, enslave, and deprive the Algerian population.

The French army forces' barbaric actions in Algeria revealed its barbaric character which demonstrates the aggressive mentality, and its motivation.

This psychological reading needs more similar studies that should analyze deeply the psychological aspects of the French colonization history in Algeria in addition to the Algerians' resistance for more than a century.

Key words: psychological reading, French colonialism, resistance to occupation.

Résumé

Cette étude comporte une question relative à la possibilité de présenter une lecture psychologique sur L'histoire de colonisation Français en Algérie avec objectivité.

Cette lecture est basée sur la méthodologie historique, et la délimitation du sujet de cette lecture selon des écrivains et historiens Français. Cette lecture a limité les thèmes selon les points suivants :

1-Les points forts et faibles aussi bien chez la puissance coloniale que chez le people colonise.

2-La guerre psychologique menait par la France contre le people Algérien.

3-Mobilisation falsifie de la religion.

4-La politique de l'ignorance et de l'analphabétisme en Algérie.

Le chercheur a déduit à la fin de son étude ce qui suit :

1-La mentalité de colonisateur était basée sur l'agressivité en utilisant des mécanismes psychiques pour justifier cette agression.,

2-Le colonialisme Français a généré des réactions émotionnelles que la haine et la rancune vis à vis de l'autre.

3- Les actes barbares des forces armées Françaises révèlent la brutalité de la mentalité de ces forces.

Cette première lecture psychologique appelle à des études approfondies de ce genre dans l'histoire de la colonisation Française en Algérie.

Mots clés: lecture psychologique, colonialisme français, résistance à l'occupation.

مقدمة

هل يمكن تقديم قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي بالجزائر بموضوعية؟

سنحاول تقديم هذه القراءة في هذا المقال بالاعتماد على مراجع فرنسية بالأساس، وسنترك للمختصين في التاريخ وعلم النفس التعمق والبحث العلمي في موضوع ومنهجية القراءة النفسية للتاريخ بصفة عامة كاختصاص جديد ذي موضوع ومنهج متميزعن باقي الاختصاصات نقترحه للنقاش والإثراء.

سواء سميناه احتلالا أم استعمارا لأرض الآخر، فإن الحقيقة التاريخية واحدة خاصة إذا سجلت بأقلام متعددة وغيرمتحيزة، وأن هذه الحقيقة ستبقى شاهدة على أن الاحتلال الفرنسي للجزائر ليس إلا جزءا من جرائمها التاريخية في عدة قارات وبلدان. فقد احتلت فرنسا مناطق عديدة في أمريكا الشمالية، والوسطى والجنوبية، كما احتلت بلدانا كثيرة في افريقيا، وغزت واحتلت فيتنام ولاوس وكمبوديا وسوريا ولبنان في آسيا. وسنرى نماذج من هذه الجرائم في الجزائروالتي يندى لها جبين الإنسانية كما أوردها كتاب ومؤرخون فرنسيون.

وقد شاركت فرنسا بلدانا أوروبية أخرى مثل هولندا وبريطانيا واسبانيا والبرتغال في تجارة العبيد إذ عملت على أسر واستعباد كثير من سكان إفريقيا ونقلهم بالقوة إلى أمريكا للعمل كعبيد في مزارع القطن وقصب السكر وغيرها. وقد شكلت هذه التجارة التي بدأت في القرن الخامس عشر واستمرت طوال 400 سنة التالية واحدة من أندر الظواهر في تاريخ العالم؛ إذ تعتبر أكبر هجرة إجبارية في التاريخ (موسى، 2007). وقد اعترف قانون ماي 21 من سنة 2001 الصادر بفرنسا بالمتاجرة بالعبيد والاستعباد كجريمة ضد الإنسانية؛ وقد نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية (الفرنسية) بتاريخ 23 ماي، 2001 حيث جاء في المادة الأولى من هذا القانون ما يأتي: «تعترف الجمهورية الفرنسية بأن المتاجرة بالعبيد عبر المحيط الأطلسي وفي المحيط الهندي من جهة، والاستعباد من جهة أخرى، الذي مورس ابتداء من القرن 15 بأمريكا وجزر الكراييب وفي المحيط الهندي وفي أوروبا في حق الشعوب الافريقية، والهندو-أمريكية، الملغاشية والهندية، تشكل جريمة ضد الإنسانية».

ولكن فرنسا لم تعترف إلى الآن بجرائمها في الجزائر، كما لم تعترف بتهجير السكان وحشرهم في محتشدات داخل البلاد أو بتهجيرهم بالآلاف إلى فرنسا كيد عاملة رخيصة أو لتجنيدهم إجباريا لمحاربة أعدائها في أوروبا وغيرها. فقد أرسلت فرنسا إلى جبهات القتال بأوروبا 173000 جندي من الأهالي، و119000 ألف جزائري للعمل بفرنسا. وفي سنة 1918 أصبح أكثر من ثلث الجزائريين الذكور مسخرين كيد عاملة رخيصة في فرنسا (Ageron, 1974).

ولم تكتف فرنسا بعدم اعترافها بجرائمها في الجزائر وغيرها من البلدان بل مجدت الاستعمار والاستيطان حيث أصدرت قانون 23 فبراير، 2005 المتضمن «عرفان الأمة والمساهمة الوطنية لصالح الفرنسيين المستوطنين. وقد نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية بتاريخ 24 فبراير، 2005 حيث جاء في المادة الأولى منه: «تعبر الأمة عن عرفانها للنساء والرجال الذين ساهموا في الأعمال المنجزة من طرف فرنسا في المستعمرات الفرنسية القديمة: الجزائر، المغرب، وتونس وفي الهند الصينية، وكذلك في الأقاليم التي كانت خاضعة للسيادة الفرنسية» (ليوزو منصرون، 2007). ولا شك، أن سجل الاستعمار الفرنسي ملطخ بجرائم ضد الإنسانية عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، وسيبقى ملطخا مهما حاول النظام الرسمي الفرنسي طمس الحقائق التاريخية أو إخفاءها أو نكرانها أو الهروب إلى الأمام بتمجيد «الاستعمار» والاستيطان بقوانين رسمية أو ببرامج مدرسية.

لن أتعرض في هذه المقالة لكل جرائم فرنسا في الجزائر؛ بل أكتفي بسرد بعض هذه الجرائم التي وثقها كتاب ومؤرخون فرنسيون مثل ستورا بنيامين (Stora Benjamin) وغرانيمزون (Grandmaison) ومسبيرو (Maspero).

سأقتصر فيما يلي بقراءة نفسية أولية للنزعة الاستعمارية العدوانية، وللمبادئ البراقة التي قامت عليها هذه النزعة، وما نجم عن ذلك من حروب وكوارث ومآس على أرض الجزائر وغيرها دون إغفال الصفات السلبية التي اتسمت بها «الضحية»؛ أي البلد الذي وقع عليه العدوان والاحتلال مما جعلها تدفع ثمنا غاليا عند مواجهتها لهذه النزعة.

ولعل هذا المسعى يندرج في إطار تصور قراءة نفسية لسجل الاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ وهي القراءة التي لا نراها إلا نادرا في بعض التحليلات لأحداث تاريخية رغم أن «المنهج التاريخي» في البحث العلمي من المناهج المعتمدة في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ونقصد بالقراءة النفسية للتاريخ في هذا المقال إبراز مواضيع محددة يتم من خلالها دراسة بعض جوانب «الذهنية الاستعمارية» وما يرتبط بها من انفعالات وأفعال (سلوك) تتسم بالعدوانية والعنف والأنانية، كما يتم إبراز بعض جوانب ذهنية وانفعالات وأفعال «الضحية» أو المعتدى عليه وهي الشعوب المستعمرة أو التي وقع عليها الاحتلال.

أما بخصوص المنهج المتبع، فهو إجمالا المنهج التاريخي التحليلي مع الاعتماد على نظرية التحليل النفسي لألفرد أدلر (Alfred Adler) في شرح بعض العقد النفسية أو السلوك الذي ينجم عنها. ونقصد بالمنهج التاريخي في هذا السياق دراسة «الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذٍ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة" (العساف، 1989، ص282).

تقابل القوة والضعف

لم يكن ممكنا للقوات الفرنسية احتلال الجزائر لولا توافر عدة عوامل من أهمها التفوق الفكري و العلمي والتكنولوجي وخاصة في مجال الأسلحة مما ولد لدى الحكام الفرنسيين نزعة استعراض القوة، وعزز لديهم العدوانية ونزعة التوسع الاستيطاني واستغلال خيرات الشعوب الأخرى التي كانت تعاني ضعفا خاصة في الجانب العلمي والتكنولوجي.

ويقابل عوامل القوة والسيطرة والهيمنة التي تميزت بها القوات الفرنسية آنذاك ضعف نفسي (ذهني وسلوكي) واجتماعي لدى الطرف الآخر؛ وهو الطرف الذي وقع عليه العدوان. ويتمثل هذا الضعف فيما شخصه ابن نبي بالقابلية للاستعمار حيث قال في كتابه شروط النهضة (1986): «وليس ينجو شعب من الاستعمار وأجناده، إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار. ولا يذهب كابوسه عن الشعب -كما يتصور بعضهم- بكلمات أدبية أو خطابية، وإنما بتحول نفسي، يصبح معه الفرد شيئاً فشيئاً قادراً على القيام بوظيفته الاجتماعية، جديراً بأن تُحترم كرامتُه؛ وحينئذ يرتفع عنه طابع (القابلية للاستعمار)، وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله وتمتص دمه، فكأنه بتغيير نفسه قد غير وضع حاكميه تلقائياً إلى الوضع الذي يرتضيه».

وفي الواقع، فإن «القابلية للاستعمار» حالة نفسية معقدة لدى الفرد والمجتمع المكبل بعدة «عقد» أو سمات ذهنية ووجدانية وسلوكية تتجلي باختصار في «التخلف» الملاحظ في شتى المجالات وخاصة في المجالات العلمية والتربوية والاقتصادية والصحية. وتشكل هذه «الحالة النفسية» عندما تكون سائدة لدى شعب ما أرضية خصبة، وفريسة سهلة لعدوان الأقوى فكريا وتكنولوجيا. ولولا متلازمة التخلف، وما ارتبط بها من ظواهر

سلوكية سلبية لدى الشعب الجزائري في الربع الأول من القرن التاسع عشر ما استطاعت القوات الفرنسية احتلال الجزائر. ولولا هذا الضعف المادي والنفسي ما دام الاحتلال الفرنسي للجزائر 132 سنة. ولكن وجود هذه المتلازمة عند المستعمر (بفتح الميم) لا يعطي أية شرعية بأي شكل من الأشكال للمعتدي ولغزو فرنسا للجزائر ولاحتلالها لها بالقوة.

ولكن عوامل التفوق التكنولوجي للقوات الفرنسية، ونزعتها العدوانية والاستعمارية من جهة، والقابلية للاستعمار عند الجزائريين من جهة أخرى لا تفسر ظاهرة الاستعمار والاحتلال تفسيرا كاملا خاصة وأن الاحتلال الفرنسي للجزائر قد جوبه بمقاومات شديدة في معظم مناطق البلاد منذ بداية الغزو حتى استقلال الجزائر سنة 1962 مما يدل على أن «الضحية» وإن كانت ضعيفة ومفككة إلا أنها حاولت المقاومة بأي شكل من الأشكال دفاعا عن النفس والعرض والأرض قبل الاستسلام مرغمة للقوة التي قهرتها مؤقتا. وسواء كان الدافع لاحتلال البلدان الأخرى توسعا اقتصاديا (امبرياليا) أو سياسيا أو أمنيا أو دينيا أو لبسط النفوذ بصفة عامة فإن استعمال القوة للحصول على أي شكل من

أشكال النفوذ غير مبرر أخلاقيا على الأقل. ويعبر استعمال القوة لغزو الآخر واحتلال أراضيه عن عقدة «التفوق» أو «التعالي» التي كان يشعر بها الأوروبيون وخاصة في القرن التاسع عشر؛ والتي تعبر عن «نقص» في جوانب أخرى مثل الجانب الاقتصادي. ولتبرير استعمال القوة العسكرية لقهر الشعوب الأخرى، واحتلال أراضيها، ونهب خيراتها، وبسط نفوذها السياسي عليها عمدت فرنسا إلى تجنيد عدة سياسيين ورجال دين وكتاب وأطباء لتبرير جرائمها وأعمالها العدوانية اللاإنسانية. وقد تجلى هذا «التبرير» (Rationalization) كآلية دفاعية في كتابات كثير من السياسيين والأدباء والأطباء الفرنسيين علاوة على كتابات بعض الضباط الفرنسيين أنفسهم. ومن أمثلة هؤلاء السياسي الفرنسي المعجب بالديمقراطية الأمريكية توكفيل (Tocqueville) والأديب صاحب رواية البؤساء فيكتور هيغو (Victor Hugo) والروائي دو موباسان (De Maupassant) والشاعر لامرتين، وطبيب الأعصاب أنطوان بورو (Antoine Porot) وتلامذته وغيرهم...

لقد أورد غرانميزون (2008) في كتابه «الاستعمار الإبادة» تصريحا لألكسي توكفيل وهو نائب في البرلمان الفرنسي، وفي نفس الوقت عضو في أكاديمية الأخلاق والعلوم السياسية، ووزير للخارجية الفرنسية تحت ما سمي بالجمهورية الثانية قال فيه داخل

البرلمان الفرنسي سنة 1847: «غالبا ما سمعت رجالا، أكن لهم كل الاحترام ولكنني لا أتفق معهم، يقولون: ليس من الأخلاق في شيء حرق المحاصيل الزراعية وتفريغ المخازن ومباغتة الرجال والنساء والأطفال العزل؛ وأنا أقول إن هذه أمور مؤسفة حقا، ولكن كل من يريد محاربة العرب يجد نفسه مضطرا لاقترافها...».

وإذا تأملنا هذا النص الذي حاول فيه صاحبه السياسي «المثقف» إيجاد «تبرير أخلاقي» لمحاربة العرب في الجزائر، ومباغتة الرجال والنساء وحتى الأطفال العزل لانتهينا إلى إدانة هذا السياسي إدانة أخلاقية وقانونية. وقد ذكر غرانميزون وغيره نماذج كثيرة لسياسيين ولكتاب وشعراء فرنسيين مجدوا «الاستعمار» الفرنسي للجزائر كما مجدوا وسائله الهمجية ومن بينهم الشاعر المشهور لامارتين، والكاتب المعروف فيكتور هوغو. لقد كتب فكتور هيغو كتابه «البؤساء» ليثير الشفقة على بؤساء الشعب الفرنسي، ولكنه من مؤيدي احتلال الجزائر بل واحتلال كل افريقيا لنقل الحضارة والتنوير إليها كما زعم. لقد بنى هيغو أطروحته على أساس أن العالم المتقدم الواقع شمال البحر المتوسط مختلف تماما عن العالم في الضفة الجنوبية للبحر؛ ففي الضفة الشمالية تتربع الحضارة، وفي

الضفة الجنوبية توجد الهمجية والبربرية. وهو الذي نفى أي تاريخ لإفريقيا عكس آسيا وأمريكا وأستراليا. ونظرا لأن إفريقيا بدون تاريخ، وأنها ليست ملكا لأحد، فقد استخلص أنه يحق لفرنسا حجزها (أخذها). والاستفادة من ذلك ذات شقين: حل مشكلات أوروبا من جهة، ومساعدة الأهالي (سكان افريقيا) على الاستفادة من التنوير من جهة أخرى. إن إفريقيا الهمجية هذه لديها بعدان: المسكون منها عبارة عن همجية، وغير المسكون منها عبارة عن برية موحشة. دعنا نأمل بأن نفس تنوير القرن التاسع عشر يشعر به في هذه المناطق... لقد صنع الرجل الأبيض من الأسود رجلا، وأوروبا ستصنع من إفريقيا عالما. انطلقوا أيها الناس واحجزوا هذه الأرض، خذوها. تأخذوتها ممن؟ ليس من أحد. خذوها من الإله؛ الإله أعطاها للرجال؛ الإله أعطى إفريقيا لأوروبا...وفي آن واحد، حلوا مشكلاتكم الاجتماعية؛ غيروا عمالكم (البروليتاريا) إلى ملاكي أراض؛ ابنوا طرقا، وموانئ، ومدنا، انموا، احتلوها (يوسف، 2018) . ولم يكتف فكتور هيغو بهذه الأقوال التي تنم عن التعالي والدعوة إلى أخذ أراضي الأفارقة بالقوة بل انتقد حكومته لأنها لم تقم حسب رأيه بأعمال همجية كما ينبغي في الجزائر؛ إذ قال بهذا الصدد: "إن ما ينقص فرنسا في الجزائر شيء من اللاإنسانية...إن أول شيء يصيب الهمجي هو القوة وليس الإحساس..." (يوسف، 2018، ص 16). وقد ترجمت دعوة فكتور هيغو وغيره إلى عمليات إبادة في إفريقيا، وفي الجزائر بصفة خاصة حيث دعا بعض الفرنسيين إلى إبادة الشعب الجزائري. لقد أورد غرانميزون مثلا أن بعض الكتاب والسياسيين الفرنسيين قد ذهبوا إلى أبعد من مطاردة الجزائريين، وإبعادهم عن أراضيهم واغتصابها، بل دعوا إلى إبادة جزء من "العرب" أوكلهم بحجة دامغة وهي أن العرب جنس أدنى غير قابل للتحضر. واستعان هؤلاء كثيرا بصنيع الغرب بهنود أمريكا وشعب الأبورجين في استراليا... (غرانميزون، 2008، ص 19).

ولمن أراد أن يطلع أكثر على عمليات الإبادة التي قامت بها القوات الفرنسية في الجزائر سواء بالحرق أم بالقتل العمدي للنساء والأطفال والأسرى، فليرجع مثلا إلى كتاب غرانميزون (2008) تحت عنوان "الاستعمار الإبادة"، وكذلك إلى كتاب غالوا (2008) في كتابه باللغة الانكليزية عن "إدارة المرض: الطب والأخلاق في جزائر القرن التاسع عشر[1]. وقد خصص هذا الكاتب الفصل الرابع من كتابه المذكور لعمليات الإبادة التي قادها جنرالات فرنسا ضد الجزائريين حيث أبادوا عدة قبائل بالحرق والتقتيل الجماعي مثلما

1-William, Gallois: The Administration of sickness- Medicine and Ethics in Nineteenth-Century Algeria. Palgrave-Macmillan، UK. P: 93-134.

حدث في محرقة قبيلة أولاد رياح بالظهرة وقبيلة سبيعة معتبرا أن عمليات الإبادة هذه تعبر عن "ثقافة فرنسية" وليست عمليات انفرادية؛ إذ ساندها ودعمها، ودعا إليها كتاب ومثقفون فرنسيون. ويكفي أن نستدل على وحشية القوات الفرنسية وهمجيتها في التنكيل بالمواطنين الجزائريين بأمثلة أوردها مسبيرو (2005) حيث نقل شهادة الكولونيل (العقيد) ببليسي دورينو الذي وصف العمليات الدموية التي ارتكبها هو وجنوده ضد الجزائريين، ومنها المجزرة التي ارتكبت ضد قبيلة «الأوفياء» حيث قال: «عند العودة من تلك الحملة المشؤومة، كان العديد من فرساننا يرفعون رؤوسا فوق أسنتهم، وقد استعملت واحدة منها في وليمة فظيعة» (مسبيرو، ص 89). وأورد نفس المؤلف (مسبيرو ،2005) أن القائد العام الفرنسي دوروفيغو كان يقول: «آتوني بالرؤوس، اقطعوا رأس أول بدوي تلقونه وسدوا بواسطتها قنوات المياه المخربة « (ص 89). وقد كانت حصيلة الحملة المشؤومة ضد قبيلة «الأوفياء»، هلاك اثني عشر ألفا من أبناء وبنات هذه القبيلة. وبعد بضعة أيام، عرضت كميات معتبرة من الأساور والأقراط للبيع في سوق باب «عزون» بمدينة الجزائر» (مسبيرو، 2005، ص 89).

وكشهادة كذلك على وحشية الاحتلال الفرنسي وهمجيته، وعلى الصدمة النفسية الكبيرة التي خلفها في نفوس الجزائريين شهادة اللجنة البرلمانية الفرنسية التي أوفدت سنة 1834 لتقصى الوضعية في البلد المحتل؛ فوصفت الوضع القاسي والوحشية الفرنسية في الجزائر بقولها: «لقد تجاوزنا، في درجة التوحش، وحشية القوم الذين جئناهم بالحضارة، وها نحن نشتكي من عدم تمكننا من تحقيق الحظوة لديهم» (مسبيرو، ص 91).

وقد استمرت هذه الوحشية والهمجية في التعامل مع الجزائريين بهدف زرع الرعب والهلع في قلوبهم، ليستكينوا وليخضعوا لإرادة المحتل. وقد اتبعت الوحشية في التنكيل كأسلوب للترويع بإحداث «صدمات نفسية» لشل الخصم ذهنيا ووجدانيا وسلوكيا. انظروا مثلا لهذه الشهادة المفزعة التي أوردها مسبيرو نقلا عما كتبه أحد شهود عيان من الفرنسيين عن فضائع الجيش الفرنسي وعملائهم ضد سكان واحة الزعاطشة سنة 1850 حيث كتب قائلا: «... فكنت ترى هنا عسكريا يقطع ساخرا ثدي امرأة مسكينة وهي تترجاه أن يرحمها بقتلها، ثم تلفظ أنفاسها بعد لحظات وهي تتضور ألما، وترى هناك جنديا آخر يمسك طفلا صغيرا من رجليه ويضرب رأسه على جدار فيتناثر المخ منه، وفي جهات أخرى مشاهد لا يتحملها العقل السليم ويعجز عن وصفها اللسان» (مسبيرو، ص 308).

هذه نماذج من «حضارة» فرنسا وثقافتها وإنسانيتها وعلمها التي أراد فكتور هيغو وألكسي توكفيل وبورو وأمثالهم نقلها إلى الجزائر[2]. وما هي في الواقع إلا استعمال لآليات دفاعية كالتبرير والهروب من الواقع، وليست إلا تعبيرا عن عقدة تفوق تخفي في الأعماق عقدة الشعور بالنقص بالإضافة إلى محاولات بائسة أخرى لإخفاء النزعة العدوانية التي اتسم بها التوسع الاقتصادي والاستعمار الاستيطاني وبسط النفوذ السياسي للدول الأوروبية ومنها فرنسا على القارات الخمس.

وبالإضافة إلى جرائم التقتيل الجماعي والحرق والتعذيب في محاولة لإبادة أكبر عدد ممكن من الجزائريين، فقد عمدت القوات الفرنسية إلى استخدام «الحرب النفسية» للسيطرة على عقول من تبقى من الجزائريين وعلى وجدانهم وسلوكهم؛ وذلك باستعمال أطباء أعصاب، وإعلاميين وضباط مخابرات، وبعض رجال الدين المزيف، ونظام تعليم مشوه. وقد استعمل كل ذلك لتبرير الاحتلال، وحرب الإبادة التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر، وكذلك عمليات مسخ شخصية الآخر (الشعب الجزائري) أمام الرأي العالمي والمحلي بهدف الحصول على تعاطفه أو التغاضي على الأقل على جرائم الاحتلال والإبادة التي مارسها.

- الحرب النفسية:

المقصود بالحرب النفسية في هذه المقال، استعمال الدعاية (propaganda) ضد العدو... بهدف تحطيم الروح المعنوية لديه، ولكبح إرادته في القتال أو المقاومة، أو لجعله أحيانا مستعدا لقبول موقف الآخر[3] (عدوه). مع العلم أنه يوجد عدة معاني لهذا المفهوم وهذا حسب موطن استخدمه مثل ما أوضح ذلك بوسنة (2015) .

لقد جندت الدولة الفرنسية كل وسائلها الدعائية العسكرية والمدنية، كما جندت أدباء وأطباء وانثروبولوجيين وصحفيين وعلماء في البيولوجيا والوراثة وعلم النفس والطب النفسي لشن حرب نفسية شرسة ضد الشعب الجزائري متبعة في ذلك استراتيجية "مسخ الخصم"، وتشويه صورته الحسية والمعنوية بهدف تبرير سحقه والقضاء عليه. لقد شرح غرانميزون (2008) بالتفصيل الخصائص الذهنية والوجدانية والسلوكية للعرب من وجهة نظر الفرنسيين وخاصة العسكريين منهم؛ وذلك في فصل كامل تحت

2 - لمزيد من الأمثلة عن جرائم فرنسا كما أوردها غرانميزون ومسبيرو وغيرهما، يمكن الرجوع إلى موضوع: صدمة الاستعمار لمصطفى عشوي في كتاب: الصدمات النفسية في الجزائر: مصطفى عشوي ومصطفى خياطي. دار الأمة، الجزائر، 2012.

3- https://www.britannica.com/topic/psychological-warfare

عنوان "بخصوص العرب" حيث عرض أقوالا موثقة لمؤرخين وكتاب وضباط فرنسيين تحط من شخصية الجزائري، وتسخر من طبيعته البشرية بكل أبعادها. أما ميليرون (2007) فقد أفاضت في شرح تقنيات الحرب النفسية التي استخدمت من طرف ضباط فرنسا بالجزائر؛ وذلك في موضوعها تحت عنوان "العمل البسيكولوجي ومسخ إنسانية الخصم[4]" حيث أوضحت الهدف من استخدام الحرب النفسية في قولها: "أن تستخدم السلاح البسيكولوجي يعني أن تقوم بعملية موجهة ضد العدو بهدف التأثير على فكره وعواطفه وموقفه وسلوكه، لفائدة مخططات الحكومة والقيادة، وفي آن واحد أن تتوجه إلى عناصر صديقة، وحليفة أو محايدة للحصول على الدعم وكسب تعاطف فعال" (ص 211).

ومما عمد إليه الجيش الفرنسي في إطار الحرب النفسية التي شنها ضد الشعب الجزائري برمته القيام بتجنيد الأطباء النفسيين الفرنسيين لمسخ شخصية "الخصم" أو "العدو" أو "المستعمر" (بفتح الراء)، ولتجريم "العدو" كما أكدت ذلك ميليرون (2007) حيث كتبت أن الدعاية الفرنسية التي قادها ما سمي بالمكتب الخامس للعمل السيكولوجي (الحرب النفسية)[5] قد قامت أساسا على نظريات المدرسة الفرنسية للدراسات النفسية في الثلاثينيات من القرن العشرين. وقد تزعم هذه الدراسات طبيب أعصاب فرنسي في جامعة الجزائر يسمى أنطوان بورو (Porot)؛ إذ حاول إقامة علاقة بين الأمراض العقلية والجريمة، كما حاول الدفاع عن فرضية قائمة على الدعاية والحرب النفسية في كتابه "النزعة البدائية لأهالي شمال إفريقيا وتأثيرها في علم الأمراض العقلية"؛ ومفاد هذه الفرضية أن "الشمال الإفريقي المتميز ببدائيته هو مجرم بطبيعته" (ميليرون، 2007، ص 212). وهنا نلاحظ استعمال آلية "الإسقاط" (Projection) من طرف الدعاية الفرنسية لاتهام الطرف الآخر بسلوك إجرامي ليس في الواقع إلا صفة أساسية للسلوك الإجرامي الذي قامت به القوات الفرنسية في كل أرجاء الجزائر وغيرها.

وقد فضحت ميليرون هذه الفرضية التي ساندها عدة أطباء فرنسيين أمثال بوروا وابنه وتلامذته والتي كانت قد اتخذت كمنطلق للدعاية الحربية والعمل السيكولوجي في الجزائر بقولها: "يتحدد من هذه الدعاية الحربية تصور جديد للأنا والآخر ...المعادلة

4 -ميليرون، كريستين (2007): العمل البسيكولوجي ومسخ إنسانية الخصم في «العنف، التعذيب والاستعمار: من أجل الذاكرة الجماعية». إشراف كلود ليوزو، ترجمة: إبراهيم سعدي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 209-232.

5-أنشىء المكتب الخامس للعمل السيكولوجي في نوفمبر 1954 وأغلق سنة 1960؛ وقد كان متخصصا في شن الحرب النفسية في الجزائر.

بسيطة: الأنا طيب والآخر مجرم" (ص 213). ومما قالته الكاتبة أيضا بهذا الخصوص هو: "إن الجيش الفرنسي ينسب في دعايته للاستقلاليين كل أنواع العيوب والرذائل. يدل على ذلك كثرة المفردات المستقاة من الفضاء المعجمي للعنف واللصوصية: الغرور، الجبن، الكذب، التفاهة، السادية..." (ص 218).

وفي الواقع، فإن هذه الكاتبة ليست هي الوحيدة التي فضحت أعمال بورو وتلامذته بل قام بذلك قبلها وفي حينه الطبيب النفسي فرانز فانون الذي واجه أطروحات بورو، وانتقدها بقوة وخاصة في كتابه "معذبو الأرض"[6]. وفضحها أيضا النفساني والانثروبولوجي الفرنسي دوري (2006) (Doray, 2006) الذي أشار إلى أن بورو وتلامذته قد اعتبروا أن الجزائري يسيره دماغ متخلف مثل دماغ الزواحف، وأن مخه محروم من القشرة الدماغية أو الكورتكس (Cortex)، وأن دماغه ليس لينا كدماغ الأوروبي. وأوضح دوري أن هدف أصحاب هذه المدرسة الفرنسية المتحيزة الذين عملوا على إعطاء حجج "علمية" للجرائم الفرنسية ليس تبرير المكانة الثانوية (مواطنون من الدرجة الدنيا) التي طبقت على "المسلمين" فحسب، ولكن لإعطاء شرعية لقمع مسلح ضد طموح تحرري؛ وهو القمع الذي بدأ قبل انطلاق الثورة الجزائرية بأمد طويل. إن هذا الطب النفسي العنصري (العرقي) كان أيضا طبا نفسيا عميلا.

وقد برز فانون[7] في الرد على تلك الأطروحات العنصرية حيث وصف بأسلوب واضح لا لبس فيه في كتابه «معذبو الأرض» كيف كان ينظر المستعمر (المحتل) للشعوب المستعمرة وخاصة المجتمع الجزائري بقوله: «إنهم لا يكتفون بأن يصفوا المجتمع المستعمر (بفتح الميم) بأنه خال من القيم. إن المستعمر (بكسر الميم) لا يكتفي بالقول إن القيم قد نزحت عن المجتمع المستعمر (بفتح الميم)، أو أنها لم توجد فيه يوما. وإنما هو يعلن أن السكان الأصليين لا سبيل لنفاذ الأخلاق إلى أنفسهم، وأن القيم لا وجود لها عندهم، بل إنهم انكار للقيم، أو قل إنهم أعداء للقيم. فالمستعمر (بفتح الميم) بهذا المعنى هو الشر المطلق. إنه عنصر متلف يحطم كل ما يقاربه، عنصر مخرب يشوه كل ما له صلة بالجمال أو الأخلاق، إنه مستودع قوى شيطانية، إنه أداة لقوى عمياء، أداة لا وعي لها ولا سبيل إلى إصلاحها» (ص 32). ونلاحظ هنا كيف حاول الاستعمار الفرنسي إقامة علاقة بين الاحتلال والخير والقيم الراقية إجمالا، وفي نفس الوقت إنكار وجود الخير والقيم الراقية لدى الطرف الآخر وهو المستعمر (بفتح الميم).

6-Les Damnés de la Terre-

7- فرانز فانون: طبيب أعصاب فرنسي من جزر المارتنيك التي احتلتها فرنسا. ولد سنة 1925 وتوفي سنة 1961 بالولايات المتحدة.

وقد ربط فانون بين الحروب الاستعمارية ونشوء الأمراض العقلية والاضطرابات السلوكية لدى ضحايا هذه الحروب؛ فأكد على ذلك بقوله: «إن الحرب، هذه الحرب الاستعمارية التي تكتسي في كثير من الأحيان إبادة جماعية للنوع الإنساني، هذه الحرب التي تقلب العالم رأسا على عقب وتحكمه، هي الحادث الذي يطلق المرض» (ص278).
وقد ربط فانون أيضا بين اضطراب الهوية والاضطهاد المنظم والمنهجي الذي مارسه الاستعمار الفرنسي في الجزائر وفي بلدان أخرى حيث قال بهذا الصدد: «إن الاستعمار، من حيث هو نفي منظم للآخر، من حيث هو قرار صارم بإنكار كل صفة إنسانية على الآخر، يحمل الشعب المستعمر على أن يتساءل دائما هذا التساؤل: (من أنا في الواقع؟)» (ص 276).
ولقد ذهب فانون أبعد من ربط الحرب الاستعمارية بما تخلفه من جروح عميقة في النفس والجسم، وأكد أن هذه الحرب تختلف عن غيرها من الحروب حتى في الأمراض التي تفرزها، كما أن الإصابات المرضية التي تحدثها هي إصابات خطيرة وخبيثة حيث تهاجم الأنا هجوما قويا شرسا وتترك فيه شرخا (صدعا) كبيرا يهيئه للإصابة بالمرض بسرعة (ص279).
وعلى عكس أطباء الأعصاب الفرنسيين الآخرين الذين وصفوا «السكان الأصليين» بالبربرية والوحشية والعنف المتجذر في نفوسهم بيولوجيا ووراثيا، فقد أوضح فانون أن منشأ المواقف الدفاعية (ردود الفعل) للشعوب المستعمرة والتي تتسم بالعنف هو الإرادة في التحرر، والدفاع عن الذات وعن الأرض بكل الوسائل ومن بينها استعمال العنف؛ وذلك لمحو الاستعمار وتشكيل إرادة التحرر والتطور التي قد تتطلب استعمال جميع الوسائل ومنها وسيلة العنف طبعا (ص27).
وفي الواقع، فإن هذه المزاعم «الاستعمارية» حول الشعوب المقهورة لم تكن خاصة بالجزائر فقط بل شملت كل «الأجناس السفلى» حسب هذه المزاعم التي احتلت بقوة الحديد والنار جراء تخلفهم العسكري (عشوي وآخرون، 2018)[8].
وقد بين بوسنة (2015) مراحل الحرب النفسية في الجزائر من بداية الغزو حتى ثورة التحرير، وأكد بأن ثورة التحرير قد تفوقت على الاستعمار الفرنسي في الحرب النفسية الاستراتيجية والتعزيزية، وبالتالي نجحت في فرض مسار الحرية والاستقلال.

8 -انظر كتاب: الشخصية الجزائرية: دراسة ميدانية. مصطفى عشوي وآخرون، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 2018، ص 7-8.

استغلال التدين المزيف

ومن الأساليب التي اعتمدتها الحرب النفسية الفرنسية في الجزائر لشل أذهان الجزائريين، وتكبيل سلوكهم لكي لا يقاوموا الاحتلال ولكي لا يثوروا ضد الاستغلال البشع لهم ولثرواتهم، قيام السلطات الفرنسية باستخدام «التدين المزيف» لتحقيق مآربها؛ وذلك إدراكا منها لأهمية الدين في تشكيل ذهنية الشعب الجزائري، وعواطفه وانفعالاته وأفعاله.

ومن بين الأساليب التي اعتمدها المحتل الفرنسي لاستغلال الدين لمآربه العدوانية، العمل على استمالة وإغراء بعض الطرق الصوفية بهدف تجنيدها لخدمة المصالح الفرنسية. وقد تجلت هذه الخدمة في قيام شيوخ بعض هذه الطرق بتبرير «الاستعمار» الفرنسي بأنه قضاء وقدر لا يمكن الفرار منه، وأنه ينبغي طاعة السلطة الفرنسية لأنها تمثل أولي الأمر، وأن الله تعالى قد أمر بطاعة أولي الأمر، وغير ذلك من عبارات للتبرير، وقصص للتثبيط، وأمثلة للتخويف والترهيب؛ وكل ذلك بالاعتماد على تفسير محرف لبعض آيات القرآن الكريم أو لبعض الأحاديث الشريفة، أو على نزع معاني الآيات والأحاديث عن سياقها القرآني والزماني والمكاني أو على توظيف مغشوش لبعض قصص الأنبياء والصالحين، أو على استشهاد خاطئ بأحداث تاريخية، أو على ادعاء التقوى والزهد، وامتلاك الكرامات، والقدرة على إتيان الخوارق، وعلى تشجيع التفكير الخرافي واستعمال الشعوذة. ولا يخفى أن توظيف هذا «الدين الزائف» هدفه اغتيال العقل، وشل الوجدان، وكبح أي فعل ضد الحاكم المستبد والمحتل. وقد فطن قادة الاحتلال إلى أهمية استمالة بعض رجال الدين وخاصة «شيوخ الطرق الصوفية» نظرا لما يتمتعون به من نفوذ بين عامة الناس، وقدرة على تخدير عقولهم، وتكبيل سلوكهم، ونظرا لقيمة الخدمات التي يقدمونها للمحتل. ولذا فقد مدح أحد هؤلاء القادة هذه «الطرق» قائلا: «إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطرق، أكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا» (الجندي، 1965).

لقد ظهر هذا «التعظيم» لبعض الطرق الصوفية بعد أن أدرك المحتل أن لبعض هذه الطرق مثل القادرية والرحمانية والشيخية دورا كبيرا في مقاومته مقاومة شديدة في كثير من المناطق بقيادة مجاهدين ومجاهدات كبار مثل الأمير عبد القادر والشيخ الحداد ولا لا فاطمة نسومر والشيخ بوعمامة (سعد الله، 1988). وعليه، فقد «توجهت أنظار خبراء

الاستعمار إلى تحييد الطرق الصوفية بوسائل عديدة منها الوعد والوعيد، كشراء الذمم وتولية الوظائف والمناصب. ولم تأت الحرب العالمية الأولى حتى تدجنت الطرق الصوفية، وأصبحت ضالعة إراديا أحيانا وغير إرادي أحيانا أخرى في ركاب الاستعمار. ولعل أبرز ظاهرة شهدتها هذه الفترة هي اختفاء روح الجهاد عند هذه الطرق التي أصبحت في الواقع أدوات لتنفيذ أوامر ورغبات الاستعمار مثل تخدير الشعب وتأييد السياسة الاستعمارية» (سعد الله، 1988).

لقد اندرج هدف الاستعمار من توظيف هذا النوع من «التدين» في إطار الحرب النفسية الشاملة التي استعملت «التدين المزيف» لتعميق عقدة «القابلية للاستعمار» بمفهوم ابن نبي في نفوس الجزائريين، ولتحقيق «الاستحمار» لدى الشعوب المحتلة بتعبير شريعتي والذي يعني به تسخير الإنسان مثل الحمار لخدمة «الاستعمار» و «الاستبداد» وكل أشكال الاستعباد. وقد اعتبر شريعتي «الدين الاستحماري» في كتابه «النباهة والاستحمار» بأنه دين ضد الدين. والاستحمار حسب شريعتي نوعان: استحمار قديم واستحمار حديث. والدين كان دافعا قويا للاستحمار القديم، بينما الدافع للاستحمار الحديث يقوم على ثقافة الاستيهام (التخيلات) والوسائل والأدوات الإعلامية والإعلانية. وقد عمل الاستعمار القديم حسب شريعتي على إشغال الشعوب وإلهائها عن الوعي الإنساني والاجتماعي لإنشاء جيل جديد مطابق لمقاييسه ومعاييره، جيل فارغ، مضطرب، لا يتحمل أي مسؤولية! لا فكر ولا تعب، لا هم ولا نصب[9]. وللتغلب على هذه النزعة «الاستحمارية» ينبغي أن يتصف الفرد والمجتمع بالنباهة أي بالفطنة والذكاء الفردي والجماعي لمواجهة كل أشكال الاستبداد والاستعباد والاستعمار وحربه النفسية.

ونظرا لتواطؤ بعض الطرق الصوفية مع الاستعمار الفرنسي، فقد قام الشيخ عبد الحميد ابن باديس حتى قبل إنشاء «جمعية العلماء المسلمين» سنة 1931 بمحاربتها، وفضح أساليبها؛ فأصدر عدة جرائد لهذا الغرض مثل جريدة «المنتقد» سنة 1925 وجريدة «الشهاب» سنة 1926 وقد انتقد فيهما انحراف «الطرق الصوفية» كما انتقد مبدأ هذه الطرق القائم على شعار: «اعتقد ولا تنتقد» وأبدله بشعار آخر يدل على ضرورة تحكيم العقل والمنطق والتفكير النقدي، وعلى عدم الانصياع لاعتقادات زائفة وهو شعار: «انتقد قبل أن تعتقد»[10].

9- لمزيد من التفاصيل، انظر: جميل قاسم https://www.daralameer.com/newsdetails.php?id=404&cid=27

10 -انظر جريدة النصر بتاريخ 17 ابريل 2017: النصر تنقل الجانب الآخر من حياة العلامة عبد الحميد بن باديس (لقاء مع أخ العلامة).

وبالإضافة إلى تجنيد بعض رجال الدين وخاصة من أتباع بعض "الطرق الصوفية" وبعض "الزوايا" مثل الطريقة التيجانية والطريقة العليوية (الجندي، 1965) فإن الاحتلال الاستيطاني قد جند أيضا رجال دين مسيحيين (رهبانا وراهبات) للقيام بعمليات ما يسمى بالتبشير في بعض المناطق من البلاد وخاصة المنظمة المسماة "الآباء والأخوات البيض" (سعد الله،1988) . ولكن تأثير عمليات "التبشير" أو التنصير قد باءت بالفشل، ولم تحقق إلا نتائج محدودة جدا. ولا يخفى بالطبع الأساليب المباشرة وغير المباشرة التي كانت تستعمل من طرف الرهبان والراهبات الكاثوليك وغيرهم لاستمالة بعض المواطنين وخاصة اليتامى منهم، والمحرومين من الحنان والدفء العائلي سواء بتوفير الايواء أو المساعدات أو الرعاية الطبية أو التعليم أو بغير ذلك من الطرق والأساليب التي لم يكن هدفها إنسانيا بقدر ما كان "تنصيريا" في الظاهر، وخدمة للا"حتلال في الباطن. وقد شرح كل من وايت ودوغتون (2012) (White & Daughton, 2012) في كتابهما المعنون "في امبراطورية الإله « (In God's Empire) بالتفصيل استخدام فرنسا للحملات «التبشيرية» في أنحاء مختلفة من العالم كوسيلة للحصول على النفوذ السياسي، ولتبرير توسعها الاستيطاني في القارات الخمس. والغريب أن فرنسا التي ادعت ولا تزال تتدعى بأنها دولة علمانية (لائكية)، لا تتورع في استغلال الدين لخدمة مصالحها المادية بمكيافيلية مفضوحة. وكما استعمل الدين المزيف، والحرب النفسية لتخدير العقول وشل السلوك الإيجابي لكي لا يواجه القوة التدميرية للتقتيل والترويع والترهيب، فقد استخدمت السلطات الفرنسية كما سنرى أدناه سياسة التجهيل، وسياسة «التعليم المبتور» والمشوه والموجه للسيطرة على أذهان الجزائريين ووجدانهم وسلوكهم.

التعليم المبتور

أكد هيغوي (1973) (Heggoy) وهو كاتب أمريكي أن السلطات الفرنسية التي احتلت الجزائر وباقي شمالي افريقيا لم تكن تهتم خلال القرن التاسع عشر بتعليم المواطنين الجزائريين والتونسيين والمغاربة بل كان المستوطنون الفرنسيون يرفضون التحاق أبناء الجزائريين بالمدارس التي فتحت بسخاء لجميع أبنائهم الذين هم في سن «التمدرس». وأورد أيضا أن السلطات الفرنسية قد أغلقت المدارس العربية الابتدائية والثانوية التي كانت منتشرة في الجزائر قبل الاحتلال. وخلص إلى القول بأن «ادعاءات فرنسا العديدة حول «رسالتها الحضارية»، وحول رغبتها في دمج سكان شمال افريقيا في جسد السياسة

الفرنسية، أو على الأقل اتباع سياسات تشاركية تجعل المسلمين مثل الفرنسيين، كانت كلها ادعاءات جوفاء...». ومقابل السماح بنشر اللغة الفرنسية في بعض المناطق، فقد ضيقت على تعليم اللغة العربية، وعلى فتح مدارس حرة حيث أصدرت السلطات الفرنسية قانون 24 ديسمبر 1904 الذي يمنع كل جزائري من فتح مدرسة إلا برخصة من السلطات الفرنسية وبالذات من عامل العمالة (الوالي الفرنسي)، وأية مخالفة لذلك القانون تعرض صاحبها لعقوبة السجن والتغريم، ثم إن هذه الرخصة لا تعطى إلا للمحظوظين الذين رضيت عنهم الإدارة الاستعمارية ووثقت بهم. وقد صرح أحد مديري مكتب الشؤون الأهلية بالجزائر، قائلا: «لقد أذللنا الدين الإسلامي وبلغ به الأمر أن لا يعين إمام أو فقيه أو طالب، إلا إذا شارك في أعمال الجوسسة الفرنسية ثم عليه كي يرتقي في الدرجة أن يثبت قدرا كبيرا من الحماسة والإخلاص للإدارة الفرنسية[11]».

ويبدو واضحا أن فرنسا قد دمرت معظم المساجد أو حولتها إلى كنائس، وأغلقت المدارس العربية في معظم ربوع البلاد؛ وذلك لفرض سياسة التجهيل على الجزائريين لكي لا يفكروا في المقاومة والحرية والقيم السامية، ولكي يصبحوا يدا عاملة رخيصة مستسلمة لأميتها وجهلها لدى المستوطنين الفرنسيين وغيرهم. وقد تحقق ذلك بالفعل سواء في المزارع التي اغتصبها «المستوطنون» الفرنسيون في الجزائر أم في المصانع وورشات البناء في فرنسا نفسها، كما تحقق بفرض التجنيد على كثير من الجزائريين، وإجبارهم على القتال تحت علم فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية.

وقد أدت سياسة التجهيل المفروضة على معظم الجزائريين إلى انتشار الأمية والفكر الخرافي والشعوذة لديهم، و سيطرة روح التواكل على سلوكهم، و الابتعاد عن فهم تاريخهم وثقافتهم ودينهم.

وقد احتفلت فرنسا في سنة 1930 بمناسبة مرور مائة سنة على احتلالها للجزائر. وكان رد بعض علماء الجزائر على ذلك هو إنشاء «جمعية العلماء المسلمين» سنة 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لنشر التربية والتعليم باللغة العربية في ربوع الوطن، ونشر الدين الصحيح، ومحاربة الخرافات وكل أساليب الشعوذة التي كانت تمارس من

11 -انظر: الأستاذ فضلاء: المدارس الحرّة لجمعية العلماء حلقة من كفاحنا الطويل. جريدة الشعب بتاريخ 9 مارس 2019، إعداد: سهام بوعموشة.

طرف بعض الطرق الصوفية والزوايا باسم الدين. وبالإضافة إلى جهود الجمعية في التربية و التعليم والتي أوردها فضلاء (1999) بالتفصيل، فإن لبعض «الزوايا» في مناطق متعددة من البلاد الفضل في تحفيظ القرآن الكريم والتدريس باللغة العربية كما أن حزب الشعب قد أسس بعض المدارس العربية وخاصة في العاصمة كما أن سكان وادي ميزاب (الإباضيين) قد حافظوا على اللغة العربية من خلال إنشاء مدارس خاصة بهم (عزة، 2013).

ويتضح من هذه القراءة النفسية المختصرة للسجل الفرنسي الاستعماري في الجزائر سواء استعمل هذ الاستعمار التكنولوجيا والقوة التدميرية والتقتيل الفردي والجماعي، والحرق والذبح والاغتصاب والتعذيب أم استعمل الحرب النفسية البشعة أو الدين المزيف، أو سياسة التجهيل والتضليل، أن الهدف من كل ذلك هو اغتصاب الأرض من أصحابها، واغتيال عقولهم، وتحطيم معنوياتهم، وتخريب وجدانهم، وتشويه شخصيتهم التاريخية والثقافية والإنسانية، وتكبيل أفعالهم الخيرة، وشل سلوكهم الإيجابي ليخلو له الجو لاستيطان الأرض، وبسط نفوذه السياسي والاقتصادي ولفرض هيمنته اللغوية والثقافية على الشعب الجزائري.

ولكن ورغم كل هذه الأدوات والأساليب التي استعملها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، فإن الشعب الجزائري لم يستسلم أبدا بل استمرت المقاومة «الجهادية» في معظم أرجاء البلاد من طرف رجال ونساء أبطال مثل الأمير عبد القادر، وأحمد باي، والمقراني، وبوعمامة، ولالا فاطمة نسومر. وبرزت أصوات بعض النخب السياسية منذ إنشاء حزب «نجم شمال افريقيا» و «حزب الشعب» وغيرهما من الأحزاب والجمعيات تدافع عن حقوق الجزائريين وعن كرامتهم حتى توحدت الإرادات وقامت ثورة التحرير بقيادة «جبهة التحرير الوطني»، ودامت الثورة سبع سنين حتى بزغ فجر الاستقلال بعد تضحيات جسام... وقد مارس الاحتلال خلال هذه الثورة كل أساليب الحرب النفسية، والحرب التدميرية، والترويع والترهيب، وأسفر عن وجهه القبيح بعقده العميقة والشديدة بغرض إبقاء الهيمنة الاستعمارية على الجزائر إلى الأبد. ورغم كل ما اقترفه الاحتلال الفرنسي من جرائم حرب ضد الإنسانية، فقد استطاعت ثورة التحرير كتابة تاريخ عظيم... تاريخ ثورة يقرأ بكل اللغات، تاريخ يقرأ سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا كما ينبغي أن يقرأ قراءة نفسية موضوعية.

خلاصة

هذه قراءة نفسية أولية لبعض الأسس التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي لفرض سيطرته، وبسط هيمنته على ربوع الجزائر، وهي نفس الأسس التي اعتمدها في معظم البلدان التي غزاها واحتلها. ولا شك أن هذه القراءة قراءة مبتسرة تحتاج لمزيد من الاطلاع على المراجع المختلفة، وعلى التعمق في التحليل واستخلاص النتائج. وقد تفادينا في هذه القراءة الاعتماد على أية نظرية نفسية محددة؛ ذلك لأن معظم هذه النظريات نفسها قد انطلقت من تصورات «غربية» أساسها مبادئ الرأسمالية والأخلاقيات البروتستانتية والكاثوليكية التي اعتمدت صدقا أو نفاقا منطلقا لاحتلال البلدان الأخرى، ومحاولة استعباد أهلها باستعمال كل الوسائل اللاإنسانية واللاأخلاقية...

ورغم أن سلطات الاحتلال في الجزائر قد اتبعت أسلوب الأرض المحروقة، ومبدأ إبادة أكبر قدر ممكن من الجزائريين بالحرق والقتل والتدمير، ورغم ممارستها لكل أشكال وأساليب الحرب النفسية، وتطبيق آليات التبرير والإنكار والهروب من الواقع، وممارسة العدوان بصورة سادية، فإن الشعب الجزائري قد واجه كل ذلك بقيم راقية تمثلت في الشجاعة والتعاون والوطنية والكرم، وبتضحية بالنفس والنفيس بشكل منقطع النظير حتى نال الاستقلال وإن أصاب الضعف والوهن بعض شرائح وفئات هذا الشعب.

إن هذه القراءة النفسية المبتسرة لسجل الاحتلال الفرنسي للجزائر التي قامت على عرض بعض المواضيع المتمثلة في «تقابل القوة والضعف» و«الحرب النفسية» و«التدين الزائف» و«التجهيل»، لتشهد على «السجل الأسود» للاحتلال الفرنسي للجزائر بشهادة بعض كتابها ومؤرخيها. ويمكننا أن نستنتج من هذه القراءة وفق المنهج المتبع ما يأتي:

1- إن للاستعمار وللقوة الدافعة له بنية ذهنية تتسم بالعدوانية والتعالي والشعور بالتفوق، واستعمال آليات نفسية لتبرير هذه العدوانية كما تبرر الاعتداء على حقوق الآخرين.

2- قام الاستعمار الفرنسي بإثارة انفعالات شديدة مثل الكراهية والحقد التاريخي لتحطيم الآخر، وتشويهه بل واستعباده وسلب خيراته وحرياته مثل الكراهية والغضب والحقد.

3- أظهرت الأفعال التي قامت بها القوات الفرنسية في الجزائر مدى وحشية هذه القوات مما يعبر عن الذهنية والانفعالات المشار إليها أعلاه.

وتحتاج هذه القراءة النفسية الأولية إلى دراسات أخرى تتعمق في الجوانب النفسية لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر برمته بهدف فهم هذه الجوانب والدوافع المصاحبة لها، كما تتعمق في الجوانب النفسية ودوافعها التي أسهمت في مقاومة الاحتلال من طرف الشعب الجزائري.

ولاشك، أن مثل هذا التعمق سيمكننا من استخلاص دروس وعبر تفيدنا في الحاضر والمستقبل كما يفيدنا هذا التعمق في فهم جانب مهم من جوانب الشخصية الجزائرية في بعدها التاريخي؛ وذلك كله باتباع منهجية قائمة على تحليل محتوى الوثائق والمراجع والمصادر التاريخية المختلفة، وعلى شهادات بشرية «مذكرات مجاهدين وضباط فرنسيين مثلا» وشواهد مادية مثل تلك الموجودة في المتاحف الجزائرية والفرنسية وغيرها.

المراجع

- ابن نبي، مالك (1948). شروط النهضة. ترجمة عبد الصبور شاهين. دار الفكر، دمشق، 1986.
- بوسنة، محمود (2015). دور الحرب النفسية في إنجاح ثورة التحرير الجزائرية وإفشال سياسة الاستعمار الفرنسي الاستيطانية. مجلة أفكار وآفاق، المجلد 04، العدد 06، منشورات جامعة الجزائر 2.
- الجندي، أنور (1965). الفكر والثقافة في شمال افريقيا. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- جميل، قاسم (2010). علي شريعتي: الاستعمار والاستحمار. فصل من كتاب علي شريعتي: الهجرة إلى الذات. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط 1. مقتبس بتاريخ 2 يوليو، 2019 من موقع :https:// www.daralameer.com/newsdetails.php?id=404&cid=27
- سعد الله، أبو القاسم (1988). العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية. مجلة الفيصل، عدد 138، يوليو-أغسطس 1988، 34-32.
-شريعتي، علي (2007). النباهة والاستحمار. دار الأمير. ترجمة هادي السيد ياسين. الطبعة الثانية 1428 هـ
- عزة، حسين (2013). التعليم العربي في الجزائر إبان ثورة التحرير. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أدرار، قسم العلوم الإنسانية.

- العساف، صالح بن حمد (1989). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. مكتبة العبيكان، الرياض.
- غي، دو موباسان (1881). رحلة الجزائر «إلى بلاد الشمس»، ترجمة نادية عمر صبري. ط1، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007.
- فضلاء، محمد الحسن (1999). المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر (1-3)، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- فضلاء: المدارس الحرّة لجمعية العلماء حلقة من كفاحنا الطويل. جريدة الشعب بتاريخ 9 مارس 2019، إعداد: سهام بوعموشة.
- لوغرانميزون، أوليفي لوكور (2007). الاستعمار الإبادة. ترجمة نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر.
- ليوزو، كلود؛ منصرون، جيل (2007). الاستعمار والقانون والتاريخ، ترجمة بشير بولفراق، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- مسبيرو، فرانسوا (2005). سانت آرنو أو الشرف الضائع، ترجمة أحمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر.
-موسى، عايدة العزب (2007). تجارة العبيد في إفريقيا، ط1. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- ميليرون، كريستين (2007). العمل البسيكولوجي ومسخ إنسانية الخصم في «العنف، التعذيب والاستعمار: من أجل الذاكرة الجماعية». إشراف كلود ليوزو، ترجمة: إبراهيم سعدي، دار القصبة للنشر، الجزائر.

-Ageron, Charles-Robert (1974). Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830- 1973), que sais-je? Presse universitaires de France, Paris.
- Doray, B. (2006). La Dignité: Les debouts de l'utopie. LA DISPUTE.
- Gallois, W. (2008). The Administration of sickness- Medicine and Ethics in Nineteenth-Century Algeria. Palgrave-Macmillan, UK.
- Heggoy, A. A. (1973). Education in French Algeria: An Essay on Cultural Conflict. Comparative Education Review, 17:180-197.
- Youcef, O. L. (2018). On Colonial Nostalgia Case Study: Algeria. International Journal of History and Philosophical Research. 6, 01, 13-20.
- White, O. & Daughton, J. P. (2012). In God's Empire: French Missionaries and the Modern World. 1st Edition. Oxford University Press, New York.

التسليح بالمنطقة السادسة من الولاية التاريخية الأولى 1956 -1958

د. براهمي نصيرة
جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة، الجزائر
brahmitebessa@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/04/08 تاريخ القبول: 2020/02/26

ملخص:

فجر الزعماء التاريخيون الثورة بكميات قليلة من الأسلحة، وبعد انطلاق الثورة ورغم وجود مصادر داخلية للتسليح إلا إن مشكلة الإمداد برزت بشكل حاد، مما أدى بقادة الثورة إلى البحث عن مصادر خارجية. ولعبت المنطقة السادسة من أوراس النمامشة باعتبار موقعها الحدودي، دورا كبيرا في تسليح الثورة الجزائرية. فقد نشطت عمليات التهريب ونقل الأسلحة خاصة خلال سنة 1957 ، حيث اجتازت الكثير من قوافل التسليح مختلف المسالك بأمان. مع العلم أن تأسيس السد المكهرب من طرف المحتل، كان له آثار خطيرة على حركية الثورة، إلا أن إصرار جيش التحرير الوطني كان أقوى وأشد وكان هذا هو دافع عمليات العبور الخطيرة جدا في كل مرة.

الكلمات المفتاحية: المنطقة السادسة، أوراس النمامشة، الإمداد، الحدود، السد المكهرب.

Abstract

Historical leaders set off the revolution only with small quantities of arms. Thereafter, the beginning of the revolution and despite the existence of internal sources of armament, the problem of Arms supply has emerged sharply. This situation led the leaders of the revolution to search for external sources. The sixth region of Aures Al-Namamsha, as its border location, played a major role in arming the Algerian revolution. Smuggling and arms transfers were particularly active during the year 1957, as many armored convoys safely crossed in the borders. However, the establishment of the electrified dam by the occupant, had grave implications for the revolution movement, but the insistence of the National Liberation Army was stronger, and there motives for crossings the borders each time exceeds the dangers imposed by the occupant and the electrified dam.

Keywords : Sixth Zone, Aures Al-Namamsha, logistics, Borders, Electrified Dam

Résumé

Les chefs historiques ont déclenché la révolution avec de petites quantités d'armes. Par la suite, malgré l'existence de sources locales pour s'armer, le problème de l'approvisionnement en armes a fortement émergé. Cette situation a conduit les dirigeants de la révolution à rechercher des sources externes. La sixième région des Aurès-Nememcha, en tant que site frontalier, a joué un rôle majeur dans l'approvisionnement de la révolution algérienne en armes. Les opérations de transfert d'armes, à travers la frontière Algéro-tuni

sienne, ont été particulièrement actives au cours de l'année 1957, et de nombreux convois d'armes et de munitions ont réussi le franchissement de la frontière, pour retourner en Algérie, en toute sécurité. L'établissement du barrage électrifié par l'occupant, a eu de graves conséquences pour le cours des événements de la révolution. La persévérance des éléments de l'ALN était si forte que tout obstacle, et est devenue la raison même des tentatives de franchissement de frontières très dangereuses.

Mots-clés: Sixième zone, Aurès-Nememcha, Logistique, Frontières, Barrage électrifié

مقدمة

كان إصرار عناصر من شباب المنظمة الخاصة قويا في استغلال الظروف والتطورات الحاصلة في كل من تونس والمغرب وتفجير الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 رغم بساطة الإمكانيات والطاقات التي كانت بحوزتهم آنذاك، وما ميز فترة الانطلاقة هو غياب عمليات التنسيق والاتصالات بين قادة الثورة وذلك التطويق والحصار الذي فرضته السلطات الاستعمارية منذ الوهلة الأولى على أوراس النمامشة من اجل خنق الثورة وتصفيتها.

لتنظيم الثورة على مختلف الأصعدة ودراسة متطلباتها المستقبلية، عقد قادة الثورة مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 ببلاد القبائل، أقر هذا المؤتمر عدة قرارات هامة يصب مضمونها في تنظيم الثورة في مختلف الجوانب ومن أهم هذه القرارات تقسيم الجزائر إلى ست ولايات وتقسيم كل ولاية إلى مناطق وكل منطقة إلى نواحي وكل ناحية إلى قسمات، ووفق هذا التقسيم نشأت المنطقة السادسة من الولاية التاريخية الأولى، يتمثل إطارها الجغرافي في ذلك الحيز الجغرافي من ولاية تبسة الإدارية الحالية باستثناء الجزء الممتد من بكارية شرقا إلى ونزة بالشمال الشرقي ومن بولحاف الدير إلى العوينات بالشمال الغربي كما تمتد المنطقة السادسة فوق تراب ولاية خنشلة الإدارية الحالية فتشمل أولاد رشاش، ششار، ببار، وتمتد جنوبا إلى الحدود مع بني قشة بالوادي.

وقد قُسمت حسب قرارات المؤتمر المذكور إلى أربع نواحي كالآتي: الناحية الأولى تبسة، الثانية بئر العاتر، الثالثة الشريعة، الرابعة ششار، تداول على قيادتها على التوالي محمود الشريف، صالح بن علي سماعلي، مقداد جدي، لعبت هذه المنطقة دورا هاما أثناء الثورة التحريرية ونجح قادتها في تسيير النشاط العسكري والسياسي للثورة مما أدى إلى توسيع وانتشار هذه الأخيرة أفقيا وعموديا في ظرف قياسي، وبحكم أن هذه المنطقة حدودية فقد وظفت الثورة هذا العامل كما وظفت طبيعة تضاريسها المتنوعة من أجل

الإمداد بالسلاح والتموين، لذلك لعبت هذه المنطقة دورا كبيرا في التسليح، هذه الحاجة الماسة التي تعد ضرورية ولازمة لافتتاح الكفاح المسلح والاستمرار فيه إلى حين تحقيق الغاية المنشودة ألا وهي القضاء على النظام الاستعماري واسترجاع السيادة الوطنية.

وفي إطار هذه الفكرة نطرح الإشكال التالي: كيف تم تنظيم الإمداد بالسلاح بالمنطقة السادسة في الفترة الممتدة من 1956 إلى 1958 ؟، وفيما تمثلت مصادر التسليح الداخلية وكذا الخارجية؟، وماهي المسالك والممرات التي عبرتها قوافل التسليح ؟، وماهو الدور الذي لعبته المنطقة مجال الدراسة في تسليح الثورة ؟، والى أي مدى عرقل السد المكهرب الإمداد بالسلاح ؟.

1- واقع التسليح بناحية تبسة قبل الثورة

عرفت ناحية تبسة بحكم أنها منطقة حدودية انتشار كميات من الأسلحة أثناء الحرب العالمية الثانية وفي هذه الصدد هناك من الكتابات التي تذكر اتصال مجموعة من الطلبة الزيتونيين منهم حامد روابحية ورفاقه بالألمان، حيث وعدوهم بمساعدة الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي فحلقت طائرات ألمانية بتبسة وألقت بالكثير من الأسلحة بجبال العرعور وقرن الكبش والدكان، ولقد تم تخزين البعض منها والذي سيستخدم لاحقا أثناء الثورة التحريرية[1].

كما عرفت منطقة تبسة إثر الحرب العالمية الثانية تجارة وتهريب الأسلحة، ومن الذين نشطوا في هذا المجال نذكر لحبيب عباد (قرفوف) والذي استمر في هذه التجارة إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية[2]، كما امتهن لزهر شريط هذه التجارة بعد سنة 1945 حتى انه انشأ شبكة تهريب مكونة من عناصر تونسية وليبية تمكنت من الوصول إلى مخازن أسلحة الحلف الأطلسي التي بقيت مخزنة فوق التراب الليبي عن طريق شراء ذمم الحرّاس والضباط، استمر لزهر شريط في هذا النشاط رغم خطورته وانشأ أماكن ونقاطاً لتخزين الأسلحة بالجبال والمناطق النائية لاسيما الواقعة على الحدود التونسية الجزائرية[3].

1-التومي ساكر: كفاح الطالب الجزائري، ملتقى دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة ولاية تبسة (د،ت)، ص 152 .

2-شهادة لحبيب عباد (قرفوف): تسجيلات ملحقة متحف المجاهد محمود قنز تبسة

3 ا-لمنظمة الوطنية للمجاهدين: من شهداء الثورة، منشورات مجلة أول نوفمبر، الجزائر، (د.ت)، ص54، ص56 .

تؤكد الكثير من الشهادات الحية إقدام أغلبية النمامشة على شراء الأسلحة لاسيما وان معظمهم يقطن بالريف، فكانوا يقتنونها من الكثير من التجار والمهربين منهم السوافة وذلك لعدة أغراض منها الحراسة والتفاخر بها في الأعراس والاحتفالات[4] وهناك بعض المناطق التي أصبح سكانها مسلحين بنسبة عالية منها منطقة جبل العنق وهذا لبعدها عن أعين السلطات الفرنسية[5]، ولقد كان الشريط الحدودي من الصعب مراقبته لامتداده على مسافة طويلة فكان يتطلب عددا هائلا من فرق الجيش الفرنسي للتمشيط فضلا عن طبيعة تضاريسه المعقدة كثيرا والصحراوية في أحيان أخرى[6].

للتصدي لعمليات تهريب الأسلحة بالحدود الشرقية سخّرت السلطات الفرنسية مصالح الشرطة والدرك والجمارك وهيئة الدوايروغيرها [7]، كما عملت عن كثب لجمع أسلحة مخلفات الحرب العالمية الثانية المنتشرة في مناطق عدة وسعت إلى إغراء المدنيين بمنحهم قيماً مالية نظير كل عملية جمع ومنح الأسلحة لمصالحها[8]، كما أنها اتخذت إجراءات قمعية ضد كل من يُدْخِل بندقية حربية إلى الجزائروكثفت الرقابة على منطقتي الحامة وقابس بتونس باعتبارهما مصدرين سلاح قوافل التجار الجزائريين، وأيضا عمليات التفتيش المباشرة والقبض على المهربين، فضلا عن شراء الأسلحة بأسعار مختلفة مما زاد في تشجيع التجار على التهريب، وكان تسليم بندقية واحدة يُجني قيمة مالية تكفي لشراء عدة بنادق حربية، وعلى ذلك أصبح الشراء المتعمد للأسلحة من قبل السلطات الاستعمارية لصالح مهربي الأسلحة الجزائريين والتونسيين على حد سواء خاصة وأنها كانت متوفرة بكثرة بتونس وليبيا، وإزاء ضعف إمكانيات المراقبة مقابل كثرة القوافل المهربة للأسلحة الحربية تملصت غالبا القوافل من قبضة السلطات الفرنسية[9]أشار التقرير الموجه من العقيد بلانش (Blanche) قائد باتنة إلى الجنرال سبيلمان أن باتنة توفرت في أكتوبر 1954 على عشرة آلاف بندقية حربية ووُجد عشرات الثوار المسلحين جيدا في باتنة، تبسة، سوق أهراس[10]، وكان لاندلاع المقاومة التونسية الأثر الكبير في

4-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية معه يوم 23 افريل 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة.

5-شهادة حمه هنين: مقابلة شخصية معه، يوم 23 ديسمبر 2014 بمقر جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة ولاية تبسة.

6-Bernard Crochet, Gerard Piouffre: Guerre d'Algérie, Nov édit, Paris, 2007, p 181

7-يوسف مناصرية: دراسات وأبحاث حول الثورة التحريرية -1954 1962، دار هومه، الجزائر، 2013، ص ص 28-30، ص 34

8-A.W.C, Boite N°107, l›Administrateur du C M Morsott (rapport sur la situation politique et économique), N° 329/S, du 05 au 11 Novembre 1944.

9-يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص ص 34-35، ص 28 .

10 -الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح خلال الثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة، (برج الكيفان، الجزائر)، ٢٠١٣، ص ص ٥٩-٦٠ .

ظهور الحركة العكسية لاتجاه تهريب الأسلحة فأصبح يتم تهريبها من الجزائر إلى تونس من طرف الثوار التونسيين وهذا ما كان يشكل في ذلك الوقت خطرا كبيرا على مستقبل العمل المسلح بالجزائر والذي سيُشرع فيه عن قريب[11]، وإزاء هذا الوضع عمل ساعي فرحي والذي كان يتمتع بحس ثوري عالٍ على تكوين خلية في شهر مارس 1954، بذلت هذه الأخيرة مجهودات جبارة لتوقيف تمرير الأسلحة للمقاومين التونسيين والعمل على جمعها عن طريق شرائها أو تحصيلها كتبرعات من طرف سكان منطقة تبسة وتخزينها إلى حين اندلاع الثورة بالجزائر[12]

2- الإمداد بالسلاح 1954- 1956

-مصادر التسليح الداخلية (الذاتية):

بعد اندلاع الثورة وخلال فترة الانطلاقة اعتمد جيش التحرير الوطني في تسليحه على مصادر داخلية منها تبرعات أفراد الشعب وما يغنمه من جيش العدو، وقد حاول قادة الثورة منذ البداية إيجاد مصادر خارجية للإمداد، وكان البحث عن السلاح في هذه المرحلة يتم بشكل حر والمهم هو استغلال الظروف والإمكانات المتاحة للتدخل بشكل عاجل.ضم المخزن الرئيسي لأسلحة بداية الثورة 300 قطعة تم شراؤها من ليبيا خلال فترة المنظمة الخاصة وجرى تخزينها بالأوراس في براميل مملوءة بالزيت وتمثلت أسلحة الانطلاق في بنادق الصيد وبنادق أوتوماتيكية من مخلفات الحرب العالمية الثانية صالحة للاستعمال بنسبة العشر أي أن طلقة واحدة من بين عشر طلقات تكون صالحة نظرا للعوامل الطبيعية المصاحبة لعملية التخزين كالرطوبة، وهناك قطع أخرى اشتراها المناضلون بأموالهم من أسلحة بقايا الحرب العالمية الثانية كذلك، ولم تكن عملية شراء الأسلحة معممة على باقي القطر الجزائري فمنطقة الشمال القسنطيني لم تستطع اقتناء سوى 06 أو07 قطع، أما المنطقة التي توفرت على كمية معتبرة فهي الأوراس[13].

11-فريد نصرالله: التطورات السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية للمنطقة الأولى (الأوراس) بين -1954 1955، أعمال الملتقى الدولي حول معركة الجرف، المركز الجامعي العربي التبسي- تبسة- يومي 27 و28 أكتوبر، 2007، منشورات وزارة المجاهدين، 2008، ص 104

12-شهادة علي مسعي: تسجيلات ملحقة متحف المجاهد محمود قنز ولاية تبسة.

13-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص ص 113 - 115 .

اندلعت الثورة بعدد قليل من الرجال وعدة أقل، ورغم المجهودات المتواصلة التي بذلها القادة الأوائل للحصول على الأسلحة إلاّ أن ما تم جمعه ظل قليلا لتسليح فرق جيش التحرير الوطني، كما أن القسم الغالب من القطع المخبأة أُتلف لإيداعه في مخازن غير مستوفية لشروط الحفظ، وبعد اندلاع الثورة كانت معظم الأفواج دون سلاح، ومن كانت له أسلحة ظلّ يستعملها للدفاع وليس للهجوم إلا في حالات الضرورة، لذلك سعت الثورة جاهدة لخلق مصادر متنوعة وعاجلة للتسليح [14].

التبرعات:

يذكر الصادق رزايقية أن سكان تبسة بحكم طابعها الريفي والقبلي دأبوا على شراء بنادق الصيد وأن الحرب العالمية الثانية قد خلفت أسلحة كثيرة في كل من تونس وليبيا، وانتشار تجارة وتهريب الأسلحة بالحدود الشرقية لذلك أقدم الأهالي على شراء الأسلحة وكان اقتناؤها بغرض الصيد والحراسة والتفاخر بها في مناسبات الأفراح، وعند اندلاع الكفاح المسلح بالجزائر تبرعوا بها لصالح الثورة أو جندوا بها أبناءهم في صفوف المجاهدين ويضيف أن هذه الأسلحة تنوعت ومنها ستاتي طليان، وكان تبرعهم غالبا طواعية دون إكراه[15]، كما يذكر الوردي قتال أن المجاهدين الأوائل كانوا يمُرّون على العائلات بالدواوير والمداشر لجمع الأسلحة من عند الأهالي وان عمليات تسليم الأسلحة كانت بشكل إرادي وعن طيب خاطر إلا بعض الاستثناءات القليلة وإذا رفض الفرد تسليم السلاح الذي يملكه يتعرض للعنف وهذا منطقي لان الثورة أحوج منه للسلاح وان عليه تحديد موقفه بشكل واضح مع الثورة أو ضدها، كما يضيف انه أثناء مرورهم لجمع الأسلحة كان احد الفلاحين يملك «ستاتي طليان» فلما مروا عليه ليسلمهم هذا السلاح أنكر ملكيته لأي سلاح فانهالوا عليه ضربا، استمر في الإنكار إلى غاية أن نطق ابنه الصغير حيث اخبرهم بان والده يملك الخرطوش وقام بإيصالهم إلى احد المطامير وأثناء عملية الحفر عثروا على الستاتي والخرطوش، ونفس الأمر حدث لشخص آخر حيث نفى حيازته لأي سلاح وكاد أن يُقتل من قبل المجاهدين لو لا اعتراف زوجته بمكان تخزين السلاح[16]، وقد تزامن جمع المجاهدين للأسلحة المتبرع بها من أفراد الشعب مع مصادرة

14-بوبكر حفظ الله: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، دار العلم والمعرفة، الجزائر، ص 164 .
15-شهادة الصادق رزايقية: مقابلة شخصية معه يوم 12 سبتمبر 2015 ببيته بتبسة.
16-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية معه بتاريخ 25 ديسمبر 2014 ببيته بتبسة.

السلطات الفرنسية لهذه القطع غير المسجلة وغير المرخص بها[17] حيث علمت باستعمال المجاهدين لبنادق الصيد التي كان يملكها المدنيون وهذا ما صعب من مهمة الثورة في مجال التسليح[18]

ومن المتبرعين من منطقة تبسة بالأسلحة لصالح الثورة نذكر على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر عابر محمد بن رجب والذي تبرع بقطعتي سلاح إحداهما ستاتي والأخرى ماط 49[19] وتبرع عمار بن صديق جبار بقطعة سلاح كذلك[20]، وتبرع قدور قواسمية بفيزي قارة مريكان[21]،كما وهب المناضل محمد الشريف قماطي الثورة بندقية حربية نوع ألماني ومسدس نوع أمريكي بتاريخ 11 نوفمبر 1954[22]، وتبرع صالح بن جهادي من أولاد بالعيساوي بالشريعة بعد معركة أم الكماكم في جويلية 1955 ببندقيتين حربيتين من نوع قاران[23]، كما لم يتأخر المناضل علي بن الطيب القماطي الفرشيشي عن دعم الثورة بالسلاح حيث منحها في بداية سنة 1955 قطعة سلاح نوع 24 وقطع أسلحة أخرى جلبها من تونس بحكم انه يقطن بأم علي الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية وبحكم علاقاته ومعارفه بتونس وأقاربه القمايطية الذين يسكنون بالتراب التونسي[24].

الغنائم:

ردّد زيغود يوسف دوما على مسمع المجاهدين شعار» سلاحكم على أكتاف عدوكم» فمن خلال المعارك والكمائن والاشتباكات والهجومات شكلت الغنائم مصدرا أساسيا لتسليح جيش التحرير الوطني بالمنطقة السادسة ومن العمليات التي نتج عنها غنم قطع من الأسلحة نذكر على سبيل المثال:

17-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية معه بتاريخ 25 أفريل 2015 ببيته بتبسة.

18-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 165

19-محمد زروال: اللمامشة في الثورة (دراسة)، دار هومه، الجزائر، 2003، ص 69 .

20-خليفة بولحراف: الطلائع الأولى لجيش التحرير الوطني وتداعيات العمل الثوري بمناطق الحدود الشرقية، منطقة تبسة –الولاية الأولى- أشغال ملتقى دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة، ولاية تبسة، (د.ن)، الجزائر، (د.ت)، ص 55 .

21-شهادة علي مسعي: تسجيلات ملحقة متحف المجاهد محمود قنز، المصدر السابق.

22-أرشيف متحف المجاهد محمود قنز(تبسة) أرشيف غير مصنف، وثيقة أرشيفية تثبت تبرع محمد الشريف قماطي لصالح الثورة.

23-محمد زروال: المرجع السابق، ص 74 .

24-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية، المصدر السابق .

- الكمين الذي نفذه عمر البوقصي وجنوده في ماي 1955 بفم المورد (العقلة) حيث غنموا 36 قطعة سلاح ورشاشتين وكذلك كمين العويجة سنة 1955 نفذه كذلك عناصر عمر البوقصي من بينهم عمار قتال غنموا فيه 38 قطعة سلاح وكانت هذه المرة الأولى التي يغنم فيها جيش التحرير الوطني أحدث أسلحة جيش العدو منها العشاري وماص 49، وأيضا الكمين الذي نفذه عباس لغرور بتفاسور وتم فيه غنم أسلحة كثيرة[25].

- أثناء قتل عمر البوقصي للحاكم Orru غنم قطعة (بياسة) FM أرسلها شيحاني إلى منطقة الشمال القسنطيني[26]

- كمين رأس العش في خريف 1955 غنم اثناءه المجاهدون 19 قطعة سلاح، مورتيي، مدفع هاون، قطعة سلاح نوع 24 ومسدس[27]

- معركة الجرف حيث تم غنم 150 قطعة سلاح وحمولة 20 بغل من الذخيرة [28].

-عملية المرجة بمدينة تبسة نفذتها فرقة الكومندو بقيادة محمود الشريف وتم غنم 06 بنادق 86 [29]

- كمين بوشبكة بودرياس في جانفي 1956 نفذه علي مسعي وجنوده ضد قائد مركز بوشبكة حيث تنقل في مهمة لدفع أجور الجنود الفرنسيين وتم غنم 07 قطع من السلاح متنوعة بين فيزي ماص و رشاشات.

- معركة جبل نوال في شهر نوفمبر 1956 حيث فقد الجيش الفرنسي 10 أسلحة رشاشة وقطعة سلاح 24 وقطع فيزي ماص[30]
- كمين المعرقبة والواقعة بين جبل ارقو وجبل الجرف نفذه مقداد جدي رفقة 18 جندي في أفريل 1956 فغنموا مدفع هاون وعدة قطع أخرى من الأسلحة[31]

25-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
26-يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص ص 94-95 .
27-شهادة محمد الصالح رشراش: مقابلة شخصية معه بتاريخ05 ماي 2015 ببيته بتبسة.
28-لطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 144.
29-شهادة محمد الطيب مقراني(بولحية): مقابلة شخصية معه بتاريخ 27 فيفري 2016 ببيته بتبسة.
30-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
31-شهادة أحمد حفظ الله: مقابلة شخصية معه بتاريخ 16 مارس 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة

مصادر أخرى:

يعد سلاح الجنود الفارين من الجيش الفرنسي من مصادر تسليح الثورة فيذكر محمد الصالح رشراش أنه بعد تنفيذ كمين رأس العش في سبتمبر 1955 فرَّ المغربيان بلحاج ومحمد إبراهيم بلحاج حاملين معهما قطعة سلاح نوع 24 [32]، كما يذكر لسود مسعي انه في اليوم الموالي لمعركة جبل السيف في جانفي 1956 والتي قادها علي مسعي وجنوده فرّ شابّان جزائريان من المجندين بالجيش الفرنسي والتحقا بجنود علي مسعي، ويضيف لسود مسعي أنه أثناء انتقاله في إطار دورية إلى تازبنت عند ديار أولاد سعد التقى مع محمد أبو الزوّر وعمار كافي وهما مجندان بالجيش الفرنسي كانا قد فرّا في ذلك الوقت وجلبا معهما غرارة مملوءة بالسلاح حيث احتوت على قطعة سلاح نوع 24، رشاشة، 02 فيزي ماص وذخيرة[33]، ويذكر محمد (حمه) حسن أنه مع بداية سنة 1956 فرّ المجندان بلقاسم نصر الله وناجي عبيد من ثكنة الجيش الفرنسي بمسكيانة حاملين معهما رشاشتين وذخيرة والتحقا بجنود جيش التحرير الوطني بالسطيح[34]، وأيضا فرار محمد المروكي وعبد القادر الوهراني من صفوف الجيش الفرنسي بتبسة والتحاقهما بجنود لزهر شريط بالجبل الأبيض[35]

لانتشار الثورة في المنطقة مجال الدراسة لم تقتصر عمليات الفرار على المجندين بالجيش الفرنسي فقط فقد نفذها أحيانا بعض العاملين بالمصالح الاستعمارية ومثال عن ذلك فرار حارس معمل الحلفاء بتبسة يوم 21 فيفري 1956 حاملا معه بندقيتي صيد[36] من المتفق عليه انضمام الكثير من أبناء المناطق الحدودية الشرقية إلى صفوف المقاومة التونسية وبعدما تم الاتفاق على تسليم الأسلحة في إطار مراحل تنفيذ الحكم الذاتي رفض هؤلاء الجزائريون تسليم أسلحتهم للمسؤول عن جمع الأسلحة المسمى حسين بوزيان ودخلوا بأسلحتهم تلك إلى الجزائر وانضموا إلى صفوف جيش التحرير الوطني لتحرير البلاد[37]

32– شهادة محمد الصالح رشراش: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
33-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
34-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
35-شهادة حمه هنين: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
36-جريدة البصائر: ملف يوميات الأزمة...، العدد 356، 02 مارس 1956، ص 06 .
37-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 169 .

أما فيما يخص نوعية أسلحة بداية الثورة فأغلبها بنادق صيد وبعض البنادق الحربية منها ستاتي طليان، موسكوتون، رشاشات خفيفة، ، بنادق ماص 36، ماص 49، ماط 49،[38] قارة مريكان، خماسي ألمان، عشاري انجليز، ويلاحظ عن هذه الأسلحة أنها فردية مع الانعدام الكلي للقطع الثقيلة[39]

عانت الثورة في مرحلتها الأولى من نقص في التنسيق والاتصال بين قادة المناطق الخمس ونقص كبير في الأموال والأسلحة[40]، علّق مصطفى بن بولعيد آمالا كبيرة على المنطقة الأولى وكان طموحه في أن تصمُد لعدة شهور، وإزاء دق مسألة نقص السلاح ناقوس الخطر تحرك سريعا وترك شيحاني كنائب عنه في قيادة المنطقة الأولى وسافر إلى الشرق[41] يوم 23 جانفي 1955 وذلك لإيجاد حلول عاجلة[42]، إلا انه تم القبض عليه وذلك بتاريخ 11 فيفري 1955 وأملا في الحصول على الأسلحة اتصل عمر جباروعبد الله نواورية من سوق أهراس بالاوراس وطلبوا من شيحاني الدعم بالسلاح فرد عليهم بأنه لا يملك مصنعا للسلاح وأن عليكم بتدبيره بأنفسكم بشتى الطرق منها غنمه[43].

لم تغط كميات الأسلحة المرسلة في بداية الثورة احتياجات ومتطلبات العمل العسكري والذي عرف تطورا ملحوظا وهذا ما دفع كريم بلقاسم لتحميل مسؤولية قضية نقص الأسلحة والتي عرفت تفاقما كبيرا طوال سنة 1955 لابن بلة ومحمد بوضياف مما انعكس سلبا على العلاقة بين الداخل والخارج لاسيما بعد ما صعّد عبان رمضان الموقف تجاه الوفد الخارجي.

ومن بين أسباب نقص السلاح نذكر الطابع الإستعجالي الذي تميزت به الانطلاقة وهذا عرقل التوفير الكافي للرجال والسلاح مما أدى إلى تعثر النشاط الثوري في المناطق الثانية والرابعة والخامسة، فضلا عن عمليات التمشيط وأثرها في عزل المناطق بعضها عن بعض وعرقلة اتصالها بالوفد الخارجي.

38-لمنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الولائي لكتابة تاريخ الثورة (تبسة) المقدم للملتقى الجهوي بقسنطينة، المنعقد من 08 إلى 10 ماي 1983، ص 09 .

39-شهادة العيد بوقطف: مقابلة شخصية معه بتاريخ 30 أفريل 2015 ببيته بالحمامات تبسة .

40-جريدة المجاهد: 20 أوت 1956 إلى 20 اوت1957، العدد 09، 20 أوت 1957، ص

41-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 159 .

42-Mohamed laarbi Madaci: les tamiseurs de sable Aurès Nememcha 19541959-, (S.L), (S.D), p52

43-Benjamin Stora: Algérie histoire contemporaine 18301988-,)S.P (, Alger, 2004, p132 .

ضعف قدرة وسائل التهريب عبر الحدود ونقص إمكانيات النقل والمخاطر التي واجهتها عمليات الإمداد بسبب تكثيف عمليات الرقابة بالحدود الشرقية والغربية والتي كانت فضاء واسعا لتمركز القوّات الفرنسية[44]

- شبكات ومصادر السلاح الخارجية (الجهة الشرقية):

لقد شكلت كميات الأسلحة التي تحصل عليها الثوار خلال عمليات التسليح الذاتي (الداخلي) مصدراً رئيسياً لتغذية العمل المسلح في مرحلة الانطلاقة، بيد أن هذا المصدر لم يكن كافيا وبرزت مشكلة نقص السلاح بشكل خطير، وهذا ما دفع بقيادة الثورة في المناطق الحدودية إلى البحث عن مصادر خارجية لتغطية النقص الفادح في الأسلحة والتي كانت اغلبها عبارة عن بنادق صيد [45]

من المتفق عليه أن ابن بلة حلّ بمصر والتقى بفتحي الذيب[46] وعِزت سليمان وأجرى حوارا مطولا ومناقشة مستفيضة مع الأول يومي 05 و06 أفريل 1954، فشرح له مختلف أوضاع وظروف الجزائر وكذلك مخطط تحريرها، كما بين تنظيم جيش التحرير الوطني وتوزيعه، وتقسيم القطر الجزائري وتوزيع المهام والمسؤوليات على كل قائد وأيضا تحديد وحصر الطاقات[47] المادية والبشرية العسكرية وتوزيعها، وتوضيح نظام الاتصال الخارجي والداخلي وكذلك الخطوط العامة لأسلوب العمل وتوقيته، وقد ثُمّن هذا اللقاء بحصول ابن بلة على وعد صريح من الحكومة المصرية بدعم الكفاح المسلح بالجزائر[48]

44-شهادة الصادق رزايقية: مقابلة شخصية، المصدر السابق.

45-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 210، ص ص -221 222 .

46-نفسه، ص 218 .

47-من مواليد 1923 بمصر، شارك في تأسيس جهاز المخابرات العامة المصرية سنة 1953، حيث كان ضمن ثمانية اختارهم عبد الناصر برئاسة عضو مجلس قيادة الثورة زكريا محي الدين، تولوا إنشاء المخابرات، وهو رجل المهام الخاصة لعبد الناصر وأحد معاونيه في قضايا الشؤون العربية. أنظر: المرجع نفسه: ص 523 .

48-حسب فتحي الذيب فإنها تمثلت فيما يلي: بالنسبة للمنطقة الأولى عدد مجاهديها 550 جندياً لديهم 200 بندقية بين النوع الايطالي وبنادق الصيد في حين بلغ عدد مجاهدي المنطقة الثانية 530 جندياً لديهم 60 بندقية، وتوفرت المنطقة الثالثة على ما يقارب 570 مجاهداً بحوزتهم 88 بندقية من نوع ايطالي وفرنسي، أما المنطقة الرابعة قدر جنودها بـ238 مجاهداً لديهم 15 رشاشة خفيفة وتوفرت المنطقة الخامسة على 400 جندي لا يتجاوز عدد سلاحهم 10 بنادق. أنظر: فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص ص -37 38 .

انتقل ابن بلة إلى طرابلس حيث كان له لقاء مع عبد العزيز شوشان[49] المكلف بتدريب المقاومين التونسيين بليبيا كما حاول بن بلة إقامة جهاز فعال للسلاح والإشارة في طرابلس مع كامل الصقر من تبسة، هذا الأخير الذي تواجد هناك للغاية نفسها أي جمع السلاح حيث كلفه بذلك حمي الحاج مبعوث ابن بولعيد، هذا الأخير الذي تمكن رفقة ابن بلة من تأسيس أولى شبكات التسليح بليبيا في أوت 1954[50] يرتبط ذكر هذه الشبكات بالمجهودات الجبارة التي بذلها القادة الأوائل ابن بلة، بوضياف، ابن مهيدي، أحمد محساس وآخرون كانوا يعملون في الخفاء مثل بشير القاضي رغبةً منهم في تأمين مصادر التسليح الخارجية [51]، عبد المجيد بوزبيد[52]، عرعار وغيرهم[53]، وبالنسبة للتونسي عبد العزيز شوشان فقد تمكن من خلال توليه رئاسة مكتب تونس في طرابلس برفقة علي الزليطني[54] من تأسيس شبكة للتسليح ضمّت أسماء بارزة في المكتب العربي تعاون معهم بعض الجزائريين واستخدموا شبكتهم لتمرير الأسلحة وتهريبها عبر الشريط الحدودي الشرقي إلى الجزائر، ومن هؤلاء الناشطين نذكر محمد الهادي عرعار، عمر البورجي.

49-حسب فتحي الذيب فإنها تمثلت فيما يلي: بالنسبة للمنطقة الأولى عدد مجاهديها 550 جندياً لديهم 200 بندقية بين النوع الايطالي وبنادق الصيد في حين بلغ عدد مجاهدي المنطقة الثانية 530 جندياً لديهم 60 بندقية، وتوفرت المنطقة الثالثة على ما يقارب 570 مجاهداً بحوزتهم 88 بندقية من نوع ايطالي وفرنسي، أما المنطقة الرابعة قدر جنودها بـ 238 مجاهداً لديهم 15 رشاشة خفيفة وتوفرت المنطقة الخامسة على 400 جندي لا يتجاوز عدد سلاحهم 10 بنادق. أنظر: فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص ص -37 38 .

50-من مواليد القلعة الكبرى بالساحل التونسي سنة 1928، انخرط في الحركة الوطنية التونسية، ساهم في المقاومة التونسية، انحاز إلى اليوسفيين اثر الخلاف مع بورقيبة، وبصفته المعين المباشر لصالح بن يوسف عمل على التنسيق بين المقاومين التونسيين والجزائريين، قدم مساعدات لمحساس لتأمين تهريب الأسلحة، حكم عليه نظام بورقيبة غيابيا بالإعدام، عاد في السبعينيات إلى تونس بعد صدور عفو بشأنه، اشتغل بالتجارة وأختير كنائب في مجلس النواب، توفي في افريل سنة 2000 . أنظر: عبد الحفيظ موسم: الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا (ل م د) في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016، ص ص -148 149 .

51-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -188 189 .

52-هو محمد عزّو وُلد في 27 جويلية 1927 بالعزازقة، انخرط في حزب الشعب سنة 1944، التحق بجامع الزيتونة سنة 1947، كان من دعاة توحيد نضال بلدان المغرب العربي في إطار نشاطه ضمن لجنة تحرير المغرب، كانت له علاقات بعبد العزيز شوشان مسؤول مكتب التسليح بتونس، يرجع له الفضل في إنشاء النواة الأولى لشبكات التسليح بليبيا في 14 أوت 1954، عينه ابن بولعيد مسؤولا عن قاعدة طرابلس وبقي كذلك إلى غاية الاستقلال، بعد معاناة من مرض السرطان توفي في31 أكتوبر 2004 عن عمر يناهز 77 سنة.أنظر: الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص ص -542 543 .

53-من مواليد سنة 1931 بعنابة، درس إلى غاية وصوله إلى طور التعليم الثانوي حيث تم طرده من طرف الإدارة الاستعمارية بسبب انتمائه للكشافة الإسلامية ونشاطه في الجمعية الثقافية شباب البوني، انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947، عضو المنظمة الخاصة سنة 1949، سُجن سنة 1950 بسبب انكشاف التنظيم شبه العسكري، ليطلق سراحه بعد ذلك، التحق بالثورة ضمن جبهة التحرير الوطني، ثم عمل بالمنطقة الثانية سنة 1956، اشرف على الإمداد من بنغازي منذ سنة 1957، عين سنة 1958 على مركز التسليح والتموين بتونس، كما تم تكليفه سنة 1960 مسؤولا عن التموين العام بمديرية الإمداد الشرقية، شغل بعد الاستقلال عدة مناصب مدير للمفتشية والشؤون العامة بجهاز الأمن سنة 1971، ثم مدير عام للأمن من سنة 1987 إلى 1990، ثم سفيرا بجمهورية مالي. أنظر:المرجع نفسه، ص ص 557-558 .

54-يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة وحقول الألغام، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ن.54، الجزائر، 2007، ص 21

كُللت محاولات شبكة التسليح الجزائرية في ليبيا بالنجاح حيث استطاعت تمرير عشرات قطع الأسلحة عبر التراب التونسي إلى الجزائر وبدعم مناضلي الحزب الدستوري التونسي الذي سخّر وسائل النقل من شاحنات وسيارات[55]، وفي هذا الصدد تذكر إحدى الوثائق الأرشيفية أن السلطات الفرنسية تتهم الحكومة التونسية والمغربية بتسخير وسائل النقل لتهريب ونقل الأسلحة إلى الحدود الجزائرية ثم إدخالها للثوار بالجزائر، وأنها تحذر المساهمين في ذلك ولن تتوانى في إيقاف هذه العمليات والتصدي للمشرفين عليها[56]. تم نقل أسلحة كثيرة إلى الجزائر، وفي مرحلة أولى كان تمرير السلاح يتم عن طريق تهريب قطع محدودة بواسطة أفراد معينين ثم في مرحلة لاحقة أصبحت العملية تتم بواسطة القوافل والتي تنقل كميات معتبرة من السلاح وتسلك الطرق غير المحروسة حتى تصل إلى النقاط المحددة.

قدمت ليبيا مساعدات معتبرة في مجال التسليح للثورة الجزائرية كما عدت قاعدة خلفية ولوجستيكية وسياسية فعلى ترابها تواجدت مستودعات وشبكات الأسلحة ومراكز التدريب، فضلا عن توفير إقامات لقادة جبهة التحرير الوطني وتأمين تنقلاتهم، وقد نشطت شبكات التسليح الجزائرية بليبيا بكل حرية عكس ما كان يجري بالمغرب وتونس[57]

نسّق رجال شبكات التسليح الجزائرية مع الثوار التونسيين المكلفين بالإمداد بالسلاح عبر ليبيا فكان للتونسيين مزرعتان إحداهما في زنزور تبعد بـ 14 كلم عن طرابلس، والثانية في غشير وهما مستودعان للسلاح، أما المركز الرئيسي فكان موقعه بالعسة والتي تفصل بينها وبين الحدود التونسية عدة كيلومترات، واتخذت كنقطة رئيسية لتمرير السلاح

55-من مواليد 1913 بجربة، سليل عائلة وطنية حيث أُعتقل والده في ليبيا سنة 1911 ونُفِي إلى ايطاليا للدور الذي أداه في محاربة الايطاليين، انخرط الزليطني في الحزب الدستوري الجديد سنة 1934 والذي أدى نشاطا واسعا من خلاله لاسيما في مجال الدعاية ونشر المقالات في جريدة العمل، حكم عليه سنة 1938 بثلاث سنوات بتهمة التآمر على امن الدولة، منذ سنة 1946كثف من نشاطه في إطار الحزب المذكور سابقا، بعد انطلاق المقاومة التونسية تم إرساله إلى طرابلس للإشراف على التسليح واستقبال المناضلين، أيّد ابن يوسف في طرحه، سُجن مرتين سنة 1956 وسنة 1968 بتهمة التدبير للإطاحة بالنظام، ليطلق سراحه بعد 3 سنوات، توفي في 15 أكتوبر 1976. أنظر: الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 529 .

56-المرجع نفسه، ص 235 .

57-ISHMN: ANOM, Bobine N°S.523, Carton 2h 398, interception du trafic d'armes à la frontière algèro-tunisienne.

للجزائر، وبمنطقة تريجي أُسِّسَ مركز خاص كذلك بالسلاح الذي سيوجه للجزائر، كما تمت عمليات أخرى لنقل الأسلحة من مدينة زوارة الليبية إلى الحدود التونسية، إلى جربة وجرجيس، وتم تهريب الأسلحة عبر ثلاثة محاور:

- عن طريق جزيرة جربة إلى تونس باستعمال الزوارق الصغيرة.

- انطلاقا من بن غردان إلى تونس عن طريق الشاحنات.

- دخول الحدود الجزائرية من أقصى الجنوب بواسطة قوافل الإبل.[58]

برز التعاون بين المقاومين التونسيين وجيش التحرير الوطني في مجال التسليح في المرحلة الأولى وتلاشى في المرحلة الثانية بسبب تسليم التونسيين لأسلحتهم في 10 ديسمبر 1954 مما تسبب في حالة من الركود واليأس حيث توقف مكتب تونس بالقاهرة وليبيا عن إرسال الأسلحة وما كان للجزائريين ساعتها من حل سوى التعامل مع أنصار صالح بن يوسف الذين اشترطوا العمل مع قوافل الأسلحة بالنصف، وعلى اثر المضايقات التي سببها النظام البورقيبي لقوافل الأسلحة حلّ بن بلة بشكل سري بتونس وتباحث مع بورقيبة بغية تنظيم مرور الأسلحة دون عراقيل متعمدة[59]

لتفعيل نشاط هذه الشبكات أرسل شيحاني نائب ابن بولعيد في قيادة المنطقة الأولى محمد الاوراسي إلى بشير بلقاضي بغية تزويده بالرجال لنقل الأسلحة إلى الجزائر خاصة بعد تسجيل تراكم الأسلحة بطرابلس، فانطلقت أولى قوافل التسليح من طرابلس في نهاية شهر مارس 1955 عن طريق شاحنة حمولتها ثمانية أطنان إلى قاردلين ثم بواسطة القوافل الجزائرية إلى الحدود التونسية فالتراب الجزائري، واستمرت عمليات النقل مدة سنة ونصف وكان الجمل الواحد يحمل عليه أكثر من عشر بنادق وتساوي حمولة عشرة

جمال حوالي طن ونصف من السلاح، ولقد دعم رجال الحركة اليوسفية قوافل التسليح فتملصت بذلك من قبضة رجال جيش العدو باستثناء القوافل التي تم اعتراض طريقها مثل تلك التي كان يقودها عثمان حيحي[60].

58-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -190 191 .
59-المرجع نفسه، ص ص -192 193
60-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 236

نسق ابن بلة مع السلطات المصرية منذ أكتوبر 1954 بغرض إمداد الثورة بالسلاح كما اتفق مع بعض الليبيين المختصين في تهريب الأسلحة من قاعدة العظم البريطانية بطرابلس وتم تأمين كمية من الأسلحة لكن أُجِّلَ نقلها إلى وقت لاحق بسبب عمليات الرقابة الشديدة بليبيا، وعاد من جديدا بن بلة في نوفمبر 1954 إلى القاهرة لطلب السلاح على وجه السرعة، اتصل بفتحي الذيب ومحي الدين زكريا عن المخابرات المصرية فأعطى الرئيس عبد الناصر الأمر باستخدام إحدى قطع الأسطول البحري المصري كما تمت اتصالات سرية مع رئيس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم لتأمين عملية تهريب الأسلحة عبر الأراضي الليبية دون تدخل الشرطة الليبية[61].

تم إرسال أول شحنة على متن اليخت المصري انتصار ليلة الخامس إلى السادس ديسمبر 1954 ليصل إلى احد الموانئ بشرق طرابلس بين السابع والثامن ديسمبر فوجد في انتظاره ابن بلة، عبد الحميد درنه وقد تم نقلها بمساعدة الليبيين بالشاحنات إلى الحدود الليبية الجزائرية ثم بالجبال عبر تبسة[62] ويذكر فتحي الذيب أنه تم الاتفاق مع صالح بن يوسف على أن يستفيد المقاومون التونسيون بنصيب من أسلحة هذه الشحنة مقابل المجهودات التي سيبذلونها في عملية التهريب عبر تونس وكذلك لتمكينهم من الإمداد وبالتالي دعم قدراتهم على الاستمرار في مقاومتهم[63].

كما تم إرسال شحنات أخرى سنة 1955 ومثالها الشحنة التي نقلها يخت ملكة الأردن

السابقة دينا والذي وصل إلى الناظور في افريل 1955 وكان على متنه ضباط جزائريون تلقوا تكوينا عسكريا بمصر منهم الهواري بومدين، محمد الصالح عرفاوي، علي مجاري، عبد العزيز مشري، محمد عبد الرحمان، محمد حسين، احمد شنتوف، وقد تضمنت هذه الدفعة بنادق من نوع 303، وأخرى من نوع رشاشة بران، مسدسات رشاشة، قنابل يدوية، صاعقات، علب إشعال، خراطيش، كبسولات[64]

61-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 194

62-الطاهر جبلي: الإمداد...، المرجع السابق، ص ص -203 204 .

63-- محمد بلقاسم: القواعد الخلفية للثورة الجزائرية- الجهة الشرقية- 1954-1962، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ن.54، الجزائر، 2007، ص ص 46-47 .

64-فتحي الذيب: المصدر السابق، ص 63 .

كما تم تمرير شحنات أخرى سنة 1956، وقد نشط تهريب السلاح في النصف الثاني من مارس من ذات السنة، واشرف على عمليات الإدخال أحمد محساس المفوض من قبل بن بلة وقد تم تزويد سوق أهراس الاوراس بهذه الشحنات، وانزل المركب المصري دافكس في 13 ماي 1956 شحنته بميناء زوارة الليبية وهي كذلك مخصصة للجهة الشرقية وانزل شحنته الثانية في 26 جويلية 1956 وتزامن ذلك مع حلول التيجاني هدام بمصر لِينُوب عن ابن بلة أثناء غيابه، وخلف محمد الهادي عرعار أحمد محساس بليبيا والذي بدوره أصبح يشرف على التسليح بتونس[65]

شهدت عملية الإمداد بالأسلحة تطورا بعد اجتماع ممثلي حركة المقاومة في المغرب العربي في جانفي 1956 بالقاهرة ومن ثم نقل شحنة أسلحة يوم 18 جانفي 1956 لتلبية احتياجات الجبهة الشرقية وقد تنوعت أسلحة هذه الشحنة وكان إنزالها بميناء زوارة الليبية لتنقل إلى الحدود الشرقية فطريقها إلى المنطقة الأولى وسوق أهراس، كما عرفت عمليات الإمداد تطورا ملحوظا خلال النصف الثاني من شهر مارس 1956 لاسيما بعد اللقاء الثاني لقادة المقاومة بالمغرب العربي في 24 فيفري سنة 1956 والذي اتفق فيه على مواصلة مصر لعملية الإمداد بالسلاح لبلدان المغرب الثلاث وتم تهريب 04 دفعات وكان إدخالها في الفترة الممتدة بين 20 مارس و06 افريل 1956[66]

اثّر توقيع البروتوكول التونسي الفرنسي يوم 20 مارس 1956 سلبا على عملية الإمداد بالسلاح مما أدى باللجنة العسكرية المكلفة بالتسليح إلى أن تعقد اجتماعين أولهما في 27 افريل 1956، والثاني في 02 جوان 1956 خرجت بعدة قرارات كان أهمها التعامل مع حكومة لحبيب بورقيبة بدلا من جماعة صالح بن يوسف الذي تراجعت حركته في ظل التطورات السياسية الجديدة آنذاك[67].

إذا كانت عملية الإمداد السابقة الذكر قد اشرف عليها قادة الثورة بمن فيهم ابن بلة باعتباره احد أعضاء الوفد الخارجي والمكلف بالتسليح على مستوى الحدود الشرقية

65-عبد المجيد بوزبيد: الإمداد خلال حرب التحرير الوطني، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 88
66-محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 48، ص ص -56 59 ، وأنظر فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 664 – 665.
67 -الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص ص 238-239 .

فإنه كان كذلك لقادة ناحية تبسة جهود كثيفة من اجل الحصول على السلاح أملا في الحفاظ على استمرارية الثورة، ويذكر قتال أن أنه في بداية الثورة وفي ظل الظروف المحيطة آنذاك التي لم تتح الفرصة للاتصال بين قادة المناطق ولم تتح عملية التنسيق بينهم كان أمر تدبير السلاح تقوم به قيادة كل منطقة بشكل حر دون التقيد بأسلوب أو إجراءات معينة وساد نوع من الحرية في البحث عن السلاح وتوفيره وتوزيعه فالمهم هو التحرك سريعا واستغلال كل القنوات والأوضاع المحيطة للإمداد بالسلاح[68].

شُرع في البحث عن السلاح عبر الحدود الشرقية بعدة مناطق منها الرمادة، قابس، قبلّي[69] وأرسل شيحاني عدة وفود لجلب الأسلحة كما أمر محمود شامي احد المسؤولين بناحية تبسة بان ينتقل المجاهدون عبر الحدود التونسية بالمسدسات فقط وهذا لتسهيل مرورهم، وطلب منه أن يسعى جاهدا للتنسيق مع المجاهدين فريد وجيلاني لبحث مسائل التسليح[70]، كما يذكر محمد (حمه) حسن أن شيحاني أرسل جيلاني بن عمر رفقة مجموعة من المجاهدين في أكتوبر 1955 لجلب الأسلحة فهاجموا أحد المعمرين والذي كانت مزرعته بأم العرائس وكان يحرسه مجموعة من الجنود الفرنسيين ولم يتجاوز ما غنموه ثلاث قطع من الأسلحة[71].

قام لزهر شريط بعدة مبادرات للحصول على الأسلحة بالاعتماد على أولاد عبيد القاطنين بالحدود، كما فعل كذلك القائد سيدي حني، وأحيانا تم الاعتماد على بعض التجار الذين كانوا يمتهنون تجارة وتهريب الأسلحة قبل الثورة، حيث كان أولئك التجار يتقدمون بقطع من السلاح لقادة ناحية تبسة والذين بدورهم يختارون ما يناسبهم[72] ومن بين هؤلاء التجار نذكر محمد فتني المدعو الوصيف من تازبنت والذي كان يجلب الأسلحة من تونس والصحاري الليبية[73]، وفي بداية الثورة كانت ناحية تبسة بعد جلب الأسلحة وبعد عملية التوزيع على جنودها ترسل الفائض إلى قيادة المنطقة الأولى بالاوراس[74].

68-المرجع نفسه، ص 240 .

69-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية، المصدر السابق

70-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 173

71-يوسف مناصرية: مبادئ وإستراتجية الثورة التحريرية في الكتابات الفرنسية –بعض القادة نموذجا- أشغال ملتقى ثورة التحرير الوطني مبادئ وأخلاق، جمعية أول نوفمبر1954، دار الهدى، (عين مليلة، الجزائر)، 2006، ص ص 60-61 .

72- شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية،المصدر السابق

73-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية، المصدر السابق

74-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية، المصدر السابق

يذكر لسود مسعي أن قادة تبسة كلفوا المناضلين يوسف بن الطيب ومحمد سلامة في أكتوبر 1955 بشراء قطع من الأسلحة فتمكنا من اقتناء ثلاث بنادق نوع ستاتي طليان وكمية من الذخيرة قدرت بـ 1500 خرطوشة قاما بإيداعها لدى أحد المناضلين بفريانة، لذلك اتجه لسود مسعي ومجاهدون آخرون إلى فريانة وجلبوا هذه البنادق والذخيرة حاملينها على أكتافهم ودخلوا بها إلى التراب الوطني حيث اتجهوا بها إلى جبل الدكان ثم جبل بوجلال مكان تمركز بعض وحدات جيش التحرير الوطني[75] .

كما لعبت اللجنة المدنية والعسكرية التي كانت تنشط بمدينة تبسة دورا كبيرا في الإمداد بالسلاح ففضلا عن الدعاية والتجنيد وجمع الأموال والقضاء على الخونة نشطت بشكل مكثف لجمع الأسلحة والذخيرة سواء بالنسبة للجنة الأولى التي ترأسها عبد القادر بن ليالي أو الثانية التي تم إنشاؤها بعد انكشاف الأولى حيث بذل أحمد قراري بن مسعود، حمه بن مهوب سليماني و لزهاري عابر مجهودات جبارة فكانوا يتنقلون باتجاه جنوب تونس والحدود الليبية لجلب الأسلحة والذخيرة، وبعد الحصول عليها والدخول إلى التراب الوطني يتم حفظها بالجبل الأبيض وجبال الشريعة إلى حين توزيعها على وحدات جيش التحرير الوطني بناحية تبسة[76].

كما يذكر الوردي قتال مجهودات المناضل الجزائري أحمد اللموشي والذي كان يقطن بفريانة ولقد لعب دورا كبيرا في تسليح ناحية تبسة، كان ميسورا ماديا، وغالبا اشترى الأسلحة من ماله الخاص تبرعا منه لإمداد الثورة، وأحيانا كانت قيادة ناحية تبسة ترسل له بالمال لاقتناء كميات من الأسلحة من نقاط مختلفة بالتراب التونسي ثم يرسل بها إلى ناحية تبسة[77].

يضيف لسود مسعي انه تم استعمال الحذاقة والحيل والمال والرشوة والخبرة والعلاقات فوق التراب التونسي والليبي للحصول على السلاح كما تم تكليف بعض المدنيين التونسيين كمناضلين لصالح الثورة والذين عملوا على شراء الأسلحة من قبلّي، نفزاوة ومناطق أخرى من ليبيا [78].

75-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
76-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية، المصدر السابق.
77-شهادة بلقاسم فرصادو: مقابلة شخصية معه بتاريخ 30 سبتمبر 2015 ببيته بتبسة.
78-شهادة الوردي قتال: مقابلة شخصية، المصدر السابق

كما أُعتبرت أسلحة بعض الثوار التونسيين مصدرا خارجيا لإمداد الثورة حيث بعد توقيع اتفاقيات الحكم الذاتي لم يبخلوا بها عن الجزائر فتبرعوا بها اعترافا بالجميل مقابل مشاركة العديد من الجزائريين في صفوف المقاومة التونسية وتآزرهم معهم في أشد الأوقات[79]، ومثال ذلك تبرع التونسي قشي علي الهمامي بخمس قطع من الأسلحة للقائد لزهر شريط[80] كما أن هناك من الثوار التونسيين الذين قاموا ببيع أسلحتهم للجزائريين وهناك من فضل التطوع والوقوف في وجه الإستعمار الفرنسي مرة أخرى لكن من أجل الجزائر فانضم بسلاحه كمقاوم في صفوف جيش التحرير الوطني[81] .

3- تنظيم عمليات التسليح 1956- 1958

اهتم مؤتمر الصومام بالتسليح الذي أصبح يشرف عليه هيكل متمثل في مديرية التسليح كلف بإدارتها والقيام عليها عمر اوعمران[82] كما أولت لجنة التنسيق والتنفيذ عنايتها بمسألة التسليح من الخارج وعبرت عن هذه القضية بـ «يجب أن ندرك بأن تموين جيش التحرير الوطني بالأسلحة هو دائما ضمن الأولويات لأن توقف مرور السلاح بضعة أشهر سوف يجعل الوضع أكثر تدهورا»[83].

رغم حادثة اختطاف الطائرة والعدوان الثلاثي على مصر إلا أن إمداد الجهات الشرقية بالسلاح والذخيرة استمر انطلاقا من مصر إلى ليبيا بإرسال دفعات عبر الطريق البري باستعمال سيارات نقل بعض التجار، وكانت أول دفعة تحت إشراف أحمد محساس أغلبيتها ذخيرة بالإضافة إلى كمية من نوع ATF المضاد للعربات وكانت موجهة للولايات الشرقية، كما تسلم محمد لمين دباغين دفعة ثانية من السلاح يوم 07 افريل 1957 تم نقلها بواسطة السيارات إلى الحدود التونسية وُجهت لتغطية احتياجات الولاية الأولى والثانية والرابعة[84]، ثم دفعة ثالثة استلمها محمد الهادي عرعار بتاريخ 20 ماي1957، تلتها دفعة رابعة بتاريخ 04 جوان 1957 وتمت عملية النقل تحت إشراف لمين دباغين.

79-شهادة لسود مسعي: مقابلة شخصية، المصدر السابق .

80-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 173.

81-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية، المصدر السابق.

82-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 173 .

83 -L'Association Nationale des Moudjahidine de l›Armement et de Liaisons Générales le MALG: Abdelhafid Boussouf ou la stratégie au service de la révolution, Gharnata, Alger, p 160.

84-الطاهر جبلي: المرجع السابق ص ص 242-243

تواصلت عملية الإمداد بالسلاح والذخيرة من خلال التمكن من تهريب وتمرير دفعات أخرى خلال السداسي الثاني من سنة 1957خاصة بعد الاستفادة من التوتر الذي عرفته العلاقات التونسية والفرنسية، ونتيجة نجاح وتمام عمليات الإمداد التي تم تنظيمها بأكثر دقة وعملية أصبح جيش التحرير الوطني مسلحا بنسبة خمسين بالمئة تسليحا جيدا[85]، وازدادت حركة تهريب الأسلحة منذ منتصف شهر ماي 1957 وهذا ما تشيرله التقارير الفرنسية، وأصبح معدل عبور القوافل تقريبا يوميا وكانت أكبر كمية قادمة عن طريق ليبيا، وتم رفع الرقابة عن الموانئ التونسية وانتظم النقل حيث كانت تشرف عليه لجنة التنسيق والتنفيذ بمساعدة أحمد التليلي أمين مال حزب الدستور الجديد والأمين العام للاتحاد العام للعمال التونسيين، هذا الأخير الذي قدّم لأوعمران شاحنات الحرس القومي التونسي أعْتُمِد عليها في عمليات الشحن والنقل من ليبيا[86].

عقد الجنرال صالان (Salan) في جويلية 1957 مؤتمرا صحفيا أكد فيه دخول 1500 قطعة سلاح إلى الجزائر في كل شهر وتمرير ثلاثة أرباع الكمية عبر تونس، أما الربع الآخر فيتم تمريره عبر الحدود الغربية، كما أشار أحد الكتاب الفرنسيين إلى أن عدد القطع المهربة عبر تونس إلى الثوار الجزائريين بالداخل خلال السداسي الأول من سنة 1957 تقدر بـ8000 قطعة سلاح.

كما شهدت سنة 1958 عمليات كثيرة لتهريب ونقل الأسلحة وكانت أول دفعة في 02 جانفي، وثانية بتاريخ 26 من نفس الشهر، تبعتها دفعة ثالثة في 10 فيفري، ورابعة في 19 فيفري وتنوعت أسلحة هذه الدفعات وشملت حتى الأسلحة المضادة للأسلاك الشائكة، كما تم تهريب دفعة بتاريخ 31 مارس وأخرى في ماي ودفعة في 09 جوان كما تلتها دفعات أخرى[87]

85-فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 675-676
86-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص 211، ص 215 .
87-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 246 .

أكّد روبير لاكوست[88] أنه في الفترة الممتدة من شهر ديسمبر 1957 الى فيفري 1958 تم تمرير 18380 قطعة سلاح منها 17500 بندقية حربية، و80 سلاح رشاش و290 بندقية رشاشة و30 مورتيي و170 بازوكا[89].

كما عرف التموين بالسلاح نشاطاً ملحوظا لما عُين محمود الشريف على رأس وزارة التسليح والتموين بقيام أول حكومة جزائرية مؤقتة حيث تم اقتناء شاحنات جديدة في الجهة الشرقية وتم إنشاء ورشات للإصلاح والصيانة للسيارات المختلفة [90].

تطور تسليح جيش التحرير الوطني حيث أصبح مسلحا بسلاح عصري بعد أن كانت معظم قطعه هي بنادق الصيد، وتُعلق جريدة المجاهد في هذا الإطار بما مضمونه انه أصبحت كل فرقة من جيش التحرير الوطني تملك على الأقل بندقية رشاشة وتشتمل على جماعة متخصصة في مهاجمة المصفحات ومجهزة بالبازوكا والانيرقا ويسجل تزايد الوحدات التي تملك المدافع الرشاشة الثقيلة والمدافع المضادة للطائرات كما يسجل توفر الوحدات المجهزة بمدافع الهاون والمتخصصة في مهاجمة المراكز الفرنسية[91]، وتشهد حتى المصادر الفرنسية بتطور أسلحة المجاهدين عن تلك التي امتلكوها فترة بداية الثورة وتذكر انه تقريبا مع نهاية 1956 بدؤوا يحصلون على أسلحة أكثر تطورا وحداثة فأصبحوا يملكون مثلا مورتيي50، بنادق رشاشة، مسدسات رشاشة، Beretta neuf، بندقية بران، قطع الموزير، Des BSA 303، صناديق الذخائر[92]، وقد صرح شبان دالماس وزير الحرب الفرنسي في أواخر 1958: « إن السلطات الفرنسية في حالة طوارئ وأن أعمالهم لابد أن تتسم بالسرعة الفائقة، وأن القيادة العليا للجيش الفرنسي تؤكد تطور جيش التحرير الوطني عدة وعتادا وذلك بقولها أن الثوار الجزائريين كانوا منذ 18 شهر عصابات تضم كل واحدة حوالي 30 شخص مسلحين ببنادق صيد لكننا اليوم

88-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -215 216 ، وأنظر فتحي الذيب: المصدر السابق، ص 691.

89- من مواليد 1898 بأزيرا، متحصل على الليسانس في الحقوق، أسس حركة تحرير الشمال أثناء الاحتلال الألماني ، عُيّن وزيرا في حكومة ديغول -1944 1945، كما عُيّن وزيرا مقيما بالجزائر من قبل غي مولي في 9 فيفري 1956، صوت له البرلمان على قانون السلطات الخاصة في مارس 1956، إستغل كل ما بوسعه لقمع الثورة. أنظر: عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، تر: عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 288 .

90-Khalfa Mameri: Histoire de la guerre d'Algérie jour après jour, Thala, Alger, 2012, p 125 .

91-محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 67 .

92-جريدة المجاهد: بعد مؤتمر طنجة لجنة التنسيق والتنفيذ تصرح، العدد 23، 07 ماي 1958، ص 06.

نتصادم بوحدات مجهزة بالرشاشات الثقيلة ومدافع الهاون وتتكون كل واحدة من 200 إلى 400 ثائر»[93].

هناك من الكتابات التي تتحدث على تواجد ورشة لتصليح الأسلحة بالمنطقة السادسة عمل بها كل من حسين معامرية والصادق معامرية من تروبية [94]، كما يذكر محمد الصالح رشراش انه تواجد هناك من له خبرة في تصليح الأسلحة بمناطق مختلفة ومن هؤلاء أولاد شكُر من الدكان وبورحايل الحميداني، وبوسحابة التونسي والذي قام بتصليح الأسلحة سنوات 1956،1955، 1957، بالجبال[95]، والحسين وبورقعة حيث كانت لهما ورشة بسرديّاس وكذلك جماعة جدواني باوكس ليبان (الحمامات)[96]، وعثمان صالحي بالعقلة المالحة[97]، كما استفاد جيش التحرير الوطني من خبرة بعض الألمان الذين فروا من صفوف الجيش الفرنسي والتحقوا بالثورة فبالإضافة إلى نشاطهم العسكري ساهموا كذلك في تصليح الأسلحة [98].

تذكر بعض الشهادات انه بعد تمركز جيش التحرير الوطني بالحدود أُقيمت على التراب التونسي بعض الورشات لتصليح الأسلحة منها تلك التي في تالة، عمل بها بعض المختصين في هذا الأمر منهم الحسين معارفي[99] وتذكر شهادات أخرى أنه بالمنطقة السادسة تمت صناعة بعض الألغام والمتفجرات من طرف بعض الجنود الألمان الفارين[100]وكذلك من طرف بوسحابة المذكور سابقا والذي تمكن من صناعة ألغام منها ما وضع بالخنيق ومنها ما وضع بمنطقة الطمار بالقرب من الجبل الأبيض [101].

- المسالك وقوافل التسليح:

تعتبر المسالك والممرات الشرايين التي تتنفس منها الثورة فمن خلالها يتم الإمداد

93-La dépêche de Constantine: les bandes rebelles de l’est constantinois ont leurs bases en Tunisie, N° 15790 du 4 Décembre 1956, p 01, p 08 .

94-جريدة المجاهد: نصف الشهر العسكري، العدد 19، 01 مارس 1958، ص 10 .

95-جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة: ملتقى دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة ولاية تبسة (د.ت)، ص 174 .

96-شهادة محمد الصالح رشراش: مقابلة شخصية، المصدر السابق

97-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية، المصدر السابق .

98-محمد زروال: المرجع السابق، ص 98 .

99-شهادة محمد العربي براهمي: مقابلة شخصية معه بتاريخ 30 ماي 2015 ببيته بالشريعة تبسة

100-شهادة محمد (حمه) حسن: مقابلة شخصية، المصدر السابق .

101-محمد العربي براهمي: مذكرات (شيء من حياتي وذكرياتي)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص 43 .

بالسلاح القادم من الشرق أو من أوروبا، لذلك كان رسم معالم أهم نقاط العبور من أولويات تفكير وتخطيط القادة الأوائل، وكانت الأسلحة القادمة لإمداد الثورة تصل عن طريق البحر إلى ميناء زوارة غرب طرابلس ثم تأخذ طريقها عبر الحدود التونسية بواسطة الجمال عبر طرق غير محروسة.

كما شكلت مناطق عنابة، قالمة، سدراتة معبرا عمقه 120كلم لمرور قوافل التسليح نحو الولاية الثانية والثالثة والرابعة وهناك من يذكر انه عبر هذا الممر تم تنظيم أكثر من أربع مئة رحلة بين سنة 1954و 1956 [102].

تمثلت مسالك الإمداد في:

- مسلك جزيرة جربة (التونسية) باستخدام زوارق صغيرة.
- مسلك منطقة زوارة بليبيا ويتم النقل عن طريق الشاحنات مرورا عبر طريق بن قردان إلى التراب التونسي في اتجاهين الأول إلى أقصى الشمال نحو سوق أهراس باتخاذ وسائل مختلفة والثاني نحو ممر الجرف في أقصى الجنوب باتجاه الاوراس.
- مسلك من الأراضي المصرية فليبيا فالتراب التونسي ومن هنا يتم التهريب بواسطة الجمال عبر الصحراء بعد أن تم غلق ممر سوق أهراس[103]، وهناك من يذكر انه تم تسجيل معدل أربع رحلات في الشهر سنة 1957 تُنقل خلالها حمولة ثماني شاحنات من السلاح والذخيرة [104].

كانت للولاية الأولى علاقات بالولايات الثانية والثالثة والرابعة والسادسة في ميدان الاتصالات والبريد فكذلك فيما يخص دوريات السلاح والتي كانت تنطلق من الولاية الثانية والرابعة والسادسة تمر بالولاية الأولى وتتجه للحدود التونسية مارة بأحد الخطين العبور بالمنطقة الأولى ثم الثانية إلى السادسة ثم الحدود التونسية أو تعبر بالمنطقة الأولى فالثانية فالرابعة فالخامسة بجنوب القاعدة الشرقية إلى الحدود التونسية، وتتمثل محطات وطرق دوريات الولاية الثالثة والرابعة والمنطقة الأولى من أوراس النمامشة عبر دوار الزيتون لمشارة، الطلبة، أولاد حناش، أولاد تبان، إلى غاية جبل الرفاعة بأولاد

102-شهادة محمد الصالح رشراش: مقابلة شخصية،المصدر السابق
103-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص ص 289-291 .
104-مراد صديقي: الثورة الجزائرية (عمليات التسليح السريّة)، تر: احمد الخطيب، (د.ن.)، (د.م)، (د.ت)، ص 49 .

فاطمة حيث يتفرق المسلك إلى خطين يبدأ الخط الأول من جبل الرفيعة مرورا بالرحوات إلى أن يصل إلى المنطقة الثانية، أما الخط الثاني فمن جبل الرفيعة ثم مركز آم الساعد، واد سلطان إلى تراب المنطقة الثانية، وهناك خط آخر قبل دخول تراب المنطقة الثانية ينطلق من جبل بوطالب بالمنطقة الأولى مارًّا بعدة أماكن مركز مبروك، لقريدات تيلاتو ثم جبل لعبار وهذا الخط قليل الاستعمال أما الخط الذي يربط الناحية الأولى بالمنطقة الأولى والناحية الثالثة بالمنطقة الثانية ينطلق من جرمة في اتجاه العرعور ثم مشتة لبعازية، ثم جبل بوعريف في اتجاه جبل الفجوج من المنطقة الرابعة وتتفرع مسالك الدوريات عند دخول تراب الناحية الرابعة بالمنطقة الرابعة إلى 06 مسالك وهي:

- الخط الاول: من جبل تافرنت، جبل بنقاش، جبل بوتخمة، جبل قرن احمار، وادي مسكيانة مزوزية بالمنطقة الخامسة مرورا بجبل المطلوق، ثم جبل الحوض الصغير ليصل إلى الحدود التونسية.

-الخط الثاني: من جبل بوتخمة، إلى جبل قريقر، ثم جبل ذراع الصنوبر، ثم جبل بولكفيف ثم جبل بولحاف الدير، روس لعيون، ثم جبل بوربعية بالحدود التونسية.

-الخط الثالث: من جبل بوتخمة إلى جبل مسلولة إلى جبل بوخضرة بالمنطقة الخامسة فالحدود التونسية.

-الخط الرابع: ينطلق من المنطقة الرابعة، المايدة إلى خميسة، ثم تيفاش إلى الحدود التونسية.

-الخط الخامس: ينطلق من أم الزوابي، ثم تيقلالين ثم المسلولة، الذروة إلى الحدود التونسية.

-الخط السادس: ينطلق من أم العظايم ثم الداموس، إلى ونزة ثم الحدود التونسية.

وغالبا تسلك الدوريات بالمنطقة الثانية منطقة بويعقاقن وتبحيرين، لارباع أم الرخاء، ارقو، الجبل الابيض أم الكماكم، زاريف الساهل، زاريف الواعر ثم الحدود التونسية.

وهناك دوريات تسلك بئر الدوسن، لعويجة، برغيشة، بحيرة الأرنب، قابل البطنة بوجلال، جبل فوة، الزريقة فالحدود التونسية [105].

كانت القوافل تستخدم البغال لحمل الذخائر في أول الأمر وأثبتت التجربة عدم نجاعتها لسهولة اكتشافها من قبل العدو، مما دفع بالمجاهدين إلى التكفل بحمل السلاح ونقله إلى الداخل حيث كان كل مجاهد يحمل ثلاث قطع من السلاح وربما أكثر بالإضافة إلى الذخيرة والمؤن، تسلك القوافل غالبا نفس طريقها الأول حين عودتها وبمجرد دخولها تراب الولاية الأولى يتم استقبالها من طرف المسؤولين بالقسمات والنواحي والمناطق واعتمدت دوريات التسليح في مسيرتها على دليل يكون خبيراً بالطريق والمسالك، وإذا تمت مهاجمة هذه القوافل تتكفل بقية وحدات جيش التحرير الوطني بالمنطقة بالدفاع عنها.

بعدما أصبحت مسيرة قوافل التسليح شاقة وعسيرة تم تدريب فرق من المجاهدين على حرب العصابات بالحدود الشرقية، كما تلقت دروسا حول عملية السير والاختفاء ومجابهة العدو والاقتصاد في استغلال المؤونة والذخيرة واختيار أصحاب الخبرة في قيادة القوافل، وتعود هذه القوافل محملة بالأسلحة من تونس وغالبا ما تشتبك مع فرق جيش العدو، قد جرت من المعارك الحدودية التي سقط فيها الكثير من المجاهدين مما أدى إلى إيقاف إرسال قوافل الولاية الثانية[106].

4- دور المنطقة السادسة في التسليح

بحكم وقوع مناطق من الولاية الأولى على الشريط الحدودي الجزائري التونسي وقع على عاتقها مهمة تسليح بعض الولايات الداخلية وهذا ما مكّن قوافل التسليح من رفع التحدي ونقل المئات من قطع السلاح والذخيرة وتوظيف التضاريس الجغرافية لإيصال شحنات الإمداد إلى الداخل وقد ازدادت هذه المهمة صعوبة بعد تمام انجاز السدود المكهربة[107] .

105-الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 292 .
106-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -218 219 .
107-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -219 220 .

ظلت الولاية الأولى طوال فترة الثورة تسهر على تأمين وحماية القوافل ودوريات جيش التحرير الوطني من الولايات الثالثة والرابعة والسادسة الذاهبة والآتية من وإلى تونس فضلا عن تيسير اتصالات بعض الولايات مع قيادة الثورة خارج التراب الجزائري[108]، وبحكم أن المنطقة السادسة منطقة حدودية ومفتوحة على تونس فقد كانت قوافل التسليح تمر بها ذهابا وإيابا[109]وكان مسؤولوها بالقسمات والنواحي يستقبلون هذه القوافل في الذهاب والرجوع ويسهرون على أن تأخذ قسطا من الراحة ويقدمون لها ما تحتاجه من تموين، وفي حالات يكلفون بعض الجنود بالمنطقة كمرشدين وكدليل عارف بالمسالك والطرق بمواصلة المسيرة مع هذه القافلة إلى غاية التراب التونسي وبعد استلامها الأسلحة من قاعدة تونس يعاودون الرجوع معها كدليل كذلك، ويقدم لها الدعم إلى غاية أن تسترشد طريقها، وكثيرا ما تكفلت المنطقة السادسة بتأمين سير هذه القوافل وفكت حصارا تعرضت له هذه الأخيرة كما سهرت على حمايتها من اشتباكات العدو[110].

يذكر محمد الصالح رشراش أنه في سبتمبر 1956 تم شحن شحنة أسلحة من قاعدة تونس بالشاحنات وإيصالها إلى الحدود الجزائرية ليتم نقلها بواسطة 15 جملاً وإدخالها إلى التراب الوطني وقد اشرف على هذه العملية المجاهد حمادي مسلوب، وسلكت هذه القافلة طريق أم علي ثم واصلت دربها إلى الأوراس[111].

أيضا قافلة أخرى دخلت التراب التونسي وتزودت بالأسلحة ودخلت تراب المنطقة السادسة إلا أنها وعلى بعد 12 كلم من تبسة اشتبكت مع جنود العدو مما أدى إلى خسارة المجاهدين حمولة الأسلحة التي كانت بحوزة القافلة المتمثلة في تسع رشاشات وسبعة وعشرين مسدساً رشاش وعشرين مسدس وست وثمانين بندقية حربية[112].

108-لمرجع نفسه، ص 217

109-المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، التقرير السياسي، ج 1 ، ص 31 .

110-علي زغدود: ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2004، ص 215

111-بوبكر حفظ الله: المرجع السابق، ص ص -218 220

112-شهادة محمد الصالح رشراش: مقابلة شخصية، المصدر السابق .

كما قاد عثمان جلالي أحد المسؤولين بالمنطقة السادسة في جوان 1957 بأمر من القائد صالح بن علي قافلة مكونة من 130 جندياً حملوا الأسلحة على أكتافهم من تالة ثم دخلوا بها الجزائر ومن عناصر هذه المجموعة نذكر العيد لقرع، محمد جفني وكان معهم عدد قليل من البغال للاستعانة بها، دخلوا التراب الوطني وقاموا بإيصال هذه الأسلحة إلى المكان المسمى سرج الغول بالولاية الثالثة [113]

اهتم محمود الشريف بتزويد الولاية الأولى والثالثة بالسلاح وقد أوضحت إحدى أمرياته تكليف الضابط الثاني صالح بن علي بتجهيز كتيبتين لنقل السلاح إلى الداخل الأولى إلى الولاية الثالثة ترافق الصاغ عميروش والثانية إلى المنطقة الثالثة من الولاية الأولى[114] .

في سبتمبر 1957 مرّ بالمنطقة السادسة القائد أحمد بن عبد الرزاق (سي الحواس) من الولاية السادسة في مهمة لتونس لجلب الأسلحة رفقة خمسة عشر مجاهدا فأمر قائد المنطقة صالح بن علي خالد فتحون مسؤول الناحية الرابعة بتكليف من ينوبه في قيادة الناحية ومرافقة سي الحواس ودورية الجنود الذين معه، فقام فتحون بتنفيذ الأمر ودخلوا إلى تونس وجلبوا كمية من الأسلحة من منطقة تمغزة، تنوعت بين قطع مورتي ثمانين وقطع أخرى من نوع عشاري وكميات من الذخيرة، ثم رجعوا إلى الجزائر ودخلوا تراب المنطقة السادسة سالكين المحطات التالية نقرين واد المشرع، رأس العش، العليق، تبردقة، الزورة[115] ثم إتمام، الطريق إلى غاية الوصول إلى بسكرة[116].

في إطار إرشاد قوافل التسليح للولايات الأخرى وتأمين مرورها أمر صالح بن علي في أواخر سنة 1957 ثمانية عناصر من جنود المنطقة السادسة منهم يوسف جدواني، عبد القادر جدواني بمرافقة قافلة تسليح من الولاية الثالثة تعداد جنودها 102 مجاهد، تزودت بالأسلحة بمعدل قطعتي سلاح لكل جندي بالإضافة إلى صندوق ذخيرة، فقام جنود

113- la dépêche de Constantine: les bandes rebelles de l'est ..., N° 15790 du 04 Décembre 1956, op.cit, p 01 .

114-شهادة حمه هنين: مقابلة شخصية، المصدر السابق

115-عبد الله مقلاتي: محمود الشريف قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013، ص 88 .

116- أثناء وصولهم إلى هذا المكان اصطدموا بمجموعة من المشوشين فجردوهم من بعض الأسلحة، استخدم معهم سي الحواس الحيلة وأخبرهم أنه هو كذلك لا يعترف بجبهة التحرير الوطني، ولو لم يفعل ذلك لكان مصيره القتل ومصادرة كل قطع الأسلحة. شهادة خالد فتحون: مقابلة شخصية معه بتاريخ 09 ماي 2015 ببيته بتبسة .

المنطقة السادسة المكلفون بالأمر بإدخال القافلة إلى تراب الجزائر عبر سوق أهراس، قطعوا الأسلاك عن طريق المجاهدين بناني جدّاي ويوسف جدّاي فإتمام المسيرة ووصولا إلى الولاية الثالثة[117].

بأمر من القائد مقداد جدي في فيفري 1958 رافقت مجموعة من جنود المنطقة السادسة ترأسها خالد فتحون قائد الناحية الرابعة قافلة تسليح من الولاية السادسة تعدادها 130جنديا كانت قد انتقلت إلى التراب التونسي لإدخال كمية من السلاح فمن تمغزة إلى ميداس ثم دخلت الجزائر، سلكت تراب المنطقة السادسة وأثناء وصولها إلى المكان المسمى حليق الذيب (عين بوصوفة) تم اختيار عشرة جنود من المجموعة السابقة، كُلف وضع على رأسها الطيب بن الشيخ وواصلت المسيرة رفقة قافلة التسليح للإرشاد والتوجيه وتأمين الطريق مارة بالمحطات التالية جبل العنق، الجبل الأبيض، الجديدة، خنشلة... إلى غاية تراب الولاية السادسة[118] أكدت الكثير من الشهادات إرسال محمود الشريف للكثير من دفعات الأسلحة إلى الولايات الداخلية عن طريق المنطقة السادسة، كان منها قافلة سليمان لاصو، فضلا عن طلبه من المسؤولين النمامشة تأمين مرافقة قادة الداخل العائدين من تونس بشحنات الأسلحة إلى ولاياتهم [119].

كما لعبت المنطقة السادسة دورا في مرافقة الدوريات القادمة من مختلف الولايات التاريخية والمتجهة إلى التراب التونسي بغرض الاتصال بقيادة الثورة بتونس أو الانتقال إلى القواعد الخلفية ومن هذه الدوريات دورية عمر اوصديق، دورية الرائد عزالدين زراري، دورية سي الحواس، دورية عبد الرحمان ميرة، دورية شعباني[120].

5- أثر خط موريس على الإمداد

كان إمداد الولاية الأولى والثانية والثالثة يتم عبر الجهة الشرقية وفي البداية كان سير القوافل سهلا [121]، لكن بعد إنشاء السد المكهرب والذي رمت فرنسا بكل ثقلها

117-المصدر نفسه

118- شهادة إبراهيم مباركة: مقابلة شخصية معه بتاريخ 29 أفريل 2015 بمقر منظمة المجاهدين لولاية تبسة

119- شهادة حمه هنين: مقابلة شخصية، المصدر السابق.

120-عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 88 .

121-محمد زروال: دور المنطقة السادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية، دار هومه، الجزائر، 2011، ص 104

فيه[122] تعسر الأمر وأصبح هذا السد تحدياً حقيقياً للثورة وافرز نتائج انعكست سلبا على هذه الأخيرة[123].

لم تدرك قيادة الثورة التحريرية في بادئ الأمر مدى الخطورة التي يشكلها السد المكهرب وما لبث كريم بلقاسم أن صرح أن خط موريس لا يمكن أن يؤثر على حركية نشاط جيش التحرير الوطني ووجوده لا يثير أي قلق، لكن بعدما كذّب الواقع نظرتهم السطحية حيث اصطدموا بالخطر الكبير الذي يشكله خط الموت والمتمثل في التطويق والخنق والحرمان من الإمداد، تحرك كريم بلقاسم وظل يصرح بأن خط موريس يعتبر مانعا خطيرا ووجوده يجعل الثورة باستمرار في خطر[124].

تعرض الكثير من جنود جيش التحرير الوطني للإبادة أثناء مرورهم بالحدود محملين بالسلاح والذخيرة جراء انفجار الألغام والقصف المدفعي المركزي والمطاردة من طرف جيش العدو فضلا عن عمليات الملاحقة والإبادة التي تقوم بها الطائرات الاستكشافية والعمودية، وحسب لخضر بورقعة أن المسافة بين الولاية الثالثة والرابعة شاسعة وكان المجاهدون يقطعون مسافة ألفي كلم ذهابا وإيابا إلى الحدود الشرقية وأن الولاية الرابعة فقدت ثلاثة آلاف مجاهد كشهداء في الولاية الأولى بين الجبل الأبيض وبحيرة العصافير وخنشلة، وإزاء هذا الوضع أوقفت الولاية الرابعة إرسال دوريات الإمداد بالسلاح، وهذا ما سبب عزلة وضعف في القتال، وقد أكد العقيد عميروش بأن السد المكهرب كلفهم خسائر في الأرواح سنة 1958 وبأن جيش التحرير الوطني بحاجة إلى السلاح أكثر من الأكل واللباس، كما أكد الطيب الصديقي استشهاد الكثير من مجاهدي المنطقة الثالثة أثناء اتجاههم للحدود الشرقية بغرض التسليح وأن بعض القوافل يعود منها فقط الربع أو الثلث[125] كما أدى تعزيز المراقبة الحدودية إلى استعادة جيش العدو المبادرة في المجال العسكري وعزلة جيش التحرير الوطني بالداخل وفوضى على الحدود الشرقية مما خلق أجواء سادها التحريض والمنافسة القبلية، وقد بلغ عدد شهداء الخطوط المكهربة 2409 شهيد وجريح واحد سنة 1958، وقدر عدد الأسرى ب 304 أسير وكان عدد الذين

122-جمال قندل: خطا موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة التحريرية 1957-1962.(د.ن)، الجزائر، 2008، ص 94 .

123-مصطفى بيطام: الحواجز المكهربة والأسلاك الشائكة والألغام، مجلة الذاكرة، العدد 06، نوفمبر، 2000، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ن.54، الجزائر، ص 51 .

124-جمال قندل: المرجع السابق، ص 94

125-المرجع نفسه، ص ص -94 96

حاولوا المرور من الجزائر إلى تونس وتم استشهادهم 244 شهيداً و2165 استشهدوا وهم مارون من تونس إلى الجزائر[126].

أدت عوائق السد المكهرب إلى التأثير على حركية الثورة بسبب المخاطر التي تشكلها عمليات العبور إلى التراب التونسي بغرض الإمداد، أوقفت الولاية الرابعة دوريات جلب الأسلحة[127] وإزاء وضعية بقاء كميات كبيرة من الأسلحة مودعة في مخازن ليبيا وتونس وهي بحاجة لنقلها وتمريرها إلى الثوار داخل التراب الجزائري أكد فتحي الذيب لعمراوعمران أنه لن يستجيب له في طلب جديد للأسلحة وأن الأسلحة التي تم إرسالها خلال ستة أشهر من سنة 1958 كافية لتسليح جيش قادر على القتال لفترة طويلة، وأن عليه شحن ونقل وتمرير أسلحة مخازن ليبيا وتونس وبعد ذلك سيستجيب له في طلبات جديدة للأسلحة[128].

في ظل هذه الأوضاع الخطيرة أوجد جيش التحرير الوطني إستراتيجية محكمة لمواجهة القوات العسكرية المكلفة بمراقبة وحراسة السدود المكهربة عن طريق شن هجومات على هذه الحواجز بغية إحداث ثغرات يتم من خلالها الاختراق والعبور، وتم إحداث فيالق جديدة انطلاقا من سنة 1958 كُلفت بمهمة قوات الإسناد الموكولة بحماية قوافل التسليح في الفضاء الممتد على حدود القاعدة الشرقية والولاية الأولى والثانية مما تسبب كثيرا في معارك دامية[129] ، كما اعتمدوا على مرور القوافل عن طريق قطع المسافات الطويلة عبر الصحراء والعبور من وراء منطقة نقرين وعبر طريق منطقة الربايع وفزان والآجر[130] مما سبق نستنتج أنه:

- انتشرت إثر الحرب العالمية الثانية تجارة وتهريب الأسلحة على الحدود الشرقية، ولقد تمكن مناضلو المنظمة الخاصة عن طريق نشاطهم السري من تأمين كمية من الأسلحة من خلالها تم تفجير الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954.

126-نفسه، ص 94
127-نفسه، ص ص -97 99 .
128-نفسه، ص96 .
129-فتحي الذيب: المصدر السابق، ص 376 .
130-الطاهر جبلي: دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954 - 1962، دار الأمة، (برج الكيفان ، الجزائر)، 2013، ص 181

- من مصادر التسليح الداخلية نذكر الأسلحة التي تبرع بها أفراد الشعب وكذلك أسلحة الفارين من الجيش الفرنسي ومثلت الأسلحة التي تم الحصول عليها كغنائم المصدر الرئيسي للإمداد وكانت أسلحة الانطلاقة معظمها بنادق صيد.

- لحل مشكلة نقص الأسلحة والتي برزت بشكل كبير منذ الانطلاقة سعى قادة الثورة إلى إيجاد مصادر خارجية للتسليح، ولقد أسس ابن بولعيد وابن بلة أولى شبكات التسليح بليبيا في أوت 1954، كما عكف قادة الثورة على توفير الأسلحة باستعمال مختلف القنوات المتاحة وبشكل استعجالي، وتم في البداية تهريب قطع محدودة بواسطة أفراد معينين وفي مرحلة لاحقة أصبحت العملية تتم بواسطة القوافل.

- قدمت ليبيا مساعدات كبيرة في التسليح فعلى ترابها تواجدت مراكز ومستودعات وشبكات الإمداد، وفي المرحلة الأولى ساد نوع من التعاون بين رجال شبكات التسليح الجزائرية والثوار التونسيين المكلفين بالإمداد عبر ليبيا وتلاشى هذا التعاون فيما بعد.

- ضمن اتفاق ابن بلة مع السلطات المصرية وبعض الليبيين المختصين في تهريب الأسلحة من قاعدة العظم البريطانية بطرابلس تأمين كميات من الإمداد، وتم إرسال أول شحنة على متن اليخت انتصار في ديسمبر 1954 وتلتها شحنات أخرى فيما بعد.

- تم تنظيم التسليح بعد مؤتمر الصومام حيث أوكلت به مديرية التسليح وقد اشرف عليها عمر اوعمران، ونشطت عمليات التسليح سنة 1957 وانتظم النقل بإشراف لجنة التنسيق والتنفيذ، كما تطورت أسلحة الثورة بعدما كانت معظم قطعها بنادق صيد.

- لعبت المنطقة السادسة بحكم موقعها الحدودي دورا في تسليح بعض الولايات التاريخية فكانت تقوم بدور المرشد والدليل والمؤمن للطريق من خلال مرافقتها للقوافل وتأمين طريقها في الذهاب والإياب، ولقد تعسرت مهمة التسليح بعد إنشاء خط موريس خط الموت والذي شكل خطرا حقيقيا على الثورة مما أدى إلى إيقاف بعض الولايات لإرسال دوريات التسليح، وهذا ما سبب عزلة وفقدان المبادرة في النشاط العسكري.

المراجع

- مناصرية, ي. (2013). دراسات وابحاث حول الثورة التحريرية 1954 - 1962 (1 ط). الجزائر: دار هومة.
- بيطام, م. (2000). الحواجز المكهربة والاسلاك الشائكة والالغام. مجلة الذاكرة, 1(06), 51-51.
Crochet, B., & Piouffre, G. (2007). Guerre d'Algérie (ط 1). Paris: Nov édit.
- جبلي, ا. (2013). دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية 1954 - 1962 (1 ط). الجزائر: دار الامة.
- زغدود, ع. (2004). ذاكرة ثورة التحرير الجزائرية (1 ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار.
- موسم, ع. ا. (2016). الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية (أطروحة دكتوراة). جامعة ابو بكر بالقايد, تلمسان.
- بوزبيد, ع. ا. (2007). الإمداد خلال حرب التحرير الوطني (1 ط). الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.
-الذيب، ف. (1984). عبد الناصر وثورة الجزائر (1 ط). القاهرة: دار المستقبل العربي.
- مناصرية, ي. (2007). الأسلاك الشائكة وحقول الالغام (1 ط). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.
- بلقاسم, م. (2007). القواعد الخلفية للثورة الجزائرية (الجهة الشرقية) 1954 - 1962 (1 ط). الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.
- شرفي, ع. (2007). قاموس الثورة الجزائرية (1954 - 1962) (1 ط). الجزائر: دار القصبة للنشر.
- نصر الله, ف. (2007). التطورات السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية للمنطقة الاولى (الاوراس) 1954 - 1955. قُدِّم في الملتقى الدولي حول معركة الجرف, تبسة.
- مقلاتي, ع. ا. (2013). محمود الشريف قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية (1 ط). الجزائر: دار العلم والمعرفة.
- زروال, م. (2011). دور المنطقة السادسة من الولاية الأولى في الثورة التحريرية (1 ط). الجزائر: دار هومة.
-حفظ الله, ب. ب. (2013). التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962 (1 ط). الجزائر: دار العلم والمعرفة .

الملاحـق

تقرير يثبت جمع السلطات الفرنسية للأسلحة المنتشرة في المنطقة إثر الحرب العالمية الثانية.

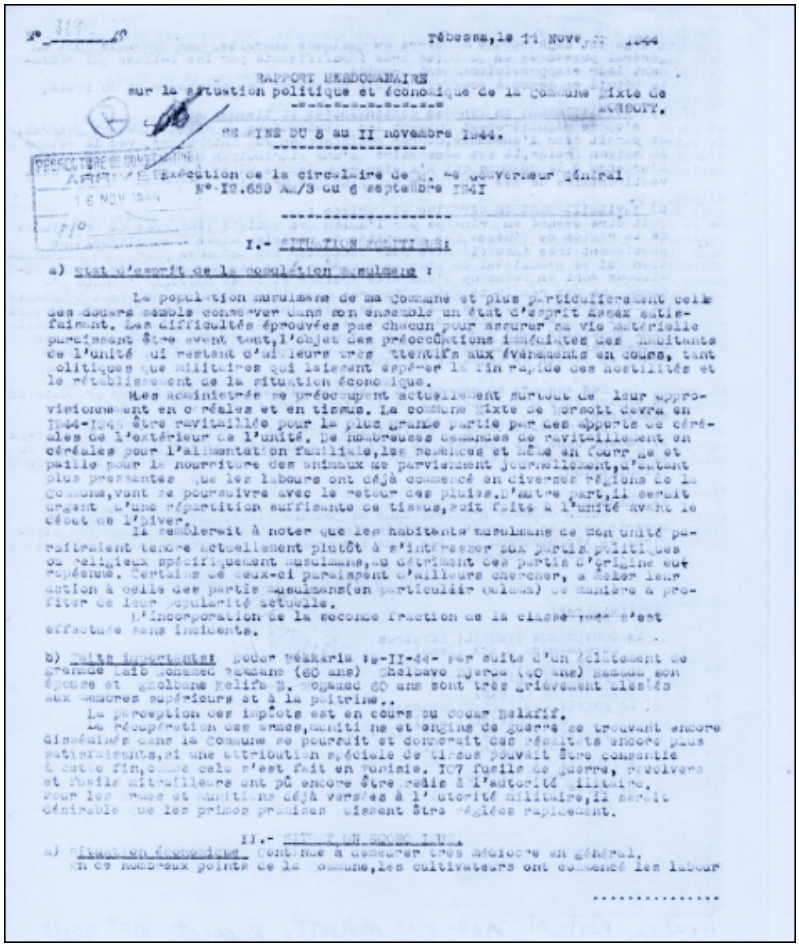

Tébessa, le 11 Nove... 1944

RAPPORT HEBDOMADAIRE
sur la situation politique et économique de la Commune Mixte de MORSOTT,
DU 5 au 11 novembre 1944.

Exécution de la circulaire de M. le Gouverneur Général N°.12.689 A./3 du 6 septembre 1941

I.- SITUATION POLITIQUE

a) Etat d'esprit de la population musulmane :

La population musulmane de ma Commune et plus particulièrement celle des douars semble conserver dans son ensemble un état d'esprit assez satisfaisant. Les difficultés éprouvées par chacun pour assurer sa vie matérielle paraissent être avant tout, l'objet des préoccupations immédiates des habitants de l'unité qui restent d'ailleurs très attentifs aux événements en cours, tant politiques que militaires qui laissent espérer la fin rapide des hostilités et le rétablissement de la situation économique.

Mes administrés se préoccupent actuellement surtout de leur approvisionnement en céréales et en tissus. La commune mixte de Morsott devra en 1944-1945 être ravitaillée pour la plus grande partie par des apports de céréales de l'extérieur de l'unité. De nombreuses demandes de ravitaillement en céréales pour l'alimentation familiale, les semences et même en fourrage et paille pour la nourriture des animaux me parviennent journellement, s'étant plus pressantes que les labours ont déjà commencé en diverses régions de la Commune, vont se poursuivre avec le retour des pluies. D'autre part, il serait urgent qu'une répartition suffisante de tissus, soit faite à l'unité avant le début de l'hiver.

Il semblerait à noter que les habitants musulmans de mon Unité paraissent tendre actuellement plutôt à s'intéresser aux partis politiques ou religieux spécifiquement musulmans, au détriment des partis d'origine européenne. Certains de ceux-ci paraissent d'ailleurs chercher, à nouer leur action à celle des partis musulmans (en particulier Oléma) en manière à profiter de leur popularité actuelle.

L'incorporation de la seconde fraction de la classe 43 s'est effectuée sans incidents.

b) Faits importants : Caïd Bekkaria : 8-II-44- par suite d'un différend de grande Caïd Bouaouc Tahamane (60 ans) Cheikhaya Djerda (40 ans) Remplacé son épouse et Cheikhaya Kelifa B. Mohamed 60 ans sont très grièvement blessés aux membres supérieurs et à la poitrine..

La perception des impôts est en cours au douar Belaïfa.

La récupération des armes, munitions et engins de guerre se trouvant encore disséminés dans la Commune se poursuit et donnerait des résultats encore plus satisfaisants, si une attribution spéciale de tissus pouvait être consentie à cette fin, chose qui s'est fait en Tunisie. 107 fusils de guerre, revolvers et pistolets mitrailleurs ont pu encore être remis à l'autorité militaire. Pour les armes et munitions déjà versées à l'autorité militaire, il serait désirable que les primes promises soient réglées rapidement.

II.- SITUATION ECONOMIQUE

a) Situation économique : continue à demeurer très médiocre en général. En de nombreux points de la Commune, les cultivateurs ont commencé les labour

.....

A.W.C, Boite N° 107, CM.Morsott, Rapport N°329/S du 11 Novembre 1944, op.cit.

تبرع محمد الشريف بن يوسف قماطي لصالح الثورة .

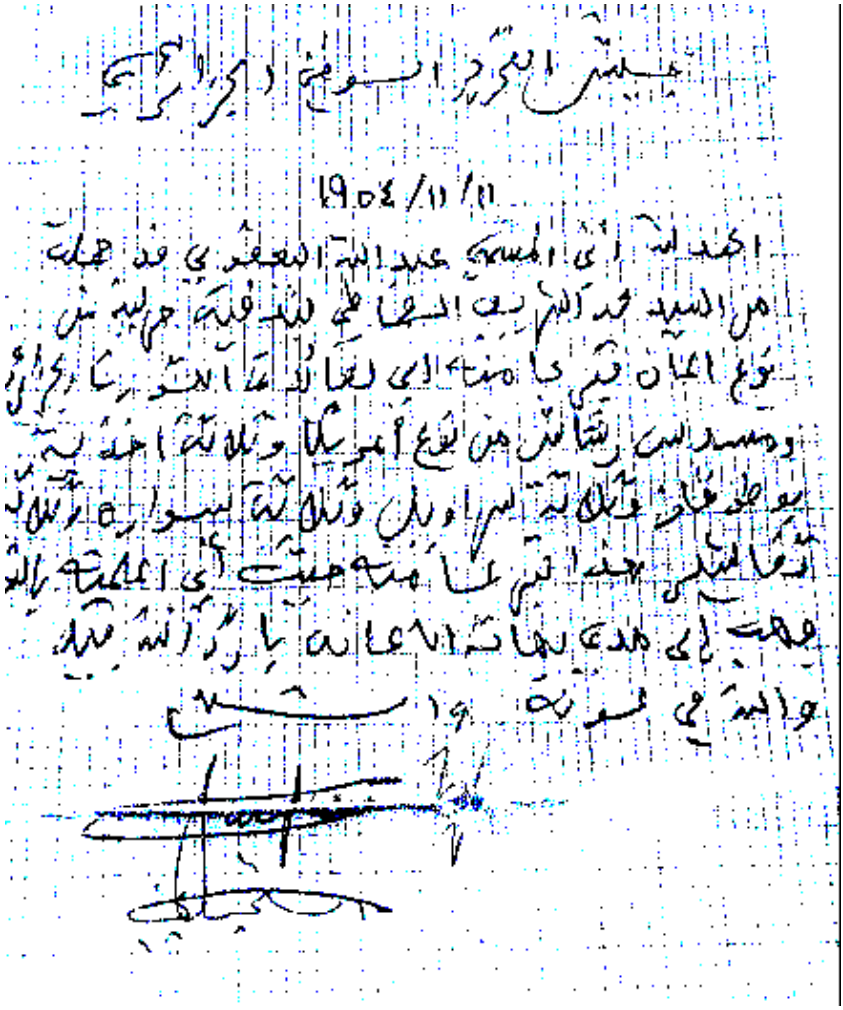

أرشيف ملحقة متحف المجاهد محمود قنزولاية تبسة، أرشيف غير مصنف.

مصادر: تاريخ الجزائر المعاصر
المجلد: 17 عدد: 1 سنة 2020
Maçadir: Contemporary History of Algeria
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/29

كيف نبدأ وكيف ننتهي من كتابة ورقة علمية للنشر في مجلة محكمة[1] ؟

أ.د بوسنه محمود
جامعة الجزائر2
m_boussena@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/12/23 تاريخ القبول: 2020/01/17

ملخص

إن التساؤل الأساسي الذي نطرحه في هذه الورقة هو: كيف نكتب مخطوط علمي Manuscript يكون صالحا للنشر في مجلة علمية محكمة؟ تناولنا بالتحليل في البداية، أهداف النشر العلمي ومختلف الاحتياطات التي من المهم التوقف عندها قبل بداية الكتابة الفعلية لمخطوط مزمع كتابته. ثم شرحنا مختلف الخطوات المطلوبة في إعداد ورقة علمية صالحة للنشر، وهذا حسب نموذج «إِمْراد» ونموذج ثان أكثر مرونة من نموذج «إِمْراد» وأكثر تكيّفا مع الأوراق العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وكتكملة لما سبق، بحثنا في نقطتين هامتين لهما علاقة مباشرة مع الكتابة الجيدة للأوراق العلمية. ويتعلق الأمر بكل من الاستراتيجيات التي يمكن أن يستخدمها المؤلف، من أجل كشف نقائص الورقة الموجودة بين يده، ومعالجتها قبل اتخاذ القرار بإرسالها للنشر. وفي الأخير قدمنا أنواع ردود المجلات العلمية المحكمة، وقائمة من الأخطاء الشائعة في كتابة الأوراق العلمية التي تم تسجيلها بناء على متابعات سابقة للموضوع، والتي بطبيعة الحال تستوجب الحذر من الوقوع فيها.

الكلمات المفتاحية: الورقة العلمية، هيكلة المقال، الدقة العلمية، الكتابة العلمية.

Abstract

The main question that we raise in this paper is: How to write a scientific manuscript that is acceptable for publication in a scientific and refereed journal? Initially, we analyzed the goals of scientific publication and the various precautions that should be taken into account at the beginning. Thereafter, we explained the different steps required in writing a scientific paper, according to the “Imrad” model and another model, that is more flexible than “Imrad” and more adapted to scientific writing in the human and social sciences. As a complement to the above, we discussed two important points that have a direct relationship with the good writing of scientific papers. The fist point is related to a number of strategies that authors can use, in order to detect the shortcomings in a manuscript yet in preparation, in the second point, we presented a list of common mistakes that can be observed in some published papers, and finally we explained how to react to the different types of responses that might be made by refereed scientific journals.

Keywords: scientific paper, article structuring, scientific precision, scientific writing.

1- قدمت الخطوط العريضة لهذه الورقة في ورشة علمية بجامعة سطيف2 ، بتاريخ 21 / 12 / 2004 . ونظرا للنقاش الذي أثارته والنقص الموجود في الكتابات حول هذا الموضوع ارتأينا استكمال جوانبها وتقديمها للنشر لتعميم النقاش والفائدة.

Résumé

La question principale abordée dans ce papier est la suivante : comment écrire un manuscrit scientifique publiable dans une revue scientifique et arbitrée? En guise de réponse, on a exposé -préalablement- les objectifs de la publication scientifique ainsi que les différentes précautions à prendre avant d'entamer l'écriture -proprement dite- d'un manuscrit. Par la suite, nous avons expliqué les différentes étapes nécessaires à la rédaction d'un article scientifique, selon le modèle «Imrad» et un autre modèle, plus souple que «Imrad» et plus adapté à l'écriture scientifique en sciences humaines et sociales. En complément de ce qui précède, nous avons discuté de deux points importants qui ont une relation directe avec la bonne rédaction scientifiques. Le premier point est lié à un certain nombre de stratégies que les auteurs peuvent utiliser, afin de détecter les lacunes dans un manuscrit encore en préparation, dans le deuxième point, nous avons présenté une liste d'erreurs courantes qui peuvent être observées dans certains articles publiés, et enfin, nous avons expliqué comment réagir aux différents types de réponses qui pourraient être apportées par les revues scientifiques et arbitrée.

Mots clés: article scientifique, structuration d'articles, précision scientifique, rédaction scientifique.

تمهيد

تعتبر عملية كتابة أوراق علمية من أجل النشر في مجلات علمية محكمة، عملية سارة وشاقة في نفس الوقت. كما أنها تعتبر تحدياً كبيراً للأساتذة الباحثين والباحثين الدائمين خاصة منهم المبتدئين، نتيجة لما يعانونه من نقص في مهارة الكتابة العلمية الجيدة[2]. ولهذا فإن تعلم هذه المهارة عملية ضرورية بالنسبة لجميع الباحثين، لأن مسارهم المهني يتوقف على مدى تمكنهم من نشر العديد من الأوراق البحثية في العديد من المجلات العلمية المحكمة، الوطنية منها والدولية. اعتمدت البوابة الجزائرية للدوريات العلمية(ASJP) [3] في تصنيفها للمجلات الأكاديمية الجزائرية منذ سنة 2017، مجموعة من المعايير الخاصة بإعداد هذه الدوريات. ومن أهم هذه المعايير أن تكون المجلة محكمة، أي أن المقالات المنشورة بها تخضع بالضرورة إلى عملية تحكيم من طرف محكمين أثنين على الأقل، يكونان من المختصين ذوي الرتب الجامعية

2- الكتابة العلمية الجيدة تدل على وجود باحث جيد وقراءة ممتعة للمقال وإضافة جديدة للعلم. وهي مهارة يمكن تعلمها من خلال التدرب والممارسة، فكل باحث يمكن تطوير مهارته في الكتابة العلمية مع الزمن بشرط الانتباه الى اخطائه وعدم الميل الى السير في الطريق السهل. والباحث الجيد هو الذي يتحكم في أصول وخطوات البحث العلمي واللغة، ولديه دراية عالية بمصادر المعلومات، وقدرة على العمل الجماعي وعلى قيادة فريق بحث. ومن أهم صفاته ايضا أنه لديه حواس انتقادية، حيث يتساءل عن كل شيء ويجتهد في البحث عن الإجابات ولا يقبل المسلمات.

3- Algerian scientific journals platform (ASJP)

العليا والكفاءات المعترف بها. مع العلم أن مجموعة المعايير التي حددتها البوابة معلن عنها على صفحاتها، لكي يطلع عليها مختلف المهتمين بصناعة المجلات العلمية. وفي هذا الإطار نشير إلى أن تبني سيرورة التحكيم من طرف النظراء للمقالات العلمية تعتبر عملية حديثة نوعا ما، حيث ظهرت أولا في بريطانية مند القرن السابع عشر. ففي سنة 1665 أحدثت الجمعية الملكية اللندونية The Royal Society of London مجلة « المعاملات الفلسفية للمجتمع الملكي» Philosophical Transactions of the Royal Society «. وقدم المحرر المؤسس لهذه المجلة السير أولدنبورغ Oldenberg، نوعا مبكرًا من عملية تحكيم النظراء (UK Parliament 2004) . وبعد ذلك تبنت العديد من المجلات العلمية بمختلف بلدان العالم هذه السيرورة التقويمية؛ مما أدى إلى حدوث ارتفاع كبير في إنتاج هذا النوع من المجلات. فالمعطيات الحديثة حولها تخبرنا بأن عددها يقدر حاليا بحوالي 30 ألف مجلة و10 الاف مجلة أخرى من نوع الوصول المفتوح Open access [4]، أما فيما يخص عدد المقالات التي نشرت مند سنة 1665 (بداية المقالات المحكمة) فالتقديرات المتوفرة تؤكد على تجاوز عتبة الـ 50 مليون مقال، كما أنه ينشر حوالي 2,5 مليون مقال سنويا[5].

والجدير بالذكر هو أن عملية التقييم من طرف النظراء كانت ومازالت ينظر إليها على أنها عامل قوي وحاسم في تحقيق سمعة ودقة البحوث العلمية المنشورة (House of Commons, S.T Committee, 2011) .

إن عملية التصنيف المحلي، الذي تقوم به حاليا البوابة الجزائرية للدوريات العلمية بصورة دورية، يهدف إلى تحديد قائمة المجلات الجزائرية المحكمة التي تحترم المعايير المحددة في البوابة والتي تعترف بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. إن هذه الخطوة تعتبر أولية وأساسية في طريق تجسيد فكرة «من الاعتراف المحلي للمجلات الجزائرية إلى الاعتراف الدولي» التي تم عرضها وتبيان أهميتها في ملتقيين جهويين حول الدوريات العلمية الجزائرية بقسنطينة ثم بوهران، (بوسنه، 2015).

إن التساؤل الأساسي المطروح في هذه الورقة هو كيف نكتب مخطوطاً علمياً Manuscript يكون صالحا للنشر في مجلة علمية محكمة؟ وفيما يأتي سنتناول بالتحليل مختلف الخطوات المطلوبة في إعداد مخطوط علمي ناجح، أي : أ- أهداف الكتابة الموجهة للنشر

4 - Science Intelligence and InfoPros :
URL : ttps://scienceintelligence.wordpress.com/2012/01/23/how-many-science-journals/

5- إن الحديث هنا هو حول المقالات المنشورة في الدوريات العلمية المحكمة المتواجدة في قواعد البيانات العالمية.

في مجلات علمية محكمة، ب- كيف نبدأ الكتابة؟ ، جـ- أنواع الكتابة (الأوراق) العلمية، د- الخطوات المطلوبة في كتابة الأوراق العلمية، هـ – كيف ننتهي من كتابة الورقة العلمية؟، وفي الأخير نتكلم عن الأخطاء الشائعة في كتابة الأوراق العلمية.

1- أهداف الكتابة الموجهة للنشر في مجلات علمية محكمة

يوجد العديد من الأهداف التي تدفع الباحثين إلى الكتابة العلمية من أجل النشر في مجلات محكمة. وهذه الأهداف متنوعة في طبيعتها، فنجد بعضا منها يخدم مصالح الباحث، وبعضها الآخر يخدم مصالح المعرفة والعلم، ونوعاً ثالثاً يخدم مصالح المؤسسات البحثية التي ينتمي إليها الباحث. وبالإضافة إلى ذلك توجد قاعدة عامة متفق عليها وهي أن البحوث التي لا تنشر وتبقى محصورة في أدراج ورفوف المكاتب لا تنفع أحداً ومصيرها الغبار والنسيان.

1.1- أهداف تخدم الباحث

إن الأوراق العلمية المنشورة في مجلات علمية محكمة تدل على وجود نتائج علمية جيدة، وعلى وجود باحثين جيدين قادرين على القيام ببحوث علمية من البداية إلى النهاية، بشهادة محكمين معترف بهم. وهكذا من المهم جدا، عندما يكون لدينا بيانات علمية جديدة أو حالات جديدة أو تحليل جديد للمعرفة الموجودة حول موضوع معين أو تأملات جدية في مسألة معينة ....، أن ننشر هذه المعلومات العلمية في مجلات محكمة؛ وهذا حتى تصبح هذه المعرفة عمومية يمكن أن يطلع عليها مختلف المهتمين والمختصين. وتصبح فيما بعد من المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في البحوث اللاحقة. مع العلم أن التمكن من نشر مقال أصلي في مجلة علمية محكمة معترف بها، يعتبر بالنسبة لأي باحث من أحسن التجارب الشخصية وأكثرها تكريما. لأن تحقيق مثل هذه الأعمال يؤدي بصاحبها إلى إشباع دوافعه النفسية العليا، مثل تحقيق الذات. وبالإضافة إلى هذه الجوانب فالنشر العلمي يخدم بصورة واضحة المؤلفين في عدة أمور هامة، مثل:

-**الترقية**: إن انتقال الباحثين من رتبة علمية إلى أخرى أعلى أو الحصول على تعيين في مناصب علمية عليا، يعتمد بالأساس على نوعية وعدد الأوراق العلمية التي تم نشرها فعلا من طرفهم.

-**الحصول على مكانة عالية وسمعة واسعة بين النظراء:** إن النشر العلمي خاصة الغزير يؤدي إلى تواصل متعدد مع الباحثين الآخرين وهذا من خلال توصيل إبداعات علمية جديدة (تقنية جديدة، طريقة بيداغوجية فعالة، تأمل أو نظرة جديدة ...)، أو عرض نتائج أصلية جديدة مقارنة بالبحوث السابقة. ولهذا نجد صاحب مثل هذه الأعمال يحقق مكانة مرموقة بين النظراء وسمعة واسعة، لأنه يصبح من المؤلفين الذين يعتمد كثيرا على بحوثهم في إنجاز بحوث أخرى. إن التمكن من نشر العديد من الأوراق العلمية في العديد من المجلات المحكمة يمكن أن يكون له أثر قوي على المسار المهني للباحث وهذا من خلال إقامة علاقات وتبادلات على المستوى الوطني والعالمي.

-**الزيادة في القدرات والمهارات العلمية:** إن طبيعة الكتابة العلمية تتطلب الدقة، وبالتالي فإن الاستمرار في الكتابة العلمية، وتقبل مراجعات النظراء، والعمل في كل مرة على الاستجابة بكل جدية إلى مختلف تدقيقاتهم وملاحظاتهم الخفيفة والعميقة، ستؤدي مع الوقت بالباحثين المهتمين بتطوير مستواهم إلى التغلب على مختلف النقائص التي كانوا يعانون منها والرفع من معارفهم وقدراتهم العلمية، وترقيتهم إلى مصاف الباحثين الخبراء، وبالتالي الحصول على اعترافات وطنية ودولية.

1.2- أهداف تخدم المعرفة والعلم: يبقى الهدف الأسمى من الكتابة العلمية من أجل النشر في مجلات محكمة هو نشر معرفة جديدة في ميدان معين، وهذا على أمل المساهمة في تطويرها وذلك من خلال تحقيق فتوحات علمية جديدة حتى لو كانت جد جزئية، لأنها قد تؤدي هي الأخرى إلى تحقيق فتوحات علمية أخرى فيما بعد. ولهذا إذا كانت لديك معطيات جديدة تعتقد بأنها يمكن أن تفيد في تقدم المعرفة، فلا تتأخر في العمل على نشرها في مجلة محكمة، لأن هذا هو أحسن وسيلة للتواصل مع المهتمين والباحثين الآخرين، مثل ما أكد عليه روزنفالد وآخرون (2000) Rosenfeldt et all .

1.3- أهداف تخدم المؤسسات البحثية: إن الكتابة العلمية من أجل النشر العلمي ضرورة لا مفر منها في مختلف المؤسسات العلمية (الجامعات، مراكز البحث، مخابر البحث...)، ولهذا تجد الباحثين في هذه المؤسسات ملزمين بذلك، وهذا حتى توفر لهم هذه المؤسسات شروط العمل المناسبة لتحقيق أهدافهم الشخصية. وبالتالي فإن النشر في مجلات علمية محكمة خاصة منها ذات المستوى والاعتراف العالمي، يفيد ليس

فقط في تحقيق أهداف الباحث المؤلف، وإنما أيضا في تحقيق أهداف المؤسسة التي ينتمي إليها هذا الباحث، من خلال أولا، الرفع في سمعتها ومكانتها داخل الوطن وعلى المستوى العالمي، وثانيا الرفع من قدرتها التفاوضية مع مختلف ممولي البحث العلمي والمانحين، مما يمكنها من الحصول على ميزانيات معتبرة تسمح لها مواصلة وتطوير نشاطاتها البحثية.

وبالإضافة إلى أهمية مختلف أهداف النشر في مجلات محكمة والمعلن عنها أعلاه، نشير إلى أن أي باحث لا يمكن أن يصبح خبيرا في ميدان بحث معين، إلا بعد ما يمارس بقوة الكتابة حول مواضيع هذا الميدان كمؤلف، وفي هذا الإطار يقول السيكولوجي محوني Mahoney 1979 « أود أن أحثك على الكتابة ليس لأنه شيء جيد ، وليس لأنه من الجيد أن ترى اسمك مطبوعًا في مجلات علمية، بل لأنك لن تتعرف حقًا على أي ميدان علمي إلا إذا ساهمت فيه بصورة معتبرة.»

2- كيف نبدأ الكتابة؟

لا يوجد مؤلفان إثنان يعتمدان نفس الأسلوب في الكتابة العلمية، ولهذا على المؤلفين المبتدئين إيجاد طريقهم الخاص عن طريق المواظبة على التعلم والممارسة فيما يخص الكتابة العلمية من جهة، والانتباه إلى أخطائهم لمعالجتها وإلى فنيات المؤلفين الممارسين للأخذ منها من جهة أخرى.

إن ما سأقدمه في هذه الورقة، حول كيف نبدأ وكيف ننتهي من كتابة ورقة علمية؟ هو عبارة عن مختلف القواعد والخطوات المتفق عليها، والمفروض اتباعها عندما نريد كتابة ورقة علمية؛ وسأركز على إبراز بعض خصوصيات الكتابة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وتجدر الإشارة، إلى أن هذا لا يعني أنه لا توجد اختلافات شخصية بين المؤلفين في الكتابة العلمية؛ بل الواقع هو أن كل مؤلف يصبغ هذه القواعد والإجراءات بثقافته العلمية الخاصة بدون الابتعاد بطبيعة الحال، عن قواعد وخطوات هذا النوع من الكتابة، والتي تلزم الجميع على ضرورة هيكلة المعرفة العلمية، بصورة تكون فيها المعرفة المعروضة واضحة وسهلة القراءة والفهم من طرف كل القراء المختصين و المهتمين.

2.1- تساؤلات هامة قبل بداية الكتابة

عندما يكون بين يدي باحث معلومات علمية تبدو أنها جديدة (نتائج بحث ميداني، معلومات غير معروفة حول إشكالية مطروحة، تحليل جديد للمعرفة حول موضوع معين، ...)، ما العمل؟

ينصح العديد من الكتاب المتمرسين في الكتابة العلمية، مثل سينجر وهولندر Singer and Hollander (2009)، بطرح مجموعة من الأسئلة على النفس والإجابة عنها قبل الشروع الفعلي في التحضير لكتابة ورقة علمية حول مثل هذه المعلومات. وفيما يلي

نذكر مجموعة من الأسئلة، ستكون الإجابة عنها مفيدة للباحث في تحديد ما يجب القيام به فيما بعد: هل هذه المعلومات تسمح بكتابة ورقة أصلية ؟ و/ أو مهمة؟ هل أنجز عمل مماثل ونشر من قبل؟ وفي هذه الحالة هل مشروع مخطوط جديد سيكون أوسع و/أو أعمق؟ هل يوجد دارسون ومهتمون بالمحتوى العلمي الذي سيقدم في المخطوط الممكن كتابته؟ هل سيقبل نشر مثل هذا المشروع في مجلة علمية محكمة؟

وبطبيعة الحال، إذا كانت الإجابات سلبية عن هذه الأسئلة، فمن الأحسن التخلي عن مشروع الكتابة حول هذا الموضوع. أما إذا اقتنعت بأنه يوجد بين يديك مشروع مقال أصلي، فالخطوة الثانية تكون من خلال اتخاد مجموعة من القرارات وهذا كما هو موضح في الجدول،(1). إن القراءة المتأنية للمعلومات المعروضة في هذا الجدول، يفيد في الانتباه إلى أهمية معرفة « أين وصلت إليه المعرفة حول موضوع الورقة المزمع كتابتها»؛ ويفيد أيضا، في التفكير مبكرا في العديد من الأمور التي تعود بالفعالية على الإنجاز الفعلي لمشروع هذه الورقة.

إن أول قرار يستوجب أخده مع بداية التفكير في كتابة ورقة علمية، هو اختيار اثنتين أو ثلاث من المجلات المحكمة وليس واحدة فقط من أجل النشر، وهذا حتى يمكن أن ترسل ورقتك بعد الانتهاء منها إلى إحداها، ثم إلى ثانية وثالثة إذا لم تقبل في أول مرة وتحتم الأمر بعد المراسلة الثانية. ومن الأفضل أن تكون هذه المجلات مرتبة حسب الأفضلية بالنسبة لك، من الرتبة الأولى إلى الثالثة. إن مثل هذا القرار المبكر يجعلك مصمما من البداية على الذهاب بعيدا في تقديم المجهودات العلمية والذهنية اللازمة من أجل نشر المقال. حيث أنه حتى في حالة رفضه من طرف المجلة الأولى والثانية، تكون مستعدا لمواصلة التحسينات فيه من أجل ضمان توفيق أكبر في تحقيق هدفك في الوصول إلى نشره في المحاولة الثالثة.

وبالتالي تبتعد عن احتمالات الفشل بصورة كبيرة وهذا من خلال مواصلة التحسينات لورقتك بدون عياء.

وفي نفس الاتجاه، يجب الاهتمام من البداية بتكوين صورة حول المجلات التي ترغب في النشر بها، لأن هذا سيزيد في احتمالات قبول مقالك. فبعد اختيار الدوريات التي تريد ان تنشر فيها، يجب الاطلاع على قواعد النشر الخاصة بهذه المجلات من أجل احترامها عند كتابة مخطوطك (طول المقال، طول الملخص، هيكلة المقال، نموذج المراجع.....).

ويجب كذلك قراءة التعليمات الموجهة للمؤلفين جيدا وفهمها والعمل بها، حتى لا يرفض مخطوطك من الوهلة الأولى عندما ترسله للنشر، لأنه إذا لم تحترم هذه التعليمات قد ينظر إليك على أنك باحث مبتدئ غير ملتزم بأدبيات النشر العلمي.

الجدول (1) القرارات التي من المفيد البت فيها قبل بداية الكتابة الفعلية

القرارات	ملاحظات
— **اختيار المجلة/المجلات المناسبة لنشر مشروع المقال**	- يجب التفكير من البداية في أكثر من مجلة واحدة لنشر المقال المراد كتابته، مثلا ثلاثة مجلات تكون مرتبة حسب الأفضلية من المرتبة الأولى إلى المرتبة الثالثة. - الهدف من هذا التخطيط أنه في حالة رفض المقال للنشر من طرف مجلة الاختيار الأول، يجب مواصلة التحسينات في المقال بناء على الملاحظات، ثم إرساله إلى الاختيار الثاني وهكذا والمبدأ يبقى هو الابتعاد عن الفشل قدر المستطاع. .
— **قراءة قواعد النشر والتعليمات الموجهة للمؤ لفين**	- تسمح هذه القراءة من بأخذ صورة مناسبة حول سياسة النشر العلمي المتبعة في هذه المجلات المختارة. وعليه يجب العمل على احترام هذه القواعد عند الشروع في الكتابة الفعلية للمقال.

— **تأليف فردي أم جماعي**	- إن البحث العلمي اليوم يُنجز في إطار فرق بحث أي أنه عمل جماعي (وهذا سواء على مستوى الرسائل الجامعية أو مشاريع البحث الأساسية أو التطبيقية الممولة)؛ وعليه فإنه من الأحسن ومن الأنسب الميل من البداية نحو التأليف والنشر الجماعي. - مع العلم أننا نجد اغلبية الأوراق العلمية المنشورة في المجلات العالمية ذات تأليف جماعي وهذا لكونها تعكس حقيقة العمل في هذا الميدان ومتطلباته.
— **احترام بعض القضايا الأخلاقية**	- يجب الانتباه إلى أنه في بعض البحوث التي تتطلب ضمانات فيما يخص احترام الحقوق الإنسانية والسلامة الجسدية والمعنوية لأفراد العينة. يجب الحصول على موافقة مجلس أخلاقيات المهنة قبل الشروع في إنجاز البحث، وهذا لتفادي الوقوع في إشكاليات لم تكن مقصودة. مع العلم أن العديد من الجامعات الجزائرية يوجد بها حاليا مجالس لأخلاقيات المهنة. - إن الحصول على هذه الرخص يكون في الأفضل بداية المشروع البحثي، وهذا الترخيص مفيد جدا في حالة ما إذا طلبت منك هذه الرخصة المجلة التي تريد النشر بها. لقد أصبحت الكثير من المجلات العالمية تعتمد في سياستها فيما يخص النشر العلمي هذا المبدأ، وذلك للتعبير على قناعتها بضرورة تطبيق كل ما يتصل بالحقوق الإنسانية، الفردية والجماعية وسلامة الفرد والجماعات الجسمية والمعنوية.

والجدير بالذكر أن بعض المؤلفين يميلون إلى اختيار المجلات **العالمية** المحكمة، لتمتعها بمعامل تأثير[6] مهم وحضور واسع. لكن من الأجدر كذلك النشر في المجلات العلمية المحكمة الوطنية، لأنها هي الأخرى لديها العديد من المزايا، مثل التواصل مع الزملاء الباحثين على المستوى المحلي والجهوي وطلبة الدراسات العليا بصورة مباشرة. كما أن هذه المجلات أصبح لديها حضور Visibility مقبول على المستوى المحلي والجهوي والدولي، بفضل البوابة الجزائرية للمجلات العلمية، والتي أهلتها لكي تحتل المراتب الأولى

6- معامل التأثير (Impact factor) هو مقياس لأهمية المجلات العلمية المحكمة ضمن تخصصها البحثي، ويعتبر هذا المعامل مؤشرًا هاماً على مدى استشهاد الأبحاث الجديدة بالأبحاث التي نشرت سابقاً في تلك المجلة. مع العلم أن المجلة التي تملك معامل تأثير عال تعتبر مجلة مهمة تتم الإشارة إلى أبحاثها والاستشهاد بها بشكل أكبر من المجلة التي تملك معامل تأثير منخفض أو تِلك التي ليس لها أي معامل تأثير.

على المستوى الجهوي (العربي).[7]

أما فيما يخص قرار التأليف الفردي أو الجماعي، فمن المؤسف أن نلاحظ أن أغلبية الأوراق المنشورة في المجلات العلمية المحكمة بالجزائر والبلدان العربية، فردية رغم أن تنظيم العمل البحثي بالأساس هو جماعي، (أنظر الجدول، 2).

الجدول (2) حقيقة تنظيم العمل البحثي وواقع الأوراق العلمية المنشورة في المجلات المحكمة بالجزائر

1- أنواع البحث العلمي في الجزائر:	**2- طبيعة تنظيم هذه الأنواع من البحوث:**
1- البحث العلمي الجامعي (البحث التكويني والأساسي(PRFU)[8] و الرسائل الجامعية) المكان: الجامعات و مؤسسات التعليم العالي 2- البحث العلمي والتطوير التكنولوجي (البحث الأساسي والبحث التطبيقي ذو الأثر الاقتصادي والاجتماعي).	1-عمل جماعي (فريق بحث بالنسبة للنوع الأول، باحث مبتدئ وأستاذ مشرف أو أكثر بالنسبة للثاني) 2- عمل جماعي (فريق بحث)
3- تثمين نتائج البحث العلمي (النشر):	**4-تثمين نتائج البحث العلمي (النشر):**
1- التثمين الطبيعي (نشر أوراق جماعية، لأن العمل كان جماعيا) 2-التثمين غير الطبيعي (نشر أوراق فردية، لأنها ناتجة عن عمل جماعي وليس فرديا).	المجلات الجزائرية: نجد أغلبية الأوراق المنشورة بها فردية (**نتيجة غير طبيعية**) 2-المجلات العالمية: أغلبية الأوراق المنشورة بها جماعية (**نتيجة طبيعية**)

7- قائمة المجلات العلمية المحكمة التي تصدر باللغة العربية المستوفاة لمعايير الانضمام لقواعد البيانات العالمية سكوبس (تقرير 2019 لمعامل التأثير العربي)

URL : http://www.arabimpactfactor.com/pages/report.php?date=2019

8-Programme de Recherche Formation Universitaire (PRFU)

ولهذا يجب تصحيح هذا الوضع غير الصحي، حتى يمكن الرفع من مستوى واقع العلوم الإنسانية والاجتماعية في البلدان العربية، من حيث الكم والكيف. إن عصرنا اليوم هو عصر الباحثين الخبراء وليس عصر الباحثين العلماء، مثل ما كان عليه الحال في القرون الوسطى. مع العلم أن أعمال الخبراء تستدعي في الغالب عملاً جماعياً، وذلك لأن دراسة مختلف الإشكاليات البحثية المطروحة في العصر الحالي، تتطلب من أجل الوصول إلى معالجة جيدة، تدخل العديد من الباحثين من نفس التخصص وأحيانا من تخصصات مختلفة من ذوي الكفاءات المتعددة (التداخل فيما بين التخصصات).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك قرار آخر لا يقل أهمية على القرارات الآنفة الذكر، وهو ضرورة التفكير في الحصول على موافقة مجلس اخلاقيات المهنة، بالنسبة لبعض مشاريع البحث التي تحتاج إلى:

أ- ضمان الحفاظ على الحقوق الإنسانية والسلامة الجسدية والنفسية للمبحوثين عند إجراء بعض البحوث معهم (أطفال، مراهقين، مرضى، معوقين....)، وهذا خاصة في العديد من الدراسات في العلو م الطبية والعلوم النفسية والتربوية.

ب- العمل للحصول على الموافقة القبلية الإرادية للمبحوثين بدون أي إكراه، وهذا في العديد من الدراسات المسحية التي تمس ثقافة وعادات وقيم وتاريخ المجتمعات.

تجدر الإشارة إلى أنه من أخلاقيات البحث العلمي احترام حقوق الإنسان بكل مكوناتها وأبعادها، فمع توسع وتطور البحث العلمي، أصبح اليوم من الضروري فيما يخص بعض مشاريع البحث، ان يشرح أصحابها قبل بداية العمل الميداني، أهداف ومنهجية بحوثهم لمجلس من مجالس أخلاقيات المهنة، يبينون بأنه لا يوجد في مختلف خطواتها الميدانية أو التجريبية أي اعتداء على الحقوق المادية والمعنوية لمجمل أفراد العينة أو العينات المعنية. وبطبيعة الحال، يقرر مجلس أخلاقيات المهنة الموافقة على إنجاز هذه المشاريع بعد التأكد من أن أهدافها و إجراءاتها ومختلف الخطوات التي سطرتها، لا تتعارض مع حقوق وسلامة الأفراد المعنيين بالمشاركة. وفي هذا الإطار من المهم معرفة أن العديد من جامعات الجزائر، أصبح لديها مجلس لأخلاقيات المهنة، وبالتالي يمكن عند الضرورة، مناقشة معها مثل هذه القضايا والتراخيص.

2.2- كيف تكون البداية الفعلية في الكتابة؟

إن مكونات المرحلة السابقة تدفعنا إلى التفكير بشكل متواصل ومكثف، حول طبيعة المعلومات العلمية المتوفرة لدينا، و دفعتنا كذلك إلى ضرورة الوصول إلى قناعة معينة فيما يخص مدى صلاحية أو عدم صلاحية المادة الموجودة بين أيدينا للنشر في إحدى المجلات المحكمة. ولهذا إذا اقتنعنا بأنها مادة أصلية يمكن أن تؤدي إلى إضافات معرفية جديدة وهذا بالمقارنة مع وضعية «أين وصلت إليه المعرفة الحالية حول موضوع الورقة»، فمن الأجدر بنا أن نشرع في الإنجاز الفعلي لورقة علمية حول هذه المادة.

وفي هذا الإطار، من المفيد أن نعمل من البداية على وضع مشروع مخطط (هيكلة أولية) للورقة يوجد به مختلف الأجزاء (مقدمة + العنوان الرئيسي الأول + العنوان الرئيسي الثاني ... + مناقشة). والتي يمكن إدخال تغييرات عليها فيما بعد، قد تكون عميقة في حالة ما إذا كانت الهيكلة ليست من نوع «إمْراد» (سنتعرض بالتفصيل إلى أنواع هيكلة الأوراق العلمية في النقطة 4). وأن نواصل في نفس الوقت جمع المعلومات المتصلة بموضوع الورقة، ونعمل على تنظيمها حسب الأجزاء التي تم تحديدها من قبل. وأن نبدأ في تسجيل مختلف الأفكار كما تأتي في صفحات متفرقة بصورة يدوية أو رقمية؛ ثُم توزع هذه الصفحات وتصنف في ملفات خاصة بمختلف أجزاء الورقة. حيث تصبح هذه الملفات فيما بعد، عبارة عن خزان يستخدم في إعداد الورقة في صورتها الاولية.

وقد يكون من الأحسن في بداية الكتابة، الاعتماد على الكتابة اليدوية وهذا لسهولة التعامل مع اللغة والسرعة في تسجيل الأفكار في صورتها الأولية. لكن من الأحسن الانتقال تدريجيا إلى الكتابة الرقمية، خاصة عندما نبدأ في تصنيف وتنظيم الأفكار بصورة شبه نهائية بهدف الوصول إلى استخراج النسخة الأولى من الورقة.

وتجدر الإشارة هنا إلى خطأ شائع، قد يقوم به بعض المؤلفين وهو اللجوء إلى تخصيص مدة زمنية من الوقت لكتابة الورقة؛ مثلا تحديد نهاية الأسبوع (الجمعة والسبت) لكتابة النسخة الأولى من المقال بصورة متواصلة. فمن خلال التجربة في الكتابة العلمية من طرف العديد من المؤلفين، نقول مثل ما ذهب إليه، غيسطافي Gustavii (2008)، بأن هذا القرار لا يفيد كثيرا؛ حيث أن هذه الترتيبات في أغلب الأحيان تجعلنا نُصاب بإحباط بعد مرور بعض من الوقت، وينتابنا الشك في قدراتنا الإبداعية، نتيجة الفشل في تحقيق ما تم رسمه، رغم توفير الشروط المادية لذلك. ونؤكد في هذا الإطار، بأن الأمور لا تسير

كما يراد لها في مثل هذه الحالات إلا لبضع ساعات، وأنه من غير الممكن كتابة مختلف أجزاء الورقة دفعة واحدة وبصورة مستمرة. إن ذلك يعود إلى طبيعة الكتابة العلمية والتي تختلف عن الكتابة الصحفية، إذ أنها تتطلب التنقل المستمر ولمدة طويلة أحيانا، فيما بين الكتابة والتفكير وجمع الوثائق وإجراء مناقشات مع الآخرين ومراجعات لكل ما لم يتم مراجعته من قبل. واحيانا تستوجب الكتابة العلمية التوقف تماما عن التفكير في الورقة، لأخذ نوع من الفسحة أو الراحة الفكرية من مشروع الكتابة، والسماح للأفكار المسجلة في السابق على الورق أو النَّتْ والمنظمة في إطار الورقة، أن تتبلور في أذهاننا أكثر بهدوء وبدون أي ضغط. وذلك لأن تفكيرينا حول موضوع الورقة، رغم قرارنا بالتوقف على الكتابة لفترة، سيستمر في العمل وبصور متعددة غير مقصودة ولاشعورية، وهذا لأهمية الكتابة العلمية بالنسبة للمؤلفين وحاجيّتنا إلى إشباع دوافعنا العالية، مثل تحقيق إنجازات علمية.

وتجدر الإشارة إلى أنه في حالة وجود عدة مؤلفين من المفيد أن تحدد من البداية رزنامة من اللقاءات المنظمة من أجل إنجاز الورقة بمجهودات مشتركة، على أن تكون عملية التواصل بواسطة مختلف الوسائط، وليس فقط بصورة مباشرة.

3- أنواع الكتابة (الأوراق) العلمية

يوجد تنوع في طبيعة الأوراق العلمية التي يمكن أن نكتبها خاصة في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، نذكر منها ما يلي:- مراجعة للمعرفة حول موضوع معين،دراسة تاريخية لمرحلة معينة، دراسة تجريبية حول تأثير س على ص، دراسة مسحية حول موضوع معين، تشخيص واقع معين أو دراسة حالة معينة.

ويجب التنبيه إلى أن طريقة كتابة مخطوط علمي يتصل بمراجعة المعرفة حول موضوع معين (Review Articles) مثلا، تكون بالضرورة تختلف بصورة كبيرة عن طريقة كتابة مخطوط علمي يتصل ببحث تجريبي (مدى تأثير عامل س على عامل ص)، وهذا للتباين الكبير بينهما في محتوى المادة (المعرفية أو المعلومات) التي يتعامل معها الباحث في مثل هذين النوعين من البحوث، وهذا سواء فيما يخص كيفية جمع المعلومات والوثائق أو كيفية تنظيمها أو عرضها وتحليلها. ونفس الشيء يمكن قوله فيما يخص الأنواع الأخرى من الأوراق العلمية.

ومهما يكن فإن التفكير في كتابة أي نوع من الأوراق العلمية يتطلب التفكير من البداية، ليس فقط في وضع مخطط تقريبي للورقة المراد كتابتها، وإنما أيضًا في طبيعة المعلومات التي ستتضمنها محاور الورقة، وفي كيف ستُقدم هذه المعلومات، وفي طبيعة الأشكال أو الصور أو الجداول المفيدة التي يمكن توفيرها للقراء من أجل التوضيح الجيد لما نريد إبرازه. إن مثل هذه التحضيرات الذهنية تزيد في عزمنا على الشروع في كتابة ورقتنا العلمية من أي صنف كانت، بثقة وإيجابية في تعاملنا مع مختلف أجزاء الورقة المراد كتابتها. وفي النقطة الموالية سنتعرض بنوع من التفصيل، إلى الخطوات المختلفة لكتابة ورقة علمية.

4- الهيكلة المطلوبة في كتابة الأوراق العلمية

تعتبر الكتابة العلمية الناجحة والتي تؤدي إلى النشر في مجلات علمية محكمة، فناً وعلماً. مع العلم أن مفاتيح هذا النوع من الكتابة يمكن إبرازها في نقطتين أساسيتين : أولا- التنظيم الجيد (الهيكلة) لمحتويات المقال المراد نشره، ثانيا - التوضيح من البداية (في المقدمة مثلا) لماذا هذا المخطوط المراد نشره يعتبر فريداً من نوعه، وما هو التناول المعتمد عليه والمعلومات الجديدة التي ستقدم في الورقة.

إن أهمية هاتين النقطتين المشار إليهما أعلاه تعود إلى كون أغلبية المجلات المحكمة تشترط في قواعدها الخاصة بالنشر ، أن تكون المخطوطات المرسلة للنشر بها مهيكلة حسب مواصفات معينة مثلا، حسب نموذج «اِمْرَاد» (IMRAD)[9] أو مهيكلة بصورة مناسبة مع طبيعة تفرعات المعرفة المكونة لمحتوى المقال المراد نشره. كما أنها تبحث على نشر المقالات التي تقدم إضافات علمية جديدة، لأن هذا الأمر هو الذي يزيد في سمعتها من جهة ويرفع من عامل تأثيرها في إثراء ميادين المعرفة من جهة أخرى.

وعلى العموم فإن خطة الكتابة العلمية الناجحة تتوقف على كل من نوع البحث (مراجعة نقدية للمعرفة حول موضوع معين، دراسة تجريبية، دراسة مسحية، دراسة حاله.....) وخصائص الدورية المراد النشر بها (قواعد النشر).

والجدير بالملاحظة هو وجود نوع من الغموض عند الباحثين الجدد فيما يخص الهيكلة العلمية للمقالات، وذلك أن هيكلة الكتابة العلمية في ميادين العلوم الطبيعية المادية منها والحيوية، تختلف بعض الشيء عن هيكلة الكتابة العلمية في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية. فالعلوم الطبيعية يستخدم في أغلب مقالاتها هيكلة واحدة محددة ومتفق

9- IMRAD = Introduction- Methods- Results- and Discussion

عليها، تسمى باختصار نموذج «اِمْرَاد»، وذلك لأن هذه العلوم تعتمد بالخصوص على المنهج التجريبي في أبحاثها وتُعوّل في تحليل بياناتها على مستويات قياس عالية (مستوى المسافة والمستوى النسبي). لكن الوضع البحثي في العلوم الإنسانية والاجتماعية مرن أكثر، ولا يتحمل الاكتفاء بهيكلة واحدة لمختلف الأوراق التي يمكن نشرها والواردة من مختلف تخصصات هذه العلوم. إن السبب في ذلك يعود إلى كون العلوم الإنسانية والاجتماعية تستخدم بالإضافة إلى المنهج التجريبي عدة مناهج بحثية أخرى. كما أن مواضيعها البحثية نجدها أولا، متنوعة جدا في خصائصها، وثانيا بيانات الكثير من بحوثها بسيطة في طبيعة مستويات القياس التي تُعول عليها في التحليل؛ حيث لا يتعدى القياس بها في أغلب الأحيان المستوى الإسمي والمستوى الرتبي. إن هاتين الخاصيتين تفرض تعدد نماذج هيكلة وتنظيم الأوراق العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وبالتالي من الأفضل استخدام نموذج «اِمْرَاد» في المخطوطات التي تكون حول دراسات تجريبية أو شبه تجريبية والتي نشاهد كثيرا منها في العلوم الاقتصادية وعلم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع وبعضاً منها في التخصصات الأخرى للعلوم الإنسانية والاجتماعية. أما فيما يخص الأوراق العلمية (المخطوطات) المعدة حول الأنواع الأخرى من الدراسات، (مثلا عند إعداد ورقة هدفها مراجعة المعرفة حول موضوع معين، أو تقديم تحليل تاريخي لمرحلة معينة أو دراسة حالة ...) فإن هيكلة هذه الأوراق تكون مرنة ولا تتقيد بقالب نموذج «اِمْرَاد». لكن يبقى من الضروري أن تكون مهيكلة، وهذا بصورة متكيفة مع طبيعة محاور المعرفة المراد تقديمها في الورقة.

وفيما يلي سنتعرض بنوع من التفصيل الى شرح نموذج «اِمْرَاد»، ثم سنقدم الهيكلة الثانية والأكثر تناسبا مع العلوم الإنسانية وبالتالي الأكثر استخداما في الأوراق البحثية لهذه العلوم.

4.1- النموذج الأول: «اِمْرَاد» IMRAD

يعتبر نموذج "اِمْرَاد" طريقة فعالة جدا في توصيل نتائج البحوث التجريبية بصورة موحدة إلى مجتمع النظراء. كما أنه يسهل على الباحثين عملية عرض نتائج أبحاثهم بصورة منطقية وملخصة وواضحة.

إن تقسيمات الورقة حسب هذا النموذج تكون كما يلي: العنوان، المؤلفون وانتماءاتهم، ملخص، مقدمة، منهجية البحث، نتائج البحث، مناقشة، الشكر، المراجع، الملاحق. ومن الواضح أن هذه التفرعات هي في الواقع متوازية مع سيرورة خطوات البحث التجريبي. ولهذا نجد مجلات العلوم الطبيعية تكتفي باقتراح هذا النموذج على الباحثين وتشجعهم على استخدامه عند كتابة أوراقهم. خاصة وأن هذه الهيكلة تسمح بقراءة المقال بسهولة والوصول إلى أهم النقاط من على عدة مستويات[10]. ويقدم لنا الجدول (3) تفرعات هذا النموذج مع شروحات مختصرة لكل قسم.

الجدول (3) أهم أقسام الورقة حسب نموذج "اِمْرَاد" وملاحظات هامة حول كل جزء

أقسام الورقة حسب نموذج "اِمْرَاد" IMRAD	سيرورة التساؤلات التي يمكن أن يطرحها المؤلف على نفسه	ملاحظات هامة
ملخص	- ماذا قُدّم في هذه الورقة باختصار كبير؟	- يجب التركيز في كتابة الملخص على : مشكلة البحث؛ هدف البحث؛ النتائج الاساسية للبحث. - يكتب الملخص في العادة بعد الانتهاء من اعداد الورقة البحثية
مقدمة Introduction =I	- ما هو التساؤل المطروح في هذه الورقة؟	- تتضمن المقدمة ما يلي: موضوع الورقة ومدى أهميتها وأهدافها وطبيعة المنهجية المعتمدة ؛ - حسب هذا النموذج تدرج الدراسات السابقة حول الموضوع، حيث توضح أين وصلت إليه المعرفة.

10- Bates college : How to Write a Paper in Scientific Journal Style and Format (PDF) URL: http://abacus.bates.edu/~ganderso/biology/resources/writing/HTWsections.html, accessed on the 10th of October 2019

منهجية Methodes=M	- ما هي الإجراءات التي تم استخدامها للإجابة على تساؤل/ فرضية هذه الورقة؟	- **يجب** شرح خطوات البحث التي تم اتباعها، - من المفيد اعتماد الدقة في عرض هذه الخطوات والابتعاد عن استخدام الضمير أنا، - يجب استخدام الزمن الماضي في كتابة قسم المنهجية لأن العمل حدث فعلا في الماضي.
تحليل النتائج Results Analysis=R.A	- ما هي النتائج التي تم التوصل إليها من خلال تحليل البيانات أو المعطيات الجديدة المقدمة في هذه الورقة؟	- عرض النتائج بشكل منظم (الاحصاء الوصفي)، - ثم تقديم تحليل النتائج (الاحصاء استدلال)، - إن التحليل الاحصائي يساعدنا على فهم العلاقة، أو التشابه أو الاختلاف بين متغيرات البحث.
مناقشة Discussion=D	- ماذا تعني النتائج المتوصل إليها في هذه الورقة؟	- ان المناقشة هي تفسير للنتائج المتوصل اليها بصورة وافية وربطها بالإجابات المنتظرة وهذا بناء على سؤال/ فرضية البحث، المعلن عنها سابقا، - مقارنة هذه النتائج بنتائج الدراسات السابقة، - اذا لم تتحقق الفرضيات فيجب ذكرذلك وتقديم التفسيرالمناسب. - يجب إبراز في آخر المناقشة المعرفة الجديدة التي تم الوصول إليها في مقالك.

تشكرات (اختيارية) Acknowledgments	- من ساعد في إعداد هذه الورقة؟	- تدرج قبل قائمة المراجع، - يجب ان يكون الشكر جد مختصراً، ويقدم فقط لمن قدم مساعدة هامة على مستوى النص أو جمع المعطيات أو التحليل. كما يمكن تقديم الشكر للممولين.
المراجع المعتمد عليها References	- ما هي المراجع المعتمد عليها في كتابة هذه الورقة؟	- مراجع الورقة هي فقط المراجع المقتبس منها فعلا والمشار اليها في النص، - تذكر في اخر الورقة؛ - تكتب حسب النموذج المقترح في الدورية وهو في الغالب نموذج APA .
الملاحق (اختيارية) Appendices	- ما هي المعلومات الإضافية التي يمكن إدراجها كملاحق في هذه الورقة؟	- يمكن ادراج في الملاحق المعلومات، والبيانات غير اللازم ادراجها في النص، إلا انها تقدم معلومات توضيحية هامة مكملة لفهم المقال.

تبين تفرعات المقال العلمي حسب نموذج «إمْرَاد» والشروحات المقابلة لها والمعلن عنها في الجدول (3)، بأن الدراسات التجريبية وهذا سواء في الاقتصاد أو علم النفس أو علوم التربية أو علم الاجتماع أو التربية الرياضية والبدنية أو غيرها من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، إمكانية تبني هذا النموذج بنجاح وفلاح. وهذا لوضوحه ولفعاليته في عكس سيرورة وخطوات البحوث التجريبية. لكن من الواضح أيضا، أنه من الضروري استخدام هيكلة أخرى في الأوراق العلمية التي تتصل بدراسات غير تجريبيه، وهي كثيرة نجدها خاصة في علم التاريخ والفلسفة والآثار وغيرها من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ترى ماذا عن هذه الهيكلة الثانية؟

4.2- النموذج الثاني لهيكلة الأوراق العلمية

إن النموذج الثاني لهيكلة الأوراق العلمية (أنظر الجدول. 4) يتناسب أكثر مع طبيعة البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولهذا نجد المؤلفين في تخصصات هذه العلوم يعتمدون كثيرا على هذا النموذج في كتابة أوراقهم. فهيكلة عرض المعرفة العلمية في هذا النموذج تكون أكثر مرونة من هيكلة «اِمْراد»، حيث يبرز الباحث فيها رسالته كمؤلف (موضوع الورقة وكيف تم تناول هذا الموضوع) ورسائل الآخرين، أي أين وصلت إليه المعرفة في الموضوع المدروس، مع مناقشة في الأخير وتسجيل لقائمة المراجع. إن المرونة في هذا النموذج تظهر في حرية المؤلف في هيكلة الورقة كما يتصور هو محاورها، وليس حسب محاور محددة سلفا مثل ما هو عليه الحال في نموذج «اِمْراد». والأكثر من ذلك يمكن للمؤلف إحداث تعديلات على الهيكلة الأولى التي بدأ بها الورقة، وهذا بناء على تطور تحليلاته للموضوع. إن الجدول (4) يقدم لنا معلومات أساسية حول هذا النموذج الثاني في كتابة الأوراق العلمية، مع تقديم شروحات مختصرة حول كل جزء.

يبدو واضحا من خلال المقارنة فيما بين هيكلة الورقة العلمية حسب نموذج «امراد» وحسب النموذج الثاني الأكثر مرونة (أنظر الجدولين،3 و 4)، أن طبيعة الاختلافات بينهما نجدها بالأساس في كيفية تقسيم حجم المعرفة الموجود فيما بين المقدمة والمناقشة. حيث أن الهيكلة في الأول محددة، أما في الثاني فإن المؤلف حر في تحديد فروعها حسب طبيعة الموضوع المعالج. ومهما يكن فإن النقطة التي يجب التركيز عليها، أنه في كلا الحالتين يجب أن يكون المقال العلمي مهيكلا ولا يُكتب بدون أية هيكلة ، فهذا يعتبر خطأ غير مقبول في المجلات المحكمة، لأنه عندما يكون غير مهيكل يصعب عملية التفرقة بين رسالة البحث وكيفية تناوله للموضوع ورسائل الأخرين.

الجدول (4)، اجزاء الورقة البحثية حسب النموذج المرن والأكثر استعمالا في العلوم الإنسانية

أقسام الورقة حسب النموذج المرن لكتابة الأوراق العلمية	سيرورة التساؤلات التي يمكن أن يطرحها المؤلف على نفسه	ملاحظات هامة
ملخص	- ماذا قُدّم في هذه الورقة باختصار كبير؟	يجب التركيز في كتابة الملخص على ذكر موضوع البحث وأهدافه وتناوله وما هو الجديد الذي سيُقدم في الورقة. - يُكتب الملخص في العادة بعد الانتهاء من اعداد الورقة البحثية
مقدمة	- ما هو موضوع البحث المطروح في هذه الورقة وطبيعة الأهداف المراد الوصول إليها والتناول المستخدم في معاجلة الموضوع.	- تتضمن المقدمة موضوع الورقة وأهدافها وطبيعة التناول المعتمد؛ ولماذا هذه الورقة تعتبر هامة أو فريدة من نوعها.

- عنوان رئيسي أول 1-عنوان فرعي أول 2-عنوان فرعي ثاني	من المهم جدا العمل على تقسيم حجم الورقة إلى عدة أجزاء، اي عناوين رئيسية و عناوين فرعية وهذا بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة (هذه الخطوة تتطلب وقتاً وجهداً كبيرين). - يجب أن يكون هناك ارتباطات جد منطقية فيما بين هذه الفروع، حيث يمكن القارئ أن ينتقل من جزء إلى ثان وثالث، بدون أن يشعر أنه انتقل إلى موضوع آخر أو أن هذه الفروع هي عبارة عن أجزاء منفصلة. - وفي كثير من الأحيان تتطلب الفروع الرئيسية أو بعضها هي الأخرى التقسيم إلى فروع ثانوية أخرى، وهذا من أجل تقديم المعرفة المراد عرضها في هذه الفروع، بصورة جد واضحة و سهلة الفهم والاستيعاب. - وبطبيعة الحال هناك فروع رئيسة أخرى لا تقبل التفريع وهذا لأن جسم المعرفة المحصور بها لا يقبل التجزئة . - أثناء عرض وتحليل المعرفة في كل فرع، من المفيد تبيان الإضافات الخاصة بهذه الورقة، وإن كان من الأحسن أحيانا توضيح هذا الجانب الجديد والتركيز عليه في المناقشة.
- عنوان رئيسي ثاني 1-عنوان فرعي أول 2-عنوان فرعي ثاني	- يمكن تقديم نفس الملاحظات المسجلة أعلاه، فيما يخص العنوان الرئيسي الثاني وفروعه الثانوية والعنوان الرئيسي الثالث إذا كان موجودا، وهكذا.

مناقشة	ماذا يعني العرض والتحليل المقدم في هذه الورقة؟ وما هو الشيء الذي يمكن اعتباره جديد والذي سيقدم في هذه الورقة؟	- من المفيد إبراز اهم النقاط التي تم تناولها بالعرض والتحليل وأهم النقاط التي تم التوصل إليها. - من المهم التركيز في المناقشة على الجوانب التي يمكن اعتبارها معرفة جديدة، أو معرفة تم تأكيدها أو تبيانها أو التّوصل إليها في هذه الورقة.
تشكرات (اختيارية)	- من ساعد في إعداد هذه الورقة؟	- نفس الملاحظات المعلن عنها في الجدول.3
المراجع المعتمد عليها	- ما هي المراجع المعتمد عليها في كتابة هذه الورقة؟	-- نفس الملاحظات المعلن عنها في الجدول.3
الملاحق (اختيارية)	- ما هي المعلومات الإضافية التي يمكن إدراجها كملاحق في هذه الورقة؟	- نفس الملاحظات المعلن عنها في الجدول.3

5- كيف ننتهي من كتابة الورقة العلمية؟

إن الانتهاء من كتابة ورقة علمية قد يأخذ عدة شهور بل أحيانا عدة سنوات، وهذا إذا أخدنا بعين الاعتبار عملية التقييم والمراجعات التي قد تطلبها المجلة المحكمة، التي أرسلت إليها الورقة من أجل النشر. ولهذا من المفيد تبني عدة استراتيجيات لتجاوز بنجاح محطات وتعقيدات وإحباطات الكتابة العلمية في مجلات محكمة .

يوجد العديد من الاستراتيجيات التي يمكن اعتمادها من أجل الانتهاء بنجاح من كتابة ورقة علمية بهدف النشر في مجلة محكمة (بوسنه 2015)، ويمكن ذكر بعضها فيما يلي:

5-1-تقديم مشروع الورقة قبل الانتهاء من كتابتها، في ملتقى وطني أو دولي: فمن المفيد أن نفكر في تقديم مداخلة في ملتقى علمي، تكون مأخوذة من النسخة الأولى من الورقة وهذا رغم عدم الانتهاء بعد من كتابة هذه الأخيرة. وذلك لأن تحضير مجموعة من البطاقات الفنية - باور بوينت Powerpoint، لا يتطلب الكثير من الجهد، لأن المحتوى المعرفي يكون جاهزاً (النسخة الأولى من الورقة) من جهة، ومن جهة أخرى قد تؤدي عملية عرض محتوى هذه البطاقات أمام باحثين آخرين، إلى نقاش يفيد في لفت الانتباه إلى نقاط لم يتم أخذها بعين الاعتبار في معالجتك للموضوع. وبالتالي ستساعدك الملاحظات التي سيتم تسجيلها اثناء مجريات النقاش حول مداخلتك في إثراء الورقة.

5-2-**القيام بالعديد من المراجعات:** يجب الانتباه الى أنه رغم المجهود الكبير المبذول من أجل إعداد الورقة في صورتها شبه النهائية، والتي قد تكون صالحة للعرض في لقاء علمي فإن العمل في حقيقته لم ينته بعد. وعمليا يمكن القول بأن كتابة مقال علمي للنشر ، في دورية محكمة يكون في حاجة إلى تعديلات متواصلة لنسخته الأولى، خاصة إذا كانت الورقة يشارك في إعدادها اكثر من مؤلف، قد تصل إلى عشر نسخ أو أكثر.

5-3-مراجعة العمل النهائي بصورة نقدية: عندما تنجز ما يمكن اعتباره من وجهة نظرك النسخة النهائية، من الأحسن أن تطلب من زميل أو أكثر يهتم بالموضوع قراءة النسخة وتسجيل مختلف الملاحظات سواء كانت بسيطة (أخطاء مطبعية) أو متصلة بنوعية العرض والتحليل.

وهكذا، فإن اللجوء إلى استخدام مثل هذه الاستراتيجيات سيساعدنا على ضبط مختلف أجزاء الورقة بصورة أحسن، وبالتالي سترتفع القيمة العلمية للورقة في أعيننا، ونكون مستعدين أكثر لإرسالها إلى المجلة المختارة لكي تمر بثبات في سيرورة التحكيم من أجل النشر.

6- ماذا عن كيفية كتابة الهوامش والمراجع؟

فيما يخص هذه النقطة، يجب الإشارة من البداية إلى أن المؤلف مسؤول أخلاقيا وجزائيا على تقديم المعلومات البيوغرافية اللازمة فيما يخص كل المراجع التي أعتمد عليها في كتابة ورقته، في نهاية الورقة وليس بعضها فقط. وذلك لأن الإعداد الجيد لقائمة المراجع، يكسب المؤلف قدرا كبيرا من الاحترام لدى زملائه الباحثين، وثقة عالية

في نفسه نتيجة الحفاظ على الدقة والأخلاق العلمية. وقضية ذكر المراجع بصورة شاملة وصحيحة ليست قضية أخلاقية فقط وإنما قانونية أيضا، مثل ما أكد عليه أيمن عامر (2007)؛ حيث أشار إلى أن جهل البعض أو تجاهلهم أحيانا للطريقة المناسبة والصحيحة لتوثيق المراجع، قد تجعلهم في موضع المتهمين بعدم الأمانة العلمية بل حتى السرقة العلمية. فعندما يستعين مؤلف معين بورقة بحث منشورة حول نفس موضوع ورقته، أو بفكرة لغيره أخدها منه أثناء مناقشة علمية دارت بينهما، أو يقتبس معلومات أو فقرات من تقرير داخلي أنجز في إطار فرقة بحث، أو عبارات من بحث مكتبي غير منشور موجود في مكتبة الجامعة أو على النّت .... فإن تجاهل توثيق هذه المراجع، نتيجة الجهل بكيفية فعل ذلك أو التجاهل، يقلل من مصداقية الباحث أمام الآخرين، وقد يتحول الأمر إلى المقاضاة القانونية، إذا وصل الخبر إلى الوصايات أو وسائل الإعلام .
وهكذا تعتبر المراجع جزءا هاما من أجزاء الورقة العلمية، خاصة أنها أساس مبدأ التراكم المعرفي في البحث العلمي. فكل بحث جديد يكون بالضرورة مبنياً على البحوث السابقة. إن المراجع تمثل فعلا الجسر الممدود بين الباحثين من مختلف الجنسيات ومختلف المراحل الزمنية. مع العلم أن هذا الجسر هو الذي يسمح بتواصل مستمر بين هؤلاء الباحثين، وبالتالي إحداث تراكم معرفي غير متقطع ومفيد لجميع الأمم. لكن يجب الانتباه إلى أن الأمر مختلف فيما يخص الهوامش، فهذه الأخيرة ليست أساسية وهذا مثل ما يدل عليه معناها اللغوي، إذ يمكن كتابة أوراق علمية جيدة بدون هوامش وهذا عكس المراجع. ولهذا يجب عدم الخلط بين الاثنين عند كتابة الأورق العلمية، لأن هذا تقليل من قيمة فضل الباحثين السابقين عليك في كتابة ورقتك وإنقاص من قيمة المراجع. فالهوامش من المفروض، أن ترقم من 1 إلى (ن) وتأتي في المتن بأسفل الصفحات التي ذكرت بها الهوامش، ومن الأحسن عدم الإكثار منها.
و قبل أن نعرض طريقة التوثيق التي نادت بوجوب استخدامها المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مختلف المجلات العلمية الجزائرية، لتوحيد طريقة عرض المراجع من جهة ولكي نتماشى مع ما هو معتمد في النشر العلمي عالميا من جهة أخرى. من المهم الإشارة إلى أن طريقة كتابة المراجع في المجلات الجزائرية خاصة في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، مازالت تطرح العديد من المشاكل. ولهذا من المفروض الاهتمام بهذا الموضوع وتقديم الشروحات اللازمة حول المراجع وأهميتها وطرق كتابتها،

خاصة للباحثين المبتدئين في مخابرهم ومراكز البحث، وهذا حتى نصل إلى توحيد طريقة عرض وكتابة المراجع وإدراك أهميتها من طرف الجميع.

إن الطريقة المستخدمة من طرف المجتمعات العلمية عالميا في عرض المراجع، وهذا ما عدا بعض الدول الأوروبية الناطقة بالفرنسية، هي معايير النشر والنشر العلمي للجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA). وفيما يلي نقدم مجموعة من المصادر يمكن الرجوع إليها للإحاطة بدقائق هذه المعايير.

والجدير بالذكر، هو أن أغلبية المجلات المحكمة تشرح بنوع من التفصيل في قواعدها للنشر، كيفية عرض المراجع، مثلا أنظر في البوابة الجزائرية للمجلات العلمية قواعد نشر مجلة مصادر: تاريخ الجزائر المعاصر.

1-Traduction des principales normes éditoriales de l'APA:
URL : http://www.tradscium.com/consignes-APA.html#sujets

2-American Psychological Association (2001). Publication Manual of the American Psychological Association. (5e éd.). Washington, DC

3- Adaptation en français des principales normes de publication de l'APA:
URL : http://www.unites.uqam.ca/grem/colloque/documents/NORMES_APA.pdf

7- ماذا عن ردود المجلات المحكمة؟

يوجد هناك أربع حالات ممكنة من ردود المجلات المحكمة وهي كما يلي:

- الحالة المتميزة (قبول المقال كما هو، بدون طلب أي تعديل يذكر)
- الحالة العادية (قبول المقال بعد القيام بتعديلات خفيفة)؛
- الحالة المتوسطة (قبول المقال بعد القيام بتعديلات جوهرية)؛
- - الحالة القاسية (رفض المقال للنشر، لنقائص تعتبر جوهرية، تتصل بالموضوع أو المنهجية أو التحليل....).

يجب أخذ بجدية كل الملاحظات المقدمة من طرف المحكمين في الحالتين الثانية والثالثة، والعمل على تقديم الاستجابة المناسبة لها، وذلك بهدف الرفع من احتمالية نشر المقال. وفي الحالة القاسية من المفيد القيام بتعديلات مناسبة لأسباب رفض المقال، ثم العمل على تقديمه إلى دورية محكمة أخرى. وفي هذا الإطار يمكننا أن نشير إلى أنه حتى فيما يخص الأوراق التي رفض نشرها من طرف المجلات العلمية **العالمية** المحكمة، نجد

العديد منها تُنشر فيما بعد في مجلات علمية أخرى، قد تكون من نفس مستوى معامل التأثير أو من مستوى أقل، وهذا بعد إدخال التعديلات والتحسينات اللازمة.

8- ماذا عن أهم مميزات الكتابة العلمية الجيدة؟

عندما تكتب ورقة علمية، من المفروض أن يكون العمل قائماً على احترام العديد من القواعد التي تؤدي إلى كتابة علمية جيدة وهذا من مختلف الجوانب (اللغة والأسلوب والمحتوى). وفيما يلي نذكر قائمة من القواعد تفيد المؤلفين في الوصول إلى هذا النوع من الكتابة، وسنذكر فيما بعد قائمة أخرى تخبرنا ببعض الأخطاء الشائعة في كتابة الأوراق العلمية والتي يجب الابتعاد عنها. إن هاتين القائمتين تم تسجيلهما بناء على دراسات سابقة للموضوع، حيث تم فيها مراجعة العديد من مقالات المجلات المحكمة الجزائرية والعديد من الرسائل الجامعية، (بوسنه، 2015).

وفيما يلي نذكر مجموعة من القواعد التي من المفيد احترامها عندما نشرع في كتابة ورقة علمية، وأخذها بعين الاعتبار في مختلف المراجعات التي نقوم بها، قبل الوصول إلى النسخة النهائية للورقة. فوضعها نصب أعيننا في كل المراجعات يمكننا من ضمان الوصول إلى منتوج علمي راق.

- يجب الكتابة بدون أخطاء لغوية أو مطبعية. تعتبر الأخطاء اللغوية أو المطبعية من النقائص التي تشوه قيمة الأوراق العلمية وقد تؤدي إلى رفضها،
- يجب استخدام أسلوب لغوي واضح. إن أحسن الجمل في الكتابة العلمية هي الجمل القصيرة. مع العلم أنه في اللغة العربية، يستحسن تفضيل استخدام الجمل الفعلية في المقام الأول، لأنها أكثر قوة وفي الدرجة الثانية يمكن استخدام الجمل الاسمية، لكن من الأحسن الابتعاد عن الجمل الحرفية إلا في حالة الضرورة، وهذا لأنها تعتبر ركيكة؛
- يجب احترام قواعد التنقيط، واستخدامها بصورة مناسبة. حيث أنها ضرورية لتجزئة الفقرات وبالتالي لتسهيل عملية القراءة والفهم. إن الجمل الطويلة تؤدي في أغلب الأحيان إلى غموض، قد يشوش على فهم القراء، وبالتالي تضييع الرسالة المقصودة في هذا النوع من الكتابة؛
- يجب شرح مختلف المختصرات عند ما تستعملها لأول مرة ؛ ومن الأحسن عدم الإكثار منها،

- من المهم جدا التعبير بلغة واضحة، عن موضوع بحثك وعن الهدف المنشود منه والتناول المعتمد عليه في مقدمة الورقة، ومن المهم أن تكون مقدمة الورقة قوية من حيث اللغة والمحتوى، وأن تبرز فيها لماذا تعتبر ورقتك هذه أصلية وبالتالي من المفيد نشرها؛
- يجب الاعتماد فقط على الجمل التي لديها معنى واحد، فكلما تعددت المعاني للجمل أو الكلمات كلما ارتفع الغموض وضاع المقصود من النص. وبالتالي يجب أن نتذكر دائما بأننا، نكتب للآخرين وليس لأنفسنا وأننا نكتب ورقة علمية تتطلب الدقة والوضوح ولا تتحمل التأويل والضبابية في المحتوى؛
- يجب بدء الفقرات بجمل فعلية قوية، تكون قادرة على إبراز هوية كل فقرة وإعطاء كل واحدة منها صورة على أنها تشمل فكرة محددة ومتميزة عن الفقرات السابقة عنها أو اللاحقة بها ؛
- يجب الابتعاد عن الاطناب؛ فالإطناب عدو الكتابة العلمية، حيث يفقدها خاصيتي الدقة والموضوعية اللازمتين في هذا النوع من الكتابة؛
- من المفيد عند الانتهاء من إعداد النسخة النهائية أن نبحث عن تغذية راجعة من الباحثين المهتمين بالموضوع وحتى من أساتذة باحثين مختصين في اللغة

9- ماذا عن أهم الأخطاء الشائعة في كتابة الأوراق العلمية

نقدم فيما يلي قائمة من الأخطاء الشائعة الممكن ملاحظتها في بعض المنتوجات العلمية، والتي تنقص من قيمتها ومن قيمة المجلات التي نشرت مثل هذا النوع من المنتوجات غير الدقيقة. ومن أجل تفادي مثل هذه الأخطاء، من المهم عدم التسرع في الانتهاء من إعداد النسخة النهائية من الأوراق العلمية التي نكتبها، حتى لا نقع في مثل هذه الأخطاء والتي نسجل أهمها فيما يلي:

1- مراجع مذكورة في النص وغير موجودة في قائمة المراجع
2-سب فكرة الى غير أصحابها،
3-كتابة فقرات طويلة وبدون تنقيط
4-تقديم أشكال بدون تعريف وغير منظمة،
5-تقديم جداول بدون تعريف وغير منظمة،

6-كتابة عنوان المقال بصورة غير دقيقة، بحيث يميل بعض المؤلفين بقصد أو بغير قصد إلى تبني عناوين كبيرة من حيث المعنى، حيث تتجاوز محتوى المقال. إن مثل هذه الملاحظة تضر بالورقة وبالمؤلف وتنقص من قيمة مدى جدية ودقة العمل البحثي،
7- إرسال الورقة بدون تصحيح الأخطاء اللغوية والمطبعية.
وتجدر الإشارة إلى أن الأسباب المؤدية إلى رفض مشاريع الأوراق العلمية المرسلة للنشر في مجلات محكمة متعددة؛ ويمكننا هنا أن ننبه بأن أهمها يعود بالدرجة الأولى، إلى عامل عدم أصلية البحث وعدم جدارته من الناحية العلمية أي من حيث قيمة وقوة المعطيات والمناقشة المقدمة في الورقة، وبالدرجة الثانية إلى عامل عدم احترام قواعد الكتابة العلمية الجيدة وقواعد النشر المعلن عنها للباحثين. وبالإضافة إلى ذلك يوجد هناك مجموعة من القضايا ذات طبيعة أخلاقية يمكن ملاحظتها في بعض الأواق العلمية، أشار إليها العديد من الباحثين، نذكر منهم على سبيل المثال (Kaminskii 2012) . مع العلم أن هذه القضايا هي أخطر من الأخطاء المذكورة أعلاه؛ نحذر من بعضها فيما يلي: تلفيق البيانات، النشر المكرر، السرقة العلمية، سوء استخدام الإحصاءات، والتلاعب في الصور والأشكال، كتابة اقتباسات كاذبة ... ويتوقف على رؤساء التحرير الحفاظ على مستوى عال من اليقظة و المراجعات والتدقيق المستمر لكل ما ينشر في المجلات التي يشرفون عليها، وهذا من أجل إيقاف مثل هذه السلوكات غير المقبولة وغير الأخلاقية.

خاتمة

إن الكتابة العلمية المطلوبة تتطلب من المؤلفين الاستجابة إلى أسلوب وقواعد فنية خاصة. إذ أن احترام هذه القواعد يسمح بتقديم مخطوط علمي متميز من حيث الدقة والوضوح والموضوعية في كلماته وجمله وفقراته. أما إذا كانت نوعية الكتابة في أي مخطوط، تتميز بالغموض والذاتية والتأويلات المتعددة لكلماتها وجملها وفقراتها، فهي كل شيء إلا أن تكون من نوع الكتابة العلمية.
والورقة العلمية تهدف بصورة عامة إلى نقل المعلومات في لوحة مهيكلة ومنظمة، وهذا حسب نموذج « إمراد « أو نموذج ثان يكون متكيفاً مع طبيعة المعرفة المراد توصيلها في الورقة المزمع نشرها في مجلة علمية محكمة. وفي حالة ما إذا كانت الورقة غير مهيكلة، فهي تقترب أكثر من المقالات الصحفية، وتبتعد بطبيعة الحال من ما هو مطلوب في الكتابة العلمية عموما وفي الأوراق العلمية التي يمكن أن تُقبل للنشر في مجلات علمية محكمة.

ومن أجل وضع عملية تحليل النتائج أو المعطيات الجديدة المراد تقديمها في ورقة مزمع نشرها في المنظور الصحيح، من المهم مناقشتها في إطار المعرفة الموثقة في الدراسات السابقة حول الموضوع المدروس، وهذا لإبراز أوجه التشابه و/أو الاختلاف. فالبحث العلمي تراكم مستمر، حيث يبنى جديده بالضرورة على ما تم التوصل إليه سابقا.
ومن المفيد في نهاية الورقة أن نعبرعن حدود العمل البحثي المقدم من جهة وأن نفتح آفاق لمواصلة البحث حول نفس الموضوع من جهة أخرى.

المراجع

1- أيمن عامر.(2007) ، قواعد توثيق المراجع وفقا لشروط النشرلجمعية علم النفس الأمريكية، المراجعة الخامسة. دراسات نفسية، المجلد 17 العدد الثالث . القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية ، رانم.
2- بوسنه محمود. (2015). ماذا عن الأخطاء الشائعة في كتابة الرسائل الجامعية والأوراق العلمية في علم النفس وعلوم التربية؟ منشورات ندوة دولية حول: الأخطاء المنهجية الشائعة في بحوث علم النفس وعلوم التربية، تنظيم مخبرعلم النفس وجودة الحياة، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة ، الجزائر.
3- بوسنه محمود. (2015). الدوريات العلمية في الجزائر: من الاعتراف المحلي إلى الاعتراف العالمي. ندوة جهوية بجامعة قسنطينة 2 حول «الدويات العلمية بالجزائر». تنظيم: المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي. يومي 11-12 مارس. الجزائر.

1- Gustavii. Bjorn. (2008). How to write and Illustrate a Scientific Paper. UK: CambridgeUniversity Press, second edition.
2- House of Commons, Science and Technology Committee. (2011). Peer review in scientific publications. Eighth Report of Session 2010–12. Published by the House of Commons, London.
3- Kaminskii, Alexender. (2012). Singapore statement on Research Integrity. Phys. Status Solidi A **209**, No. 1, 3 / **DOI** 10.1002/ pssa.201221902
4- Mahoney Michael J. **(**1979 **) .** Psychology of the Scientist: An Evaluative Review . Social Studies of Science Vol. 9, No. 3. Published by: Sage Publications, Ltd.
5- Rosenfeldt Franklin L, et all . (2000) . How to Write a Paper for Publication. Heart, Lung and Circulation N°9. Melbourne,Australia. URL : https://pdfs.semanticscholar.org/d65f/fd4e388028f7b5e6e047dac69bab9de16c83.pdf Accessed in the 5 of novembre 2019.

6- Singer, Adam J. and Hollander Judd E. (2009). How to write a manuscript. The Journal of Emergency Medicine, Vol. 36, No. 1 Elsevier Inc.
7- The United Kingdom Parliament. (2004). The origin of the scientific journal and the process of peer review. URL: http:// eprints.soton.ac.uk/263105/1/399we23.htm. Accessed on the 25 of November, 2019.

ثانيا: كتابات للتأريخ للحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

تهتم مجلة «**مصادر: تاريخ الجزائر المعاصر**» في صورتها الجديدة، بنشر كتابات تأريخية الهدف منها تقديم معلومات موضوعية موثقة حول العديد من القضايا الهامة منها ما يلي:

- بروفيل شخصيات تاريخية لعبت أدوار هامة في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر،

- وثائق أساسية صدرت فيما بين 1830-1962،

- شهادات أصلية،

- تقارير حول لقاءات علمية متصلة بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، نظمها المركز أو مؤسسات علمية أخرى.

أ - شخصيات تاريخية هامة

بروفيل محمد العربي بن مهيدي (1923-1957)

د. بن عبد المومن إبراهيم
جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي، الجزائر
djebli1990@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/12/23 تاريخ القبول: 2020/01/01

تمهيد

« لو نجّحنا الله في مدة ثلاثة أشهر، مثل ما توجد الشمس في السماء يوجد الاستقلال في الجزائر»، هكذا خاطب محمد العربي بن مهيدي محفزا زملاءه في الجهاد ليلة أول نوفمبر 1954وهم يستعدون لتنفيذ عملية حرق الفلين بغابة احفير-صبرة بالمنطقة التاريخية الخامسة(وهران)، هذا الرجل الذي مهما كتبنا عنه لن نوفيه حق قدره، لذلك سنحاول في هذا البروفايل أن نستعرض أهم المحطات الكبرى التي عايشها الشهيد الركز، فيا ترى من هو العربي بن مهيدي؟ وما هو الدور الذي لعبه لصالح الثورة والقضية الجزائرية في الداخل والخارج؟

1-ترجمة لشخصية محمد العربي بن مهيدي

هو ابن عبد الرحمن بن مسعود وعائشة قاضي بنت حمو، من مواليد سنة 1923، بمشتة حدادة، بدوار الكواهي، الذي يبعد عن عين مليلة ب 10 كلم (دائرة تابعة لولاية أم البواقي حاليا) من عائلة علمية (بلدية عين مليلة-أم البواقي، 2004، صفحة 04) ، كان والده يمارس تجارة التبغ منذ عام 1929، واستطاع انشاء مصنع صغير في الخروب (دائرة تابعة لولاية قسنطينة حاليا)، لكنه تعرض للمضايقات من طرف الإدارة الفرنسية مما اضطره إلى غلق المصنع، وأرغم الوالد على الانتقال إلى بسكرة عام 1937 ليشتغل في تجارة التمور هناك (السبتي، 2004، الصفحات 63-60)، دخل العربي بن مهيدي منذ صغره إلى الكتاب وزاوية عائلة ابن مهيدي بالكواهي، فتعلم القراءة والكتابة، وأجزاء من القرآن الكريم، ثم دخل بعدها إلى المدرسة الابتدائية بعين مليلة، ثم انتقل إلى باتنة عند خاله قاضي السعيد، ليتابع دروسه بالمتوسطة الفرنسية le collège coloniale de Batna ، وقد تحصل على الشهادة الابتدائية بدرجة امتياز، ونظرا للظروف الصعبة انتقل والده

إلى بسكرة ، وهناك واصل العربي بن مهيدي دراسته ببسكرة ب école de Lavigerie ودرس هناك اللغتين الفرنسية والعربية (سليمان، 1990، الصفحات 18-17). وقد درس ابن مهيدي في بسكرة على يد الشيخ علي مرحوم في بيته سنة 1942، كما التحق بمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسست سنة 1943، فواظب على دروسها· واحتك بعديد العلماء والمشايخ فيها، على غرار محمد العابد السماتي الجيلالي (مرحوم، 1976، صفحة 12).

2-نشاطه في الكشافة والمسرح والرياضة

استطاع العربي بن مهيدي أن ينخرط في فوج الرجاء الكشفي سنة 1941 ببسكرة، كما كوّن فرقة مسرحية هناك، وقدمت هذه الفرقة عدة مسرحيات على ركح الخشبة مثل: مسرحية بعنوان «في سبيل التاج» سنة 1944 كلفته خلافا بينه وبين شرطي خاصة لما كان ابن مهيدي قد تقمص الدور بشكل جيد، مما سبب له مضايقات فيما بعد، منعته من السفر مع فرقته للمدن الأخرى لأداء المسرحية (بلدية عين مليلة-أم البواقي، 2004، صفحة 7).كان العربي بن مهيدي من المهتمين كثيرا بالرياضة حيث كان يقوم بممارسة العدو، وانضم أيضا إلى فريق كرة القدم الذي تأسس باسم الاتحاد الرياضي البسكري ، كما نجده مع كل هذا محبا للسينما ومشاهدة الأفلام السياسية والتاريخية، وذو مقروئية واسعة، يطالع الكتب والجرائد، وكان حسب روايات مقربين منه متأثرا بكتاب القائد البربري «تاكفاريناس» الذي قاوم الرومان في شمال افريقيا، ولعل كل هذا ساهم في صقل شخصيته وتنمية روح الوطنية لديه (السبتي، 2004، صفحة 97).

3-نشاطه المهني

ساهم التعليم والتكوين الذي تلقاه ابن مهيدي خلال مساره في تحصله على منصب عمل، حيث اشتغل كمحاسب في مصلحة التموين في ثكنة عسكرية تابعة للجيش الفرنسي لعدة أشهر، واستطاع أن يختلس فيها مسدسين دون أن يشعر به أحد، وبالرغم من أن الشكوك كانت تحوم حوله إلا أنه لم يكتشف (عباس، 2003، صفحة 77)، وقدم استقالته من المنصب بعدها، وعاد إلى بسكرة ليعمل مع يهودي اسمه»ميشال تويتو» في التجارة، لكن ما لبث أن ترك العمل، ليشتري لنفسه عربة تقليدية ويقوم بنقل البضائع القادمة من وإلى السكة الحديدية وايصالها لأصحابها، وقد زاوج في ذلك بين العمل المهني والعمل السياسي (السبتي، 2004، صفحة 81).

4- نشاطه السياسي

نظرا لقدراته الكبيرة على التنظيم والتسيير كلف من طرف أحمد الشريف سعدان للقيام بمهمة الكاتب المداوم لفرع حركة أحباب البيان والحرية ببسكرة (مرحوم، 1976، صفحة 14)، وقد عمل ابن مهيدي بكل تفان على تعليم وتثقيف المنخرطين الجدد في الحركة، ولأن منطقة الشرق الجزائري عرفت هزة قوية سرعان ما تحولت إلى مجازر في مظاهرات ماي 1945، فإن العربي بن مهيدي كان أحد المشاركين فيها، فأوكلت له مهمّة رفع العلم الجزائري والسير به في الصفوف الأولى، وعقب المشادات بين المتظاهرين والشرطة تم اعتقاله من طرف البوليس بصفته أحد أعضاء قسمة بسكرة وواحداً من أبرز مناضلي حركة أحباب البيان والحرية، تعرض للاستنطاق والتعذيب بتهمة التظاهر ورفع العلم، بحيث قضى واحدا وعشرين يوما بمركز الشرطة ببسكرة، امتنع فيها عن الأكل متأثرا بما حصل وذلك حسبما روى زميله المجاهد الذي اعتقل معه محمد عصامي (السبتي، 2004، الصفحات 96-95).

5-نشاطه في حزب الشعب الجزائري والمنظمة الخاصة

قضى العربي بن مهيدي مدة في السجن (عباس، 2003، صفحة 77)، و قد تأثر بالفترة التي قضاها هناك، وتشبع أكثر بالروح الوطنية خاصة بعدما رأى المجازر التي طالت الجزائريين الأبرياء شهر مايو 1945. بعد تأسيس المنظمة الخاصة سنة 1947 وقع الاختيار مباشرة على العربي بن مهيدي باقتراح من محمد عصامي مسؤول خلية حزب الشعب الجزائري-حركة الانتصار بمدينة بسكرة، ومنها بدأ نشاطه بربط علاقاته واتصالاته بتجار الأسلحة بوادي سوف على الحدود الجزائرية التونسية، واستطاع شراء بعض الأسلحة زود بها مصطفى بن بولعيد ليتم تخزينها في الأوراس ، ونظرا لكفاءة ابن مهيدي ميدانيا استدعي إلى سطيف عام 1949 ليتولى مهمة الإشراف على المنظمة الخاصة بها، ثم عين بعد ذلك نائبا لبوضياف مسؤول المنظمة على عمالة قسنطينة وقد زاوج بين النشاط في قسنطينة وسطيف في نفس الفترة (السبتي، 2004، الصفحات 102-101)-(عودة، 1982، صفحة 64).

أسندت له بعد ذلك مهمة الإشراف على التنظيم بناحية الشرق الجزائري خلفا لمحمد بوضياف، وقد نشط كثيرا من أجل تأسيس الخلايا في عنابة وقسنطينة إلى غاية اكتشاف المنظمة الخاصة في 18 مارس 1950 بتبسة فيما عرف بقضية عبد القادر خياري المدعو رحيم، وحسب المصادر التاريخية فإن ابن مهيدي هو من أرسل بعض المناضلين وعلى

رأسهم مراد ديدوش لتأديب خياري (عودة، 1982، صفحة 64)، ولما تعرض للضرب والإهانة استطاع الفرار من قبضتهم واتصل بالشرطة وكشف سر المنظمة وبالتالي كشف كل شيء، وقد شنت قوات الأمن الفرنسي والمخابرات سلسلة اعتقالات موسعة شملت حوالي 400 شخص مشتبه في أنهم أعضاء في المنظمة في الشرق والغرب (السبتي، 2004، الصفحات 104-102)، لكن من حسن حظ العربي بن مهيدي أن الأوراس وبعض خلايا الشرق لم تكتشف وقد فر على اثرها إلى الغرب الجزائري متخفيا وبقي هناك، وقد حكم عليه غيابيا بعشر سنوات سجن مع حرمانه من الحقوق المدنية (مرحوم، 1976، صفحة 15).

6- نشاطه في الغرب الجزائري والتحضير لاندلاع الثورة التحريرية (1950-1954)

راح ابن مهيدي يجول في عدة نواحي من العمالة متخفيا هنا وهناك لا يعرفه أحد ، قبل أن تعينه قيادة الحزب مرة أخرى لتولي بعض المناصب، فعمل في منصب رئيس دائرة لحزب الشعب(حركة الانتصار) بمستغانم، ثم بوهران، وعين تموشنت، وتلمسان ونواحيها، واستطاع أن يلتقي هناك بأحمد زبانة، والحاج بن علا وعديد المناضلين، وقد زار ابن مهيدي في هذه الفترة أيضا عدة مناطق على الحدود الجزائرية المغربية كمغنية، وصبرة، وبني بوسعيد، وبني سنوس، والغزوات، ومسيردة وجبالة وغيرها، كما ربط علاقاته بمسيري الحزب في هذه المناطق من أمثال « محمد سابق ولد حامد»، «محمد بلكبير»،»قديري حسين»...الخ، لكن العربي بن مهيدي ظل مراقبا من طرف المخابرات الفرنسية على أنه في الغرب الجزائري وبالضبط في وهران حسب ما أورده أحد التقارير:»... بعد تفكيك هذه المنظمة السرية تمكن من الفرار المدعو عبد الحفيظ بوصوف، وقد تم التبليغ من قبل مصالحنا الاستخباراتية عن تواجده هو والمدعوان العربي بن مهيدي وبن عبد المالك رمضان في منطقة وهران، وهم غير معروفين بهذه المنطقة حيث يقومون بعملية استكشاف للميدان...» (général, 1956-1957, p. 5).

-نشاطه في معسكر:

حسب شهادة المجاهد علي الشريف فإن ابن مهيدي كان على اتصال بعمار محمد المدعو دادي، ويضيف بأنه عرف الشهيد البطل في مارس 1952، عندما كان طالبا داخليا بثانوية بمعسكر، حيث تم تكوين خلية تتألف من ثلاثة أعضاء، يقودها عبد الدايم محمد وتضم كلا من الراحل أحمد مدغري والمجاهد علي الشريف، حيث كان يجتمع

معهم كل شهرين، وطلب منهم الانتشار بشكل موسع عبر أرياف المنطقة، التي شهدت عدة عمليات فدائية)الشريف(2017 ،.

-نشاطه في عين تموشنت:

كان ابن مهيدي يتردد على عين تموشنت للقاء المناضلين، وذات يوم بينما هو يتجول مع رابح بيطاط في مهمة لمراقبة خلايا الحزب تم الاشتباه فيهما بعدما نزلا من الحافة في عين تموشنت (بوضياف، 2011، صفحة 33)، أوقفا بعد ذلك من طرف الشرطة واقتيدا إلى المركز للتحقق من الهوية، ومن حسن الحظ أنهما تحايلا على الشرطيين المكلفين بهذا التحقيق واستطاعا أن ينسحبا من المقرّ بهدوء بعد انشغال الشرطيين بالتحقق من الهويات في قاعة الوثائق الخاصة بذلك، وبعد التدقيق في هويتهما حدثت بلبلة في مقر الأمن، فقد اختفى المشبوهان، وخرجت دوريات للبحث عنهما، فبن مهيدي ومعه بيطاط كانت لهما بطاقات حقيقية وهويات مزورة صادرة من طرف المصالح المتخصصة للحزب، وقد استطاعا الإفلات بأعجوبة، وقد عاد بعدها محمد العربي بن مهيدي إلى الجزائر العاصمة وبقي هناك لمدة بدون تكليف (كشيدة، 2010، الصفحات -173-172 190-191).

-نشاطه في مدينة سيدي بلعباس:

إن إعادة تشكيل قواعد الحزب مست رؤساء الدوائر، وعلى إثرها حول ابن مهيدي من العاصمة إلى الغرب الجزائري مجددا وبالضبط إلى مدينة سيدي بلعباس هذه المرة (كشيدة، 2010، صفحة 173)، ولقد كان يتردد في مدينة سيدي بلعباس على أحد محلات أحد أقربائه الذين كانوا يبيعون التمر، وكان على اتصالات بالعربي طيبي وعابد صحرواي (الشريف، 2017).

-نشاطه في وهران:

أصبح الحاج بن علاّ منذ سنة 1953 أمين مال حزب حركة الانتصار بقسمة وهران، ولأن العربي بن مهيدي كان في نفس المدينة، دخل هذا الأخير في أحد الأيام إلى محل للحلاقة يعمل به المناضل «الحاج الغالي»، فانتبه إلى صورة معلقة في المحل لرجل يرتدي زيا عسكريا، فسأله: من هذا الشخص؟ وطلب ابن مهيدي من الحلاق أن يلتقي بصاحب الصورة ويتعرف عليه، التقى الرجلان ابن مهيدي وابن علاّ بعد ذلك، وتدارسا الأمور

وفهما من بعضهما البعض ميولهما الثورية الكبيرة في ظل الأزمة التي كان يمر بها الحزب، وقد سأله الحاج بن علا يومها عن السلاح، وأجابه ابن مهيدي بأن السلاح متوفر وقد أصبح بن علاّ بعدها نائبا لبن مهيدي وأحد أبرز القادة الذين سيحضرون لتفجير الثورة في العمالة الوهرانية (المنطقة الخامسة) مع كل من بن عبد المالك رمضان، عبد الحفيظ بوصوف، أحمد زبانة، محمد فرطاس وغيرهم (عباس، فرسان الحرية، 2003، صفحة 53).

كان ابن مهيدي كثير التردد على بيوت المناضلين ومقراتهم في هذه الفترة خاصة لإعادة شمل شتات المنظمة الخاصة، وفي هذا تشير إحدى التقارير المطولة للحكومة العامة في الجزائر بأن العربي بن مهيدي كان متواجدا بوهران بمكتب الدكتور محمد الصغير النقاش في اجتماع مع عدد من أعضاء المنظمة السرية، وكان حاضرا في هذا الاجتماع السري المقدم بوزيان المدعو بلحسن، وبركاني المدعو مراد، وسابق محند ولد حامد المدعو الفقيه، والشيخ ميمون المدعو بوعزة...» (général، 1957-1956، صفحة 6) ، وقد عمل ابن مهيدي في هذه الفترة بوهران على انشاء لجنة سماها» شبكة التعبئة والتوعية» ترأسها «غالي الجيلالي» الذي كان حلاقا بوهران، وعين بائع الخضر «بن عبو محمد» نائبا له، أما أمناء المال فقد كلف بالمهمة كل من:» الحبيب جلول بومدين»، و»عداد محمد»، وعين «امحمد مهامان» سكرتيرا، وقد كلف هؤلاء بجمع الأموال وجمع المتعاطفين، والبحث عن مخابئ وملاجئ (بوجلة، 2008، صفحة 65).

-نشاطه في مستغانم:

جاء العربي ابن مهيدي إلى مستغانم نهاية صيف 1954 في مهمة معينة وهي ربط الاتصال بمحمد بلكتروسي الذي كان مدرسا وخطيبا بمدرسة حزب الشعب الجزائري، وعرض عليه الخروج إلى مصر للقيام ببعض الأعمال لصالح الثورة الجزائرية، لكن الشيخ بلكتروسي قدم اعتذاراته عن هذه المهمة بسبب ارتباطه بمهمة التدريس في المدرسة التي كان يدرس بها أكثر من 500 طالب علم (بلخير، 2016، صفحة 46).

-نشاطه في الغزوات:

يروي المجاهد بعوش محمد أن أول لقاء جمعه ببن مهيدي بإحدى بيوت المناضلين، راح ابن مهيدي الذي كان يرافقه بوصوف يشرح أسباب الخلافات الواقعة في الحزب ونتائجه، فأوصى المناضلين بالحيادية التي تعتبر موقفا سياسيا في نظره تأسست من

خلاله اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وأن الثورة التحريرية المسلحة ستشمل كل أرجاء التراب الوطني، وستتمكن من تحقيق النصر بالسلاح، شرط أن يكون هناك تجاوب عميق بين قادة الثورة والجماهير الشعبية (بعوش،محمد، 2007، صفحة 54) ،ففي أحد الاجتماعات قال :»بأننا حياديون مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، وأن اختيارنا وضع المصلحة فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي دخل بالسلاح ولا يخرج إلا بالسلاح».

وفي نفس السياق يقول الرائد مستغانمي أحمد(السي رشيد) حول ترتيبات اندلاع الثورة: «منذ أن تولى مسؤولية المنطقة الغربية الأخ ابن مهيدي رحمه الله...بمساعدة الأخوين بوصوف والحاج بن علا بدأ العمل الجدي، وانضم الى صفوفهم مجموعة من المناضلين منهم السي عثمان رحمه الله وحسين قديري، وعند تقسيم العمل كلفنا نحن بالتدريب على مستوى الولاية(المنطقة) الخامسة كما نذكرها، وقد بدأ هذا الاعداد حوالي شهر أفريل 1954،ونجحنا في هذه العملية، وحصلنا على نتائج إيجابية، وكان الإخوان في ناحية الأوراس ينظمون خلاياهم من أربعة أشخاص، لهذا قلت في البداية أن بعض الكيفيات تختلف من جهة لأخرى، لأننا نحن في جهتنا ونظرا لطبيعة الأرض المكشوفة كنا نشكل الخلايا من عشرة جنود حسب النظام المعمول به في الجيش الفرنسي، وقد كونا نظاما عسكريا بأتم معنى الكلمة من مسيردة إلى الغزوات حتى الصحراء...» (رشيد)، 1982، صفحة 56).

-نشاطه في مغنية:

كان العربي بن مهيدي يتردد على مغنية سنة 1953 (سليمان، 1990، صفحة 36)، وكان يستقبله المجاهد علال الثعالبي الذي كان مدرسا بمدرسة حزب الشعب في مغنية، هو وبن عبد المالك رمضان، ويؤويهما هنالك (مقلاتي، 2016، صفحة 26).

-نشاطه في بني سنوس:

زار العربي بن مهيدي مناطق وقرى تلمسان مع عبد الحفيظ بوصوف، وفي سنة 1953 وأثناء زيارة تفتيشية لهما إلى تلمسان، التقيا بالسيد «امحمد بلعيد أكي» أو بلمكي ادريس والذي ينحدر من (بني سنوس) ويعمل فلاحا وبائعا للفحم، وقد اكتسب ثقة ابن مهيدي لطابع السرية الذي كان يمتازبه، بالإضافة الى دقة الملاحظة ومعرفته جيدا بالميدان،

والرجال، والمراكز الحساسة، ولقد ألقى عبد الحفيظ بوصوف على هذا الرجل اسم «بونوارة» أي الثعلب، لذلك أصبح رجلا يعتمد عليه ابن مهيدي وبعده بوصوف كثيرا في هذه المنطقة الحدودية)الدايم(42 .p ,2013 .،ولقد أورد تقرير استخباراتي آخر اسم ابن مهيدي ضمن قائمة متكونة من 17 شخصا من بينهم بن مهيدي وبوصوف، ووصف هذا التقرير أن هذه المجموعة تقوم بتحركات مهمة على مستوى جبال «الحجر الحومر» في مكان يسمى النخلة، وبأن هذه المجموعة تهدف لتزويد الداخل بالأسلحة (dumonit, p. 1).

وقد عقد العربي بن مهيدي اجتماعا يوم 15 أكتوبر 1954 أي قبل خمسة عشر يوما من اندلاع الثورة، في بيت المناضل قديري حسين بالخميس ببني سنوس، وجاء بن مهيدي برسالة مكتوبة من طرف أحمد بن بلة يوصي فيها هذا الأخير المناضلين بضرورة العناية به، والالتفاف حوله لتدارس كيفية اندلاع الثورة التحريرية المسلحة في الجهة الغربية وقد حضر هذا الاجتماع :قديري حسين، مختاري عبد القادر، بوقوبرن رمضان، الحنصالي(السايح ميسوم)، مستغانمي أحمد، بلخير بن صديق، شعبان الكرد، بوزيدي محمد(عقب الليل)، بوزيدي أحمد(السي أحمد)،الصايم عبد القادر «السي عيسى» (لحسن، 2010، صفحة 34).

-نشاطه في صبرة:

جاء العربي بن مهيدي الى صبرة في صيف 1954، وبدأ في تشكيل خلايا مختلفة عن التي كان قد شكلها قبله عبد الحفيظ بوصوف، فالخلايا جد سرية ولا يعرف أعضاء الخلايا بقية أعضاء الخلايا الأخرى، فحسب شهادة المجاهد أحمد الوهراني أحد رفاقه الأوائل، فإن ابن مهيدي درب الرجال على حرب العصابات، وقدم لنا دروسا جديدة لم نكن نعرفها من قبل، وقد أقبل المناضلون على هذه الدروس بحماس وقد بقينا على هذا المنوال إلى غاية بداية نوفمبر (الوهراني، 1983، صفحة 56)،وكانت هزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو من الوسائل التحفيزية التي كان يستعملها ابن مهيدي وباقي القادة من أجل شحذ الهمم وكسب مزيد من الرجال، وإلى غاية الأيام الأخيرة لم يكن المجاهدون يعملون بتاريخ الانطلاقة.

7- جتماعات جوان 1954 وتأسيس جبهة التحرير الوطني:

يقول محمد بوضياف للدكتور محمد قنطاري عن ميلاد جبهة وجيش التحرير الوطني للثورة الجزائرية تم التفكير فيهما من قبل بوضياف والعربي بن مهيدي أثناء استراحتهما ليلا بوادي كيس(مسيردة) على الحدود الجزائرية المغربية عندما كانا عائدين من الناظور بالريف المغربي وفي طريقهما للجزائر العاصمة لخوض اجتماع ال 22، وعند استراحتهما بواد مغنية قال محمد بوضياف للعربي بن مهيدي:» اذهب إلى بلدية مغنية لتسجيل ميلاد جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائرية» (قنطاري، 2001، صفحة 18).

لن نطيل أكثر كثيرا في سرد حيثيات اجتماع الاثنين وعشرين أو الواحد وعشرين والاجتماعات التي اعقبته، لأن كثيرا من الدراسات قد تناولتها بما فيها من كلام متضارب، فلجنة ال 22 التي انبثقت عنها لجنة الستة، ثم التسعة، والمعروف أنه في آخر اجتماع بتاريخ 23 أكتوبر 1954، تم تأسيس جبهة التحرير الوطني(FLN)، وحلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل(CRUA)، كما تم ضبط تقسيم المناطق (بوضياف، 2011، الصفحات 69-62)، وعين على إثرها محمد العربي بن مهيدي مسؤولا على المنطقة الخامسة(وهران) ينوبه كل من ابن عبد المالك رمضان، وعبد الحفيظ بوصوف، والحاج بن علا ومحمد فرطاس (بوضياف، 2011، صفحة 69)، وقد اتفق المجتمعون على أن تكون العمليات العسكرية شاملة لكل أنحاء البلاد (لحسن ز.، 2009، صفحة 66) ولذلك سيسعى العربي بن مهيدي لعقد لقاء بوهران يوم 30 أكتوبر 1954 من أجل التحضير النهائي لتفجير الثورة بالغرب الجزائري، وفي هذا يذكر تقرير فرنسي مطول عن النشاط الثوري في المنطقة الخامسة وجذوره الأولى متطرقا للاجتماعات التي كانت تجري بمدينة وهران: « بعد اجتماع بكلود صالومبي، الثلاثة إرهابيين الخطيرين جدا المدعوين: العربي بن مهيدي، عبد الحفيظ بوصوف، وبن عبد المالك رمضان رجعوا إلى وهران، اتصالاتهم جرت في مطعم ملك للمناضل أرزقي بوحويقع في شارع فيليب في وهران القريب من شاطوناف مقر مركز الشرطة الفرنسية، لكن هناك أيضا موقع ممر لبعض الكوادر والناشطين المطلوبين، يقع في ثكنة مونتورو محتل من طرف شخص يسمى عبد القادر صغير مغامر قديم في حرب الهند الصينة، أو أيضا في بيت المدعو صالح فيزي في مديوني...» (général، 1957-1956، صفحة 07).

8- العربي بن مهيدي قائد عملية حرق مركز الفرنان بأحفير-صبرة ليلة 1نوفمبر1954:
قال الراحل محمد بوضياف أنه قبيل إعلان الثورة لم تدخل قطعة سلاح واحدة، حتى أن المجاهدين في المنطقتين الرابعة والخامسة الذين كانوا ينتظرون وصول الأسلحة اضطروا إلى المشاركة في عمليات أول نوفمبر بحوالي 10 قطع في حالة سيئة، وكان العربي بن مهيدي مسؤول المنطقة لا يحمل من السلاح سوى مسدس قديم من طراز7,65 مم وليس معه من الذخيرة سوى رصاصتين (بوضياف، 2011، الصفحات 59-60)، وعن مشاركة ابن مهيدي ليلة أول نوفمبر يقول المجاهد بن عبد الرحمن حامد وهو المتبقي الوحيد من منفذي عملية حرق الفلين يقول أن «العربي ابن مهيدي جاء وقصد جبال أحفير و صبرة و تعرف على ابن محمد بلعيد بن حمو الذي كانت له دراية عسكرية نظرا لاجتيازه الخدمة الوطنية بألمانيا تحت وصاية فرنسا مما جعله يقيم عنده أسبوعا واحدا بمنطقة *لخوابي* بدشرة لبازة بالقرب من نفق القطار بناحية صبرة و اتفقا على ضرب فرنسا في الصميم...» (فايزة.ش، 2018، صفحة 05).
بعد مشاورات بين المجموعة كان العربي بن مهيدي صاحب فكرة قتل حراس مركز غابي قريب من صبرة بما أنه كان يملك معلومات عن المركز، ورجاله الخمسة والأسلحة التي بحوزتهم ، ويقول أحمد الوهراني أنه في آخر لحظة ولما بقي حوالي نصف كيلومتر للمجموعة التي صعدت الى المركز، تم العدول عن قرار قتل الحراس، لأن ابن مهيدي اعتبر ذلك مخاطرة قد لا تنجح ، فتم تغيير الخطة (الوهراني، 1983، صفحة 57)، وعند الاقتراب من الهدف أعطى ابن مهيدي التعليمات الأخيرة فقام ابن امحمّد العيد وأحمد الوهراني بقطع الأسلاك الهاتفية وانتهت مهمتهما في منتصف الليل، وقام العربي بن مهيدي برش الفلين بالبنزين وأشعل فيه النّار، ثم أمر المجموعة بأن يتبعوا طريقا واحدة ولا يتفرقوا، في حين بقي هو في الخلف يقوم بنشر الفلفل الأسود حتى لا تتمكن الكلاب من تتبع آثارهم، وفرّت المجموعة لأن الفجر قد حلّ، وقد أشار التقرير الأرشيفي المطول الصادر عن الحكومة العامة في الجزائر إلى الخلية المتشكلة في صبرة والتي هاجمت مركز الفلين بأحفير ليلة أول نوفمبر فجاء فيه أن:» ...كل هؤلاء الإرهابيين ريفيون، متألفين من مجموعات مع رؤسائهم السياسيين العسكريين، من بين المجموعة التي يرأسها المدعو بوزيدي أحمد يوجد المدعوون: بن محمد العيد، بن عبد الرحمن العيد، مجاهد العربي، حليلم بوشارب، بن أحمد الحاج، بن أحمد لخضر، المقدم بوزيان...» (général، 1956-1957، صفحة 07).

ونشير هنا إلى أنه قد وقعت عدة عمليات عبر كامل تراب المنطقة التاريخية الخامسة ليلة أول نوفمبر 1954 مثل مجموعة «عبد الحفيظ بوصوف» ببني هديل، ومجموعة الغزوات وبني منير بقيادة «احمد مستغانمي»، ومجموعة ريو دي صالدو(المالح) بقيادة ب»رحو قادة»، وفوج بقيادة» كويني عبد القادر»، وفوج بقيادة «حدو بوحجر»، وفوج بقيادة «سطرة عبد الله»، وفوج بسيدي بلعباس بقيادة «منصور الطيب»، وفوج في مدينة وهران بقيادة «شريط علي الشريف» إضافة إلى أفواج الظهرة بقيادة ابن عبد المالك رمضان، يقودها كل من « عبد القادر صحراوي» و»محمد بلحاميتي» و»برجي عمار»، اما ناحية معسكر فكانت أفواجها تحت قيادة «أحمد زبانة» فيه مجموعة من القادة منهم: ابراهيمي عبد القادر، و فيزي صالح، واكفيف قاضي أحمد، ومشراوي محمد، زبير عبد القادر، زبير بوعجمي...الخ، وقد هاجمت هذه الأفواج عشرات النقاط الكولونيالية وأفلحت في إلحاق خسائر بين صفوف الفرنسيين مرسمة حضور المنطقة التاريخية الخامسة(وهران) بالثورة ليلة أول نوفمبر 1954 شأنها شأن باقي المناطق التاريخية الأخرى (إبراهيم، 2019، الصفحات 123-111).

9-العربي بن مهيدي في القاهرة يناير 1955 وتباحث مشكل التسليح (الرّحلة الأولى):
انتقل ابن مهيدي الى القاهرة سرا في ظل الضربة الموجعة التي تلقتها المنطقة الخامسة في الأيام الأولى للثورة في ظل شح الأسلحة، فما هو معروف أنه كان هناك بداية جانفي 1955 حسب مارواه المجاهد علال الثعالبي الذي تولى منذ عام 1955 مهمة التنسيق بين ابن مهيدي وبوصوف ورابح بيطاط من جهة أخرى، وهو مايتطرق إليه فتحي الذيب في مذكراته، فحسب الضابط المصري فإن اجتماعا وقع بمنزله يوم 11 يناير 1955 حضره كل من: علال الفاسي(رئيس حزب الاستقلال المغربي) وعبد الكبير الفاسي عن الاقليم المراكشي، وأحمد بن بلة وحسين آيت أحمد (عضوا الوفد الخارجي للثورة الجزائرية) ومحمد بوضياف(المنسق بين الداخل والخارج) والعربي بن مهيدي(قائد المنطقة الخامسة)، وعزت سليمان وعبد المنعم النجار الملحق العسكري لمصر بإسبانيا، ويقول فتحي الديب حول هذا الاجتماع:» استعرضنا موقف الكفاح بالجزائر ومراكش وضرورة تنسيق العمل بين الجبهتين، وبعد موافقة كل الطرفين قمنا باستعراض كيفية تنشيط حركة الكفاح بمراكش وتحويلها من كفاح فردي إلى حرب عصابات حيث أبدى الجانب المراكشي حاجتهم إلى السلاح» (الديب، 1990، صفحة 73)، وقد كللت هذه الرحلة فيما

بعد بوصول كمية مهمة من الأسلحة لصالح الثورة الجزائرية على متن يخت دينا مارس 1955 وهو اليخت الذي أقل محمد بوخروبة (هواري بومدين) من مصر إلى الجزائر.

10- دور محمد العربي بن مهيدي في تأسيس جيش تحرير المغرب العربي 1955

كان العربي بن مهيدي كثير التحركات في كل من الجزائر(المنطقة الخامسة) والمغرب الشرقي (الريف والناظور بالخصوص)، واسبانيا(منطقة عبور)، ومصر(سفريات يناير 1955- 1956)، بهدف تسليح المنطقة الخامسة وتحريك المنطقة من جديد، لكن بطابع مغاربي يهدف إلى طرد فرنسا نهائيا من المغرب العربي، ولذلك فإن الاجتماعات والمساعي التي كانت على مستوى الداخل والخارج قد تمخضت في الأخير عن تأسيس جيش تحرير المغرب العربي، وتم تأسيس لجنة مشتركة عامة جزائرية-مراكشية تشرف سياسيا على توجيه المقاومتين، ولجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي بالناظور لقيادة العمليات العسكرية والتي أعلن عنها بتاريخ 15 جويلية 1955، هذه الأخيرة منحت لنفسها صلاحيات واسعة فيما يخص عمليات التأطير والتنظيم واتخاذ القرارات المناسبة، كما استطاع أعضاؤها صياغة ميثاق مشترك تم فيه تحديد القوانين والمنطلقات والمساعي التي تسير عليها ومن أجلها اللجنة، تتألف لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي من أربعة أعضاء، اثنان من الجزائر وهما: محمد بوضياف والعربي بن مهيدي، واثنان من المغرب وهما عباس المسيعدي وعبد الله الصنهاجي إضافة إلى قادة آخرين بالداخل والخارج (مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية والافريقية إبان الثورة الجزائرية، 2009، الصفحات 164-169).

11- هجومات الفاتح أكتوبر 1955: تجدّد العمليات بالمنطقة الخامسة ومشروع مغربة الثورة:

ستكون المنطقة الخامسة على موعد مع هجومات منذ 1اكتوبر1955 والتي اتخذت طابع المغاربية رسميا هذه المرة، فالأسلحة التي وصلت في يخت دينا والشحنات الأخرى ساهمت في انعاش العمل الثوري في الغرب الجزائري، والتقدم إلى العمل في الفاتح أكتوبر 1955، فلقد أحرقت عدة مزارع بعين تموشنت، وبلعباس، ووهران، وتلمسان، ومعسكر، وتيارت وسعيدة، كما تم الهجوم على السكك الحديدية والجسور، وكان هناك عدد كبير من القتلى في صفوف العسكريين الفرنسيين والكولون (لمقامي، 2005، صفحة 121)، ولعل القيادة وعلى رأسها محمد العربي بن مهيدي قد اعتزمت هذه

المرة أن تسدد ضرباتها بقوة إلى المعمرين الذين كانوا بكثرة في العمالة الوهرانية، فهم يستحوذون على نسبة كبيرة من الأراضي الخصبة المنتزعة غصبا من الجزائريين الذين أصبحوا خماسين في أراضيهم، وكان الهدف من ضرب الكولون خاصة هوّ التخويف والمساس بالمصالح الحيوية لا سيما الأمنية والاقتصادية ودفعهم للهجرة إلى بلدانهم، وبالخصوص لما كانوا أكثر راديكالية ومتشبثين بالجزائر الفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم (إبراهيم، 2019، صفحة 226).

- معركة أولاد برحو بجبالة: 2 -5 أكتوبر 1955

عقد اجتماع بقيادة العربي بن مهيدي ببيت المقدم برحو بدشرة مسيفة، الاجماع حضره عدة قادة كالحاج بن علا (السي منصور)، وكانت تتواجد بالقرية ثلاث مجموعات لجيش التحرير الوطني، تحصنت جيدا مبتعدة عن بعضها البعض، أما قوات الجنرال «فانوكسم «كانت متمركزة في ندرومة ومغنية وبورساي(=مرسى ابن مهيدي حاليا)، وتقوم بعمليات تمشيطية بحثا عن السلاح وقطع طرق الإمداد الخاصة به، ولأن القوة العسكرية الفرنسية تعتمد القوة، فقد أعطى القائد بن علال محمد أوامره للمجاهدين بعدم الدخول في الاشتباكات مباشرة مع العدو نظرا لنقص الخبرة الحربية لهم، وقلة وبساطة أسلحتهم، وقد اعتمد جيش التحرير على عنصر المفاجأة عندما تم الاشتباك يوم 5 أكتوبر في معركة أولا برحو التي دامت إلى الليل حيث تشجع المجاهدون واقتربوا أكثر من العسكر الفرنسي، وقد استشهد في هذه المعركة 27 شهيدا، بينما سقط حوالي مائة جندي فرنسي في المعركة (منصوري، 2017، الصفحات 105-104).

أما القطاع الخامس بصبرة مثلا فكانت غالب العمليات فيه عبارة عن كمائن وقعت بين المعصرة وجبل موتاس، واستهدفت حراس الغابات في «سويق (شرق صبرة) (الوهراني، 1983، صفحة 83)، بالإضافة إلى عديد العمليات التخريبية والكمائن التي نصبت لقوات العدو عبر تراب المنطقة الخامسة، ومنها أيضا الهجوم الذي استهدف مركزا عسكريا يبعد حوالي 5 كلم عن ندرومة، ثم تنفيذ هجوم على دار الحاكم بها، ثم الهجوم على مزرعة عبد الكريم «لافير» بالمدخل الشمالي لندرومة، ثم مزرعة بيفير بالحوانت، ثم مزرعة فراش كيطو بتونان، وأعمال تخريبية أخرى متفرقة، إضافة إلى تسهيل عملية التحاق 18 مجندا جزائريا في الجيش الفرنسي بمركز بني خلاّد بجيش التحرير الوطني (مطري، 2015، صفحة 33)، وهذه الخطوة الأخيرة المتعلقة بجذب الجزائريين المجندين إلى اخوتهم في الثورة ستصبح استيراتيجية جد مهمة تعمل عليها قيادة المنطقة الخامسة،

كما أنه في 10 أكتوبر 1955 تم الهجوم على مزرعة فيليمو حيث تمت عملية تخريبها وحرقها وقد استشهد ثلاثة مجاهدين يومها من بينهم الشهيد مصدق عبد الكريم، كما تم الهجوم بتاريخ 15 أكتوبر على مركز عسكري فرنسي بحمام بوغرارة (مطري، 2015، صفحة 34).

وقد أوردت إحدى التقارير الأرشيفية الفرنسية مجموع الخسائر والدمار الرئيسي من قبل الخارجين عن القانون كما سمتهم والتي تعرض لها الكولون بصفة خاصة جراء العمليات الحاصلة منذ اندلاع الثورة في 1نوفمبر 1954 والى غاية 31 جانفي 1956 وقد جاء فيه:

455	الحيازات الزراعية الأوروبية
64	حيازات السكان الأصليين
88	المنازل الغابية
60	المدارس
80	المصانع

ويضيف التقرير بأنه في وهران تم قتل 20 مزارعا، وحصيلة 40 مسكنا منهوبة أو محروقة من طرف الإرهابيين الذين قتلوا او ذبحوا أو احرقوا أكثر من 60 شخصا أغلبهم مسلمون (autounome, 1956, p. 01) ، ولعل الرقم الأخير بخصوص المسلمين يدل على الحزم والصرامة التي كانت موجودة في اتخاذ الإجراءات اتجاه الحركى والخونة الذين كانوا يعرقلون مسار الثورة، كما أن استهداف مزارع الكولون كان يهدف كما أشرنا إلى زرع الرعب فيهم وارغامهم على الرحيل.

أما في المغرب فقد شهد مثلث الموت» تيزي-وسلي-بورد» ابتداءا من 2 أكتوبر 1955 معارك كثيرة بين المراكشيين والفرنسيين، كبّد فيه جيش التحرير المغربي خسائر فادحة في صفوف القوات الفرنسية (يدر، 2010)، وبالتالي تحققت الطموحات التي كانت ترمي إلى مغربة الثورة، واستطاع القادة المغاربيون أن يخلطوا أوراق فرنسا، لذلك ستسارع إلى ارجاع الملك محمد الخامس إلى عرشه في 15 نوفمبر 1955، لتدخل في مفاوضات جدية مع المغرب لأخذ استقلاله من أجل التفرغ للثورة الجزائرية بعدما سلكت نفس

الطريق مع القضية التونسية (مارس 1956)، وفي هذا يقول أحمد بن بلة: «وفي طول الشمال الإفريقي كانت الجماهير العربية قد حملت السلاح لأن ثورة جهة وهران كانت قد نظمت بالاتصال مع الثوار المغاربة الذين كانوا يشنون العمليات في الريف ، بل إنهم أرسلوا بكتائب اتجاه تعزة والأطلس إذ كانت ثورة الشمال القسنطيني قد أحبطت مناورة سوستيل فإن الإنطلاق المثير يوم 2 أكتوبر من نفس العام لجهة وهران والريف قد أحبط مناورة جراندفال بالمغرب، واضطر الخصم خشية من خسران كل شيء إلى الاستسلام، فأسرع لإرجاع محمد الخامس إلى عرشه، ومنح المغرب الاستقلال في نطاق التكافل» (بلة و روبير ميرل، صفحة 101).

12-مشاركة العربي بن مهيدي في مؤتمر الصومام :

يروي الراحل علي كافي في مذكراته بأن العربي بن مهيدي لم يأت بوثائق خاصة بالمنطقة الخامسة بالرغم من انه شارك باسمها كما يذكر أنه التقى عبد الحفيظ بوصوف شخصيا وأخبره بأن بن مهيدي لم يجتمع بقيادة المنطقة الخامسة ولم يبلغهم بالمؤتمر (كافي، 1999، صفحة 101)، ويقول الحاج بن علا أن ابن مهيدي أخبره بالمؤتمر في وهران قبل صعوده إلى العاصمة، وقد قدم العربي بن مهيدي حصيلة المنطقة طيلة سنيتن، وعرض تقاريرها كما يلي:

- محضر اجتماع مسؤولي أقاليم وهران والجزائر وقسنطينة، المنعقد بتاريخ 20 أوت 1956.

الأعضاء الحاضرون، ابن مهيدي: ممثل الإقليم الوهراني/ رئيس الجلسة (كشيدة، 2010، صفحة 220).

التقرير الشفاهي الذي قدمه محمد العربي بن مهيدي عن الأوضاع في المنطقة الخامسة:

- حدود الناحية: عمالة وهران: وبها ست نواحي: مغنية، الغزوات، وهران، مستغانم، معسكر والجنوب (كولومب بشار).
- العدد في أول نوفمبر 1954: 60 مجاهد، 50 منهم ألقي القبض عليهم او استشهدوا).
- الخزينة في أول نوفمبر 1954: 80 ألف فرنك.
- العدد في الاندلاع الثاني: أول أكتوبر 1955: 500 مجاهد،500 مسبل.
- العدد الى تاريخ أول ماي 1956/ 1500 مجاهد/ ألف مسبل.

- التسليح الى غاية 1ماي 1956: 50 أف أم/ 165 رشاشة/1400 بندقية حرب/ 100 مسدس/ 1000 بندقية صيد.
- المالية إلى تاريخ أول ماي 1956: 35 مليون فرنك منها 25مليون في الخارج(الريف).
- معنويات السكان والمحاربين: مرتفعة، علاقات جبهة التحرير وجيش التحرير مع الشعب ممتازة، وسيتطلب تقرير أوفى وأدق من وهران (لحسن ز.، 2009، صفحة 301).

13-اضراب الثمانية أيام ومعركة الجزائر:

كلف العربي بن مهيدي بالعمل الفدائي في لجنة التنسيق والتنفيذ التي انبثقت عن مؤتمر الصومام، لذلك سعى لتنظيم هذ العمل انطلاقا من الجزائر العاصمة معقل السلطة المركزية الفرنسية إضافة إلى تواجد كبريات مقرات الصحف العالمية مما يساعد على تدويل القضية الجزائرية واخراجها للعالم، فنظم اضراب الثمانية أيام (28 فيفري-04 جانفي 1957) الذي حقق نجاحا باهرا رسخ علاقة المدينة بجبهة وجيش التحرير الوطني، فالإضراب جعل السلطات الاستعمارية تضغط اكثر للتخلص من الخلايا التي تنشط في العاصمة وهو ما عجل بإلقاء القبض على العربي بن مهيد واعدامه رحمه الله يوم 3 مارس 1957 دون محاكمة، وهي إحدى كبريات مجازر الحرب التي ارتكبتها فرنسا لما أعدمت قائدا من قادة الثورة الأوائل رحمة الله عليهم أجمعين.

14- بعض صفات الشهيد محمد العربي بن مهيدي من خلال ما قيل فيه

إن العربي بن مهيدي كان انساناً مؤمنا تقيا صالحا، له نية صالحة ويؤمن بالقضاء والقدر، يروي الحاج بن علا انه بينما كان ذات يوم بن علاّ في امسيردة التحاتة(تلمسان) يوزع حبوب السّم على الراغبين في اخذها، وذلك تحسبا لطارئ القاء القبض على أحد المجاهدين فيبلع السّم قبل أن يعذب ويكشف عن أسرار الثوة، فلما عرض بن علا الحبوب على بن مهيدي رفض هذا الأخير ذلك موضحا بصريح العبارة:» أنا لا أقتل نفسي وأفضل أن أترك الموت للقضاء والقدر، فإذا وقعت بين يدي العدو قاومت جهدي، وإذا لم أحتمل التعذيب بحت بالشيء المعروف الذي لا يعرض رفاقي للخطر» (عباس، فرسان الحرية، 2003، صفحة 62).

ويقول عنه أحد زملائه القريبين ألا وهو المجاهد بعوش محمد:» كان أستاذا معلما، فهو ذو روح قوية في التنظيم وحسن المعاملة، رجل دوخ وأرهق الاستعمار الفرنسي بنضاله وجهاده، كان يحسن القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية، متعلم للقرآن الكريم

حافظ لما تيسر منه، كثير المطالعة، مثقف دارس لتجارب الشعوب وثوراتها، ولهذا أصبح السي محمد مفكرا ثوريا متميزا عن الثوار الآخرين...لا يفكر في شيء أكثر مما يفكر في مصير بلاده...إن السي محمد بن مهيدي عاش مناضلا وفيا لوطنه لا يعرفه جيدا إلا من رافقه وصاحبه في النضال» (بعوش،محمد، 2007، صفحة 121).

كما يصفه شيخه ومعلمه علي مرحوم بقوله:» كان لطيف المعشر، بادئ التواضع، رحيم القلب، يألم لمنظر البؤس في أي شخص، ويأنف من الظلم، وخاصة إذا نزل بضعاف الناس الذين لا يملكون حولا ولا طولا، وكان قوي الإيمان، متين العقيدية في الدين، لا يميل إلى أي نوع من أنواع اللهو واللعب التي تنافى والآداب الإسلامية، لا يدخن ولا يتناول مشروبا كحوليا...وكان ذا لون أشقر مع بياض مربوع القامة، سليم البنية، لم يتزوج قط، ولقد كانت له خطيبة تنتظره فاختطفته منها يد القدر...ولم يكن يدل مظهره على مخبره ولا ظاهره على حقيقة شخصيته، وحوارك معه يريك منه شابا قويا مستنير العقل، عميق التفكير، مؤمنا بالعدالة الإنسانية، وبانتصار حق الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها...» (مرحوم، 1976، الصفحات 18-17).

ويقول عنه المجاهد عيسى كشيدة: «بن مهيدي كرجل حكيم، كان حذرا جدا في التواصل مع الناس، كان لا يصطدم بأحد بصورة مباشرة، وإنما يعمل على الإقناع، وجعلت منه تلك الموهبة في الاتصال رجلا تطلب وترغب في صحبته، بشوشا، متواضعا وقابلا للتكيف مع كل الظروف، وقد أعطى أحسن مثال في سلوكه كمناضل وكمسؤول، كان تقيا ومتسامحا، ولكنه كان يشترط من الآخرين كما من نفسه الامتثال لحس الانضباط، كان يرى أن الحزب يتم الحكم عليه عبر سلوك مناضليه، وهذا يتطلب الاستقامة في الاعمال والاستقامة في الحكم، ولم يكن هذا ليمنع العربي بن مهيدي من أن يكون له جانب حي ودمث يشاطربه أصدقائه» (كشيدة، 2010، صفحة 174)، ويؤكد المجاهد علي الشريف أن العربي بن مهيدي عرف بحكمته ورزانته وحيويته الخارقة، وبدوره الريادي في مؤتمر الصومام (الشريف، 2017).

كما يروي عنه المجاهد صدار السنوسي قائلا:»...كثير التواضع، إلى درجة أننا كنا نتساءل في بعض الأحيان إن كان مسؤولا علينا أم لا؟ والبعض منا لم يكن يعرف بأنه مسؤولنا إلا بعد أن يشاهده يشرف على العمل ويراقبه...كان انسانا متدينا وملتزما بالدين الإسلامي وحافظا على الفرائض الدينية كالصلاة وغيرها، وكان انسانا بسيطا في جميع مظاهره يجلس مع جنوده ويتبادل معهم أطراف الحديث...كان متفانيا في العمل كما كانت له نفس مَرِحة في العمل رغم الظروف الصعبة التي كنا نعيش فيها، وكمثال

على تفاني الشهيد في العمل أنه كان يأخذ دوره مع المجاهدين في أعمالهم، ففي الفترة التي كنا نستمع فيها على جندرمة العدو بواسطة جهاز الإرسال والاستقبال كان السي بن مهيدي يأخذ دوره مثل كل الجنود فيتصنت لأخبار العدو...أما عن روحه المرحة فأذكر مرة أنه كان يتعين علي القيام بمهمة في المدينة وكنت لا أملك لباسا مدنيا، فقدم لي السي بن مهيدي لباسه وأعطيته لباسي العسكري ليرتديه وعندما عدت من المهمة وأعدت إليه لباسه قال لي بأنه يتعين علي أن أقوم بحملة تمشيط وتطهير واسعة النطاق، فاستغربت ولم أعرف قصده، فأردف قائلا بأنه يعني القضاء على القمل المنتشر في ملابسي» (صدار السنوسي و علي العياشي، صفحة 21).

1- بن مهيدي من خلال أقوال أعدائه

قال فيه السفاح بيجار:»لو أن لي ثلة مثل العربي بن مهيدي لغزوت العالم».

يقول عنه المجرم أوساريس:»كان بن مهيدي دون أدني شك المسؤول الرئيس عن كل العمليات بصفته البطل الأول في معركة الجزائر وبصفته الرقم واحد للجنة التنسيق والتنفيذ...ولم يخن بن مهيدي رفاقه... تفاجأت عندما رأيت فرقة المظليين التابعة للوحدة الثالثة تقوم بتحية الشرف الأخيرة لزعيم جبهة التحرير...لقد كان هذا والتقدير الذي قام به بيجار للرجل الذي أصبح صديقه» (أوساريس، 2008، الصفحات 127- 131)

16- أقوال خالدة للشهيد محمد العربي بن مهيدي

– «يجب الاستعداد للصدمة الكبرى حتى لا يفاجئنا الاعصار، يجب التحضير للمقاومة».

– « لو نجّحنا الله في مدة ثلاثة أشهر، مثل ما توجد الشمس في السماء يوجد الاستقلال في الجزائر».

–«إنكم ستهزمون لأنكم تريدون وقف عجلة التاريخ، وإننا سننتصر لأننا نمثل المستقبل الزاهر».

خاتمة

يمكن أن نخرج في الأخير بمجموعة من الخلاصات الاستنتاجية حول هذا الشهيد الرمز منها:

- يعد ابن مهيدي واحداً من أبرز القادة الذين سعوا لتفعيل الخيار الثوري في الجزائر عموما منذ عهد المنظمة الخاصة 1947 والمنطقة الخامسة خصوصا بدليل نشاطه فيها منذ أواخر 1950.

- أشرف ابن مهيدي على المنطقة الخامسة (وهران) وهي أكبر منطقة مساحة (ثلث مساحة الجزائر) وأخطر منطقة باعتبارها مركزا لتجمع الكولون المستوطنين المتعصبين لفكرة الجزائر فرنسية، والذين يتمتعون بحراسة مشددة، فغالبهم مسلحون مما جعل المهمة جد عسيرة، وقد واجه ابن مهيدي ورفاقه مشكل السلاح منذ أول انطلاقة للثورة، ومع ذلك استطاع أن يخلق شبكات دعم في اسبانيا والمغرب ومصر لفك الحصار المضروب على المنطقة الخامسة والثورة عموما.

- يعتبر ابن مهيدي القائد الوحيد من الداخل الذي استطاع الخروج في السنوات الأولى للثورة إلى الخارج دون أن يلقى القبض عليه، فقد تردد كثيرا جدا على المغرب، واسبانيا، وسافر إلى مصر مرتين والتقى بجمال عبد الناصر شخصيا لتباحث مشكل السلاح، وتناقش مع السلطان محمد الخامس حول خلفية استقلال المغرب وأثر ذلك على الثورة الجزائرية، وهو مالم يتح لقادة الثورة الآخرين الذي استشهدوا أو ألقي القبض عليهم على غرار ابن بولعيد أو ديدوش مراد أو رابح بيطاط، فنستطيع أن نقول أنه كان ممثل الثورة الحقيقي بالداخل في السنتين الأوليين للثورة إلى غاية استشهاده رحمه الله في 3 مارس 1957.

- استطاع العربي بن مهيدي أن يلم شمل المجاهدين ويضم المصاليين في الغرب بقوة إلى جبهة التحرير بدون إراقة دماء أو استعمال للعنف، وهو ما يدل على حنكة وخبرة الرجل التي كان يتمتع بها

- حسب دراستي للموضوع لم تعرف المنطقة الخامسة اغتيالات أو تصفيات بين قادة ومجاهدي جيش التحرير خلال فترة قيادة العربي بن مهيدي لها، بالرغم من حدوث تجاوزات وضغط وكان إصلاح ذات البين هو الخيار الأول في تلك الفترة.

-استطاع ابن مهيدي أن يحرك الثورة مجددا في المنطقة الخامسة ابتداءا من 1 أكتوبر 1955 بعدما خمدت نار الثورة فيها بعد التفجيرات الأولى نظرا لشساعة مساحتها وتسليحها السيئ والاستيراتيجية التي سلكتها جبهة وجيش التحرير لمرور الأسلحة القادمة من المغرب، وقد كان ذلك بالتنسيق مع المقاومة المغربية ضد

الاحتلال الفرنسي والاسباني، لذلك يمكن أن نعتبر هجومات 1أكتوبر 1955 المغاربية شبيهة بهجومات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني أو مكمّلة لها من حيث الرمزية، وأنجح من حيث التنفيذ الميداني بدليل حدوث عمليات في كلا القطرين . -كان العربي ابن مهيدي رجلا وحدويا مغاربيا بامتياز وذلك بدليل سعيه لإنشاء جيش تحرير المغرب العربي من أجل التحرير الكامل وطرد فرنسا، لذلك كانت مساعيه جد حثيثة في هذا الميدان، لكنه أصيب بخيبة أمل كبيرة بعد فشل المشروع وأخذ المغرب وتونس استقلالهما، وهو ربما ما عجل بدخوله إلى العاصمة وتفكيره في ضرورة اعتماد الجزائر على نفسها وتحريك المدن الراكضة عن العمل. وفي الأخير يمكن أن نقول وبكل موضوعية أن الرجل ابن مهيدي مثال حي للإنسان الذي سعى للتحرر من الإنسان نفسه، وقد عبر بذلك عندما قال لجلاديه: «إنكم ستهزمون لأنكم تريدون وقف عجلة التاريخ ، وإننا سننتصر لأننا نمثل المستقبل الزاهر.

المراجع

- إبراهيم،ب. ع (2019). محمد العربي بن مهيدي قائد المنطقة التاريخية الخامسة (وثائق أرشيفية- شهادات حية- حقائق جديدة) (Éd.) . (وزارة المجاهدين(دار عطا الله للنشر والتوزيع، الوادي.

- الدايم، ا. ع (2013). .عبد الحفيظ بوصوف، (Anep, Trad.). ANEP. الجزائر.

- الديب، ف (1990). . عبد الناصر وثورة الجزائر (éd. 2)، دار المستقبل العربي. القاهرة.

- السبتي، غ (2004). .دور الشهيد محمد العربي بن مهيدي في الحركة الوطنية والثورة التحريرية. جامعة باتنة- الجزائر.

- الوهراني، أ (1983).. تعقيب في الملتقى الوطني الاول لتاريخ الثورة أول نوفمبر.

- أوساريس (2008). . شهادتي حول التعذيب-مصالح خاصة 1959-1957. م. فرحات(Trad.) ،الجزائر: دار المعرفة.

- بعوش،محمد (2007). .السنوات القاسية (مذكرات) ،دار الأديب،الجزائر

- بلة، أ. ب & روبير ميرل (s.d.). (مذكرات. (ا. الأخضر، (Trad.) بيروت، منشورات دار الآداب لبنان.

- بلخير، أ(2016). .الثورة التحريرية في المنطقة الرابعة للولاية الخامسة(1962-1956). ماجستير،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، تلمسان.
- بلدية عين مليلة-أم البواقي. (2004). محمد العربي بن مهيدي(رسالة خالدة للاجيال). عين مليلة،دار الهدى،الجزائر.
- بوجلة،ع. ا (2008). . الثورة في الولاية الخامسة(1962-1954). دكتوراه،قسم التاريخ-كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
- بوضياف،م (2011). .التحضير لأول نوفمبر1954 (éd. 2). الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر.
- رشيد،) ا. م (1982). .تقيب في الملتقى الوطني لكتابة تاريخ الثورة. أول نوفمبر(58).
- سليمان، ب (1990). .حياة البطل الشهيد محمد العربي بن مهيدي. عين مليلة: دار الهدى.
- صدار السنوسي, & علي العياشي. (s.d.). ذكريات عن محمد العربي بن مهيدي. (ا. ا. للمجاهدين, Éd.) أول نوفمبر(82).
- عباس،م (2003). .رواد الحرية. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.
- عباس،م (2003). .فرسان الحرية. الجزائر: دار هومة.
- عودة،ع. ب (1982). .تعقيب في الملتقى الوطني الأول لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية. أول نوفمبر(55).
- فايزة.ش. (2018). نوفمبر01). شهادة للمجاهد بن عبدالرحمن حامد. الجمهورية.
- قنطاري،م (2001). .قيادة الحدود والقاعدة الغربية. Dans ا. ا.-و. تلمسان، (Éd.) الملتقى الوطني حول الحدود الغربية إبان الثورة التحريرية. تلمسان.
- كافي، ع. (1999). مذكرات-من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1962-1946: دار القصبة، الجزائر.
- كشيدة،ع (2010). مهندسو الثورة (éd. 2). (م. أشرشور & ، ز. قبي (Trads.): ،دار الشهاب، الجزائر.
- لحسن، ب (2010). . عقب الليل وثورة داخل الثورة(1957-1954). ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
- لحسن، ز. م (2009). . مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية(1962-1956). الجزائر: دار هومة.
- مقامي،م (2005). . رجال الخفاء. (وزارة المجاهدينÉd.، & ع. ربيب, Trad.) الجزائر ANEP.) محم،ب. (s.d.).

- مرحوم،ع. ((1976. نوفمبر). مع الخالدين في حياتهم:الشهيد محمد العربي بن مهيدي. (ا. ا) للمجاهدين Éd.) ،أول نوفمبر،(19)
- مطري، ع. ا(2015). . دور منطقة ترارة في المقاومة الوطنية. ماستر،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ، تلمسان.
- معمري، خ(2014). . العربي بن مهيدي رمز الوطنية. وزارة المجاهدين Éd. & أ. اخلاص Trad.) (الجزائر: منشورات ثالة.
- مقلاتي، ع. ا(2009). . العلاقات الجزائرية المغاربية والافريقية إبان الثورة الجزائرية (مجلد 01) ، (Éd. وزارة الثقافة) الجزائر: دار السبيل.
- مقلاتي،ع. ا. (2016). ديسمبر). الطيب الثعالبي نضاله ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية. (ج. م. بوضياف، Éd.)) مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية(11).
- منصوري، ر(2017).. الثورة التحريرية في المنطقة الثانية للولاية الخامسة(1962-1956). ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ،تلمسان.
- يدر،م. ب (2010, 04 19). شاهد على العصر. أ. منصور(Intervieweur) ،قطر.
- Groupement Autonome (1956, juin). Note d'information.Tlemcen, Oran, Algerie.
- Dumonit, c. (s.d.). Bulletin de renseigement de commandement su périeur des forces en Algérie. Archives, état-major-2ème bureau.
- Géneral, G. d. (19561957-). rapport . archives, gouvernement général, Alger.

ب- وثائق أساسية

حيثيات تحرير وطبع وتوزيع «نداء جيش التحرير الوطني» في أول نوفمبر 1954[1]

أ. ميعادي جمال الدين
مدير مركز الدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
cnerdirection@gmail.com
د. سعداوي مصطفى
أستاذ محاضر جامعة البويرة
salisada@gmail.com
أ. سامية خامس
باحثة مركز الدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
khsomia1970@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/01/23 تاريخ القبول: 2020/01/23

على الرغم من الأعباء الكثيرة التي كانت تثقل كاهل مؤسسي جبهة وجيش التحرير الوطني عشية انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954، إلا أن إصدار نداء باسم جيش التحرير الوطني (أنظر الملحق) يدعو الشعب الجزائري الى الانخراط في معمعة الكفاح المسلح، الى جانب بيان باسم جبهة التحرير الوطني يعلن للعالم أهداف الثورة وبرنامجها، ظل في صميم انشغالاتهم. ولهذا الغرض، بادرت لجنة الست (بن بولعيد، بن مهيدي، بوضياف، بيطاط، ديدوش، كريم) في اجتماع 10 أكتوبر 1954 الى وضع الخطوط العريضة لتَيْنَك الوثيقتين مع تكليف كل من محمد بوضياف ومراد ديدوش بضبطهما وتحريرهما (Courriere, 1992 :223-224)؛ بوعزيز، 2004 : 39؛ قليل، 1991: 183). ولإنجاز هكذا مهمة، استعان الأخيران بالصحفي المناضل محمد العيشاوي[2]، حيث التئم شمل الثلاثة عدة مرات في محل الخياطة المملوك للمناظل عيسى كشيدة والكائن بممر "مالكوف"

1- نظرا لكون انجاز «نداء جيش التحرير الوطني» تمّ في ذات الظروف وبنفس الطريقة مع بيان أول نوفمبر 1954، فإنه لم يكن بدّ من أن يشمل الحديث في أغلب فقرات هذا النص الوثيقتين معا.

2- ولد محمد العيشاوي المدعو سي مصطفى في 23 جانفي 1929 بقرية سي مصطفى التي أخذت اسمه بعد الاستقلال وكانت تدعو سابقا بـ«فليكس فور» وهي تتبع حاليا ولاية بومرداس. وبعد وفاة والده وهو لا يزال طفلا صغيرا، اضطرت أمه إلى الانتقال الى العاصمة والاستقرار بواد كنيس (رويسو). وفرضت الوضعية الاجتماعية الصعبة على الصبي محمد ترك الدراسة والدخول في الحياة العملية مبكرا، وذلك في محل نجارة أولا ثم في أمانة مكتب محامي فرنسي. وتأثر منذ صباه بالجو المفعم بالوطنية الذي كان سائدا في مدينة الجزائر وبالأخص في حي بلكور، ما جعله ينخرط باكرا في النضال الوطني في اطار حزب الشعب. وفي 1950 سافر إلى فرنسا، حيث قضى نحو سنتين في الدراسة والتكوين في مجال العمل الصحفي، كما تعرف على شخصيات لعبت دورا بارزا في تفجير ثورة 54، بالأخص بوضياف وديدوش. وفي 1953 عاد إلى الجزائر، ولما دنا موعد الثورة استعان به بوضياف وديدوش لتحرير ورقن وسحب كل من بيان إعلان الثورة ونداء جيش التحرير. وبسبب ذلك، ألقي عليه القبض في 16 نوفمبر 54، وتعرض للتعذيب، وسجن لمدة 18 شهرا. ولما أفرج عنه إلتحق بالثورة في الولاية الرابعة، وعمل في مصلحة الاعلام الى أن سقط شهيدا في غضون 1959.

على طريق باب الواد. وخلالها تولى كل من بوضياف وديدوش اقتراح الافكار التي تضمنتها الوثيقتين، وذلك على ضوء ما جرى الاتفاق عليه في اطار «لجنة الست» مع الاستئناس بأدبيات حزب الشعب-حركة انتصار الحريات الديمقراطية، سيما لوائح مؤتمره الثاني المنعقد بالعاصمة في أبريل 1953 (Kechida, 2001 : 97)؛ عباس، 2009). وفي المقابل، تكفل العيشاوي بصياغة تلك الافكار بلغة فرنسية راقية تجمع بين وضوح المعنى وجمال المبنى (Kechida, 2001 : 97).

وبعد الفراغ من صياغة الوثيقتين، قامت لجنة الستّ بمراجعتهما والمصادقة عليهما في اجتماع 24 أكتوبر بمنزل مراد بوقشورة الكائن بـ «رايس حميدو» (بوانت بيسكاد سابقا Pointe Pescade)[3] (Boudiaf, 1974[4]؛ Courriere, 1992 :262-263). وعندها طُرحت مشكلة رقن وبالأخص سحب الوثيقتين، فأُعْلَم كريم بلقاسم رفاقه بتوفر منطقة القبائل على آلة سحب[5] لكن لا يوجد من يحسن تشغيلها، فتعهد ديدوش بالعثور على الشخص المناسب. وهكذا، جرى انتداب العيشاوي ثانية لمواصلة المهمة، لكن هذه المرة بالتنقل الى منطقة القبائل والاضطلاع بعمليتيْ الرقن والسحب في سرية تامة (Courriere, 1992 :249) بوعزيز، 2004: 39؛ عباس، 2009). وفي هذا الاطار، قام مناضلون من بلكور -بتوجيهٍ من ديدوش- بربط الاتصال بين العيشاوي وعمار أوعمران الذي اصطحبه الى مدينة تيزي-وزو، وهناك تكفل علي زعموم بنقله بواسطة سيارة أجرة الى قرية «ايغيل إيمولا» (Zammoum, 1993 :160؛ Courriere, 1992 :249-250) عباس، 2001: 166). في هذه الاخيرة، وتحديدا في مسكن المناضل عمر بن رمضان، رقن العيشاوي الوثيقتيْن على «استانسيل»، ثم انتقل الى مسكن رابح ايدير الذي كان أحد أربع (أو خمس) منازل تتوفر على الكهرباء في القرية، ليقوم بسحبهما على آلة الرونيو (Zammoum, 1993 :160). ووفق كشيدة (2001 : 97) فقد تم سحب 2300 نسخة من النداء و1000 نسخة من البيان[6]. وللتغطية على الضجيج الذي كان يحدثه تشغيل آلة الرونيو، سيما وأن مسكن ايدير كان في الطابق العلوي لمحل تجاري يقع وسط القرية، نظم صاحب المحل بمعية مجموعة من المناضلين لعبة يانصيب، كان الغرض منها إثارة الأصوات والهتاف (Zammoum, 1993 :160-161).

3- تحديدا في 24 شارع بشير بديدي (شارع الكونت غيبة سابقا Comte Guillot)

4- من اللافت أن بوضياف يتحدث عن ثلاث وثائق أو منشورات صادقت عليها «لجنة الست» وليس اثنتين فقط (أي البيان والنداء)، لكن دون تقديم أي تفاصيل، سيما بخصوص الوثيقة الثالثة (؟)

5- تشير بعض المصادر الى أن آلة السحب (الرونيو) المعنية كانت ملكا لعبان رمضان الذي كان أنئذ في السجن. وقد تولى ثلاث مناضلين نقلها من قريته الى قرية عبد المؤمن، ثم تكفل ثلاثة آخرون (هم علي زعموم وسعد محمدي وعمر بن رمضان) بنقلها الى قرية إغيل إيمولا حيث جرت عملية طبع نداء وبيان أول نوفمبر. (Ouali Ait Ahmed, 2011)

6- يتحدث إيف كوريير (Courrier, 1992 : 249) عن سحب ما بين 450 و500 نسخة من كل منشور.

بعد اكتمال العملية، وذلك -على الأرجح- في ليلة 27 أكتوبر 1954، كان لا بد من نقل تلك الوثائق الى العاصمة بأسرع ما يمكن حتى يتم توزيعها على المستويين الوطني والدولي قبل الساعة صفر. فأَوْكَل علي زعموم المهمة الى مناضل يدعى محند أكلي بن شعبان، وهوذات الشاب الذي كان قد نقل مسودّتيْ البيان والنداء من العاصمة إلى قرية «إغيل إيمولا» قبل أيّام. فما كان من المعني - وفق شهادته- إلا أن عمد الى وضع مئات النسخ المطبوعة في حقيبة جلدية، واستقل حافلة نقل الركاب باتجاه العاصمة، ولتبديد الشكوك وضع الحقيبة أمام السائق بينما ركب هو في مقعد خلفي قام بتمزيقه ليدس في جوفه ظرفا يحوي وثائق كان يجهل فحواها (مسودتيْ البيان والنداء). وبعد رحلة محفوفة بالمخاطر، سلّم الامانة الى مناضلين كانوا في انتظاره في أحد المقاهي الشعبية بحي بلكور (نقلا عن: Hacène Arab, 2014).

وهكذا أضحى بالإمكان توزيع الوثيقتين على أوسع نطاق ممكن، وهو ما تكفلت به – بشكل خاص- خليةُ اللوجستيك على مستوى مدينة الجزائر[7]، إذ استعانت بالدليل الهاتفي للحصول على عناوين أكبر عدد ممكن من الشخصيات الجزائرية والاوربية واليهودية وكذا مقرات الجرائد والقنصليات الاجنبية... وأرسلت إليهم الوثيقتيْن عن طريق البريد (Kechida, 2001 : 96).

وهنا لا تفوتنا الاشارة الى أنه وعلى الرغم من أن بيان جبهة التحرير الوطني هو الذي ذاع صيته أكثر إلا أن نداء جيش التحرير الوطني هو الذي تمت طباعته بأعداد أكبر وتوزيعه بشكل أوسع عشية انطلاق الثورة (Courriere, 1992 : 263). هذا، وبينما تعمد محررو الوثيقة الأولى (البيان) أن تكون مطولة ومفصلة لكونها تستهدف -بالأساس- السلطات الاستعمارية والرأي العام العالمي، ارتأوا أن تتصف الوثيقة الثانية (النداء) بالبساطة والمباشرة والإيجاز لأنها تخاطب عموم الشعب الجزائري (Courriere, 1992 :262).

خاتمة

وفي الأخير، فإذا كان «لا تاريخ بلا وثائق» - كما يتفق جمهور المؤرخين- فإن وثيقة «النداء» التي هي بين أيدينا هي الوثيقة الأولى على الاطلاق التي صدرت باسم جيش التحرير الوطني. ومن ثم فهي تمثل - بحق- شهادة ميلاد ثورة أول نوفمبر 1954 وهذا - طبعا- الى جانب

7- كانت الخلية تتكون من عيسى كشيدة ومراد بوقشورة ونايت مرزوق ومصطفى زرقاوي باستثناء مسعودي الذي كان طريح الفراش (كشيدة، 2003 : 104)

وثيقة «البيان» التي تجسد أرضيتها السياسية. وتعتبر هذه الورقة شروع جاد في تسليط الضوء عليها والتعريف بها بصورة أوسع وعرض حيثياتها والعمل على ترجمتها إلى لغات أخرى[8] في أعداد لاحقة. وهي كذلك دعوة للباحثين لإيفائها ما تستأهله من عنايةٍ ودراسةٍ... سيما وأن استفهامات كثيرة واشكالات جمّة لا تبرح تطوَّقها، على غرار عدم ترجمتها الى اللغة العربية عند صدورها ولا اذاعتها عبر الاثير من القاهرة كما هو شأن توأمتها (وثيقة البيان)؟ وبالأخص لماذا تعرضت لنوع من النسيان مع أنها الوثيقة الأكثر طباعةً والأوسع توزيعا عشية ليلة الصفر؟

قائمة بأهم المصادر:

- بوعزيزيحي، 2004، الثورة في الولاية الثالثة 54-1962، ط1، دار الأمة، الجزائر.
- عباس محمد، 2001، فرسان الحرية، دار هومة، الجزائر.
- عباس محمد، 2009، «الصحفي الشهيد محمد العيشاوي..منجز بيان فاتح نوفمبر.. صياغة ورقنا وسحبا..»، الشروق اليومي، 14 ديسمبر 2009، الجزائر.
- قليل عمار، 1991، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء 1، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.
- كشيدة عيسى، 2003، مهندسو الثورة، ترموسى أشرشور، منشورات الشهاب، باتنة، الجزائر.

- AIT Ahmed Ouali, 2011, «1er Novembre 1954 à 00H ou La Nuit du Destin», in Le Soir d'Algérie, 31 Octobre 2011. Voir aussi : http://www.dzconfidentiel.com/
- Arab Hacène, 2014, «Naissance d'un texte fondateur : La Proclamation du Premier novembre 1954», in Aleph, n°1, pp : 32-40.
- Boudiaf Mohammed, 1974, «La préparation du 1° novembre 1954», in EL Djarida, N° 15 nov.-dec. 1974.
- Courriere Yves, 1992, La guerre d'Algérie : les fils de la toussaint, Ed. Rahma, Alger.
- Kechida Aissa, 2001, Les architectes de la révolution, Ed Chihab, Alger.
- Zamoum Ali, 1993, Tamurt Imazighen : Mémoire dun survivant 1940-1962, ed Rah - ma, Alger.

8- إن اللغة التي كتبت بها هذه الوثيقة في الأصل هي الفرنسية وذلك لكون المشرفين على كتابتها والمحررين كانوا يحسنون هذه اللغة أحسن من اللغة العربية.

Annexe

Armée de Libération National

Appel

Peuple algérien ;

A l'exemple des peuples qui ont brisé les chaînes de l'esclavage et de l'oppression ;

En accord avec tes frères marocains et tunisiens auxquels tu es lié par des siècles d'histoire, de civilisation et de souffrance, tu ne dois pas oublier un seul instant que notre avenir à tous est commun.

Par conséquent, il n'y a pas de raison pour ne pas unifier, confondre et intensifier notre lutte. Notre salut est un et notre délivrance est une. Dissocier le problème maghrébin, c'est aller contre une réalité historique qui, à dater de 1830, fait notre malheur à tous.

En outre, pense un peu à ta situation humiliante de colonisé, réduit sur son propre sol à la condition honteuse de serviteur et de misérable surexploité par une poignée de privilégiés, classe dominante et égoïste qui ne cherche que son profit sous le couvert fallacieux et trompeur de civilisation et d'émancipation.

A propos de civilisation, nous rappelons quelques dates illustres : 1830 avec ses rapines et ses crimes au nom du droit du plus fort ; 1870 suivie de massacres et d'expropriations qui ont frappé des milliers d'Algériens ; 1945 avec ses 40 000 victimes ; 1948 et ses élections à la Naegelen ; 1950 avec son fameux complot. Comme tu le constates, avec le colonialisme, la Justice, la Démocratie, l'Egalité ne sont que leurre et duperie destinés à te tromper et à te plonger de jour en jour dans la misère que tu ne connais que trop.Si à tous ces malheurs, il faut ajouter la faillite de tous les partis politiques qui prétendaient te défendre, tu dois te convaincre de la nécessité de l'emploi d'autres moyens de lutte.

C'est pourquoi, conscients de la gravité de l'heure, au coude à coude avec nos frères de l'Est et de l'Ouest qui meurent pour que vivent leur patrie respective, nous t'appelons à secouer ta résignation et à relever la tête pour reconquérir ta liberté au prix de ton sang.

Dans ce domaine, nous savons ce dont tu es capable, mais au départ nous voulons attirer ton attention sur la manière de servir les forces de libération qui, pour ton bonheur, ont fait le serment sacré de tout sacrifier pour toi.

1- Reste calme et discipliné. Ne te laisse pas aller au désordre qui ne peut servir que l'ennemi.

2- Ton devoir impérieux est de soutenir les frères combattants par tous les moyens

3- Sois vigilant. L'ennemi te guette et surveille tes moindres gestes pour gêner ton action

Prends garde aux faux communiqués, aux mensonges, à la corruption, aux promesses dont le but est de te détourner de la voie que nous ont dictés notre religion et notre devoir national.

Pour finir :

- Toute inattention peut coûter la vie à des hommes.

- Toute indiscrétion peut engendrer des conséquences graves.

Donc, sans perdre une minute, organise ton action aux côtés des forces de libération à qui tu dois apporter aide, secours et protection en tous lieux et en tous moments.

En les servant, tu sers ta cause.

Se désintéresser de la lutte est un crime.

Contrecarrer l'action est une trahison.

Dieu est avec les combattants des causses justes et nulle force ne peut les arrêter désormais, hormis la mort glorieuse ou la libération nationale.

Vive l'Armée de libération !

Vive l'Algérie indépendante!

Source : Aissa Kechida, ''les architectes de la révolution Témoignage'', Chihab Editions, 2001, pp 197-198.

ج- شهادات تاريخية

رحلة الصحفي المراسل لمجريات اتفاقية إيفيان مع الرئيس احمد بن بلة وهواري بومدين

د. سمير مطاوع
وزير أردني سابق للإعلام
mutawi@gmail.com.

تاريخ الاستلام:2020/01/23 تاريخ القبول:2020/01/23

كان للجزائر ولا يزال مكانة خاصة في قلبي منذ كنا يافعين عندما انطلقت ثورة التحرير الجزائرية . كانت تلك الثورة قد ملأت علينا نفوسنا وهيمنت على عقولنا. وكنا على الدوام ننظر إلى الثورة الجزائرية على أنها ردت للعرب بعض كرامتهم بعد هزيمة 1948.

علاقتي الحقيقية مع الثورة الجزائرية بدأت أثناء عملي في إذاعة هولندا العالمية في أوائل ستينيات القرن العشرين . خلال تنقلي المستمر ما بين أمستردام وبروكسل لإعداد تحقيقات صحفية عن مفاوضات بريطانيا للانضمام إلى عضوية السوق الأوروبية المشتركة في حينه لمجلة الأسبوع العربي اللبنانية ، تعرفت على شخص جزائري الأصل أسرّلي أنه ضابط في جيش التحرير الجزائري وموجود في أوروبا للإشراف على جمع تبرعات الجزائريين العاملين هناك واستخدامها في شراء بعض احتياجات جيش التحرير.
كان ذلك الضابط ، واسمه يوسف بو دراع ، يرسل تلك الاحتياجات إلى ميناء روتردام في هولندا لكي تشحن مع السفن الذاهبة إلى تونس أو طرابلس الغرب . لكن تلك العملية كانت صعبة بعض الشيء عليه نتيجة ظروف عديدة أهمها المراقبة الحثيثة لتحركات الجزائريين في أوروبا من قبل رجال المخابرات الفرنسية . كانت المشتريات تتأخر أحيانا وكنا عندما نلتقي يشكو لي همه بهذا الشأن . ولأني أتنقل على الأقل مرتين وأحيانا ثلاث مرات في الأسبوع ما بين أمستردام وبروكسل أبديت استعدادي للمساعدة في نقل بضائعه وخصوصا الأدوية والمستلزمات الطبية التي كان يشتريها من بلجيكا، فأخذت على عاتقي نقل تلك الأشياء بسيارتي التي تحمل لوحة هولندية وعليها ملصق شارة الصحافة وبالتالي من السهل التنقل بها عبر الحدود إلى ميناء روتردام وتسليمها للأشخاص الذين يتولون مسؤولية تأمين الشحنات مع السفن إلى طرابلس أو تونس وهناك تستقبل من قبل أشخاص معينين يؤمنونها لقيادة جيش التحرير.

لم أكن أعرف حقيقة ما يوضع في السيارة لنقله عبر الحدود . وقد كانت طريقة التسليم والاستلام بيني وبين الثوار جيمسبوندية. فقد أخذ الثوار نسخة من مفتاح السيارة وطلبوا مني عندما أصل إلى بروكسل أو روتردام أن اذهب إلى مطعم معين وأوقف سيارتي في مواقف البناية تحت الأرض بينما يكون هناك أشخاص معتمدون من قبل الثوار معهم النسخة الثانية من المفاتيح فيقومون بأخذ السيارة إلى جهة ما وتفريغ الحمولة وإعادة السيارة إلى مكانها. كانوا يضعون الأغراض المطلوبة في السيارة إن كنت في بروكسل أو يأخذون تلك الأغراض إن كنت في روتردام . ومن هناك يشحنوها إلى الجزائر أما عبر تونس أو ليبيا كما أسلفت .

بطبيعة الحال عرّفت هذا الضابط على نفسي وعرف أنني أعمل صحافيا وكذلك في إذاعة هولندا العربية . ولأنه قدّر لي هذه المساعدة كانت مكافأتي الحقيقية أن الثوار منحوني الحق الحصري في تغطية مفاوضات استقلال الجزائر بين الثوار وفرنسا التي بدأت في إيفيان بسويسرا ما بين عامي 1961- 1962، وكانوا مطمئنين من ناحيتي بأني سأقوم بالتغطية بشكل موضوعي أولا ومناسب لوجهة نظرهم. وقد قمت بالتغطية لتلك المفاوضات حتى نهايتها التي توجت بإعلان استقلال الجزائر. كانت تغطيتي لهذه المفاوضات « الحدث الأهم والأروع من بين كل ما أنجزته خلال مسيرتي الإعلامية الطويلة التي تميزت بتغطية الكثير من الأحداث العالمية «.

لقد غطيت محادثات استقلال الجزائر لمجلة الأسبوع العربي في بيروت وللقسم العربي في إذاعة هولندا العالمية. كنت يوميا أقدم في مطلع النشرة الإخبارية تقريرا صوتيا من دقيقتين إلى ثلاث دقائق عن مجريات المفاوضات. في الحقيقة كان هناك ضربة حظ في اختياري من قبل الثوار الجزائريين لتلك التغطية . فقد علمت من الزعيم أحمد بن بلة فيما بعد أن إذاعة هولندا العالمية باللغة العربية كانت الإذاعة العربية الوحيدة التي كان زعماء الثوار يستطيعون التقاط بثها أثناء وجودهم في السجون . وبالتالي كانت تقاريري توفر لهم معلومات أولية عن تطور المفاوضات وتوفر لهم مؤشرات عن كيفية سير الأمور وأين كانت العقبات وكيف تم تذليلها إلخ ...

في إيفيان حيث عقدت مفاوضات استقلال الجزائر، كان الفرنسيون يصرّون على مطالب كثيرة منها مثلا أن يحتفظوا بالصحراء الجزائرية وذلك بسبب غناها بالنفط . لكن الجزائريين تصلّبوا حتى آخر لحظة ، ولم يتركوا أي شيء لمفاوضات لاحقة أو ما يسمى مفاوضات الوضع النهائي. لقد أنهى الجزائريون كل شيء في إيفيان. كنت ألاحظ أحيانا أن الجلسات التفاوضية تنفض من دون التوصل إلى نتيجة ويكون الجانبان في قمة الغضب بسبب تصلبهما. ولكن الجزائريين أصرّوا وصبروا وأدركت بالفعل أن صبرهم كان مفتاح الفرج لبلادهم.

مع الزعيم أحمد بن بلة

تقديرا من الثوار للمهمات الصحفية والثورية التي قمت بها لصالح الثورة الجزائرية كانت لي دعوة خاصة لدخول الجزائر مع زعيم الثوار الرئيس أحمد بن بلة الذي أطلق سراحه في يوم الاستقلال في تموز يوليو 1962. لكن هذه الزيارة لم تتم وأعطيت وعدا بزيارة للجزائر في احتفالات الذكرى الأولى للاستقلال في العام التالي.

قبيل الاحتفالات بالذكرى الأولى للاستقلال ، تلقيت دعوة لزيارة الجزائر والالتقاء بالرئيس أحمد بن بلة وتغطية هذه المناسبة الكبرى لإذاعة هولندا ولمجلة الأسبوع العربي. بهذه المناسبة قرر الرئيس بن بلة القيام بجولة في جميع أنحاء الجزائر من وهران غربا إلى قسنطينة وعنابة شرقا ومن الجزائر العاصمة إلى بسكرة وتيزي أوزو وكان لي الشرف أن أرافقه في تلك الرحلة.

أراد الرئيس أن يكون لجولته بداية رمزية لتكريم شهداء الثورة . أراد أن تكون البداية من بلدة باتنه في جبال الأوراس . ففي هذه البلدة ضريح أول شهيد من زعماء الثورة الجزائرية وهو مصطفى بن بولعيد رحمه الله لقراءة الفاتحة على روحه لكي تكون الزيارة رمزا لانطلاق وبداية عهد الحرية والاستقلال .

عند سفوح الأوراس قريبا من باتنة هبطت الطائرة بسلام ولكن المطار المهجور غير مجهز للطائرات المدنية وخصوصا عدم وجود سلالم للنزول إلى أرض المطار. كان ضمن الوفد في الطائرة الطاهر الزبيري الذي كان رئيس أركان جيش التحرير فاقترح أن نربط حبلا في باب الطائرة وأن ننزل متسلقين الحبل . كانت فكرة عبقرية منه. لكن الحس الصحفي

عندي منحني الجرأة لاستئذان الرئيس بأن أكون أول من ينزل ليتاح لي تصوير جميع زعماء الثورة وهم يتسلقون الحبل نزولا من الطائرة .

عندما ذهبت مع الرئيس بن بلة لزيارة المدن والبلدات الجزائرية وعند الصعود إلى باتنة وقد استخدمنا سيارات جيب عسكرية لصعود جبال الأوراس عبر الطريق الضيقة والوعرة، شاهدت الأرض محروقة . ولما هممت أن أسال مرافقي الشاب عبد الرحمن عجريد عن ذلك تدخل بن بلة وكان معنا في السيارة وقال سأخبرك بذلك عندما نصل . في البداية سألني بن بلة كم تقدر عمر عبد الرحمن فقلت ربما يكون في الأربعين ، فقال بل عمره ثلاث وعشرون سنة والسبب في تحول هيئته هو الحرائق الرهيبة التي تسببت في مقتل مجاميع كبيرة من أفراد جيش التحرير المحتشدين في غابات الأوراس . ويبدو أن الحديث تشعب فلم أعرف حقيقة أسباب حرائق الأوراس، لكن سألت هواري بومدين عنها فيما بعد.

الجولة شملت أيضا بلدة قريبة من قسنطينة هي سطيف لزيارة فرحات عباس ، الذي كان أول رئيس للحكومة المؤقتة قبل الإستقلال .

كان لقائي بالرئيس أحمد بن بلة لا يخلو من الطرافة . فنحن لم يسبق أن التقينا وجها لوجه من قبل وكان أول لقاء معه في طرابلس قبيل دخوله الجزائر بعد انتصار الثورة وحصول البلاد على الإستقلال .

عندما عرفوه عليّ قالوا له هذا هو الأخ سمير مطاوع . فنظر إليّ بإعجاب قائلا: أنت سمير مطاوع؟ قلت له نعم يا سيدي، أنت تعرفني؟ أجابني قائلا: يا سمير، يا سمير... الراديو الذي في السجن لم يكن يلتقط أي محطة عربية إلا إذاعة هولندا وكنا نستمع إلى تقاريرك منها. حديثه عني وعن الإذاعة بهذه الطريقة جعلني أدرك كم كانت تقاريري مفيدة من حيث أنها كانت توفر للزعماء المسجونين بعض المؤشرات عن تطور المحادثات والصعوبات التي كانت تعترضها أحيانا.

في الطائرة مع بومدين

عندما غادرت الجزائر بعد الاحتفالات أتيحت لي فرصة مرافقة الرئيس هواري بومدين قائد جيش التحرير الجزائري الأسطوري في رحلة إلى القاهرة .

خلال الرحلة تحدثت مع بومدين حول ما حدث في طرابلس يوم الاستقلال عندما دخل يوسف بن خدة رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ورفاقه إلى الجزائر ولم يأخذوا بومدين معهم وقد تضامن الرئيس بن بلة مع رفيقه بومدين ولم يدخل الجزائر مع رئيس الحكومة المؤقتة . في ذلك اليوم أدركت وجود خلاف بين أعضاء القيادة الجزائرية . فقد كان بومدين في الحقيقة هو بطل الاستقلال بصفته قائد جيش التحرير وكان بقية أعضاء الحكومة المؤقتة يظنون أنه يتطلع للاستيلاء على السلطة. وقد كان بالفعل يمثل البطل بالنسبة لكل الجزائريين وكانت شعبيته بينهم في أعلى المستويات . كما أن قادة المناطق كانوا يتبعونه مباشرة ويأتمرون بأمره ومن هنا كانت خشية الحكومة المؤقتة منه.

قال لي بومدين أيضا إن الإهتمام الأكبر يجب أن ينصب على إعادة بناء المجتمع والعناية بأسر الشهداء والمصابين والجرحى وكذلك التعليم . وقد ركز كثيرا على موضوع التعليم وعلى تعريب التعليم على وجه الخصوص . وقد استعانوا بالفعل بكثير من المعلمين المصريين والأردنيين والفلسطينيين. وقد كان الأردن من أوائل الدول التي دعمت الثورة الجزائرية .

وقد ذكر لي بن بلة أن الأردن كان أول بلد يهدي الجزائر قطعة ارض لبناء سفارة عليها. وتم البناء على حساب الشعب الأردني الذي جمع تبرعات لذلك الغرض من التجار ورجال الأعمال والطلاب .

الأمر الثاني الذي ناقشته مع بومدين في الطائرة كان موضوع أحراش الأوراس المحترقة. فقال لي إن القاعدة الجوية الفرنسية المهجورة القريبة من باتنة والتي هبطت طائرتنا فيها في رحلة الاحتفال بالاستقلال ، تجمعت فيها أعداد من الطائرات الفرنسية الحربية للإنقضاض على الثوار المحتشدين في غابات الأوراس حيث قام جيش التحرير بتجميع آلاف المقاتلين في الأحراش القريبة بهدف مهاجمة القاعدة الجوية وتدميرها. ولكن ربما كان هناك بعض المتعاونين مع الفرنسيين الذين أفشوا السر فقامت الطائرات الفرنسية بمهاجمة الأحراش بلا هوادة بحرقها بقنايل النابالم على من فيها ولم ينج من ذلك سوى 17 شخصا.ومما سألته أيضا موضوع الاتصالات بين القيادات الثورية وبين العناصر وكيفية تمرير التعليمات والأوامر فقال إن الإعتماد كان على الإتصال الشخصي بإرسال

مبعوث لا يثير الشبهات يستخدم دراجة أو سيارة عادية وكان هذا أهم وسائل الاتصال بين فرق جيش التحرير.

أما موضوع الحصول على السلاح فكان المشكلة الأكبر للثوار. وقال لي بومدين أن الثوار كانوا يحصلون على السلاح عبر مصر أو يشترون بعض الأسلحة الخفيفة من بلجيكا أو دول أخرى بواسطة شركات وهمية في عدد من الجزر التي توصف «أوف شور» ويهربونها من هناك إلى الجزائر عبر قوارب صغيرة تحمّل في عرض البحر ثم تنقل إلى قطعة معزولة من الشاطيء وتنقل على دفعات إلى مخازن سرية في بروكسل أو قريبا منها.. ومن هناك تتقل إلى ميناء روتردام في هولندا حيث يحملها عمال جزائريون في السفن المتجهة إلى تونس أو طرابلس في ليبيا. كما أن الثوار كانوا كثيرا ما يغنمون أسلحة من الفرنسيين أنفسهم عندما يحققون نجاحات في عملياتهم.

لم يكن صعبا عليّ حين تحدث عن تهريب الأسلحة الخفيفة من بلجيكا عبر ميناء روتردام الهولندي أن أدرك أن سيارتي كانت إحدى الوسائط وأن الرئيس بومدين كان يعرف ذلك حين أشار إلى الموضوع وكأنه كان يريد إشعاري بذلك بشكل غير مباشر وأنه أشار إلى الموضوع لكي أدرك أن ذلك الاحترام الذي لقيته في الجزائر بما في ذلك السفر بمعيته كان جزءا من ذلك التكريم!!

وقد سألني بومدين في الطائرة عن سبب اختياري ومنحي الحق الحصري لتغطية مفاوضات استقلال الجزائر فحدثته عن الضابط الذي كان صلة الوصل بيني وبين الثوار وكان اسمه يوسف بودراع وقد كان ضابطا برتبة نقيب في جيش التحرير ومقرّه في بروكسل من أجل جمع التبرعات للثوار واستخدامها لشراء احتياجات جيش التحرير. وابتسم حين ذكرت إسم بودراع دليلا على أنه يعرفه وبالتالي تهيأ لي أنه أراد بابتسامته ساعتئذ أن يشعرني أنه يعرف ما كنت أقوم به من مساعدات لذلك الضابط الفذ الذي وعد بومدين أن يجمعني به إن عدت إلى الجزائر فيما بعد. ولكن ذلك لم يحصل إلا بعد أربعة وخمسين عاما عندما زرت الجزائر بدعوة من وزير الثقافة الأستاذ عز الدين ميهوبي في أيار مايو 2016 ولكن وفاة بومدين قبل ذلك بسنوات قد حال دون ذلك ولم يعرفه أحد ممن سألتهم عنه في تلك الزيارة .

حدثته أيضا عن تجربتي مع يوسف وكيف كنت أساعد الثوار مستخدما سيارتي التي تحمل إشارة خاصة بأني صحفي وبالتالي كان ذلك يسهل عبوري بين الحدود الأوروبية

لدول البينلوكس وهي اتحاد اقتصادي بين بلجيكا وهولندا ولوكسمبرغ . ولما عرفني ضباط الحدود وعرفوا أني صحفي كانوا يسهلون عبوري من دون فتح السيارة . وهذا ساعد على تمرير كثير من الأدوية والمعدات الأخرى . وفي مرة من المرات لاحظت انهم ركبوا درجا خشبيا تحت الصندوق الخلفي للسيارة ولكني لم أسألهم عنه أبدا. لكن بعد حديثي مع بومدين أدركت انهم فعلوا ذلك لعدم إحراجي أو الخوف من القيام بذلك .

بعد أن انتهيت من رواية قصتي عن مساعدتي للثوار وضع بومدين يده على كتفي وأحاطني بحنو وأعرب عن شكره وامتنانه وقال إن الثورة الجزائرية مدينة لكثيرين من الناس الذين ساعدوا في تحقيق الانتصار«**وأنت واحد من هؤلاء الناس ونعتبرك واحدا منا**».

كان ذلك الحديث بالنسبة لي أشبه بالوسام خصوصا من بومدين.

لقاء الرئيس عبد الناصر

ربما كانت مقابلتي للرئيس المصري جمال عبد الناصر المفاجأة الأكبر في حياتي. عندما وصلت مصر بعد الجزائر وكان ذلك في تموز / يوليو من العام 1963، كان أحد رؤساء التحرير في وكالة أنباء الشرق الأوسط هو الأردني محمد الخطيب . ودار بيننا حديث مطول عن زيارتي للجزائر وحدثته عن لقائي الرئيس أحمد بن بلة والجولة الموسعة التي رافقته فيها في جميع أنحاء الجزائر بمناسبة العيد الأول للاستقلال وكذلك عن لقائي وزير الدفاع هواري بومدين في الطائرة وكان يصغي باهتمام لتجربتي التي اعتبرها فريدة وتاريخية ، لكني رجوته ألاّ ينشر شيئا مما حدثته عنه في وكالة أنباء الشرق الأوسط لأني وعدت الأسبوع العربي به .

في اليوم التالي ولدهشتي الكبيرة ، اتصل بي محمد الخطيب على الفندق الذي أنزل فيه ليقول لي إنه بعد ساعتين ستصلك سيارة لتنقلك إلى القصر الجمهوري ومقابلة الريّس. قلت له أيّ ريّس تقصد؟ فقال الرئيس عبد الناصر... سر الدهشة أني لم اطلب مقابلة الرئيس وإن كانت تلك أمنية عزيزة على قلبي وعلى قلب كل صحفي في ذلك الوقت ، فأنا أعرف أن مقابلة عبد الناصر ليست بتلك السهولة . فأيقنت أن الزيارة تمّ ترتيبها لأن عبد الناصر علم بمرافقتي للرئيس بن بلة في جولة الجزائر، وعبد الناصر كان يكنّ لزعيم الثورة الجزائرية الإحترام والتقدير والمحبة وكانت مصر إحدى أكبر الداعمين لثورة

الجزائر. فقد كان الأستاذ الخطيب صديقا لمدير مكتب الرئيس عبد الناصر والذي حدّثه على ما يبدو بهذه المعلومات فنقلها بدوره إلى الرئيس . وكان هذا هو السبب في اللقاء الذي جمعني بالرئيس عبد الناصر. كانت تلك أكبر مفاجأة بالنسبة لي ولم أقتنع بالأمر بسهولة وظننت انه يمزح معي فقال « أنا بكلمك بجد، الريّس عايزيشوفك». فصدقت واقتنعت رغم الدهشة.

لما دخلت إلى مكتب الرئيس أحسست بالهيبة ، فالرجل له هيبة طاغية غير طبيعية وكاريزما تلمسها من أول لحظة . يشعر الأنسان في حضرة عبد الناصر انه بالفعل أمام شخصية غير طبيعية.

« **أهلا بالأخ سمير**» هكذا بادرني ثم صافحني. فجلست ولكن بعد أن جلس هو قبلي. قال بلهجته المصرية ، آه، سمعت عن تجربتك في الجزائر، وإنك رافقت الأخ أحمد ، فقلت له نعم يا سيدي أنا أعتقد انه من حسن حظي أنه أتيحت لي تجربة فريدة في مهنة الصحفي أن أرافق الرئيس بن بلة في جولة عبر الجزائر. فقال حدثني عنها.

حدثته عن الجولة مع الرئيس بن بلة من وهران إلى قسنطينة والى كل المناطق الجزائرية حتى وصلنا إلى بسكرة في أقصى الجنوب على أبواب الصحراء وقبلها تيزي أوزو في منطقة القبائل.

ثم ذكرت له أني في الريبورتاج الذي نشرته في الأسبوع العربي وصفت بن بلة بانه «**شهيد** الثورة الحي» بسبب ما رأيته من استقبالات الجزائريين له. عندها فتح عبد الناصر عينيه اللتين برقتا ونظر إليّ قائلا: « ده لقب موفق، ده لقب يستاهله بن بلة. وهو شهيد لكن ربنا أكرمه بأن أبقاه على قيد الحياة».

ثم سألني عن الأشياء التي رأيتها في الجزائر وماهي النواحي التي لفتت نظري. وحدثته عن بلدة تسمى عين البيضا التي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي خمسمئة كيلومتر وتتبع ولاية أم البواقي وتقع في شمال شرقي الجزائر. وقد قيل إن العدد الأكبر من رجالها استشهدوا في حرب التحرير بسبب أنها بعيدة عن المدن وبالتالي لم يكن سهلا نقل المصابين إلى المستشفيات فكانوا يموتون في الطريق. وقد قررت القيادة الجزائرية أن بناء مستشفى في هذه البلدة هو من الأولويات .

طوال اللقاء مع عبد الناصر والذي زاد عن ساعة لم أستطع سؤاله أي سؤال . فقد كان هو الذي يطرح الأسئلة عن بن بلة وعن الجزائر وعن مشاهداتي بالتفصيل . ولما حدثته عن رحلة الطائرة إلى باتنة وكيف أني صورت قادة الثورة وهم ينزلون من الطائرة متسلقين الحبل فرد بدهشة بالقول «**همه ثوار متعودين على كده**». وطلب أن أذكر له من الذين صورتهم فذكرتهم له. وكنت أتوقع انه سيطلب أن يرى الصور أو يطلب نسخا منها لكنه لم يفعل.

الصورة (1) الرئيس أحمد بن بلة ينزل من الطائرة متسلقا حبلا « همة ثوار متعودين على كده» كما قال الرئيس جمال عبد الناصر

الأمر الآخر الذي تحدثنا فيه كان يتعلق بصراع القوى في الجزائر. سألني هل استتب الأمر إلى بن بلة؟ هل شعرت بوجود أي مشكلة؟ سألني ذلك عندما حدثته عن قصة بن خدة وبومدين فقال نعم نحن نعرف هذه الحكاية . وسال مجددا : هل لمست أنه يوجد صراعات قوى؟ فقلت له إني شعرت بالتفاف الجزائر كلها حول الرئيس بن بلة إلى درجة تكاد تصل إلى حدّ التقديس. فقد كان من مفجري الثورة وضحى بسنوات من عمره في السجن وبالتالي كان أول رئيس للدولة في عهد الإستقلال.

كما سألني عبد الناصر عن انطباعاتي عن بومدين حين علم أنني رافقته بالطائرة من الجزائر إلى القاهرة . وعندها قال بلهفة : والله؟ تكلمتم بإيه؟ قلت له كان يهمني أن أسمع منه وجهة نظره فيما حدث في طرابلس عند دخول القيادة إلى الجزائر يوم الإستقلال . وثانيا كان يهمني أن أعرف منه عن ذلك العدد الهائل من الشهداء في حرب التحرير، وما هي ترتيبات الدولة للعناية بأسرهم وبأبناء الشهداء . أما الأمر الثالث الذي سألته عنه فكان عن الصعوبات التي واجهت جيش التحرير الجزائري خلال الثورة وخصوصا الحرائق الهائلة في جبال الأوراس.

كنت على الدوام أعتقد أن تجربتي الجزائرية أو تجربتي في الجزائر تحتاج إلى كتاب كامل . فقصة الجزائر تستحق أن تروى بالتفصل فلقد أصبحت دولة مرموقة ولها دور كبير في الحياة العربية والحياة الأفريقية . وأنا أعتبر أن ما رويته مجرد عناوين للتفاصيل.

يجب التنويه هنا أني في التحقيقات الصحفية اللي كتبتها عن الجزائر أطلقت عليها كما ذكرت صفة أسطورة الحرية في القرن العشرين ووصفت الزعيم بن بلة بشهيد الثورة الحي. وعندما أتحدث عن الجزائر بعد كل تلك السنوات أشعر أنها صارت قطعة من نفسي على الرغم من أنني أعتبر ما قمت به من جهد متواضع في مساندة الثورة الجزائرية لم يكن سوى نقطة في بحر النضال الأسطوري الجزائري.

تراودني دمعة تكاد تفرّ من عيني وأنا أستذكر تلك المرحلة . فالجزائر جزءٌ من مخزوني أو إرثي العاطفي. عندما دخلت الجزائر لم أكن اصدق أني أعيش إنجازا لم يتمتع به غيري وهو أن أحصل على الحق الحصري في تغطية مفاوضات استقلال الجزائر. لم يكن شيئا طبيعيا يستطيع أن يحصل عليه أيّ صحفي. ولكنني حصلت عليه . ولم يكن شيئا طبيعيا

أن أدخل الجزائر مع أبطال الاستقلال وأن أشارك الرئيس الراحل أحمد بن بلة في الجولة الواسعة التي عرفت فيها الجزائر شبرا شبرا . فهذه بالنسبة إليّ ثروة عاطفية غير طبيعية وهي جزء من مخزوني العاطفي.

أسطورة الجزائر ليست مجرد تاريخ يروى! فالشعب الذي يدفع ما يزيد عن مليون شهيد غير مئات الآلاف أو الملايين من النساء الثكلى ومن اليتامى والمصابين والمعاقين مقابل الحرية ثمن لم يدفعه أي شعب آخر على وجه الكرة الأرضية كلها إلا الجزائر. الجزائر ليست بلدا طبيعية والسبب هو ثورتها . ثورة الجزائر كانت بالفعل أسطورة وليس ثورة

عادية . هذا الاستقلال الذي أنجزه أبطال الماضي كان معجزة وإن كان ثمنه أرواح ودماء حيّة سالت مثل الأنهار.

ولا يسعني إلا أن أقول – ختاما – إن الذكريات الغالية تغرس في القلب نبتة محبة دائمة وأبدية تبقى ما بقي في الجسد حياة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والخلود والرحمة لشهداء ثورة الجزائر أسطورة الحرية في القرن العشرين.

Etudes et Recherche en Langues Etrangères

- Points de vue sur l'Algérie : la réception des travaux de Frantz Fanon et Pierre Bourdieu au Japon
  Dr. Naoki Iso

- L'engagement de la femme Algérienne : un combat pour la nation et pour la liberte
  Pr. Malika El Korso

Points de vue sur l'Algérie : la réception des travaux de Frantz Fanon et Pierre Bourdieu au Japon

Naoki Iso, Ph.D
JSPS research fellow, Keio University- Japan
Iso.naoki@gmail.com

Riceived date 23 / 01 /2020 Acceptation date 30 / 01 /2020

Résumé

Cet article analyse la réception des travaux de Bourdieu et de Fanon sur l'Algérie au Japon, en tant qu'étude de cas sur les conditions sociales de la circulation internationale des idées. Certes, les deux écrivains avaient écrit en réaction aux brutalités de la guerre d'Algérie mais avaient développé leurs idées différemment. Aussi, malgré que le plus célèbre penseur sur l'Algérie (au Japon) soit Fanon, Bourdieu occupe lui aussi une place de marque vue l'aspect (implicitement) critique de ses écrits vis-à-vis des idées de Sartre et de Fanon très en vogue dans les milieux gauchistes de l'époque. Toutefois, il est à souligné que la plupart des travaux des deux hommes traduits en japonais l'ont été par des spécialistes de la littérature française qui, souvent, manquent de connaissances en sciences sociales ou en philosophie. Concernant Fanon, l'un des plus éminents traducteurs de ses livres, en l'occurrence Michihiko Suzuki avait découvert sa pensée en lisant L'An V de la révolution algérienne que Abdelmalek Benhabylès, représentant du gouvernement provisoire de la République algérienne au Japon lui avait offert en 1961. Cependant, vers la fin du XXe siècle, Fanon ne semblait plus attirer l'audience japonaise, mais au début du XXIe siècle, il a connu un regain d'intérêt avec l'émergence d'un nouveau champ de recherche: les Postcolonial Studies. Pour conclure, il sera très fructueux de continuer à interroger la réflexion sur l'Algérie du point de vue de la réception de Fanon et Bourdieu au Japon, ce qui conduit à croiser l'histoire de la guerre d'Algérie et l'histoire des sciences humaines au Japon.

Mots clés: Pensée de Fanon, mouvement des idées, histoire de la guerre d'Algérie.

Abstract

This article analyzes the reception of Bourdieu and Fanon's work on Algeria in Japan, as a case study on the social conditions of the international circulation of ideas. Certainly, the two writers had written in reaction to the brutality of the Algerian war but had developed

their idas differently. Also, despite the fact that the most famous thinker on Algeria (in Japan) is Fanon, Bourdieu also occupies a prominent place given the (implicitly) critical aspect of his writings vis-à-vis the ideas of Sartre and Fanon, which were very popular in leftist circles of the time. However, it should be noted that most of the works of the two men translated into Japanese have been done by specialists in French literature, who often lack knowledge of social sciences and philosophy. Concerning Fanon, one of the most eminent translators of his books, in this case Michihiko Suzuki, had discovered his thought by reading (l'an V of the Algerian Revolution), which Abdelmalek Benhabylès, representative of the provisional government of the Algerian Republic in Japan, had offered him in 1961. However, towards the end of the 20th century, Fanon seemed no longer to attract Japanese audiences, but at the start of the 21st century, he experienced a renewed interest with the emergence of a new field of research "Postcolonial Studies". To conclude, it will be very fruitful to continue to question the reflection on Algeria from the point of view of the reception of Fanon and Bourdieu in Japan, which leads to crossing the history of the Algerian war and the history of Human and social sciences in Japan.

Keywords: Fanon's thought, the movement of ideas, the history of the Algerian war.

ملخص

يتناول هذا المقال صدى أعمال كل من بورديو وفانون بخصوص الجزائر في اليابان، وذلك كدراسة حالة للظروف الاجتماعية لحركة الافكار على المستوى الدولي. صحيحٌ أن كلا الرجليْن كتبا كرد فعل على الطابع الوحشي الذي ميّز حرب الجزائر، إلا أنهما صاغ أفكارهما بطرق مختلفة. وعلى الرغم من كون فانون هو أشهر مفكر بخصوص الجزائر (في اليابان)، لكن بورديو -بدوره- يحظى بمكانة مرموقة، وذلك بالنظر الى الطابع النقدي (ولو ضمنيا) الذي ميز كتاباته تجاه أفكار سارتر وفانون ذات الرواج الواسع في الأوساط اليسارية عندئذ. هذا، ومن الجدير بالتنويه أن جلّ أعمال المفكريْن (بورديو وفانون) تُرجمت الى اللغة اليابانية من قبل مختصين في الأدب الفرنسي يفتقرون في الغالب الى المعرفة الكافية بالعلوم الاجتماعية والفلسفة. بخصوص فانون، فإن أحد أبرز مترجمي مؤلفاته، وهو ميشيهيكو سوزوكي كان قد اكتشف فكره بعد أن اطلع على كتابه الموسوم بـ «العام الخامس للثورة الجزائرية» الذي أهداه إياه في 1961 عبد الملك بن حبيليس ممثل الحكومة الجزائرية المؤقتة في اليابان. ومع أن فكر فانون أخذ يخفت في اليابان مع نهاية القرن 20 بيد أنه سرعان ما استعاد جاذبيته ببروز حقل بحثي جديد: «دراسات ما بعد الاستعمار». وفي الختام، نؤكد على جدوى الإستمرار في مساءلة التأملات بخصوص الجزائر من زاوية صدى أفكار بورديو وفانون في اليابان، لما سيفضي إليه ذلك من تسليط الأضواء على التقاطع بين تاريخ حرب الجزائر وتاريخ العلوم الإنسانية في اليابان.

الكلمات المفتاحية: فكر فانون، حركة الأفكار، ، تاريخ حرب الجزائر.

Introduction

Sociologue, je travaille sur les inégalités sociales au Japon et les relations entre intégration et différenciation sociales. J'ai étudié à l'université Hitotsubashi de Tokyo, où j'ai obtenu mon doctorat, ainsi qu'à l'École des hautes études en sciences sociales, à Paris. Ma thèse de doctorat portait sur la pensée sociologique chez Pierre Bourdieu ; mon ouvrage sur l'épistémologie et la réflexivité chez Pierre Bourdieu paraîtra au Japon aux Presses universitaires de Hosei en 2020 (Iso 2020).

J'ai commencé à m'intéresser à la pensée de Pierre Bourdieu durant mon Master au Japon, alors que j'étudiais les politiques de l'immigration en Europe et l'histoire coloniale de l'Algérie. Admiratif des travaux de Rogers Brubaker et d'Engin F. Isin, qui sont influencés par Pierre Bourdieu, j'ai commencé à le lire, y compris Le Déracinement, écrit avec Abdelmalek Sayad.

Je me suis inscrit à l'EHESS en 2007 pour approfondir mes études sur Pierre Bourdieu et j'ai donc été amené à m'intéresser à la société française. Dans le cadre de mon séjour en France, j'en suis venu à mener des enquêtes ethnographiques dans un club de judo de la banlieue parisienne, à Saint-Denis. Je n'ai malheureusement pas pu poursuivre ce projet pour ma thèse de doctorat, mais il a donné lieu à la rédaction de deux articles et, surtout, le travail de terrain et d'enquête a développé mon intérêt et mes connaissances sur la question postcoloniale en France. Avec le concours de mes collègues qui étudiaient l'histoire coloniale de l'Algérie ou les littératures maghrébines, j'ai entrepris de traduire Le Déracinement en japonais —traduction également à paraître en 2020 aux Presses universitaires de Hosei. Mon intérêt pour Pierre Bourdieu ne cessant de croître, j'ai finalement décidé de lui consacrer ma thèse.

Il y a cependant très peu de sociologues japonais qui lisent les travaux de Bourdieu en français ou s'intéressent à l'Algérie. La plupart des livres de Bourdieu traduits en japonais l'ont été par des spécialistes de la littérature française qui, souvent, manquent de connaissances en sciences sociales ou en philosophie. Quant aux études algériennes de Bourdieu, elles n'ont pas été traduites en japonais, hormis Algérie 60. Auprès des chercheurs en sciences humaines et sociales au Japon, le plus célèbre écrivain ou penseur sur l'Algérie est Frantz Fanon. Or les réflexions de

Bourdieu et de Fanon sur l'Algérie n'ont pas encore été mises en regard au Japon, à quelques exceptions près. Dans cet article, je me pencherai donc sur la réception des deux personnages au Japon, en tant qu'étude de cas sur les conditions sociales de la circulation internationale des idées, telles que formulées par Bourdieu dans son article paru dans les Actes de la recherche en sciences sociales (Bourdieu 2002a).

Bourdieu et l'Algérie

Le Déracinement (Bourdieu et Sayad 1964) est une étude sur les paysans et agriculteurs algériens qui, ayant été regroupés pendant la guerre d'Algérie, avaient été déracinés de leurs terres et arrachés à leurs styles de vie traditionnels. Bien que Jean-Paul Sartre et Frantz Fanon ne soient pas directement cités dans ce livre, il semble que Bourdieu et Sayad tentaient de critiquer les écrits de l'un comme de l'autre sur l'Algérie. Bourdieu ne l'a en effet jamais dit explicitement dans ses publications en français mais, dans un entretien avec Haruhisa Kato (1935-) mené au Japon en 1989, il a déclaré que ses études sur l'Algérie étaient écrites dans une intention de les critiquer.

Dans la première moitié des années 1960, précise Bourdieu « mes travaux se fondaient sur la critique de Fanon ; j'ai dû le mentionner en note. Ce que Fanon disait n'est pas faux, mais sa vision de la réalité me semble partiale et tordue. C'est-à-dire qu'il universalise un point de vue très particulier. À cette époque-là, Sartre étant divinisé par les intellectuels et étudiants noirs, Fanon faisait des projections gauchistes sartriennes contre l'Algérie *(Française)*, mais aucune d'entre elles ne correspondait à la réalité. Ce que Fanon dit sur les femmes algériennes, le parcours de la révolution chinoise ou les paysans en tant que classes révolutionnaires, etc., tout cela relève du fantasme. La source de mes travaux à cette époque-là était donc ma colère contre ces dérives gauchistes, qui agissaient comme une forme de maladie infantile. Il en allait de même pour les intellectuels de gauche en France, en ce sens qu'ils croyaient discuter de l'Algérie, mais parlaient en fait d'eux-mêmes. Ceci n'est pas seulement faux mais aussi nuisible. Même chose pour Ivan Illich. » (Bourdieu 2002b : 78)

Il semble possible que Bourdieu ait ici exagéré son intention de critique envers Fanon, car dans cet entretien, Haruhisa Kato avait exprimé à Bourdieu l'enthousiasme qu'il éprouvait dans sa jeunesse vis-à-vis de Fanon. Comme évoqué plus haut, à l'instar de Kato, la plupart des traducteurs japonais des travaux de Bourdieu sont spécialistes de littérature française ; de même pour Fanon. Trois de ces traducteurs sont Haruhisa Kato, Michihiko Suzuki (1929-) — qui a aussi traduit «À la recherche du temps perdu de Proust» —, et Takeshi Ebisaka (1934-), qui est resté un fervent admirateur de Sartre.

Fanon au Japon

Suzuki et Ebisaka ont contribué à l'importation des idées de Sartre et de Fanon au Japon. Tous deux ont étudié la littérature française à l'université de Tokyo puis enseigné à l'université Hitotsubashi pendant une trentaine d'années ; ils sont également connus pour leurs commentaires de l'actualité politique au Japon et en France.

Suzuki a récemment publié «Mon 1968», ouvrage qui rassemble ses articles déjà parus sur 1968, période durant laquelle il résidait à Paris (Suzuki 2018). Ce livre se compose de cinq parties : premièrement « La lutte à l'aéroport Haneda le 8 octobre », deuxièmement « Paris, mai 1968 », troisièmement « Pensées de déserteurs », quatrièmement « Deux essais sur Fanon », et cinquièmement « Tiers-monde au Japon ». Dans l'ensemble, ce livre semble influencé par Sartre et Fanon.

Suzuki avait fréquenté des militants du FLN à Paris pendant la guerre d'Algérie. Abdelmalek Benhabylès, durant son séjour au Japon en tant que responsable des Affaires extérieures au sein du gouvernement provisoire de la République algérienne en 1961, lui avait donné un exemplaire de «L'An V de la révolution algérienne de Fanon» (Suzuki 2018 : 185). Suzuki a ainsi découvert la pensée de Fanon et c'est en lisant «Les Damnés de la Terre» qu'il a décidé de s'y intéresser en profondeur. Pour Suzuki, tous les travaux de Fanon sont liés à la question du tiers-monde. Selon lui, « Fanon s'est entraîné robustement en tant qu'idéologue du tiers-monde. La source de ma sympathie pour Fanon et aussi mon hésitation face à lui vient de cette dimension chez Fanon. » (Suzuki 2018 : 186). Ce n'était pas l'Algérie, mais Fanon et plus généralement les questions du tiers-monde qui intéressaient Suzuki.

Comme Suzuki, Takeshi Ebisaka s'est pris d'intérêt pour les travaux de Fanon en lisant « Les Damnés de la Terre». Il en avait trouvé un exemplaire et l'avait acheté immédiatement dans une librairie à Tokyo en 1962, mais c'est parce que la préface de ce livre avait été écrite par Sartre (Ebisaka 2006 : 10) : Fanon n'intéressait pas encore vraiment Ebisaka à ce moment-là. Ebisaka est allé à Paris en 1963 et y a séjourné pendant deux ans pour ses études sur Sartre. À Paris, au contact d'intellectuels d'origine africaine, les travaux de Fanon lui sont devenus familiers. De plus, un éditeur a demandé à Suzuki et Ebisaka de traduire plusieurs de ses écrits. C'est ainsi qu'Ebisaka s'est intéressé à Fanon sérieusement.
Pendant son séjour à Paris, Ebisaka n'a cessé de chercher dans les librairies d'occasion un exemplaire de l'ouvrage de Fanon « Peau noire, masques blancs» qui était alors épuisé. Il n'a réussi à le trouver que juste avant son départ pour le Japon en 1965. Il s'est ensuite attelé à la traduction de ce livre en japonais avec Haruhisa Kato. La traduction japonaise de Peau noire, masques blancs a paru en 1968. Dans les années 1970, Fanon a ainsi été consideré au Japon comme un célèbre écrivain du tiers-monde, grâce aux traductions japonaises de ses travaux. Une biographie critique de Fanon écrite par Ebisaka a paru en 1981.
À la fin du XX^{e} siècle, Fanon ne semblait plus attirer l'audience japonaise, mais au début du XXI^{e} siècle, il a connu un regain d'intérêt avec l'émergence d'un nouveau champ de recherche : les Postcolonial Studies. Gayatri Chakravorty Spivak et Homi K. Bhabha, par exemple, en sont représentatifs et Fanon est considéré comme leur précurseur. C'est aussi l'idée de Tetsuya Motohashi, auteur de l'ouvrage Postcolonialism rédigé en japonais (Motohashi 2005). L'année suivante a paru la nouvelle édition augmentée de la biographie de Fanon par Ebisaka. Fanon est donc célèbre au Japon en tant que penseur du « tiers-monde» ou précurseur des Postcolonial Studies. Certains chercheurs comme Ichiro Tomiy-ama, historien d'Okinawa, interprètent Fanon et développent ses idées pour mieux comprendre des réalités sociales ou des faits historiques (Tomiyama 2018).

Conclusion

Pierre Bourdieu et Frantz Fanon ont tous deux écrit en réaction aux brutalités de la guerre d'Algérie mais ont développé leurs idées différemment. Au Japon aussi, leurs travaux à l'un comme à l'autre sont

célèbres, et il reste encore beaucoup à étudier. Nous devons continuer à élucider dans quel contexte leurs idées ont été importées au Japon, en les confrontant à l'histoire de l'Algérie coloniale. Interroger la réflexion sur l'Algérie du point de vue de la réception de Fanon et Bourdieu au Japon, c'est croiser l'histoire de la guerre d'Algérie et l'histoire de sciences humaines au Japon.

Réferences:

- Bourdieu, Pierre. 2002a. Les conditions sociales de la circulation internationale des idée. Actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 145, décembre 2002, pp. 3-8.
- Bourdieu, Pierre. 2002b. L'Entretien avec Bourdieu. In Pierre Bourdieu : l'anthro pologue transdisciplinaire, sous la direction de Harhisa Kato, Tokyo : Fujiwara-shoten.
- Bourdieu & Sayad. 1964. Le Déracinement, Paris : Editions de Minuit.
- Ebisaka. Takeshi. 2006 [1981]. Franz Fanon. Tokyo : Misuzu-Shobo. [En japonais]
- Iso, Naoki. 2020. L'Epistémologie et la refléxivité chez Pierre Bourdieu, Tokyo : Les Presses Universitaire de Hosei. [En japonais}
- Motohashi, Tetsuya. 2005. Le Postcolonialisme. Tokyo : Iwanami-shoten. [En japonais]
- Suzuki, Michihiko. Mon 1968. Tokyo : Jungetsusha. [En japonais]
- Tomiyama, Ichiro. 2018. Le Savoir de commencements : sur la pensée clinique de Franz Fanon. Tokyo: Les Presses Universitaires de Hosei. [En japonais]

L'engagement de la femme algérienne : un combat pour la nation et pour la liberté

Pr.Malika El Korso
Université - Alger2
Malika.elkorso@gmail.com

Riceived date : 13 / 10/ 2019 Acceptation date 28 / 11 / 2019

Résumé

L'engagement de la femme algérienne: un combat pour la nation et pour la liberté L'historiographie officielle et notre mémoire collective mettent en avant deux figures: celle de la maquisarde et celle de la fidaiya, et on oublie toutes ces anonymes qui ont apporté leur contribution, aussi minime soit-elle, pour la libération de l 'Algérie.

Alors qu'on ne cesse de clamer que le rôle de la femme a été considérable, que sa participation a été multiforme et continue; on persiste à circonscrire ses tâches principales du moins les plus courantes, à des tâches dites domestiques.

Faut- il souligner que sur le terrain, la guerre de libération nationale a été menée partout et par tous et par toutes, que dans le feu de l'action le moindre acte était un acte de bravoure et exposait leurs auteures à des violences atroces ?

Mots clefs: guerre de libération nationale, femmes, colonisation.

Abstract

Official histography and our collective memory highlight two figures: that of the woman maquis and that of the fidaiya, and we forget all those anonymous women who made their contribution, no matter how small it was, for the liberation of Algeria.

While it is constantly claimed that women's role had been considerable, that their participation had been multifaceted and continuous; their main tasks, at least the most common ones, are still limited to so-called domestic tasks.

Is it necessary to emphasize that in the field, the war of national liberation was carried out everywhere and by everyone, that in the heat of the moment every act was an act of bravery and exposed their authors to atrocious violence?

Key words: National liberation war, Women, Colonization.

ملخص

تركز الاستوغرافية الرسمية وذاكرتنا الجماعية، على صورتين عندما يتعلق الأمر بكفاح المرأة الجزائرية : صورة المجاهدة وصورة الفدائية وبذلك نتناسى كلّ اللواتي ساهمن ولو بشكل بسيط في تحرير بلادهنّ.

ففي الوقت الذي نشيد فيه بدور المرأة الجبار ومساهمتها المتعددة الأوجه والمتواصلة، نصرّ على حصر أهمّ أنشطتها، أو على الأقلّ الدائمة، في الأعمال المنزلية . هل يتوجّب علينا التذكير أن الثورة التحريرية قامت في كل مكان وشارك فيها الجميع وأن في خضم المعركة أبسط فعل كان بمثابة نشاط بطولي يعرّض من قاموا به إلى عقوبات قاسية.

الكلمات المفتاحية : الثورة التحريرية، المرأة، الاستعمار.

Introduction

La Guerre de Libération nationale contre le colonialisme français a été une des plus longues et des plus meurtrières des guerres de libération. Elle couronne persque un siècle de résistance armée (1830-1916) et de luttes politiques (1926-1954). Quasiment personne n'a été épargné parce que presque tous les Algériens se sont reconnus à un moment ou à un autre dans la Proclamation du 1er. Novembre 1954. La femme algérienne n'était pas en reste, loin s'en faut. Pour les aînées ; la génération du mouvement national et de mai 1945, l'engagement dans le Front de Libération Nationale pour la plupart et l'Armée de Libération nationale pour certaines d'entres elles, allait de soi parce cela concrétisait une conviction et prolongeait le combat politique pour les droits et libertés des Algériens et des Algériennes. Pour les plus jeunes ; la tranche 14-18 ans ; elles répondaient à l'ultime appel de la Patrie.

La Guerre de tous les Algériens

D'aucuns voudraient réduire l'apport de la femme dans la Révolution, à une batterie d'énumération qui relèverait de son statut de femme, d'épouse, de soeur et de femme au foyer. Ce comportement nie de facto la portée hautement anti coloniale de l'engagement de la femme algérienne.[1]

1 -Les Algériennes sont citées pour la première fois dans la Plate forme du Congrès de la Soummam (août 1956) qui salue l'implication des femmes : « Nous saluons avec émotion l'exaltant courage

Alors que l'on ne cesse de clamer que son rôle a été considérable, que sa participation a été multiforme et continue, on persiste à circonscrire ses tâches principales ou du moins les plus courantes ; à des tâches dites domestiques, non sans introduire une certaine distinction entre femmes citadines et femmes rurales. Faut-il souligner que sur le terrain, La Guerre de Libération a été menée partout et avec tous; que dans le feu de l'action, le moindre acte était un acte de bravoure porté à l'actif de l'offensive contre la soldatesque coloniale. Chacun a apporté sa contribution aussi minime soit-elle. Les petites mains qui roulaient le couscous, préparaient la chaude kesra et la qahwa brûlante que les Moudjahidine avalaient d'un trait tant ils en avaient rêvé, les tenues des djounoud lavées, les quelques fruits secs et la bouteille d'huile d'olive prélevés sur les maigres réserves familiales, le maigre troupeau de chèvres qui suivait elkhawa de retour au djebel pour effacer les traces de leurs pas, le sang froid et/ ou la défiance de l'ennemi en lui opposant une résistance par le geste et la parole et bien d'autres gestes anodins en temps normal, avaient valeur d'engagement, de sacrifices et exposaient leurs auteures à des violences atroces suivies par la destruction de la chaumière ou de la kheïma par le feu, quand ce n'est pas une balle tirée à bout portant sur tout ce qui bouge. Même sous les miradors qui surplombaient à intervalles réguliers les camps de regroupements (Pierre Bourdieu et Abdelmalek Sayad, 1964), la femme rurale parvenait à tromper la vigilance de ses geôliers. Agent de liaison, elle assurait le contact entre le commissaire politique F.L.N. du camp et les responsables A.L.N. du maquis, transportait le courrier faisait sortir de la nourriture aux djounoud etc. Son fardeau de bois, son séroual, son turban représentaient pour le F.L.N.-A.L.N.-population des camps de regroupement, ce que représentait le téléphone de campagne pour le commandant du poste de surveillance avec l'autorité militaire supérieure. L e militantisme des femmes a été quelque chose d'exceptionnel ; elles ont milité trés jeunes et à l'insu de leurs familles ; elles étaient clandestines dans la clandestinité , elles ont transgressé des tabous, brisé des carcans pour un idéal : l'indépendance de leur pays. Ce qui explique le courage à la limite de l'impensable de ces jeunes filles transportant dans leurs sacs à mains des bombes au risque de se faire arrêter à chaque barrage

révolutionnaire……. » puis vient le rôle qu'il convient d'assumer aux femmes : soutien moral ,renseignements, liaison etc.. Les fonctions assignées à la femme, dans cette Plate forme sont déjà en retrait par rapport à celles qu'elles exercent déjà.

par les paras de Massu , au risque que cette machine déchiquette leurs corps frêle à tout instant , comme ce fut le cas pour la très jeune Yasmina WBelkacem qui a été amputée de ses deux jambes.[2]

Ravitailler, héberger, transporter le courrier, l'argent ,les armes, devenir infirmière, secrétaire le temps d'une bataille, se mettre au service des populations démunies étaient des tâches communes aux femmes rurales et citadines imposées par la guerre de guérilla. Les stratégies de solidarité étaient du fait de l'espace dans lequel elles se développaient, plus actives, plus visibles en milieu urbain qu'en milieu rural.

Les centres urbains, pôles politiques et militaires constituaient dans la stratégie du F.L.N.-A.L.N. une véritable caisse de résonnance d'autant que les médias français et internationaux à l'affût de tout scoop, devenaient consciemment ou inconsciemment les portes voix de la cause algérienne. Algériennes ou Européennes d'origine, secrétaires, étudiantes ou femmes de ménage, mères de famille ou célibataires, vraies ou fausses blondes, en jupe courte ou en haik , résidantes au centre, à la périphérie ou en milieu rural, toutes se sont mises au service d'et-Tewra. L'histoire retiendra que les poseuses de bombes ou les « bombistes » pour nous situer dans la terminologie de l'époque, plongèrent Alger, devenue la ville la moins sécurisée pour les ultras, dans un cauchemar épouvantable (Djamila Amrane, 1988 ; Drif-Bitat Zohra, 2013). Sans oublier les you-you des femmes de la Casbah en écho aux condamnés à mort de la prison de Barberousse.

Un regard serein et critique

Le temps est venu de poser un regard serein et critique sur le rôle et la place de la femme algérienne dans la révolution sur la base de la globalité et de la complémentarité de l'action menée contre les forces d'occupation. Même si à l'origine, le nidham est né masculin, les concepteurs du Premier Novembre ont très vite saisi le sens et la portée de l'apport que pourrait représenter pour le futur, l'implication de la femme algérienne.

2 -Témoignages de Zhor Zerari, Fadéla Attia, Djamila Boupacha, Louisa Ighilahriz,Meriem Belmihoub,Jacqueline Guerroudj, Annie Steiner, Djamila Taibi, Nadéra Kettaf …

Les secrétaires, infirmières, poseuses de bombes les « contrôleuses » du MALG[3] , des femmes artistes (Fadhéla Dziria, H'nifa et d'autres)[4]faisaient corps avec celles qui dans les lointaines campagnes assuraient le gîte et le couvert aux Moudjahidine en plus d'être l'œil et l'oreille d'el-Jebha. Faire la distinction entre les unes et les autres, c'est morceler un acte fondateur solidaire et unitaire.

Véritable ombre furtive, la Moudjahida, la Moussebila, la Fidiya d'hier, reste malgré les sacrifices, la grande oubliée, même si à travers quelques figures comme Djamila Bouhired, Djamila Bouazza, Djamila Boupacha, Zohra Drif, Louisa Ighilahriz , Zhor Zérari et quelques autres, un espace symbolique lui est aménagé. Soulignons que du point de vue historiographique, aucun espace ne la consacre. A supposer que les élèves de nos écoles, collèges , lycées ou même nos étudiants à l'université savent quelque chose sur Ben Boulaid ,Ben M'hidi, Abane Ramdane Zighout Youcef…, combien sont-ils ceux qui connaissent Malika Gaid, maquisarde, un diplôme d'infirmière en poche, prend le maquis en août 1956 et tombe en martyre à l'âge de 21 ans en août 1957, Hassiba Ben Bouali (morte déchiquetée à l'âge de 19 ans, le 8 octobre 1957 , pour avoir refusé la liberté « à la Massu »), Ourida Meddad, 16 ans, brûlée au chalumeau ,torturée à mort et jetée du 5ième étage en 1957 ; Khédidja Chellali , lycéenne rejoint le maquis en Wilaya V en 1956, tombée un an plus tard au champ d'honneur à l'âge de 19 ans Hasna Belaid, maquisarde de la Wilaya V, tombée au champ d'honneur en 1958 les armes à la main ; les sœurs Saadane de Constantine : Mériem, infirmière arrêtée en janvier 1958 ,torturée, relâchée, de nouveau arrêtée en mai 1958, tuée par la soldatesque à l'âge de 26 ans ; sa sœur Fadéla , lycéenne tombe en martyre lors d'un accrochage en 1960, à 22 ans ; les sœurs Bedj, tombées au champ d'honneur dans la wilaya IV, Djenette Hamidou (dite Maliha) à Tlemcen, morte en 1959 sous la torture et tant d'autres pour qui on devrait élaborer un dictionnaire biographique des chahidate afin que nul n'oublie.[5]

3 - MALG (Ministère de l'Armement et des Liaisons Générales) : une dizaine de jeunes lycéennes ayant abandonné leurs études pour rejoindre les rangs du MALG, le corps des contrôleurs mis en place en février 1957 par Boussouf.

4- Elles ont porté la voix et l'image de la Révolution algérienne et ont réussi à « coupler l'art et le fusil »pour dire les souffrances de leur peuple.

5- « Ce qui est douloureux pour nous, disent les moudjahidate, c'est de nous voir marginaliser, écarter, effacer de notre vivant »

Une histoire de la guerre de libération nationale sans les femmes

Cinquante sept années après l'indépendance que sait-on sur ce que fut le rôle de la femme algérienne dans la Révolution ? Des bribes. Aucun mouvement de femmes n'est signalé dans les manuels scolaires, aucun chapitre dans les programmes d'histoire de l'université ne leur est consacré.

Pourtant aussi loin que remonte la mémoire, les femmes se sont toujours battues. Même si les formes changent, si la participation est indirecte ou non, la femme algérienne a toujours agité l'étendard de la révolte. Se référer à la Kahina qui a défait au VII^{e}. siècle le grand Oqba Ibn Naffi'a, est devenu une tradition. Le combat de la femme algérienne va alors épouser les contours du moment : résistance armée au XIX^{e}. siècle, luttes politiques durant les cinq premières décennies du XX^{e}. siècle avant de renouer avec la résistance devenue au lendemain du 1^{ier} Novembre 1954, Lutte armée , Guerre de Libération nationale puis Révolution algérienne. Inscrit dans la durée, ce combat qui n'était pas ponctuel mérite un bref rappel.

-De la résistance au militantisme

Pour des hommes comme Bugeaud, Randon, Pélissier, Montagnac ; la guerre de conquête consistait en la terre brûlée et mâter toute résistance afin de tirer tout germe de révolte. Un rapide panorama illustre amplement la permanence de ce combat au féminin qui s'avérera incontournable pour déjouer la stratégie du napalm après celle de la canonnière [6]

- Aux côtés de l'Emir 'Abdel-Qader, elles soignaient les blessés et galvanisaient les combattants ;

-1836 : les Constantinoises se mobilisent aux côtés d'Ahmed Bey et exaltent par leur youyou le courage des résistants. Les hésitants et les fuyards sont mis à l'index par les femmes qui les traitent de lâches ;

6-Dans toutes les tentatives de résistance au colonialisme, les femmes ont toujours apporté leurs contributions spécifiques, même si aucun historien n'en fait mention. (Jean Déjeux, 1987). A partir de rapports d'officiers français ayant participé aux actions militaires contre l'Emir Abdelkader, l'auteur confirme que la présence des femmes algériennes dans toutes les luttes de cette époque témoignent de leur combativité aussi bien sur le plan moral que physique : elles soignaient les blessés et encourageaient les combattants, pour exemple les femmes de la Zaatcha , en octobre 1849, tuèrent une vingtaine de soldats français….

-1849-1850 : pour défendre leur famille et leur dignité, les femmes zaâtcha tuent une vingtaine de soldats français ;

-1850-1857: Lalla Fatma N'Soumer, sacrée héroïne de la résistance de la Kabylie, défie les armées du maréchal Randon;

- 1881 : l'insurrection menée par cheikh Bouamama ne fera pas exception.

- 8 mai 1945, la féroce répression n'épargne personne, ni vieillards, ni femmes, ni enfants. Le général Thubert note dans un rapport que « les femmes excitaient de leurs youyou les cinq mille algériens regroupés près de la salle des fêtes de Sétif, venus demander la libération de Messali» transféré alors de Koléa à Brazzaville. Dans son ouvrage L'histoire du nationaliste algérien , le Professeur Mahfoud Kaddache signale qu'un fonctionnaire envoyé par le gouverneur général Yves Chataigneau, revient épouvanté de Guelma : « des hommes, des femmes, des enfants avaient été exécutés sans jugement , en bloc ».

- La chahida mensiya

A ce titre la chahida Zohra REGGUI (Reggui Marcel, 2006), surnommée la chahida mensiya (la chahida oubliée), dont on ne trouve nulle trace dans les écrits sur le 8 mai 1945 ,était issue d'une famille citadine, connue à Guelma.

« Elle ne tolérait pas qu'un Européen manquât de respect à une femme arabe et ne s'arrêtait que lorsqu'elle obtenait des excuses ou l'esquivement du personnage impoli…Lorsqu'elle apprit l'assassinat de notre frère, elle ne put contenir sa douleur et sa colère. Achiary l'entendit et déjà condamna en elle la femme musulmane émancipée, capable demain de se transformer en justicière d'un régime inhumain » (Reggui Marcel, 2006 : 121). Zohra REGGUI sera arrêtée sur le champ, emprisonnée , atrocement torturée, mutilée, elle sera froidement exécutée ainsi que ses deux frères, Mohamed et Abdelhafid, non loin de la ville qui la vit naître dans la localité de Oued M'aiz.

- Du militantisme à l'engagement

Suite aux massacres du 8 mai 1945, les femmes s'organisent en associations. A Alger, Oran et dans d'autres villes, des comités d'amnisties où l'on compte de très nombreuses femmes, voient le jour. La période 1945-1954 est marquée par le passage du stade du militantisme à celui de l'engagement de la femme algérienne dont la prise de conscience s'est entre- temps aiguisée.

Deux associations féminines font leur apparition entre 1945 et 1947 (Jurquet- Bouhoune Baya et Jurquet Jacques, 2007). L'Union des femmes d'Algérie, d'obédience communiste fondée en 1945 avait pour première secrétaire, Baya Allaouchiche à Alger. L'activité de l'Union, était à mi-chemin entre, action sociale et action politique : solidarité avec les familles victimes des massacres du 8 mai 1945, création de comités d'amnistie pour les condamnés à mort ou à de lourdes peines d'emprisonnement, mais aussi mise en place de comités contre la vie chère, manifestations contre la guerre d'Indochine, solidarité avec les dockers grévistes d'Oran et les ouvriers agricoles de Tlemcen….Grande figure de l'Union des femmes d'Algérie, Abassia Fodil, représentante de l'Oranie, sensibilisait et mobilisait les femmes des villes et des campagnes à la cause nationale. Elle sera assassinée ainsi que son mari le 26 décembre 1961 par l'O.A.S.

Dés 1946, le mouvement indépendantiste, voit ses rangs renforcés par l'adhésion d'un certain nombre d'étudiantes au P.P.A. Mamia Chentouf, Kheira Bouayed, Mimi Lahoual et d'autres encore ouvrent la voie. Parallèlement à cette élite estudiantine se mettent en place des cellules féminines P.P.A. Les premières militantes ont pour nom : Néfissa Hafiz, Nefissa Hamoud (épouse Lalliam et première femme médecin à monter au maquis), Fatima Benosmane Zekkal , Nassima Hablal, Salima Belhaffaf, Malika Mefti… La création du M.T.L.D. hissera ces cellules au rang d'association : l'Association des femmes Musulmanes algériennes (l'A.F.M.A.) en juillet 1947 présidée par Mamia Chentouf. Officiellement le but de l'A.F.M.A. était purement social, mais son programme d'action était politique : faire prendre conscience aux femmes de leur importance dans la société et les préparer à participer à la lutte politique que menait le peuple algérien contre le joug colonial.

- La dynamique du sacrifice suprême

Militer au sein d'une formation politique ou culturelle, donner un peu de son temps pour secourir des familles démunies, éduquer la jeunesse algérienne (Ech-chabiba el Djazaïria), garçons et filles, à l'amour de la patrie, initier les Algériennes à assister leur mari dans leurs luttes syndicales , tout cela allait pour ainsi dire de soi. Mais de là, à rompre avec l'ordre établi, à prendre fait et cause pour une cause encore incertaine, c'était tout autre chose. Ce pas sera franchi en toute conscience, en toute responsabilité par des hommes et des femmes, parce que la dynamique du sacrifice suprême avait forgé les âmes averties. L'impossible de subir davantage le joug du colonialisme, les enfumades, les massacres, le racisme, l'inégalité, l'exclusion, la misère, les maladies, les brimades, la torture, le poids de l'inégalité devant les impôts, devant la conscription, en un mot tout ce que Mostéfa Lacheraf a disséqué dans son mémorable "Algérie Nation et Société" (Lacheraf Mostéfa, 1965), l'emporte sur la peur et son pendant l'acceptation de son sort . Le Premier Novembre, sonnera le ralliement des forces politiquement préparées et convaincues que rien ne sera plus comme avant. Si pour les citadines, cette date marque une rupture, il en fut tout autrement pour les rurales pour qui, se mettre au service d'Et-Tewra était dans l'ordre des choses. Faire le guet tout en ramassant du bois, donner l'alerte, offrir le gîte en plus du couvert n'avait aucun secret pour elles. Sauf qu'hier, c'était le garde champêtre, le caïd ou le bachagha qu'elles surveillaient. Après la nuit du destin de l'Algérie, ce sont les hordes de l'armée coloniale qui hantaient son quotidien. La population algérienne étant à l'époque à dominante rurale, il y a comme un paradoxe dans l'écriture et la transmission du savoir historique.

Djamila Amrane Minne qui a consacré une thèse à la femme algérienne (Djamila Amrane, 1988) a compté que sur les 336 748 militants des deux sexes enregistrés au Ministère des Moudjahidine, les femmes ne représentaient que 3.25% seulement. Oui mais il ne s'agit là que de celles qui se sont faites recensées après dépôt d'un dossier au ministère dans l'espoir d'une pension qui leur revint de droit. Comme toutes statistiques, les chiffres obtenus par Djamila Amrane Minne, ne renseignent pas sur les sacrifices et le martyr au quotidien de ces populations livrées mains nues à la mitraille de « França » ,elles ne font pas ressortir l'apport véritable de la femme algérienne à la Révolution et ne disent pas grand-chose sur

l'engagement réel des femmes, d'autant que la majorité d'entre elles ne se pensaient pas comme « militantes » alors qu'elles l'étaient de facto.

Combien sont- elles, celles qui ont servi d'agents de liaison ou d'infirmières, qui se sont chargées de la logistique, dont le gourbi était « merkez » , qui ont assuré la sécurité des djounoud et de leurs chefs ? Et celles qui ont accompli jour après jour les travaux domestiques qui apparaissent sans gloire (cuisiner, nettoyer, laver le linge des djounoud , coudre…). Celles que l'Histoire n'a pas retenu. Et combien d'entre elles ont été « regroupées » ou encore internées dans les sinistres camps spécialement aménagés pour elles ? Certainement des milliers. Des milliers de femmes anonymes qui ont rempli des tâches dures, obscures, ingrates mais absolument indispensables à la survie des combattants (au maquis, dans les campagnes, dans les villes et dans la Casbah). Que dire de celles qui ont perdu la vue à force de souffler sur le feu de bois pour préparer les repas aux Moudjahidine ? Combien sont-elles celles qui portent dans leur corps les traces de la torture et dans leur cœur celle de l'humiliation et du viol ?.Rares sont les femmes qui n'ont pas été en contact avec la violence ; elles furent battues, torturées, violées , blessées, tuées. Pendant la « Bataille d'Alger » la torture est devenue une pratique systématique qui s'est exercée aussi bien sur les hommes que sur les femmes (De Beauvoir Simone et Halima Gisèle, 1960).

Avec l'arrestation le 14 juillet 1956 de trois infirmières, Safia Bazi, Mériem Belmihoub et Fadila Mesli, qui avaient rejoint le F.L.N. suite à la grève des étudiants du 19 mai 1956 ; l'opinion publique internationale découvre stupéfaite, pour la première fois des Algériennes dans les rangs des « fellaga ».Elle le sera encore davantage en découvrant quelques temps plus tard, le visage angélique de celles qui ont fait trembler l'Alger des ultras. Ne faut-il pas relever cette spécificité de la Révolution algérienne qui a confié l'une des missions les plus périlleuses , les plus angoissantes aux femmes aux heures les plus sombres de la Zone Autonome d'Alger! C'est à la suite de la bombe déposée par les ultras le 10 août 1956, rue de Thèbes à la Casbah qui a fait au moins une cinquantaine de victimes parmi les femmes, les enfants, les vieillards que Yacef Saadi crée des groupes de choc en recrutant des jeunes filles , toutes volontaires. Le 30 septembre 1956, explose la première bombe au Milk Bar déposée par Zohra Drif.

Samia Lakhdari en dépose une autre à la Cafétéria. La bombe déposée au Mauritania par Djamila Bouhired, n'explosera pas. Le 26 janvier 1957 Djamila Bouazza en dépose une au Coq Hardi ; Danièlle Minne et Zahia Khelfallah au bar de prédilection des étudiants européens, l'Ottomatic ; une autre bombe à la Cafétéria. D'autres bombes seront déposées dont celle de la Corniche et des stades. La mémoire vivante pieds noirs outre Méditerranée, s'acharne sur ces Fidaiyate pour avoir fait des victimes parmi les civils européens. Le colonialisme français, les paras de Massu, les ultras et les activistes, leur ont-ils laissé le choix de leurs armes ? Et puis ces bombes artisanales, ne sont-elles pas les armes du pauvre ? La preuve, elles feront des victimes parmi ceux qui les fabriquaient ou les transportaient !

Le 28 janvier 1957 , début de la grève des huit jours . Djamila Bouhired et Zohra Drif se cachent à la Casbah et rejoignent ainsi Hassiba Ben Bouali. Recherchée et traquée par la police et les paras depuis quelques mois , elle vit cloîtrée dans une cache étroite, sombre et humide avant d'être déchiquetée le 8 octobre 1957 par l'explosion avec Ali la Pointe, Petit Omar et Mohamed Bouhamidi . Pour mémoire, la guillotine poursuivait son œuvre macabre malgré les promesses faites à Yacef Saadi par Germaine Tillion.

Livrée à la barbarie meurtrière des paras du trio Massu-Bigeard-Godard, la torture devient publique. Elle est pratiquée sur les lieux même où s'opèrent les arrestations (Branche Raphaelle, 2001), à domicile (Drif Zohra, 2013) et y compris dans les écoles. Un fil électrique dénudé aux deux extrémités, l'une branchée directement sur la prise de courant, l'autre sur les parties sensibles de la victime et l'interrogatoire peut commencer. La jeune Ourida Meddad, seize ans, ne résistera pas à l'acharnement des paras qui avaient transformé l'école Sarouy[7], en lieu de torture. Tout ce que Alger compte comme militantes et militants F.L.N., comme sympathisants algériens d'origine européenne se retrouvent, qui, dans des centres de torture qui essaiment comme des champignons, qui, à Béni Messous, qui sont portés « disparus ». Les caches repérées sont détruites à la dynamite, l'organigramme de la Zone Autonome d'Alger est reconstitué. Alger expurgée de ses responsables politiques, se

7-« Ici torture rime avec culture » dira la moudjahida Zhor Zerari

retrouve dos au mur. La Casbah ; véritable maquis dans la ville ; sanctuaire inviolable jusqu'ici, vit l'enfer : aux perquisitions, aux brutalités inouïes, aux « disparitions » nocturnes, s'ajoutent les bleus de chauffe. La terreur blanche. La Casbah est sous embargo jour et nuit. La Casbah est encerclée et son ciel survolé par les hélicoptères. La Casbah étouffe. La Casbah voit son heure approchée, mais la Casbah ne capitule pas. La Casbah se prépare à donner l'assaut. Ses héroïnes connues et anonymes, défient par leur arrogance révolutionnaire les officiers bardés de médailles. La Casbah, devient en cette année là, le centre le plus névralgique de toute la guerre. Tous les politiques du F.L.N. et de la République coloniale, tous les stratèges des maquis et l'armée d'occupation,

tous les médias de France et d'Europe, ont les yeux rivés sur la Casbah. C'est comme si le sort de la Révolution se jouait dans cet étroit espace urbain fait de maisons adossées les unes aux autres communiquant entre elles par les terrasses, traversé pas des ruelles étroites, humides et sinueuses.

Si la prétendue « bataille d'Alger » rime pour l'occupant avec paras, elle rime pour les Algériens avec « bombistes ». Si elle rime pour les premiers avec les colonels Massu, Bigeard, Godard, le commandant « O », le capitaine Léger etc., elle rime pour les seconds avec Jacqueline Guerroudj , Djamila Bouhired, Djamila Bouazza, , Baya Hocine (16 ans), Djhor Akrour (17ans), Zahia Khelfellah toutes condamnées à mort. L'histoire de la France occupante et de l'Algérie du F.L.N. historique, restera à jamais marquée par cette page cruelle et émouvante à la fois (Guerroudj jacqueline, 1991 ; Ighilahriz Louisette, 2002).

- Un engagement qui s'inscrit dans le cours de l'histoire

Ce rapide regard posé sur la femme d'hier paraît anodin, voire même sans sens et ennuyeux pour la « génération facebook » pour qui, il n'existe aucune frontière. Fortement enracinée dans la société, imprégnée dès la prime enfance de la culture familiale centrée autour du respect des valeurs comme l'obéissance, l'honneur, la femme devait surmonter ses propres handicaps, ses propres craintes avant de vaincre les multiples tabous, surmonter les regards inquisiteurs du frère, de la voisine, des habitants du quartier.

Aujourd'hui et pour toujours, le courage à la limite de l'impensable de ces jeunes filles âgées à peine de 15-20 ans, nous laisse rêveur. Transporter, dans son sac à main, dans un couffin, sous son voile, dans les langes de son bébé un révolver, une bombe ; traverser les multiples barrages de contrôle sans trembler au risque de se faire interpeller ou arrêter par les paras de Massu qui quadrillent Alger, tout cela semble relevé aujourd'hui de la pure fiction. La foi donne du courage, la détermination des ailes et la peur ouvre les chemins de la victoire. Baya Hocine, lycéenne, seize ans, la plus jeune des condamnées à mort par la « justice coloniale », d'une grande intelligence, troquera son cartable et ses cahiers pour les bombes de la liberté. A ses yeux, le chemin de la liberté pour son pays passait obligatoirement par les stades du Ruisseau et d'El Biar où avec son groupe dont Djohor Akrour (dix sept ans) elle y déposera la bombe le 10 février 1957. Qui mieux que Yasmina Belkacem, aux jambes amputées par la bombe qu'elle transportait pour nous dire jusqu'où peut aller le sacrifice . Qui mieux que ces « bombistes », au look européen pour nous entretenir de la peur aux tripes. Qui mieux qu'elles pour dire comment elles déjouaient tous les traquenards tendus par les paras et les ultras. Qui mieux que les djounoud pour nous dire quel réconfort ils trouvaient dans les chaumières et sous les kheïma de ces femmes anonymes, qui n'avaient que leur savoir faire domestique, mais ô combien capital, pour permettre aux Moudjahidine de poursuivre leur combat ! Le sentiment de la « mission accomplie » (Drif Zohra, 1960 ; Amrane-Mine Danielle Djamila, 1993 ; Barkat-Derrar Anissa, 1994 ; Lavalette-Safir Eveline, 2013 ; Dore-Audibert Andrée, 1995 ; Zerari Zhor, 1988) était plus fort que la peur devant la mort.

- Le dépassement de soi

Au moment où De Gaulle croyait la victoire à portée de main après les ratissages dévastateurs du plan Challe (1958-1959), les femmes entrent en action à l'occasion de sa dernière visite en Algérie entre le 9 et le 13 décembre 1960. Bravant la peur, se jouant de la S.A.S. et de la S.A.U., brandissant l'emblème national, face aux chars, aux mitrailleuses qui crachent la mort, les manifestants parmi lesquels de très nombreuses femmes, pris entre les feux croisés de l'armée et des activistes de « l'Algérie Française », comptent leurs morts. Parmi la centaine de victimes à travers toutes les villes de la colonie en fin de règne, la petite Saliha Ouatiki, de

Belcourt. Agée de 12 ans, elle sera assassinée par des tirs de snippers activistes. Tirant la leçon de son périple périlleux, De Gaulle écrit dans ses mémoires : « Par-dessus tout, je tiens pour évident que la situation, à mesure qu'elle se prolonge, ne peut plus offrir à notre pays que des déboires, peut-être des malheurs, bref, qu'il est temps d'en finir »(Charles de Gaulle, 1070). Outre Méditerranée, ce sont les femmes de l'émigration qui défient pacifiquement, les 17-19 octobre 1961, Papon, préfet de police de Paris , son ministre de l'intérieur Roger Frey et même De Gaulle, président de la République qui ne pouvait pas ignorer les retombées d'un couvre feu raciste imposé au seuls Algériens pour asphyxier le F.L.N. Les rares photos de l'époque montrent des poussettes de bébés renversées, des chaussures abandonnées sur la chaussée, des corps en sang, signe d'une violence inouïe.

Dans la ville des lumières et des Droits de l'Homme et du Citoyen, une jeune adolescente Fatéma Beddar, 15 ans à peine, rejoint ses aînées à sa sortie du collège, contre la volonté de sa mère, pour prendre part à la manifestation à laquelle a appelé la Fédération de France du F.L.N. Cette jeune fille est l'incarnation même du dépassement de soi. Elle ne rejoindra pas le domicile familial ni le 17 au soir, ni le lendemain, ni les jours suivants. Son corps frêle sera repêché le 30 octobre 1961 dans le canal de Saint Denis.

Conclusion

L'historiographie officielle et notre mémoire collective mettent toujours en avant deux figures : celle de la maquisarde et celle de la fidaiya. Parce qu'elles vivent loin des projecteurs de l'actualité, parce qu'elles n'ont ni le verbe facile, ni la conviction d'avoir été des héroïnes ne serait-ce qu'un jour, elles vivent dans l'ombre de leur histoire individuelle sans la côtoyer :ce sont les ANONYMES. Savent-elles au moins, que telles des abeilles butineuses, jamais sans elles le nidham n'aurait vécu et et-Tewra menée à son terme. Que dire aussi de toutes ces militantes Algériennes d'origine européenne qui ont pour nom Raymonde Peschard (tombée au maquis), Jacqueline Guerroudj, sa fille Djamila Amrane Minne, Annie Steiner (Ameyar Hafida, 2011), Eveline Safir, Eliette Loup, Claudine Chaulet et tant d'autres qui ont hébergé, transporté des documents, transporté à

bord de leur 2 chevaux Abane Ramdane, Larbi Ben m'Hidi, Youcef Ben Khedda du C.E.E. Comme leurs autres sœurs, elles seront emprisonnées, humiliées, torturées. Mais bien plus encore que leurs sœurs de combat, elles seront balayées de l'histoire officielle. Il est vrai que les choses ont légèrement changé depuis que les plumes se sont mises à graver les histoires individuelles des unes et des autres. La reconnaissance, est aussi une affaire de conviction et de combat.

Leur participation est sans conteste la preuve de la maturité politique des femmes et de leur capacité à jouer un rôle important dans la gestion des affaires publiques. Leur engagement a revêtu de multiples réalités qu'on doit saisir en multipliant les angles de vue et en multipliant les matériaux historiques.

Bibliographie :

- Amrane-Mine Danielle Djamila. 1988. Les femmes algériennes et la guerre de libération nationale en Algérie. 1954-1962. Thèse Doctorat d'Etat de Lettres et de Sciences humaines, Université de Reims.
- Amrane-Mine Danielle Djamila. 1993. La Guerre d'Algérie (1954- 1962). femmes au combat. Ed. Rahma,, Alger.
- Ameyar Hafida. 2011. La Moudjahida Annie Fiorio-Steiner , une vie pour l'Algérie, Association Les Amis de Abdelhamid Benzine, Alger.
- Barkat-Derrar Anissa. 1994. Le rôle de la femme algérienne pendant la guerre de libération nationale, (en arabe), ENAL, Alger.
- Bourdieu Pierre et Sayad Abdelmalek. 1964. Le déracinement. La crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Les Editions de Minuit, Paris.
- Branche Raphaelle. 2001. La torture et l'armée pendant la guerre d'Algérie, Gallimard, Paris.
- De Beauvoir Simone et Halima Gisèle. 1960.Djamila Boupacha, Gallimard, Paris.
- De Gaulle Charles. 1970. Mémoires d'espoir. Le renouveau 1958-1962, t. 2, Plon, Paris.
- Déjeux Jean. 1987. Femmes d'Algérie-Légende, La Boîte à Documents , Paris.
- Dore-Audibert Andrée. 1995. Des Françaises dans la guerre d'Algérie, Ed. Karthala, Paris.

- Drif-Bitat Zohra, 2013, Mémoires d'une combattante de l'ALN, Zone autonome d'Alger, Ed. Chihab, Alger.
- Drif Zohra, 1960, La mort de mes frères, Maspéro, Paris.
- Guerroudj jacqueline, 1991, Des douars et des prisons, Ed. Bouchène, Alger.
- Ighilahriz Louisette, 2002, Algérienne, Ed. Casbab, Alger.
- Jurquet- Bouhoune Baya et Jurquet Jacques, 2007, Femmes algériennes, de la Kahina au Code de la famille, Le Temps des Cerises, Paris.
- Lacheraf Mostéfa, 1965, L'Algérie, nation et société, essai, Maspéro, Paris.
- Lavalette-Safir Eveline, 2013, Juste Algérienne, Barzakh, Alger.
- Reggui Marcel, 2006, Les massacres de Guelma, Algérie Mai 1945 : une enquête inédite sur la furie des milices coloniales, La Découverte, Paris.
- Zerari Zhor, 1988, Poèmes de prison, Bouchène, Alger.